روضتين

الجزء الثاني من الروضتين في أخبار الدولتين

تأليف الشيخ الفقيه الامام العالم العامل الأوحد
العلامة الصدر الكامل مجموع الفضايل زين العلما
بقية السلف فريد الدهر حجة العرب
مفتي المسلمين شهاب الدين عبد الرحمن
ابن اسمعيل بن ابرهيم الشهير
بابن شامه رحمه الله تعالى
وارضاه
آمين

4215



الحمد لله
ملكه من فضل الله ابراهيم
ابن [illegible] عفا الله عنه
[illegible] وصلى الله على
سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

قد وقف هذه النسخة الشريفة سلطاننا الأعظم والخاقان المعظم
مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان
السلطان الغازي محمود خان [illegible]
[illegible]
[illegible] الحرمين الشريفين
عفي عنهما



بسم الله الرحمن الرحيم ۞ رب يسر واعن واتمم بخير في عافيه يا كريم
ثم دخلت سنه اربع وسبعين وخمسمايه قال العماد وكان شمس الدين ابن المقدم من اكابر
الامرا وهو السابق الى مكاتبه السلطان في تصويب رايه في الوصول الى الشام وتدارك امر
الاسلام وكان السلطان عند تسلم بعلبك انعم بها عليه ورد امورها اليه فاقام بها مستقرا
وللاخلاف عما لها مستندا ولما وصل السلطان في هذه النوبه الى الشام لم يحضر كما
جرت العادة للخدمه والسلام فانه كان نمي اليه ان الملك المعظم فخر الدين شمس الدوله توران شاه
ابن ايوب طلبها من اخيه وانه لا يمكنه الرد فخاف من الحضور ان تتم الامور ووقع في
ذلك سرارا اسرارا وجهارا والزم له ان يعوض عنها ما هو اوفى منها فابى الا الاباء وشار
السلطان منه ومن اخيه الحياء وشمس الدوله لا يقبل عذرا ولا يرى عما طلبه صبرا
ثم استاذن اخاه في التوجه اليها فاذن له وتوجه عز الدين فرخشاه الى حوران لحفظ الثغور
وسار السلطان الى حمص ونزل على العاصي عازما على الجهاد ۞ ووردت من الفاضل كتب
من بعض فصولها واما سور القاهره فعلى ما امر به المولى شرع فيه وظهر العمل وطلع البنا
وسلكت به الطريق المؤديه الى الساحل بالمقسم والله يعمر المولى الى ان يراه نطاقا مستديرا
على البلدين وسوارا بل سوارا يكون به الاسلام محلى اليدين بخلاء الصدين والامير بها الدين
قراقوش ملازم للاستحثاث بنفسه ورجاله لازم لما يعنيه بخلاف امثاله قليل التثقيل مع حمله
لاعبا التدبير واثقاله ومنها في حق نقل القضا من شرف الدين ابن ابي عصرون
لما ذهب بصره الى ولده لن يخلو الامر من قسمين والله يختار للمولى خيره الاقسام ولا ينبغي له هذا
الحرج الذي لا يبلغه ملك من ملوك الاسلام اما ابقا الامر باسم الوالد ويحيث سعي رايه ومشاورته
وفتياه وبركته ويتولى ولداه النيابه ويشترط عليهم المجازاه لاول زله وترك الاقاله لاول
عثره فطالما بعثت المنافسه الراجحه على اكتساب الاخلاق الصالحه واما ان يفوض الامر
الى الامام قطب الدين فهو بقيه المشايخ وصدر الاصحاب ولا يجوز ان يتقدم عليه في بلد الا
من هو ارفع طبقه في العلم منه ومنها في اقامه عذر التاخر عن الجهاد واما تاسف المولى
على اوقات تنقضي عاطله من الفريضه التي خرج من بيته لاجلها وحدد العوايق التي لا يوصل الى
اخرها فللمولى نيه رشد والسر الله يعلم بعبده وهو سبحانه لا يسال الفاعل عن تمام فعله
لانه غير مقدور له ولكن عن النيه لانها محل تكليف الطاعة وعن مقدورها صاحبها من الفعل بحسب

الاستطاعه

تعالى بالشفا وهذه البشرى بفتح الحصن وان كانت شريفه مواقعها تامه منافعها فقد تجددت
بعدها بشارة طلعت مسار رايقه وجات في مكان الرديف لاخرى لا فرق بينهما الا ان تلك
سابقه وهذه لاحقه وذلك ان الاسطول المنصور المصري غزا غزوة ثانيه غير الاولى
وتوجه الى السواحل الاسلاميه مرة اخرى من الله فيها منه اخرى وكانت عدته في هذه السنه قد
اضعفت وقويت واستقرت فيها عزايم الجهاد واستنفضت واحتلت به الرجال الذين يعملون
في البحر ويسلكون في البر ومن هو معروف من المغاربه لغزو بلاد الكفر فسارت على سوادي كاين
الا انها اخرق بروق النهار ورووا كالسحب الا انها اسرع مر السحاب غير الجهام فلا عجب منها
تسمى غربانا وتنشر من ضلوعها اجنحه الحمام وتسمى جواري وكم بشر مجريها من النصر بغلام فطرقت
في الاحد حادي عشر جمادى الاولى بمينا عكه وهي قسطنطينيه الفرنج ودار كفرهم ابدلها الله
من الكفر اسلاما وخلع عنها الشرك الباطل وخلع عليها من التوحيد اعلاما وكانت مفروشه فاصبحت
مفترشه وبانت جميع الفرنج بحرسه وعدت مبرشه بما هي الا ان حدث على المينا وفيه المراكب
والضبايع فاستولت على عده من المراكب عظيما وكبيرا ونطاحا تقلقل ولو كان ثبيرا واحتلت
ساحل الفرنج بغتالها وباشرت مثل الما بنزولها ونزالها وهذا مما لم يعهد من الاسطول
الاسلامي في مثله في سالف الدهر لا في حاله قوة اسلام ولا ضعف كفر ومما سبيله ان تنطق
السير الكريمه بخبره كما طرز الله الصحيفه الشريفه باجره وحمل على قلعه عكا ثلثه نفر بالليل
النهار لبعده اكانوا وقفوا عنها وآمنا كانوا امنوها فصرعتهم الايدي والافواه وخروا
سجدا على الجباه سجودا لا يرفعون منه الرووس ولا يستقلون منه الى حاله الجلوس ولا يرفع فيها
يرفع من عمل ولا اثم فيه من وصله ولا اثم به من قبل وافا منا المراكب يومين بغنايمها وثقالها
وبناصلها **فصل** في باقي حوادث هذه السنه منها حجه الفاضل الثانيه ووفاة الخليفه
المستضي بالله وغير ذلك قال العماد وفي العشر الاخير من شوال سنه خمس وسبعين خرج الفاضل
من دمشق الى الحج ثم عاد الى مصر من مكه **قلت** ووقفت على نسخه كتاب الفاضل الى الصفي
ابن القابض يصف له ما لقي في طريقه الى مصر وركب البحر وكانت حاله ذهبت بمكه في خامس عشر
ذي الحجه فقال خرجنا من مكه شرفها الله تعالى يوم الخامس والعشرين من ذي الحجه وفي هذه
العشره الايام زاد تسلط المفسدين واسراف المرضى وظهر من اوان امير الحاج العراقي ومن
ضعف نفسه واعتراض جناحه ما اطمع المفسد واخاف المصلح ورحلنا الى جده يوم الاحد التاسع

والعشرين من ذي الحجة وركبنا البحر في يوم الثلاثا التاسع والعشرين منه وسنا فيه ليلة الاربعا
والخميس ورمتنا الريح الى جزيرة بالقرب من بلاد اليمن يسمى دباداب وكان ما جرى لنا ثلثين في
البحر من ليالي البلا وبالله اقسم لقد شاب بعض رووس اصحابنا في تلك الليله وابيضوا من الاهوال
وتمنوا معاجلة الحمام وتقصير العذاب وظنوا انهم احيط بهم وغابوا عن انفسهم ثم احيحوا عليها بالاقدار
التي لا حيلة فيها وصبرنا الى ان فرج الله سبحانه ونزلنا البريه بحيث لا ماء يشرب ولا جمل يركب
وبعدنا النجاه الى الذي على ساحل البحر فاحضر واجمالا ضعيفه اجرتها اكثر من ثمنها ومن ثمن ما تحمله
فركبناها ووصلنا الى عيذاب بعد عشرة ايام وقد اهلكنا ضعفا وتعبا وجوعا وعطشا
لان الخلق كانوا كثيرا وكان الزاد يسيرا وركبنا البريه من عيذاب الى اسوان فكانت
اشق من كل طريق سلكناها ومن كل مسافة قطعناها لانا وردنا الماء في احدى عشر ليله
مرتين وكانت الهمه قاصره في المراد فكانت البلوى عظيمه في العطش فاما الحزون والوعر فهي تزيد
على ما في برية الشام ويكون طريقنا بين جبلين كالدرب المضايق والزقاق المتقارب وحر
الشمس شديد وقريب لو قطعنا بعيد ولطف الله الى ان وصلنا مصر في السابع عشر من صفر

قلت وللوجيه بن الدهري في الفاضل

لك الله اما حجة او وفادة من مشهد برح الاله وموسم   ترى نادة بين الصوادم والقنا وطورا ترى بين الحطيم وزمزم
وكم لك يا عبد الرحيم ماثر الهاف سما الفخر اشراق النجم   كانك لم تخلق لغير عبادة واطهار فضل في الورى وتكرم

قال العماد وفي هذه السنه طهر الملك العزيز ابو الفتح عثمان بن السلطان وكان احب اولاده
اليه وهو الذي قام بتدبير الملك بعده وولد بمصر ثامن جمادي الاولى سنه سبع وستين وخمسمايه
كما سبق ذكره وكان السلطان لما قدم الشام زاد شوقه اليه فاستقدمه فقدم عليه في شهر رجب
سنه احدى وسبعين **وانشد العماد السلطان عند قدومه عليه قصيده منها**

ما اشد الكامل العالي هيبته جمع الشمل لشمل   عثمان ذي النورين ابي لو ذي من سود دسام ومن فضل
بحكيك اقداما وباسا فانما اشبه هذا الفرع بالاصل   مخايل الرشد على بشره شواهد بالفضل والنبل
ملك قضى الله له انه على ملوك الارض يستعلي   بالملك الناصر سلطاننا طالت يد الاحسان والعدل
ثم لم يفارقه واستصحبه الى مصر سنه اثنين وسبعين ثم عاد به معه الى الشام في شوال سنه ثلاث
وسبعين واتخذ له معلما من مصر وهو نجم الدين يوسف بن الحسين المجاور فحصل من صحبته رزقا واسعا
لا سيما في عام الطهور فانه عم فيه السرور والحبور وكان متولي الاسواق في الطهور ضيا الدين

ابن

ابن القابض لانه كان متولي الخزانه والديوان والاعمال بدمشق قال وحج يعني ابن القابض سنه اربع
وسبعين وفيها حج الفاضل من مصر يعني حجته الاولى وعاد الى الشام ومعه ابن القابض قلت
وفي هذه السنه توفي الملك المنصور حسن بن السلطان صلاح الدين وقبره القبلي من القبور الاربعه
التي بالقبه التي فيها شاهنشاه بن ايوب بالمقبره النجميه بالعونيه ظاهر دمشق قال العماد
وفيها خرجوا الى بعلبك لتسليمها الى عز الدين فرخشاه فسلكوا طريق الزواديف ونبي طريق شاقه
وفيها اغار عز الدين على صفد ثامن عشر ذي القعده وكان قد تجمع لهم من رجال بانياس وما حولها
ورجع سالما غانما وفي مستهل ذي القعده او ثانيه توفي ببغداد الخليفه الامام المستضي بالله
امير المومنين واستخلف ولده الناصر لدين الله ابو العباس احمد وكان رسول السلطان ضيا الدين
ابن الشهرزوري حاضر المحضر وبايع واخبر عليه الحال فبادر السلطان الى الخطبه له في جميع البلاد
ومضى صدر الدين شيخ الشيوخ عبد الرحيم بن اسماعيل من بغداد رسولا الى بهلوان والزمه حتى
خطب بهمذان واصفهان وعمت الدعوة الحادثه في جميع بلاد خراسان ثم لما رجع شيخ الشيو
خ جاء الينا رسولا في سنه ست وسبعين واخرج السلطان معه الى مصر وحج منها وركب البحر
كما سياتي ذكره **وللعماد في مدح الامام الناصر قصايد منها قصيده تائيه
مدحه بها سنه فتح القدس وسياتي منها ابيات عند ذكر فتحه منها**

الدهر يبسم ما دام مستبشرا بخلافة الناصر المنصور اتنابك   بطاعة الناصر بن المستضي ابي العباس احمد للايام انحا
وقال محمد القادسي في تذييل تاريخ ابي الفرج بن الجوزي مولد المستضي ثالث عشرين شعبان من سنه ست
وثلاثين وكانت خلافته تسع سنين وسته اشهر واحدا وعشرين يوما بويع تاسع ربيع الاخر
سنه ست وستين وكان كريما مرحوما بارا بالرعيه يعفو عن الجرايم الكبار طهر يوم مبايعته
من رد المظالم والاملاك المقبوضه والافراج عن المحبوسين واسقاط الضرايب والمكوس
ما شاع واشتهر قال وتقدم على شيخ الشيوخ عبد الرحيم وابا عبد الرحمن بن الجوزي فصليا
عليه وبايع الناصر اخوه الامير ابي منصور هاشم ثم بنو اعمامه وخواصه ثم الولاه وارباب المناصب
والاعيان والوافدون للحج من بلاد خراسان وغيرهم وكان والده المستضي قد عهد اليه قبل
وفاته بيوم واحد قلت كذا نقلته من خطه ولعله اراد باسبوع واحد فسبق به قلمه فان
ابن الدبيثي ذكر انه خطب للناصر بولاية العهد يوم الجمعه الثاني والعشرين من شوال ثم قال ابن القادسي
وفي تاسع ذي القعده قبض على صاحب المخزن ظهير الدين ابي بكر العطار ووكل به وتتبع اصحابه ومن

يتعلق به وقتل النقيب مسعود الذي كان بين يديه وكان احد الاعوان بباب النوبي قد لعن الرحمة
من قلبه فقطع قطعًا وشد في رجله حبل وسحبته العامة في الدروب ثم احرقوه بعد ذلك وفي
حادي عشره حمل بن العطار ميتا وعلم به العامة فرجموا تابوته بالاجر فالقاه الحمالون وهربوا
فاخذه العامة وشدوا في رجله شريطا وسحب في جميع بغداد ومنافذها ودروبها ومحالها
وقطع لحمه قطعًا . قال وتوجه شيخ الشيوخ ابو الغنم عبد الرحيم الى البهلوان بن ايلدكز
سحبه همدان لاجل الخطبة فتوقف عن ذلك فهاجت العامة عليه ووثب اهل المذكور وخطبوا
وجا كتاب شيخ الشيوخ الى الديوان سطرها فلان واكال في الحوح كقصة نوح من وراء
السورة عري الصورة . قال وفي هذه السنة اشتد الغلا وكثر الوبا ببغداد وغيرها
من البلاد وذكر ان رجلا بواسط ذبح بنتا له واكلها واخر بقر بطن صبي واخذ كبده
فشواها واكلها . قال وفي رابع عشر ربيع الاخر زلزلت الارض بعد العتمة فوق بلاد اربك
فلما اصبح الناس عادت الزلزلة في الجبال فتصادمت ووقع منها الحجارة وسقطت قلاع كثيره
وهلكت قرى من فيها وكان بين الجبل والجبل عشرون ذراعا فبعد فيهما الزلزلة فيتصادما
ويعودان الى مكانهما . قال ابن ابي طي ومنها احرق الاسماعيلية اسواق حلب وافتقر
اهلها بذلك وكانت احدى الجوائح التي اصابت حلب واهلها . قال ومنها خرج قراقوش
التقوي الى طرابلس المغرب ففتح بلادا ووصل جرويا مع ابراهيم السلاح دار الذي دخل بلاد المغرب
ايضا من اصحاب تقي الدين لانه بعثه اطمعه ان يفعل فعل قراقوش في ملك البلاد ثم اصلح
بينهما ثم دخلت سنة ست وسبعين فمنها توفي الحافظ ابو طاهر السلفي
بالاسكندرية رحمه الله وقد زرت قبره بها داخل الباب الاخضر قال العماد ومنها هادن
السلطان صلاح الدين الفرنج وتوجه الى بلد الروم فاصلح بين نور الدين محمد بن قرا ارسلان
ابن داود بن ارتق صاحب حصن كيفا وبين زوج ابنته السلطان عز الدين قلج ارسلان بن
مسعود بن قلج ارسلان واجتمعوا على نهر يقال له كوك سو وجرت بينهم الهدايا والدعوات والافراح
والهبات . ومنها دخل السلطان بلد الارمن ليغير ملكهم ابن لاون لانه كان استمال قوما من
التركمان حتى يرعوا في مراعي بلاده بالامان ثم صممهم بغدره وحصلوا اسرهم في اسره فدخل
السلطان بلاده واذل اعوانه واجناده ونصر الله المسلمين بالرعب فاحرق من الخوف قلعة شامخة
تعرف بالمانقير وبادر المسلمون الى اخراج ما فيها من الغلات والالات فغنموا بها وتهموا هدمها

الى الاساس . قال ابن ابي طي ووجد المسلمون في ارضها صهريجا مملوا الانعاس وفضة وذهب
لها زمن طويل قال وبذل السلطان جملة من المال وانه يطلق من عنده من الاسرى فلم يرض
السلطان بما بذله فزاد في المال وانه يشتري خمس مائة اسير من بلاد الفرنج ويعتقهم فاجاب
السلطان واخذ منهم رهينة على ذلك . قال العماد وادعن ابن لاون وذل واطلق ما بيده من
الاساري فرجع السلطان مويدا منصورا ووصل الى حماه في اواخر جمادي الاخره وكان الكاتب
منها الواسطي ابو غالب محمد بن سلطان بن الخطاب لهزيمة شاهد هذه الغزاه فنظم قصيدة في السلطان
لقد جمل الله ملك الورى باوفى مليك واوفى هجان تهش الى حمل السيوف في الهام لا الى حمل التيجان
ارى ابن لاون لا واه فاضحى به خبر اعز عيان ودان من الذل لا يرعوي حداد النيران اعناق الحصان
فلا قدم عنده للثبات وليس له بساطكم بدان واخلى الهوى المانقير وغادر للهدم تلك المباني
طرشل الاسر الغفلة بسال الطلاقة فهو عان ودعت نحو مكه والمكان ... من الارمن الجان
ورعت من سلطوتي في مملكة فقعقعتم من رهبة بالشان
قال ولما وصل السلطان الى حمص وخيم بالعاصي اتاه الفقيه المهذب بن عبد الله
ابن اسعد الموصلي وانشده وله في السلطان مدائح منها قصيدة غراء مطلعها
الملاح اما وجفونك المرضى الصحاح وسكرة مقلتيك وانت صاح لقد اصبحت في العشاق فردا كما اصبحت فردا في
الملاح
بدر العصن يوفيع ورنوا الحظ طبي وبسم عن اقاح وقد عري العصب في كثيب غاشم بالظلام وبالصباح
ح ومال مع الوشاة ولا عجيب لغصن ان يميل مع الرياح قطعنا الليل في عتب وشكوى الى ان قيل حي على الفلاح
ح ولاح الصبح على في سناه صلاح الدين يوسف ذا الصلاح ولما صافحت عزماه لقينا بآمال فساح
لبغدحا وحمك كل وحيدا ذابل البدر جيبهم وفاح ملوك جلهم معرى بظلم ومشغول بصهوات وراح
جي اماحالك الابطال ولى ونقدم نحو طيه الوشاح ودون من الملوك المتنكل وما لك ملاك النوا
ح هم جمعوا وقد فرقت لكن جمعت به الرجال مع السلاح وما خضع الفرنج لديك حتى راوا ما لا طاقة من الكفاح
وما سالوك عقد الصلح ودا ولكن خوف معلمك واح ملات بلادهم سهلا ووعرا بآساود اخنعا بالرماح
وقال ابن شداد لما عاد السلطان بعد الكرة يعني كثرة الرمله الى الديار المصرية اقام بها
ريثما لم الناس شعثهم ولما علم عبط الشام عزم على العود اليه وكان عوده للغزاة فوصل رسل
قلج ارسلان يلتمسون من السلطان الموافقة وسعيت اليه بن لاون فاستمالوا بلاد بن
لاون لنصره قلج ارسلان عليه ونزل بقرا حصان واخلى عسكر حلب في خدمته لانه كان قد اشترط

في الصلح ذلك واجتمعوا على نهر الازرق بين بهسني وحصن منصور وعبر منه الى الحصين النهر
الاسود وطرف بلاد ابن لاون فاخذ منهم حصنا واخربه وبذلوا له اسارى والتمسوا منه الصلح وعاد
عنهم ثم راسله مليح بن لاون في صلح الارمن اسرهم واستقر الصلح في عاشر جمادى الاولى سنة ست
وسبعين ودخل في الصلح مليح ارمن الارمن والمواصلة واهل ديار بكر وكان ذلك على نهر سنجة وهو
نهر يجري الى الفرات وسار السلطان نحو دمشق فصل قال العماد وفي اوايل هذه السنة
توفي صاحب الموصل سيف الدين غازي بن مودود بن زنكي والسلطان مخيم على كوك سو من حدود
بلاد الروم وجلس مكانه اخوه عز الدين مسعود بن مودود وجاء رسول مجاهد الدين قايماز وهو
الشيخ الفقيه فخر الدين ابو شجاع بن الدهان البغدادي الى السلطان يطلب منه ان يكون معه كما كان
اخيه من ابقاء سروج والرها والرقة وحران والخابور ونصيبين في يده فلم يفعل السلطان وكانت
له باطلاق الخليفة وانما جعلها في يد سيف الدين غازي بالشفاعة على شرط انه يقوي السلطان
بالعساكر فلما مات سيف الدين كتب السلطان الى الخليفة الناصر يعلمه بذلك وان هذه البلاد لم
يزل يقوى بها على الشام فوضت اليه على ما اراد وكان الكتاب الى الصدر الدين عبد الرحيم
شيخ الشيوخ من انشا العماد ومنه قد عرف اختصاصنا من الطاعة والعبودية للدار العزيزة النبوية
بما لم يختص به احد وامتدت ايدينا في اقامة الدعوة الهادية بمصر واليمن والمغرب بما لم يمد اليه يد
وازلنا من الاقاليم الثلاثة ادعياء وخلعنا بها للتراحب دعوى المبان الغواية خلفا
ولا خفا ان مصر اقليم عظيم وبلد كريم بعضنا بين فتحها سنة مضية وعانت كل هضبة وعاينت كل
عظيمة حتى اعدها الله من شانه عبيد عطلها عطلات اعدنا اليها من عنا كل قيد وفيها
شيعة القوم وهم عيرها حوق الشراك السوم وطوايف اقاليم الروم والفرنج من البر والبحر
فما يطيف عن حفظها ان يقوم عسكرها فلو حصل والعياذ بالله بها فتوق لاعضل رتقه واتسع على
الراقع خرقه واحتجنا لحفظ بلاد الشام وثغور الاسلام الى استصحاب العسكر المصري اليها وله
مدة خمس سنين في سكادرها يستهضن كنا زمانها متحملا لمشاقها على علاء اسعارها وانما احوج الى ذلك
ان بلاد هذا الثغر قد انقطعت عنه وعساكرها قد تخلت عنه وكانت في تولي نور الدين رحمه الله ثم
ذكر كما سبق مفوضة اليه كما سياتي • وقال ابن الاثير توفي سيف الدين يوم الاحد ثالث صفر سنة
ست وسبعين وكان مرضه السل فطال به فلما ومن العجايب ان الناس لما خرجوا يستسقون بالموصل
سنة خمس وسبعين للغلا الكاين في البلاد خرج سيف الدين في موكبه فثار الناس وقصدوه

مستغيثين

مستغيثين به وطلبوا منه ان يامر بالمنع من بيع الخمر فاجابهم الى ذلك فدخلوا البلد وقصدوا
مساكن الخمارين وخربوا ابوابها ونهبوها واراقوا الخمور وكسروا الاواني وعملوا ما لا يحل
فاستغاث اصحاب الدور الى نواب السلطان وخصوا بالشكوى رجلا من الصالحين يقال له ابو
الفرج الدقاق ولم يكن له في الذي فعله الناس في النهب فعل انما هو اراق الخمور ولما راى فعل
العامة نهاهم فلم ينتهوا منه فلما شكي احضر الى القلعة وضرب على راسه فسقطت عمامته فلما اطلق
ليرد من القلعة نزل مكشوف الراس فارادوا ان يغطيه بعمامته فلم يفعل وقال والله لا غطيته حتى
ينتقم الله لي ممن ظلمني فلم يمض غير قليل حتى توفي الدزدار الذي تولى اذاه ثم تعقبه مرض سيف الدين
ودام مرضه الى ان توفي وكان عمره نحوا من ثلاثين سنة وكانت ولايته نحو عشر سنين ونصفا وكان من
احسن الناس صورة تام القامة مليح الشمايل ابيض اللون مستدير اللحية متوسطا في الدين السمين
والدقيق وكان عاقلا وقورا قليل الالتفات اذا ركب واذا جلس لم يذكر عنه شي من الاسباب
التي تنافي العفة وكان غيورا شديد الغيرة لم يترك احدا من الخدم يدخل دوره اذا كبر
انما يدخل عليهن الخدم الصغار وكان لا يحب سفك الدما ولا اخذ الاموال بغير حق فيه قال
فلما اشتد مرضه اراد ان يعهد بالملك لولده معز الدين سنجر شاه فخاف من ذلك لان صلاح الدين
يوسف بن ايوب كان قد تمكن في الشام وقويت شوكته وامتنع اخوه عز الدين مسعود بن الادعان
والاجابة الى ذلك فاشار الاكابر الكبار ومجاهد الدين قايماز بان يجعل الملك بعده في اخيه
لما هو عليه من كبر السن والشجاعة والعقل وقوة النفس وحسن سياسة الملك وان يعطي ابنه بعض
البلاد ويكون مرجعهما الى عمهما عز الدين لعنى لهما ذلك ففعل ذلك وحلف الناس لاخيه فلما توفي
سيف الدين كان مجاهد الدين هو المدبر للدولة والنايب عنه والمرجع الى قوله ورتب الى الحكمة
العربية وعز الدين ركبه الى دار المملكة ومشى في ركابه راجلا وجلسوا وخلس للعزا وكانت
الرعية تخافه قبل ان يملك لاقدامه وجرانه وحدته كانت فيه وكان لا يلتفت الى اخيه سيف
الدين اذا اراد امرا فلما ولي تغيرت اخلاقه فصار رفيقا بالرعية محسنا اليهم قريبا منهم ه
قال ابن شداد وفي عاشر المحرم سنة ست وسبعين بلغ الملك الصالح بن نور الدين
عصيان عز الدين قليج مثل حال فاخرج اليه العسكر فلما عصمه صاحب الحلة
في نصيبين فصل في وفاة شمس الدولة توران شاه بن ايوب اخي السلطان الاكبر توفي بالاسكندرية وعوا
بالتعويض الى السلطان فطلبه فقال ان ابى لا يطيق السلطان فذا قد اخاه سمي الدولة الى الحكمه

وحصل اليه دمشق فلما حصل بها لم توافقه وكان يعتاده القولنج فتملكه وتوفي بثغر الاسكندريه
وكان احد الاجواد الكرما الاجاد شجاعا باسلا عظيم الهيبه جم المعروف اخو الشده متجافيه ۞

۞ يقول ابن سعدان الحلبي من قصيده ۞

هو الملك ان تسمع بكسرى وقيصر فانهما في الجود والباس عبداه وما حاتم ممن يقاس بمثله فخذ ما رايناه ودع ما رويناه
ولن يحداه مستجيرا فلم يجير ولم ينصر الزمان وعداه ۞ قال العماد وفيها في المحرم توفي بثغر
الاسكندريه ... اخو صلاح الدين ووصل الخبر بذلك الى السلطان وهو نازل بظاهر حمص
فحزن عليه حزنا شديدا وحصل بكثرة انشاد ابيات المراثي وكان كتاب الكاتب منشئه وكان صلاح الدين لما
ملك مصر ارسله الى اليمن فملكها ثم استناب بها وقدم الشام سنه احدى وسبعين ... ووصل تيما
... فيه ابيات للشاعر ابن المنجم ۞ منها ۞

فهل لاخي ... وانطال ... واي ... لقابه ... المريه ...
... بلد ... الملوك ... اعطا ... جامع
... الاكام ... وما الملك ... الدنيا وفي الاخرى
... الحواشي ... الغوطه ... المحروسه ...
... الشام ... ناصر الدين محمد بن شيركوه وهو ...
... الدين ... وسياتي ذكر ... المدرسه ...
... ابن شيركوه ... الشام ... رحمه الله ۞
قال العماد وفيها في رجب وصلت رسل الديوان العزيز الناصري صدر الدين شيخ الشيوخ ابو
القسم عبد الرحيم ومعه شهاب الدين بشير الخاص ... التشريف ... الجديد ...
بالتعظيم والتحيه ... السلطان ... الترك ... الرسل ...
... الاعظام ... الخضوع ... الرسل اليه ...
امير المومنين ... الارض ... ۞ قال ...
وكان ... الامام الناصر ... الملك الناصر ... ثوب اطلس اسود ... ذهب
... اسود ... وطوق ... مركب ...
... اسود ... طوق ... علم اسود ...
... دمشق وكان يوما ... ۞ قال العماد وطلب السلطان

من صدر الدين بن صدر الدين ابن حمويه ... وكان قد عزم على قصد الديار المصريه وسلوك طريق ايله والبريه
مجد لشيخ الشيوخ مصاحبته ورغبه في زياره الشافعي رضي الله عنه فقال قد عزمت في هذه السنه
على الحج فاصل معكم الى القاهره بشرط اقامه يومين ولا ادخلها وانما انكر بالتربه الشافعيه
واسير منها الى بحر عيذاب فلعلي ادرك صوم رمضان بمكه فالتزم له ذلك وعاد اصحابه الى بغداد
ليا توه من طريقها الى الحجاز ورجع شهاب الدين بشير في جواب رسالته ومعه رسوله ضيا الدين
الشهرزوري وانشا العماد كتابا في الجواب الى الديوان وفيه وقد توجه الخادم الى الديار المصريه
لتحديد النظر فيها ثم يستخير الله في الحج وادايه وتعود الى مجاهده اعدايه فصل في رجوع
السلطان الى مصر مره ثانيه قال العماد ولما عزم السلطان على الرحيل الى مصر استناب بالشام ابن اخيه
منها عز الدين فرخشاه وكان عزيز المثل عزيز الفضل وقال فيه العماد يوم توديعه قصيده شينيه
اسال الله ذا العلا ان يعيشا الف عام لنصره مستجيشا ما الذي يستوي فروه منك وانبي لسغري الكريشا
۞ كيف يخلو من دف ظهر وظهر سالك طرق ايله والعريشا ۞
قلت اعني في هذا البيت موضعان مستويان في تقدير الاعراب كل واحد منهما معطوف على
المضاف قبله لا على المضاف اليه وهما قوله وظهر والعريشا فان وظهر معطوف على دف لا على ظهر والعريشا
معطوف على طرق لا على ايله والله اعلم ۞ ووقفت على بلاغه كتب للفاضل عن الملك العادل الى
الولاه باليمن يعلمهم ان ملوك الشرق قد دخلوا في طاعه السلطان وانه عازم على القدوم الى مصر وصوم
رمضان بها والحج الى بيت الله الحرام منها ويامرهم بالاستكثار مما يحمل لاجله الى مكه من المال والازواد
والخلع مما يستمل عليه تلك الاعمال ۞ ووقفت على كتابين آخرين احدهما الى امير مكه والاخر الى امير
الينبع يعلمهما بذلك ليتاهبا لقدومه ۞ ووقفت على كتاب سادس للفاضل الى السلطان في ذلك
يقول فيه جعل الله الملوك دمه لسيفه وشرد منام الاعدا منهم بطيفه وآمن اهل الاسلام
بعدله من جور الدهر وحيفه واشهده موقف الحج الاكبر وان لمحضره مشهد حيفه وجعل ومن
الاكرم وضيف بيته مسطر في هذه السنه في وفده وضيفه ثم هناه بما فتح الله عليه من محبه
الجهاد وما اثره في بلاد الارمن وغيرها من البلاد وما تبع ذلك من نيه الحج ودخول السلطان
بلاد الارمن كان في هذه السنه كما سبق فلعله سنح له الحج مع شيخ الشيوخ ثم حصل له مانع
منه ۞ قال العماد ودخل السلطان الى مصر يوم الاثنين سادس عشر رجب ومعه صدر الدين شيخ
الشيوخ فاقام يومين كما ذكر وتوجه منها الى مكه على البحر فادرك الصوم قال العماد ووصلنا الى القاهره

على طريق ايلة ثالث عشر شعبان واستقبلنا أهلها ولقينا الاكابر والاعيان والملك العادل
اخو السلطان حينئذ بها نايبه وتلقتنا مواكبه ومواهبه وخدمته بقصيدة ذكرت
فيها المنازل والمناهل من يوم الرحيل من دمشق الى الوصول الى القاهرة منها
أحبة قلبي طال ليلي بعدكم أيسفر في ليلي بوجهكم الفجرا فقدت حياتي مذ فقدت لقاكم فهل لحياتي منكم نشأة اخرى
احين هجرتم المحرم جرتم من الجود حورا واني مشوقكم الاجر احيكم فجانبه الصبر فاطلبوا المحيا سواه عنكم بحسن الصبرا
ومذ غبتم عن مقلتي قد باشتقى ونحن ذوي مقري في مثرا احن الى عهد او عذري واضح لان الهوى العذري مني عهد را
ان الغدر المحتوم من خلق ما الى العصر اشري في القلوب بها اثرا رحلنا لما تاجنبرا زبانا سوى عبادة عن خوف يوم النوى عبرا
تركنا دمشقا والكنان وراءنا وقد امنا بالرقة الشقراء كثوة وجينا الى المرج الذي طاب نشره فلا زال من احبابنا طيبا نشرا
رحلنا برح الصفر العيش غدوة فسارت وحطت محطتها ظهرا وقد قطعت بينها الى الدير بعدها وما عرسنا حتى اتلحيت على نثرا
نزلنا الذياح والمجاليب بعدها وبعد بهما عدا البلاد العزا وراس الحسا والقريص وكلها موارد فيها البحب قد عاد عبدرا
وردنا من الرسوم حسمي وايلة وجزنا عقابا كان مسلكها وعرا الى قلة الراعي الى نابع الى اجراول والنخل الذي ندى نزل فقرا
الى منزل في روضة الحمل اعشبت عشينا في صدر ساحر صدرا ودون حما الماحنا وكانا عيون لموسى لم نزل لها وما مترا
هنالك بلغنا الوفود فسروا ابنا نفسا وزادوا ابنا بشرا قطعنا الى بحر الندى بحر بلبيس ومن قصد بحر الندى نقطع البحرا
عبرنا الى منكال الرمل جوده وجزنا اليه ذلك الرمل والجسرا ولم يروما اما الثماد بحرد ولم نقنع النيل من نايل الكثرا
وجينا البيوت والمصانع قبله الى بركة الجب الذي قرب مصرا الى غرمه في المجد غير قصيرة وكان قصارى أمرنا ان نرى القصرا
وللملك الناصر في شهر طوته وردنا بكف العادل السلطان اغنا فاضل عن قيصره قصر قيصر وايوان كسرى عند ابوابه كسرا
قال العماد وفي هذه السنة بمصر عربت كتاب كيمياء السعادة تصنيف الامام ابي حامد الغزالي
في مجلدين وعرفت من تعريبه وعلمت ما فيه بسعادتين وذلك بامر فاضل لزمني امتثاله وشملني في اتمامه اقباله
قال وفيها في خامس عشري شوال توفي صاحبي ابراهيم بدمشق وانا بمصر قلت وهذا غير
والي دمشق المعروف بالمبارز ابراهيم بن موشي ويلقب ايضا بالمعتمد ورثاه العماد صاحبه بقصيدة منها المعتمد
ارى الحزن لا يجدي على من فقدته ولو كان يجدي زدته بغير الاحوال العهد كلها فلست ارى الدنيا على ما عهدته
عهدت بك الدهر البهيج وانما تخلت يد الاقدار ما قد عقدته وكل اعتقادي ابك الدهر منعدي فخانني الايام فيما اعتقدته
اردت لك العمر الطويل فلم يكن سوى ما اراد الله لا ما اردته وداع دعاني باسمه ذاكرا له فاطربني ذكر اسمه فاستعدته
فقد كنت احب الناس عندي وخيرهم مراكا في اذا ما انشدته
قال ورثيته ببيتين وذكرت العناصر الاربعة في بيت واحد

ناره لهفي على من كان ضحك وجهه يعد منه حين عدمته انواره سكن التراب وغاض ماء حياته مذ اطفأت نار الهجر المنية
قال ابن ابي طي وفي هذه السنة سار قراقوش الى قابس فنزل بحاصرها جماعة من القلاع وقتله جماعة
من البربر وفيما ذكره انه اسر جماعة على حصن وامر بقتلهم وفيهم صبي امرد فبذل فيه اهل القلعة
عشرة آلاف دينار على ان لا يقتله فابى فزادوه الى مائة الف فابى وقتله فما استتم قتله حتى نزل
شيخ من القلعة ومعه مفاتيحها وقدمها لقراقوش وسأله عن الخبر فقال هذا الصبي الذي قتلته ولدي
ولم يكن لي سواه ولاجله كنت احفظ هذه القلعة فلما قتلته علمت ان بقيت هذه القلعة في يدي
ومت صارت الى اولاد اخي وانا ابغضهم فرد الى القلعة واخذنه اموالا ثم دخلت
سنة سبع وسبعين قال العماد والسلطان مقيم بالقاهرة وقد عين لسماع الحديث
النبوية بقراءة الامام تاج الدين المسعودي ميقاتا وجمع من العلماء والعلماء عنده اشتاتا
وورد كتاب عز الدين فرخشاه من الشام يذكر ما من الله به على الاسلام من الانعام بكثرة ولادة التوام
في ذلك العام وجبر الله به ما كان قبله من الوبا وتفاءلوا بالخصب بعد الجدب والغلا قال ودخلت
الحمام الذي بناه زين الدين ابو الحسن علي بن نجا الواعظ في داره خارج باب زويلة بالقاهرة
في ذي القعدة فقلت ما منزل لم ير فيه غير عار في عار به انماط الادايا ونرخص
الاوصاف والعيش فيه قرير والطيش فيه وقار والسبت كل يوم لمن يرى تجاد بدا وطيب الاعجب بحبه
وله فيه ومنزل يدخله لشغله كل احد يوخذ فيه السبت كل جسم واحد
فصل في ذكر وفاة الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين رحمهما الله وذلك بحلب
قال ابن شداد وكان مرضه بالقولنج وكان مرضه في تاسع رجب وفي الثالث والعشرين منه
اغلق باب قلعة حلب لشدة مرضه واستدعى الامرا واحدا واحدا واستحلفوا لعز الدين صاحب
الموصل وفي الخامس والعشرين منه توفي رحمه الله وكان لموته وقع عظيم في قلوب الناس قال
ابن ابي طي كان سبب موته ان علم الدين سليمان بن جندر سقاه سما في عنقود عنب وهو في الصيد
وقيل الذي سقاه ياقوت الاسدي في شراب وقيل انه اطعمه خشكنانكه وهو في الصيد قال
ودفن بالمقام الكبير الذي في القلعة وحزن الناس له حزنا عظيما وكان من احسن الناس صورة
والنفهم عطاما قلت وبلغني انه كان يقال ان موت الملك الصالح صغيرا كان من كرامات
نور الدين رحمه الله فانه سأل الله تعالى ان لا يعذب شيئا من اجزائه بالنار وولده جزؤه فمات قبل ان يطو
عمره على احسن سيرة وحالة رحمهما الله قال ابن الاثير ولم يبلغ عشرين سنة ولما اشتد مرضه وصف

له الاطبا شرب الخمر يداويها فقال لا افعل حتى استفتي الفقها وكان عنده علا الدين الكاساني
الفقيه الحنفي بمنزلة كبيرة يعتقد فيه اعتقادا حسنا ويكرمه فاستفتاه فافتاه بجواز
شربها فقال له يا علا الدين ان كان الله سبحانه وتعالى قد قرب اجلي ايوخره شرب الخمر قال
لا والله قال والله لا لقيت الله تعالى وقد استعملت ما حرمه علي قلت يحتمل انه ذكر له ان
من العلما من ذهب الى جواز ذلك لانه كان يرى ذلك فان مذهبه بخلافه والله اعلم
قال ابن الاثير فلما ايس من نفسه احضر الامرا كلهم وساير الاجناد واستحلفهم لابن عمه اتابك
عز الدين وامرهم بتسليم مملكته جميعها اليه فقال له بعضهم ان ابن عمك عز الدين له الموصل وغيرها
من البلاد من همذان الى الفراه فلو اوصيت بحلب للمولى عماد الدين ابن عمك لكان احسن هو تربية
والدك وزوج اختك وهو ايضا عديم المثل في الشجاعة والعقل والتدبير وشرف الاعراق
وطهارة الاخلاق والخلال التي يتفرد بها فقال ان هذا لم يغب عني ولكن قد علمتم تغلب صلاح الدين
على عامة بلاد الشام سوى ما بيدي ومتى سلمت حلب الى عماد الدين يعجز عن حفظها من صلاح الدين
وان ملكها صلاح الدين فلا يبقى لاهلنا معه مقام واذا سلمتها الى عز الدين امكنه ان يحفظها
لكثرة عساكره وبلاده وامواله فاستحسن الحاضرون قوله وعلموا صحته وعجبوا من جودة رايه
مع شدة مرضه ومن اشبه اباه فما ظلم فلما توفي ارسل ذردار حلب وهو شاذبخت وساير
الامرا الى اتابك عز الدين يدعونه الى حلب ليسلموها اليه فورد الخبر ومجاهد الدين قايماز قد
سار الى ماردين لمهم عرض فلقي القاصد ان عنده فاخبروه الخبر فسار الى الفراه وارسل الى
اتابك عز الدين يعرفه الحال ويشير بتعجيل الحركة واقام على الفراة ينتظر فسار اتابك مجدا فلما
وصل الى المنزلة التي بها مجاهد الدين اقام معه وارسل الى حلب يستحضر الامرا فحضروا كلهم
عنده وجددوا اليمين له فسار حينئذ الى حلب ودخلها وكان يوما مشهودا ولما عبر الفراه
كان تقي الدين عمر ابن اخي صلاح الدين بمدينة منبج فسار عنها هاربا الى مدينة حماه وثار اهل حماه
ونادوا بشعار اتابك وكان صلاح الدين بمصر فاشار عسكر حلب على عز الدين بقصد دمشق
والطمع فيها وفي غيرها من البلاد الشامية واعلموه محبة اهلها للبيت الاتابكي فلم يفعل وقال بيننا
يمين فلا نغدر به واقام بحلب عدة شهور ثم سار منها الى الرقة فاقام بها وجاءه رسل اخيه
عماد الدين يطلب ان يسلم اليه حلب وياخذ عوضها مدينة سنجار فلم يجبه الى ذلك ولج عماد الدين
وقال ان تسلم الي حلب والا سلمت انا سنجار الى صلاح الدين فاشار حينئذ الجماعة بتسليمها اليه وكان

اكبرهم في ذلك مجاهد الدين قايماز وانه لج في تسليمها الى عماد الدين ولم يمكن اتابك عز الدين مخالفته
لتمكنه من الدولة وكثرة عساكره وبلاده فوافقه وهو كاره فسلم حلب الى اخيه وتسلم سنجار
وعاد الى الموصل وكان صلاح الدين بمصر وقد ايس من العود الى الشام فلما بلغه ذلك برز عن القاهرة
الى الشام فلما سمع اتابك عز الدين بوصول صلاح الدين الى الشام جمع عساكره وسار عن الموصل
خوفا على حلب من صلاح الدين فاتفق ان بعض الامرا الاكابر مال الى صلاح الدين وعبر الفراة
اليه فلما راى اتابك ذلك لم يثق بعده الى احد من امرايه اذ كان ذلك الامير اوثقهم في نفسه
فعاد الى الموصل وعبر صلاح الدين الفراة وملك البلاد الجزرية ونازل الموصل فلم يمكن
من النزول عليها وعاد الى حلب وحصرها فسلمها عماد الدين اليه وسبب ذلك ان عز الدين لما سلم
حلب لم يترك في خزاينها من السلاح والاموال شيا الا نقله الى الموصل وتسلمها عماد الدين وبقي
كالبغل بطن حمار فهو كان السبب في تسليمها لصلاح الدين واخذ عوضها سنجار والخابور
ونصيبين وسروج والرقه وغير ذلك قال ابن شداد ولما توفي الملك الصالح سارعوا
الى اعلام عز الدين مسعود بن قطب الدين بذلك وما جرى له من الوصية اليه وتحليف الناس له
فسارع سايرا الى حلب مبادرا خوفا من السلطان وكان اول قادم من امرايه الى حلب مظفر الدين
ابن زين الدين وصاحب سروج ووصل معهما من حلف جميع الامرا له وكان وصولهم في ثالث شعبان
وفي العشرين منه وصل عز الدين الى حلب وصعد القلعة واستولى على خزاينها وذخايرها وتزوج
امراة الملك الصالح في خامس شوال من السنة المذكورة ثم اقام عز الدين بقلعة حلب الى سادس
عشر شوال وعلم انه لا يمكنه حفظ الشام مع الموصل لحاجته الى ملازمة الشام لاجل السلطان
والح عليه الامرا في طلب الزيادات وراوا انفسهم انهم قد اختاروه وضاق عطنه وكان صاحب
امره مجاهد الدين قايماز وكان ضيق العطن لم يعتد مقاساة امرا الشام فرحل من حلب الى الرقه
وخلف ولده ومظفر الدين ابن زين الدين بها فاتى الرقه ولقيه اخوه عماد الدين عن قرار بينهما وان
يعطيه حلب بسنجار وحلف عز الدين لاخيه عماد الدين على ذلك في حادي عشر شوال وسار من
جانب عماد الدين من تسلم حلب ومن جانب عز الدين من تسلم سنجار وفي ثاني عشر المحرم سنة ثمان وسبعين
صعد عماد الدين قلعة حلب قلت ووقفت على كتاب فاضلي عن السلطان الى عز الدين فرخشاه
وهو نايبه بدمشق وقفنا على كتابه وعلمنا ما تجدد من امر الحركة بمرض الملك الصالح واشتداد حاله وانقطاع
الداخل عليه ثم اشار بتسيير عسكر الجهة اخيه تقي الدين على الظاهر واعمل النظر في القضية الحادثة

بين اهل ديار بكر وبين قرا ارسلان والتوجه لعضدها قال فيكون ظاهر حركة العسكر لهذا السبب
المقدم وباطنها لهذا السبب المتأخر وقد تقدمت الى ولدنا تقي الدين ان يتوجه الى مسح على الظاهر والباطن
المذكورين وان يحفظ المغازي ويرابط الغزاة ويمنع المغاير ولنا بالس وقلعة جعبر ومنبج وتل
باشر وهي جمهور الطرق بل كلها وقد اوعزنا الى تقي الدين ان يكون حمام حماه في حلب وحمام دمشق في
حماه والى الاجل ناصر الدين ان يكون حمام دمشق في حمص وحمام حمص في حلب وولدنا عز الدين
يوسف بان يكون حمام بصرى في دمشق وقد بعثنا نجابين يكونون متخبرين بصرى فان تحققنا الوفاه
نحن اسبق اليكم من الجواب قولاً وفعلاً ووعداً وانجازاً فالعلة مزاحه والعساكر مستريحه
والطهر قد استعد والمصلحة في الحركة ظاهره ونجح اسعاد المسعدين في هذه القضية سالفطه
قال العماد قصد السلطان اصلاح حال الملك الصالح وانه القائم مقام ابيه فصده
عنه ما ليكه فاخذت بلاده بلجاجهم ومرضت دولته بسوء علاجهم فامتنع بحلب الى ان توفي
ووصل ابن عمه عز الدين مسعود صاحب الموصل الى حلب فجمع ظاهره وباطنه واخذ خزاينه
واستخرج دفاينه واخلى كنايته ثم عرف انه لا يستقر له بها امر فرغب اخاه عماد الدين زنكي صاحب
سنجار في تعويضها له بحلب فمال اليه بدله وطلب ولما سمع السلطان في مصر بوفاه الملك الصالح
تحرك عزمه وندم على الخروج من الشام مع قرب هذا المرام فكتب الى ابن اخيه تقي الدين وهو سوا
له المعره وحماه وامره بالتأهب والنهوض وكذلك بجد عزايم نوابه بالشام بتجديد المكاتبات
لهم وبعثهم على الاستعداد وحثهم وكان نايبه بدمشق ابن اخيه عز الدين فرخشاه فنهض في مقابلة
الفرنج بالكرك فان الابرنس الكركي كان يحدث نفسه بقصد تيما في البريه فما زال فرخشاه
في مقابلته حتى نكص اللعين على عقبيه ذليلاً ولم يجد الى ما حدثته به نفسه سبيلا فعرف السلطان
اشتغاله بهذا المهم وكتب كتاباً بشرح الحال الى بغداد باللفظ العمادي يقول فيه وشاع الخبر
بغارة فرنج انطاكيه على حارم واتوا من النهب والسبي بالعظايم وشاع ايضا ان عسكر حلب اغار
على الراوندان في عملنا ورسولهم عند الفرنج يستنجد بهم ويغريهم بنا وقد راسلوا الحشيشيه
والمراد من الرسالة غير خاف والعلم بالمعاندة منه كاف وان اخينا غايب في اقصى بلاد الفرنج
في اول برية الحجاز وان طاغيتهم جمع خيله ورجله وحدثته نفسه الخبيثه بقصد تيما وهي دهليز
المدينه على ساكنها السلام واعتنم كون البريه معشبه مخصبه في هذا العام والعجب انا نحامي عن
قبر النبي صلى الله عليه وسلم مشتغلين بهم والمذكور يعني صاحب الموصل ينازع في ولاية هي لنا ليأخذها

بينطه وكم بين من يحارب الكفر ويحمل اليهم قواصم الآجال وبين من يخلع بطانة دون المومنين
ويحمل اليهم كرايم الاموال هذا مما يعد في الملة الحنيفيه والدولة الهادية العباسية
من ابار لا يعد مثلها اولا لاي شي لانه اقدم سهم حام واني سهم ولي ولا آخر الطغر ليل فانه نصبه
وقصب ثم حجر وحجب وقد عرف ما فضلنا الله به عليهما في نصر الدولة وقطع من كان ينازع
الخلافة رداها وتطهير المنابر من رجس الادعيا ولم نفعل ما فعلناه لاجل الدنيا غير ان التحدث
بنعمة الله واجب والنجح بالخدمة الشريفه والافتخار بالتوفيق فيها على النجيه غالب ولا غنى عن
بروز الاوامر الشريفه الى المذكور بان يلزم حده ولا يتجاوز حقه فان دخول الايدي المختلفه
على الاعمال المتفقه شاغل ويحتاج الى مغرم يسوق فيه العمر بغير طايل فان الاعمار من السحاب
والغرض عرض ومن التراب ويقاونا في هذه الدار القليل اللبث لعقبى المكث نوثر ان نعتنمه
في مجاهدة العدو الكافر الذي صار به البيت المقدس محلاً للارجاس ومضت عليه دهور وحلول
لم يحصلوا من رجا تطهيره الا على اليأس وان كان القوم قد بذلوا للدار العزيزه بذولا معادة
فقد اسلف الخادم خدمات ليست بعوادها فانهم لو بذلوا البلاد كلها ما وفت بفتح مصر التي جعل
بها اسامي الادعيا الراكبه اعوادها واعاد الى منابرها بعد بياض عماها من نور الشعار العباسي
سوادها فان اقتضت الاوامر الشريفه ان يوعز للمذكور في حلب بتقليد فالاولى ان يقلد الجميع
فلا رغبة فيما لا يومن معه شر الشريك ولملك الامر الحكم في ممالك المماليك وكان في الكتاب
ايضا ما معناه ان حلب من جملة البلاد التي اشتمل عليها تقليد امير المومنين المستضي بامر الله وانما
تركها في يد ابن نور الدين لاجل ابيه والآن فليرجع كل الى حقه وليقنع برزقه ومن كتاب
فاضلي فقد صرف وجهنا في هذا الوقت عن جهاد لو كنا بصدده وعن فرض لو وصلنا يومه بجلله
لكان الاسلام قد اعفي من شركة الشرك وانفك اهله من ربقة اهل الافك ولكانت
الاسماء الشريفه قد قرعت منابر طالما عرفت الصلب خطباؤها ولكان الدين الخالص قد خلص
الى بلاد صار المشركون متوطنيها والمسلمون غربائها وفي كتاب آخر له وقد علم الله انا
لهذا منهم كارهون وفي مصلحة اهل الاسلام ومصالحهم راغبون ولكنا بلينا بقوم كالفراش
واخف عقولا وكالانعام واضل سبيلا ان نبي معهم فعلى غير اساس وان عد العدد فهو اكثر
من الانفاس وفي كتاب آخر والخادم ولله الحمد تعدد سوابق في الاسلام والدولة العباسية لا تعد
اوليه اني سلمي لانه والي ام وادي ولا اخروية طغر ليل لانه نصر ثم حجر والخادم بحمد الله

ها

خلع من كان نازع الخلافة ردآءها واساغ الغصة التي ذخر الله للاساغة في سيفه تماها فرحل
الائمة الكاذبة الراكبة على المنابر واعز بنا سد ابراهيمي فكسر الاصنام الباطنة بسيفه الظاهر
لا الساير وفعل وما فعل للدنيا ولا معنى للاعتداد بما هو مرفوع الجزاء عنه في اليوم الاخر
ومن كتاب اخر عند دخول صاحب الموصل حلب واستيلائه عليها وكانت داخلة في
تقليد السلطان السابق فقال دخل حلب مستوليا وحصل بها متعديا وعقود الخلفاء لا تحل
والسيوف في وجوه اوليائهم لا تسل وانه ان فتح باب المنازعة ادنى مرتدامه وابعد من يلاحم
وحرق ما يعني على الراقع وجذب الردا فلم يغن فيه الا حيلة الخالع ولبس الاستكانة في
الولايات لطالبها ولا الدخول الى الدار يوجب ملك ناصبها الا ان يكون البلاد كالديار
المصرية حين فتحها الخادم واهله حيث الجمعة مستريبة والخلافة في غير اهلها غريبة
والعقائد بغير الحق مستعجبة فتلك الولاية اولى من فتحها من فتحها وكان سلطانها من ادخل كان
شيطانها واما حلب التي الكلمة فيها قائلة والمنابر فيها بالاسم الشريف حالية فانما تكون لمن
قلدها لا لمن يوردها ولمن يلحق نسلها لا لمن بالداخل قسمتها ولو كانت حلب كما كانت مصر لدخلها
الخادم ولم يشاور ولو لجها ولم يناظر ولكنه اتى البيوت من ابوابها واستمطر العطف
من سحابها ثم ذكر ان المواصلة راسلوا الملاحدة الحشيشية فاتخذوهم بطانة من دون
المؤمنين وواسطة بينهم وبين الفرنج الكافرين ووعدوهم بقلاع من يد الاسلام تقلع وضياع
من فيء المسلمين توضع وبراد دعوة بحلب ينصب فيها علم الضلالة فيرفع ويا للعجب من الخصم
يهدم دولة حق وهي تبنيه ومن العبد يبني ملكها سعيه وماله وذويه ويبتز اعداؤه فيه
ودعواه في رسايلهم وعواليهم ليست بدعوى لا تقوم شاهدها ولا هي شناعة لا يهتدي قايلها
بل هذا رسولهم عند سنان صاحب الملاحدة ورسولهم عند القومص ملك الفرنج وهذه الكتب
بذلك قد نشرت والاستحقاق للولاية بطرق اما السبق الى التقليد فللخادم السبق واما العدالة
والعدل فلو وقع الفرق لوقع الحق واما بالاثار بالطاعة فله فيها لولا معونة الخالق فيه
تقصر عنه ايدي الخلق ومتى استمرت المشاركة في الشام افضت الى ضعف التوحيد قوة الاشراك
وتراخت الى اخطار يعجز عنها خواطر الاستدراك واحوجت قابض الاعنة الى ان يعلها الجدد
ويرسلها العراك وطرق الصلاح والمصالحات لا ايمان والميثاق لهم لا يلتزمون دعتها ولا
يوجهون صفقتها وتبقى بالخرب ناهيا عن الغزو ولا يلذع المؤمن الامرة واذا اجتمعت في الشام

أيديهم ثلاث يد غادرة ويد ملحدة ويد كافرة نصر الكفر بتبليغه وقصرت عن
الاسلام يد مغيثه ولم ينفع الخادم حينئذ تصحيح جنابه وتصديق توحيده وما يريده
الخادم الا من يكون عليه يد الله وهي الجماعة ولا يؤثر الا ما يتقرب به الله وهو الطاعة
ولا ينوي الا ما يقوم به الحجة اليوم ويوم تقوم الساعة ومن كتاب اخر
قد احاط العلم بما طالع به اولا عند وفاة نور الدين رحمهما الله ان التقليد الشريف
المستقضي لما وصله بالبلاد وكان قد فتح اكثرها قلاعا وامصارا وحصونا وديارا
ولم يبق الا قصبة حلب وهو على احدها اعذر ولد نور الدين عن القتال الى النوال
وعن العزل الى الاستنزال وقصد القصد الذي ما اوجبت المحافظة ان يتلقى بالرد
فاقر على الولاية معرضا لا اصلا وتبانا لا استقلالا وسلم اليه البلاد وبيع الغالبة
لا المغلوبة وسيوفه السالة لا المسلوبة ومشى الامر معه مستقيما وماتكا وجايرا
وعادلا الى ان قضى نحبه ولقي ربه فبدا من المواصلة نقض الايمان والاشتياء بالعدوان
والتعرض للبلاد والتصرف فيها بغير حجة يكون عليه الاعتماد وطالع الديوان بالقضية
واستشهد بدلا لا من فوانيه الجلية في هذا التقليد الذي شهادته المحاضر واشاعته
المنابر وسيرت الى الشرق والغرب نسخه وقلت الايدي نحدث عنها انها نسخه
فصل قال العماد وتوجه السلطان بعد شهر رمضان الى الاسكندرية
على طريق البحيرة وخيم عند السواري وشاهد الاسوار التي جددها والعمارات التي
مهدها وامر بالاتمام والاهتمام وقال السلطان نغتنم حياة الشيخ الامام ابي
طاهر بن عوف فحضرنا عنده وسمعنا عليه موطأ مالك بروايته عن الطرطوشي
في العشر الاخير من شوال وتم له ولاولاده ولنا به السماع والوالي لنا يوميين
فخر الدين قراجا قلت ووجدت للقاضي الفاضل كتابا كتبه الى السلطان
يهنيه بهذا السماع يقول فيه ادام الله دولة المولى الملك الناصر صلاح الدنيا
والدين سلطان الاسلام والمسلمين محيي دولة امير المؤمنين واسعده برحلته العلم
واثابه عليها واوصل ذخاير الخير اليه واوصله اليها واودع الخلق شكر النعمة فيه
فانها نعمة لا توصل الا شكرها الا بابراعه واودع قلبه نور اليقين فانه مستقر لا تود
فيه الا ما كان مستنفعا الى ابداعه ولله في الله رحلتاه وفي سبيل الله يوماه وقامتاها
ع

الداعي مجل والحمد لله الذي جعله ذا يومين يوم يسفك دم المحابر بحث قلمه ويوم يسفك
دم الكافر بحد علمه ففي الاول يطلب حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم فيجعل اثره عينا لا خبر
وفي الثاني يجعل لنصره شريعته هداه على الضلال فيجعل عينه اثرا لا يظهر وقد استغرب
الناس همم العلماء في رحلتهم لنقل الحديث وسماعه والموالاة في طلب علمه والشجاعة
وصنعوا في ذلك تصانيف قصدوا بها التحريض للهمم والتنبيه والدفع من افذاذ اهله
والتنويه فقالوا ارحل فلان لسماع مسند فلان وسار زيد الى عمرو على بعد المكان
هذا وصاحب الرحلة قد نصب نفسه للعلم وشغل به دهره ووقف عليه فكره فلا يحادث
عنان همة الكبار فما القول في ملك خواطره كابوابه مطروقة واموره خلو الله
كاموريته معدوقة اذ هاجر الى بقية الخير في اضيق اوقاته وبرك للعلم اشد ضروراته
ووهب له ايام اتاع انه في الغزاة يجاسر بها نفسه على خطاته وشماماته ولم يحسب
الملوك ان كاتب اليمن كسب حظ لملك رحلة في طلب علم الا للرشيد هرون رحمه الله
عليه انه خلط رياسة نبوية بطلب ورحل بولديه الى مالك رحمة الله عليه لسماع هذا
الموطا الذي بعثت الهمتان الرشيدية والناصرية على الرغبة في سماعه والرحلة لاجله
وقد كان الرشيد سام مالكا رحمه الله عليه ان يجعل له ولولديه الامين والمامون
مجلسا خاصا لاسماع مصنفه فقال له ما معناه انها سنة ابن عمك صلى الله عليه
وسلم وغيرك من سترها وملك من نشرها فهذه رحلة ماثلة في الزمان واولى
في الاعيان كتبها الله للمولى كاتب اليمن وتقوم فيها مقام الرشيد وتقوم عليه وعمانه
مقام ولديه المامون والامين وكان اصل الموطا لسماع الرشيد على مالك رحمة الله عليه
في خزانة الكتب المصرية فان كان قد حصل بالخزانة الناصرية فهو بركة عظيمة
ومنقبة كريمة وذخيرة قديمة والافليلتمس وكذلك خط موسى بن جعفر في قنيا
المامون رحمهما الله كان اصناقنيها وهو مما يتبرك بمثله ويعلم به فضل العلم لاجلا
المولى ابقاه الله من فضله وقف الملوك على ما اشتهر به من صنع الله للمولى وتوفيقه وصحة
مزاجه في طريقه وانقطاع ما كان من دم فاسد واح العليل من كل هم وقد استفتحت
هذا الطريق بكل فال مبارك البكرى والعال ما ثور عن سيد البشر صلى الله عليه وسلم
فمن ذلك صحة جسمه فلتهنه الصحة وفي قلبه ذا نب له الفسحة وانقطاع الدم فطريقه

بتعليم

الى الشام ينقطع بها الدم وتتصل النصرة له وينتظم السلم واحرى انه رحل الى الموطا
رحم الله مالكه ونرحل فيما يطلب من الشام الى الموطا اسعد الله به مالكه الله تعالى
عجل الخير ويدفع الضير ويبارك لمولانا في الاقامة والسير ان شاء الله قلت
هكذا يقع في كتب الفاضل رحمه الله كثيرا وهو انه يختمها بالادعية متصلة بقوله ان شاء الله
والتعليق بالمشية غير لائق بالادعية ففي الحديث عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يقل احدكم اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارزقني ان شئت ليعزم مسالته فانه
يفعل ما يشاء لا مكره له **فصل** في امور تتعلق بولاة اليمن في هذه السنة قال
العماد كان الامير مجد الدين سيف الدولة مبارك بن كامل بن منقذ نائبا لشمس الدولة اخي
السلطان بزبيد وحصل له من اموالها الطريف والتليد ثم ابتاع من السلطان الناحية
المعروفة بالعدوية بمصر لما عاد اليها وبقي اخوه حطان بزبيد واليا عليها فصنع دعوة
عظيمة بها ذكر العماد انه حضرها هو وغيره من الفضلاء الاعيان فبينا هم عنده في
ارتحال اذ احدق بهم الامير بهاء الدين قراقوش فقبض على سيف الدولة واعتقل بالقصر
وكان منتبه ان ارباب السلطان وخواصه كثروا عليه عنده انه استوعب اموال زبيد
وان له كنوز الابيد واشاروا عليه بقبضه وهو يدافع عنه الى ان اكثروا واوقيل له ان
لم تدركه فات فامر به فاعتقل منه للسلطان خاصة من النقد المصري ثمانين الف دينار ك
لم يطهر فيها بيع متاع ولا استدانة من تجار وعزم لاخوي السلطان العادل وتاج الملوك
ما حافظ به على نهج الكرم المسلوك وخرج مشرفا مكرما مصرفا محترما وزاد
السلطان في تكرمته ونقد اليه بما قبضه منه خطا بان المبلغ دين في ذمته
ثم ابتاعه املاكا بمصر بعشرين الف دينار وبذل له كل ما طلب عن اشارة ولحيته
وزاد في اقطاعه وبارك الله في اسبابه واشاعه قال العماد وكان بهذا الامير من
رجاحة عقله وخصائص فضله ما سمعت منه شكوى ولا حكاية في بلوى ونقل اخوه
حطان زبيد واخذ ماله فلم يظهر منه للسلطان كراهة وكل سمته نزاهة ونباهة
قال وكان لما توفي الملك المعظم شمس الدولة اسعف السلطان من نوابه باليمن وذكر
ما بين ولاتها من الاحن ووصل الخبر بما يجري بين الامير عثمان بن الزنجيلي والى عدن وبين
الامير حطان والي زبيد من الفتن فندب الى زبيد منهم من الامراء لحفظ البلاد واصلاح

الامور التي يخشى عليها من الفساد ومن جملتهم والي مصر صارم الدين خطلبا وبقيت الولاية
له بها في غيبته يقوم بها نوابه ويرجع الى راي اهله اصحابه فسرعت زوجته في عمارة دار
عظيمة سنية وذكر العماد انه حصل له ولغيره من الاعيان بها ضيافة جليلة انفاقية

قال ابن ابي طي كانت نفس سيف الاسلام طغتكين اخي السلطان تشره الى اليمن من حين كان شمس الدولة بها
وتشتهي ان يصير اليها فامر ابن سعدان الحلبي ان يعمل قصيدة يعرض فيها بانفاذ سيف الاسلام الى اليمن فعمل القصيدة التي يقول

جردها السيف الصقيل فانه فالسيف لا يدخر الا للفتن شد به ازر العلى فانه نعم الفتى من شرع الجود وسن
للقايل المسمع في مقاله والصادق الندب الامين المؤتمن بادي الفؤاد كنها سيرته حتى الى دار الوغا عامت ان

وفيها يقول

يا ابن الكرام النجبا والذي يلحف العلياء فيها ولقن
لا تبعد عنياك عن الملك ما خاطب العليا الامن ومن قد فسد الملك وقد طال العدى فاقتسموا بعدك الموالي

فلما سمع السلطان هذه القصيدة اذن لسيف الاسلام في المسير الى اليمن وقال العماد
في هذه السنة تقرر مع سيف الاسلام ظهير الدين طغتكين بن ايوب ان يمضي الى بلاد اليمن
وزبيد وعدن وان يقطع بها الفتن ويتولاها ويولي ويعزل ويحسن ويعدل
فسار بعد مسيرنا الى الشام وحرست مملكته فيها على احسن نظام وذلك في سنة ثمان
ووصل بها الى زبيد وحط حطان عن رتبته وامنه وطمنه ثم اذن له في الانفصال الى
الشام فجمع حطان كل ما له من سبد ولبد ومطرف ومتلد ولجين وعسجد وياقوت
وزبرجد والآت وعدد وجمع عراب ومال اعمه من اليمن بغير حساب ثم اناخ جماله
ورحل عليها احماله وقدم قدامه اثقاله وظن انه نجا وفاز وترك الاوطان فرده اليه
ليودعه ثم تشيعه ويركب معه فلما دخل عليه اعتقله وسير ورا اثقاله من اقفله والى الخزانة
نقله ثم انفذه الى بعض معاقله فحبسه ثم قتله وفيما ذكر للسلطان من خبر ذهبه وماله
الذاهب ما يعيي الحصر بتفاصيل جملة اثمل الكاتب انه نيفا وسبعين غلافا من غلف الزرد كانت
مملوة بالذهب الاحمر المنتقد وقوم المأخوذ بعينه الف الف دينار واما صاحب
عدن الامير عز الدين عثمان بن الزنجيلي فانه لما سمع بسيف الاسلام يجهز الى الشام قلت
ولهذا الامير اوقاف وصدقات بمكة واليمن ودمشق واليه ينسب المدرسة والرباط المقابلان
باب العمرة بمكة والمدرسة التي خارج باب توما بدمشق رحمه الله ومن كتاب فاضلي
عن السلطان اليه البلاد لك فيها عدة سنين وانتفعها لو تمر على مال الله فادّه الى مجاهد

به اعداء الله ويقيم به كلمة الله ويحفظ به البيضة ويذب به عن الملة ويقابل به اعدا القبلة
ويضرب به الاسداد بين الكفر والاسلام وينصب وجهه من الهجير والزمهرير عاما في اثر عام و
وما نطلب منك الباطل الذي لا يجوز لنا ان نطلبه ولا لك ان تدفعه ولا نزيد الا الحق
الذي لا يحل لنا ان نتركه ولا لك ان تمنعه

فصل في بواقي حوادث هذه السنة

قال العماد وفي هذه السنة وصل الى السلطان من دمشق العلم خطيب المزة وكان قد زور
ع على السلطان مثالا يتضمن له مالا ودفعه الى عز الدين فرخشاه فما خفي تزويره عليه وتمم بالانعام
به فقصد السلطان بمصر واطلعه على حاله مما كرت به وقال تحقق ما زورت وامر ان
يكتب له توقيع بضعف ذلك الادرار وكان له امام يصلي به وهو يكتب مثل خطه فاطلق
به اموالا واصلح واتج بتزويره لا صدقا به لحوالا وما شك صاحب ديوان ولا
متولي خزانة في انه صحيح فلما دام سنين انكشف وشارف التلف وحلف اخوة السلطان
وامراوه عنده يعرفونه به فقلت له بالتعمية سر اسمه للغفران فقال نعم فعصر خناقه
وامر باطلاقه وابقى عليه خبره حتى استبدل به غيره وصار يعين للعادل اماما ونفى شغله
معه مستديما وفيها اغار الفرنج ونقضوا عهدهم واستولوا على تجار في البحر
وغيرهم وسهل الله تعالى مستبطة لهم عظيمة من المراكب الفرنجية مقلعة من بلادهم تنال لدولة
تحتوي على الفين وخمسمائة نفس من رجال القوم وابطالهم وابناء عمهم وهم على قصد زيارة
القدس والساحل وتكثير حزب الباطل فالقتهم الريح الى ثغر دمياط فغرق منهم الشطر
وشمل الباقين الاسر فحصل في الاسر منهم زهاء الف وسبعمائة وستة وسبعين نفسا واتفق ذلك
ايام الاهتمام بالمسير الى الشام قال ابن ابي طي وفيها ولد للسلطان الملك المعظم
توران شاه والملك المحسن بينهما سبعة ايام واتصل الفرح بهما اربعة عشر يوما وفيها
سار قراقوش الى افريقية فاوغل في بلادها وانتهب ما قدر عليه وحارب عسكر بن عبد المؤمن
بالقيروان ثم بلغه ان ابرهيم النلاح دارا حتوى على اهل قراقوش وبلده فرجع اليه فهرب
ابراهيم وسار الى خدمة بن عبد المؤمن وملك قراقوش ما كان بيد ابراهيم قال ابن القادسي
وفيها عشية الخميس ثامن شعبان توفي الامام كمال الدين ابو البركات عبد الرحمن بن محمد بن ابي
السعادات الانباري النحوي وكان فقيها نحويا عالما زاهدا عابدا اخشن العيش صبورا على
الفقر وكان يسرد الصوم ولا يقبل من احد شيا وكان يحضر في نوبة الصوفية بدار الخلافة

المعظمة في الوقت فينفذ اليه بالتشريف والذهب فيعيده ولا يقبله وكان يجتهد به الولد
ابن رئيس الرؤساء ان يقبل لولده شيئا مما كان يفعل وكان يفطر على الخبز الكشكار ويبتاع
برغيف ادا او ما شا وكان بابه مفتوحا لطالبي العلم يعلمهم لوجه الله تعالى وكان
اذا احضر احدهم في الصيف مروحة يتروح بها فاذا خرج يقول له خذ مروحتك
معك ويجتهد به ذلك ان يجعلها عنده الى غد فما يفعل وصنف تصانيف كثيرة ودفن
في تربة ابي اسحق الشيرازي **قلت** وفيها ولد الملك المعظم عيسى بن الملك العادل
اخي السلطان بالقاهرة وفيها توفي بمصر الشاعر ابن العريري وهو ابو الحسن علي بن يحيى
المصري وسنه حول الاربعين وقد تقدم من شعره في مدح الفاضل وفي مدح ابن منقذ
ومن طريف شعره قوله في احدب ما اخي كيف غيرتنا الليالي كيف حالت ما بيننا بالمحال
حاش لله ان اصافي خلافي فيك وترى ذا اختلال زعموا انني ابيت بهجو فيك يعتبه بسهم خلال
كذبوا انما وصفت الذي حزت من النيل والسنا والجمال لا تظنن حدبة الظهر عيبا فهي للحسن من صفات الهلال
وكذاك القسي محدودبات وهي انكى من الظبى والعوالي وذنابى العضاه وهي كما تعلم كانت موسومة بالجلال
واذا ما علا السنام ففيه لبني مر ذا الكمال ابي جمال وارى الانحنا في مسي الكاس يكفي ومحل الرئبال
وابو الغصن كم نشك فيه وهو يهوى القوام والاعتدال كون الله حدبة فيك ان شئت من الفضل او من الافضال
فاتت ربوة على طود حلم منك او موجة بحر نوال ما رأتها النساء الا تمنت لو غدت حلية لكل الرجال
وعلى ودنا القدم ولا تصغ لقيل من الوشاه وقال **فصل** في عود السلطان
من الديار المصرية الى الشام قال العماد وعدنا من الاسكندرية الى القاهرة في ذي القعدة
وشرع السلطان في الاستعداد لسفر الشام وجمع العساكر والسلاح واستصحب نصف العسكر
وابقى النصف الآخر يحفظ ثغور مصر وامر قراقوش باتمام الاسوار الدائرة على مصر والقاهرة
قال وكان السلطان عشية توديعه لاهل مصر جالسا في سرادقه وكل ينشد بيتا في الوداع
فاخرج احد مؤدبي اولاده راسه وانشد مظهرا له فضله ورافعا به محله

تمتع من شميم عرار نجد ، فما بعد العشية من عرار ،

فلما سمعه خمد نشاطه وتبدل بالانقباض انبساطه ونحن ما بين معبس ومغض ينظر بعضنا
الى بعض ولا ننفي العجب من مؤدب ترك الادب وكانه نطق بما هو كائن في الغيب فانه ما
عاد بعدها الى الديار المصرية حتى اتصل بنجح المنى الى المنية ، ومن جملة سمح المعلمين في القول

ما

ما حكاه لنا شيخنا ابو محمد بن الخشاب قال وصلت الى تبريز فاحضرني يوما رئيسها في داره
واحضر ولده بين يدي ليقرا بعض ما لقنته على وعلى فرخ البط سابح فقال معلمه وكان
حاضرا نعم وجرو الكلب نابح فخجلت من خطا خطابه واداه على دابه في سوء ادابه وتقصيره
ان يذكر قرينه ولا يبالي بعينه وبره ام بحنينه ودأب ادباء اولاد الملوك الاحتراز بهم على
اعزة اولادهم الاجتراء على الآباء ويحتمل ما يصدر منهم لعزة الابناء وانما يصلح لمجالسة
الملوك من يتحفظ في كلامه ويتيقظ حتى في منامه **ثم دخلت سنة ثمان وسبعين**
قال العماد في خامس المحرم منها رحل السلطان من البركة قاصدا للشام ولم يعد بعدها
الى مصر حتى ادركه الحمام واخذ على طريق صدر وايلة في المفاوز عابرا بالبويب ثم كانت منازله
على الجبر ووادي موسى وحشا وصدر وبعد خمس ليال وصل عقبة ايلة وهناك سمع باجتماع
الكفار بالكرك لقصد قطع الطريق فاحترز بحفظ الاطراف وحاد بجنبتهم عقبة شتار شوم
الفرنجيين واغار في تلك الايام على اطراف بلاد العدو ثم تجرد السلطان في كماته وسلك بهم
الكرك الى الحسى وامر اخاه تاج الملوك بوري على الناس وامره ان يسير بهم بعده منه ثم اجتمعوا
بالسلطان بالازرق بعد اسبوع ووصل الخبر بظفر الملك المنصور عز الدين فرخشاه قال
العماد وتلقب ايضا معز الدين بما غنمه من بلاد العدو وذلك ان الفرنج لما سمعوا بمسير السلطان
من مصر ومعه خلق من التجار اجتمعوا بالكرك للقرب من الطريق لعلهم ينتهزون فرصة
فيقتطعون من القافلة قطعة فخرج فرخشاه من دمشق واغتنم خلو ديارهم فاغار على
بلاد طبرية وعكا وفتح دبورية وجبا الى حبيس جلدك بالسواد وهو شقيف يشرف على
بلاد المسلمين ففتحه واسكنه المسلمين فبقي عينا على الكفار بعد ما كان لهم ورجع بالاسرى
والغنائم مظفرا منصورا ومعه الف اسير وعشرون الف راس من الانعام ثم وصل السلطان
بصرى ودخل دمشق سابع عشر صفر وفي العشر الاول من شهر ربيع الاول خرج السلطان
فاغار على بلاد طبرية وبيسان والتحم بينهم القتال تحت حصن كوكب واستشهد جماعة
من المسلمين ولكن كانت الدائرة على الكافرين ورجع السلطان بحمد الله ظافرا ، وكتب
في الديوان بالمثال الفاضلي كان الخادم طالع بخروجه من مصر طالبا للغزاة المفروضة
والمسافة بين مصر والشام لمن يرفق في المسير لا تقصر على ثلاثين يوما فحمد الفرج ونزلوا الكراد
على ازحاف المصاف ولم يزل الخادم على اداته الاعمال الى اوساط الاعمال يحل بها وش

الغاره فانعقد واذكى النار فاوقد وطلب الماء الحمي اذ دفقه باذرفهم فاورد وسفك دم
الخصب بالنار واخذ منها عدل السيف الحاد بالحجار وعلم ان الفرنج قد تسللوا لواذا وتعللوا
بالحصون احتجاجا والباذا وانهم لا يقاتلون الا في قرى محصنه ولا يقاتلون الا مع
نجاة متيقنه وسرح الخادم الى تلك الدراري واستنفر لها من كل فرقة منهم طايفه
خافيه ومنه عيز وساروا في طريق على العدو غير خايفه وركبهو وحميه الاسلام الحاميه التي تستنهض
ارواح الكفر الى نار الله الحاميه وسلك البلاد المؤدية اودينها الى سيول الشرك الطاميه
وسيوف الضلال الداميه فحموا حتوم الكسر وجدعوا انوف الانف جدعا قصر فيه
راي قيصر وحاز الخادم المسافة المقابلة لهم التي كانت تجار في يوم واحد في ايام
واورد عليهم طيف الخوف غير لابس ثياب الاحلام ويسر الله الوصول ورقاب عصبة الكفر
تكاد سوف تغلبها رقابها وعيون الاعيان منهم قد قيدها للذل اطرافها وتوجه يوم الاثنين
سابع شهر ربيع الاول ونزل امام طبرية ليلة الثلث تاسع عشر ربيع الاول لجا الخبر
بان الفرنج رحلوا في ليل ركبوه جملا ولبسوه سترا دون اللقا مسبلا واصبحت الاطلاب
الاسلامية طالبة الاردن واشرف عليهم المملوك فرخشاه وكان على ميسرة الاسلام فما
خرج منهم من اخرج كفا ولا طرف منهم من اجال طرفا ولا بين ركض طرفا ولم يزل الخادم
مقيما ينادي للخروج الصم الذين لا يسمعون الدعا الى ان طوي لنهار دملانه ونثل عليهم
الليل كلانه فانه دعي بما بين مناسبة وجوههم وصحايفهم بسواده ولان الليل يرعى كفرا
فهداهم وخاتم في فواده واشترى لهم من الماليك دووسهم كل ذمية منها طعنه وكل
آنة من قوسها تحاويها الحين انه فاستخرجوا ضما بركابهم وقصدوا بها اصما برصعا بنهم
فرتكان النومق بعودها الى حبث امتن فامانث وطارت حرا ذا نرعى بردع الحياه فثنت
وما ابانث ولم يروا مضاجع دوان حسك كمضاجع حسكها السهام ولا ليلة هم ذات
احلام كليله حلمها بعطه الحمام واصابت حبوبهم صوابها وتعلقت نصالهم بدهمها
فكانها في ظلماتها كواكبها فلما اسفر الكفر غيظا من سفاق كفرهم شوهدوا نازلين
من حصنهم الذي كانوا اليه آوين وطالبي التباعد عنه الى الحصن الطور الذي كانوا اليه
ناوين فسارت اليهم الاطلاب الميسرة صحبة المملوك فرخشاه وساق المملوك عمر من الميمنه
طالبا لحومة القتال فرأوا الخطة عليهم متضايقه وسهام ذات البلاء الى فيهم متناسقه

وازال

وازال الله النصر من سمايه على مطيعه في ارضه ومنح نافلة الموهبة لمن قام في الجهاد بفرضه
وتوالت من الفرنج حملات الحمام اليها الاضطرار لا الاختيار دويت من دنا منهم من
المسلمين من الاطلاب ولقوهم وهم الاعدا لقا الاحباب وتعانقت لغير الوداد
فصادت ابدانها ارواحه وطارت الى افراخها فصادت ارجل الخيل لها اجنحه ورمت
للفرنج ابطال وخياله ومنت الحملة الاسلامية على من كان وراهم من الرجاله فاخذ القتل
كثيرا وقليلا لا نزل وفر روح الكافر من الجسد وعلت النار ابه شكك والجاهم البلاء الى
حصن يعرف بعفربلا وسع الخوف منه ما هو ضيق وتعلق بالحياة منهم من هو به متعلق
ولم تشرف صدور الخيل دون ان اعتقلهم في سجنه والزمنهم به فصانوا قرطا في اذنه
وكان اليوم من الايام التي اصطرمت شبها نيران الجحيم ادنيا جالمن قدمها من ازواج الكفار
وكان قايم الظهيرة في الغور قد منع من استتمام عوده المغار ومورد الما بعيد فرعه
والري ولوانه حميم احب الى المرء من حميمه فمالت الجنود الى المناهل مشرفه عليها ومنصرفه
اليها وحافه بها من حواليها وادعى الكفار بالحصن والتعادي من الاجهاد والاعتماد
على المطاولة والاجهاد والاستعصام بما لا يطاق من لفايس الحجير الحرار وبات الخادم والملو ن
في الحصن المذكور الذي بوابه نازلين قد حققوا من احوال اللقا ما كانوا به جاهلين
وفعل الله سبحانه وتعالى في هذه النوبة ما عواقبه مسفرة عن المراد ودلايله محققه لقوله
تعالى لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد فان الكفر مذ قام قايمه والشام مدخله ظالمه
لم يعبر احد من ولاة الامر هذا الحد الا على حين غفلة من اهله ولم يواجه الكفر
وهو محتمع في جيله فضلا عن رجله ولم يهدد العدو بنصر مضاف الا واسكانت
الغرايم لتهديده ولم يجمع امره على اللقا الا صرفه عنه الامر بصرفه بدهيه لا تجدي
فاما الآن فقد انس المسلمون بحربه ومروا بلاد الحربه **فصل** في مسير السلطان
الى جهة الشرق مرة ثانيه قال العماد ثم ان السلطان عزم على المسير الى حلب وبلغه
ان المواصلة كاتبوا الفرنج ودعوهم في الخروج الى الغوث ليشغلوا السلطان عن
قصدهم فتوجه على سمت بعلبك وخيم بالبقاع وكان قد واعد اسطول مصر الى بلاد أبيحهن؟
الساحل فبلغه الخبر انه وصل الى بيروت فبادر بعسكره جريدة على ان يفوت فلما
وصل راى ان امر بيروت يطول وكان قد شبى الاسطول منها وسلب وظفر غنيمتها

بما طلب فاغار السلطان على تلك البلاد ورجع واعاد فرخشاه الى دمشق ورحل الى بعلبك
ومنها الى حمص فخرج للفقيه المهذب عبد الله بن اسعد ولد في السلطان مدائح منها قصيدة اولها
اعلمن بعدك وقفتي بالاجرع ورضى طلولك عن دموعي الهمع مطرت غضا في منزليك فعاوداً في اربع ومواجحاً في اضلع
هل يعلم المتحملون لنجعة ان المنازل اخصبت من ادمعي دعني وما شاء التلدد والاسى واقصد بلومك من يطيعك او يعي
لا قلب لي فاعي الملام فانني اودعته بالامس عند مودعي قل للبخيلة بالسلام متورعاً كيف استبحت دمي ولم تتورعي
وبديعة الحسن التي في وجهها دون الوجوه عناية للمبدع ما بال عينك بعد ذلك دائماً بعضي ذيارته بغير تمتع
ووعدتني ان عدت عود وصالنا هيهات ما انفي اليك ترجعي هل تسمحين ببذل الكثير نائل اذ استكي وجدي اليك وتسمعي
فسقى الى تحلك تعوم ثم اصنع ما شئت ان تصنعي فسقى الربيع انجود دبعا طالما اصرت فيه البدر ليل اربع
ولو استطعت سقيته بسبل الغوم من كف يوسف الاد الانفع سدى وهنا لو ان جود يمينه للغيث لم يك ممسكاً عن موضع
واذا ابتسم الى احود امد فوق قصار باسحب البدى لم تقلع واذا اسمر فالمال ارض ارجعي بالصافلان واجبال تزعزعي
واذا على في المجد اعلى غاية قالت له الهمم الجسام ترفع كم وقفة لك في الوغى محموده ابدا وكم حود حميد الموقع
والناس بعدك في المكارم والعلا رجلان اما سارق او مدعي
قال ثم رحل السلطان الى حماه واستصحب معه تقي الدين ابن اخيه فلما قرب من حلب
اقبل مظفر الدين كوكبوري بن علي كوجك صاحب حران جريدة فاجتمع بالسلطان وصار من جملة
من جملة الاعوان واشار عليه ان يعبر الفراة ويجوز ما وراها ويترك حلب الى ما بعد ذلك
لئلا تشغله عن غيرها فاستصوب السلطان رايه وعبر الفرات ، وقال القاضي ابن شداد
نزل السلطان على حلب في ثامن عشر جمادى الاولى سنة ثمان وسبعين فاقام ثلاثة ايام ورحل في الحادي
والعشرين منه يطلب الفراة واستقر الحال بينه وبين مظفر الدين ابن زين الدين وكان صاحب حران
وكان قد استوحش من جانب الموصل وخاف من مجاهد الدين فالتجا الى السلطان وعبر اليه الى قاطع
الفراة وقوى عزمه على البلاد وسهل امرها عنده فعبر الفراة واخذ الرها والرقة ونصيبين
وسروج ثم نزل على الخابور واقطعه ، وقال ابن ابي طي في اول السنة اراد مظفر الدين ابن
زين الدين وكان اليه شحنكية حلب الاستيلاء على قلعة حلب ان يهجم فلم يتمكن وظهر امره وبعد هذه
الوقعة اجتمع الاخوان عز الدين وعماد الدين على الرقة وتحالفا على بساط واحد وسلم عماد الدين
ما كان بيده من سنجار وغيرها الى عز الدين وسلم عز الدين اليه حلب فسار اليها ودخلها فخرج مظفر الدين
عنها وسار الى الفراة فلما اتصل به قصد السلطان حلب سار الى خدمته واجتمع به على حلب

الزكان

الزكان واشار على السلطان بعبور الفراة والاستيلا على بلاد الشرق وباخيرامر حلب
ففعل ورحل عن حلب بعد ان اقام عليها ستة ايام واقام على تل خالد ثلاثة ايام ثم رحل الى
البيرة وفيها شهاب الدين محمد بن الياس الارتقي فنزل اليه وقبل الارض بين يديه وساله الصعود
الى قلعة البيرة فاجابه وقدم له مفاتيح القلعة فردها اليه ووعده باستخلاص ما كان
صاحب ماردين غلبه عليه ورحل السلطان الى سروج فنزل اليه صاحبها ابن مالك وسلمها
فاعاده اليه وراسل صاحب ماردين في رد ما كان تغلب عليه من اعمال البيرة ففعل
ثم اخذ الرها ثم الرقة وسلم الرها الى ابن زين الدين والرقة الى صاحب الرها لانه سال
ان يكون في خدمة السلطان ، ومن كتاب فاضلي عن السلطان الى عز الدين فرخشاه يعلمه
بالحال وفي آخره ولتعجل حمل ما هناك من الاعمال فكلما فتحت البلاد ابوابها فتحت
المطامع افواهها واستوعبت الخزائن اخراجاً وانفاقاً واستنفدت الحواصل اعطاً واطلا قاً
وقدمنا على بحر لا تسمه الاجر وعلى بلد ان كان بها الغنى ففي بعضها العقر ، ومن كتاب
آخر الى العادل يعلمه مقدار الحاجة الى الانفاق وكثرة الخرج الذي استرل فيه اهل
الافاق وانه متى نصبت المواد وقفت الامور التي قد شارفت بها بابها ونعرفنا الجموع
التي تنادرت الاعدا نكابابها وما دون تلك البلاد الا الوصول اليها والنزول عليها
قال العماد وقال مظفر الدين للسلطان ما دلك شوقاً الملك في حران حران
والى الرقى من ورد خدمتك ظمان وبي لك مبذوله وما ولبابك من اهل الدين والدنيا
ما هوله والرها لا يعتاصر امرها والرقة لرقك وبعض حمتك والخابور في انتظار خبرك
ودارا داك ونصيبين نصيبك وملك الموصل موصلك الى الملك وما هذا اوان
الونا فادن البنا وكل بعيد قد دنا قال ووصل الجسر الى الفراة وحيم عليها من غربي البيرة
ومد الجسر وكانت البيرة قد طمع فيها صاحب ماردين فاستولى على مواضع من اعمالها
فلما شعر بالسلطان تخلى عنها فاعاد اليها صاحبها شهاب الدين محمد بن الياس الارتقي ، وكتب
السلطان بالمثال الفاضلي الى الديوان عند عبور الفراة كتاباً فاتقاً طويلاً يقول فيه خدم
الخادم متوالية الى الابواب الشريفة خلد الله سلطانها شارحة لاحواله ومسعداً لها من
صالح اعماله ومتوقعاً من الاجوبة عنها ما يهيئ له من امره رشداً ويفرق الاعداء
اذكادوا يكونون عليه لبداً فان الآراء الشريفة لو لم تفصح عنها الانشاآت وتضمنها

الاجابات والابتداآت لا فصحت عنها موالاة الخادم التي استفتحت الدولة بعقايل الفتوح
قبل خطبتها وردت الاسماء الشريفة الى اوطانها من المنابر بعد طول غربتها فتلك الاعمال
كالهجرة ولكل مهاجر ما هاجر اليه ونية المرء توبه فلا يلبس الا ما خلعته النية عليه وكان
الخادم الآن من البيرة بعد ان قطع الفراة وكان من لا تقرب عليه العزايم ما هو بعيد ولا يلوي النهر
وهو شهيد يظن ان ساكن النيل يحول الفراة بينه وبين قصده وانه ينسى عزيمة رايه اذا ذكر
طول مدته وهول مده وكيف ما كان من هنا المخرج المخرج فقد احسنت الى الخادم اسانه اليه
وقربته من محل دار السلام بل الاسلام فما اكثر ما قال السلام عليه واستشرف جنابه من جنابه امنا
ودعا اوجبتها الموالاة والمهابة وطالعت عينه انواء وانوارا تنتسب الى بركاتها كل سحابة
وكاد يترك عن الشروح والاكوار ويفعل الذي لا يجل شرفا الجواد ويستسفد علته ما الفراة
لانه يمر بتلك الديار ويعترف من صفاته صفا تلك الخواطر العظيمة الاخطار ومن عذوبته
عذوبة ذلك الانعام الذي هو اعم واغمر الافطار من القطار ويتوقد دار السلام من منزلته
وادناه النظر العالي واسلفته آمالة حوز الفوز بما قربه بحيا من قربها والآمال لعالي
والله تعالى يعترف رضا هو واطئها ويرعى سروحا هو كاليها ويسعد به امه هو باديها
طاعة لمن هو باريها ولما تحقق الخادم ان المواصلة قد واصلوا الفرنج مواصلة اخلصوا
فيها الضماير ولم يستطيعوا فيها كتمان السراير وحصنتهم خطوط الايدي المتمسكة
بعصم الكوافر وعقدوا معهم عقدا شهد من هو حاضر ونقله الى من سمعه من هو
ناظر وكان عقدهم احدى عشرة سنة والمستقر لهم في كل سنة عشرة الاف دينار على
ان يسلم بعور المسلمين الى الكفار منها بانياس وشقيف ارنون وحبيس جلدك
واسارى الفرنج في كل بلد بايديهم وفي كل بلد يسترجعونه من الخادم بمساعدة الفرنج
ولما تم لهم هذا العقد وحملوا الى الفرنج ذلك النقد ظنوا ان الحق جادله الباطل
فيدحضه وان يد الكفر تنبسط الى الاسلام فتقبضه وان الخادم لا يمكنه ان يتوجه اليهم
الا ان يكون للفرنج سلما ولا يستطيع ان يقسم العساكر فيجعل بازاء الفرنج قسما وبازائهم قسما
وعملوا على هذا الوهم وبنوا على هذا الحكم واستنهضوا الفرنج على باقل الخطوة واستخرجوهم
من اماكنهم في كل يوم العروة بعد العزوة فحاملت رجل الكفار على طلعها وخرجت الى طمعها على
فرعها وانفقت في رحالها ما لا حاجوه اليهم حتما وجرت الى الاسلام جيشا جهزه من يدعي

الاسلام لفظا ويفارقه حكما ونواعد المواصلة مع الفرنج ليطلبوا ولاية الخادم من جانب
ويطلبها الفرنج من جانب وينظروا فيما يوصل الكناه الى الخادم ولم ينظروا للاسلام في العوا قب
فوصل المواصلة الى ضيبين محدين محفلين وحركوا الفرنج للخروج الى الشام متطرفين
ومتوغلين ولا جرم ان امرا اصحابهم وخواص صاحبهم لم يسعهم المروق عن الدين ولا
الخروج عن زمرة الموحدين فارضوا الله باسخاطهم واشفقوا على دينهم اشفاقا دل على تحرزهم
له واحتياطهم فاتبعوا الحق وسلكوا سبيله ورفع لهم الهدى مناره فاقتفوا دليله
لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله فاستعان الخادم
عليهم بالله الذي استغاثوا على دينه باعدايه ولما راى انهم قد امتلوا النصر من ارضهم املة
من سمايه فرتب الخادم في راس الما بدمشق بازاء الفرنج الملوك فرخشاه ناحية واتى عسكر
الشام وحاميته فيه واستنهض اخاه من مصر الى ايلة من بلاد الكفر فنهض وقام للخادم
بما اقامه له ولله عز وجل بما فرض وسار الخادم بالعسكر المصري الى هذا الجانب الذي
هو الآن فيه وكان البيرة يكفيه وتثاقل في الطريق انتظارا لان يأتوا السوق من ابوابها
ويفرحوا عن الولاية ايدي اغتصابها ويعتذر الى السيف الشنه بسقوط رقابها فابوا
الا الاباء وراوا الملك ارثا ما ادعوا فيه تقليد الخلفا بل الآبا ولما قرب الخادم من الفراة
وصل اليه صاحب حران مظفر الدين علي كوجك مقدم عسكرهم وان امير معشرهم وكذلك
صاحب سروج وصاحب البيرة وكل من بيده مفاتيح بلد وامامه امان الخادم له فقد استبدله
من مقلد وورآه عسكره على كمال عدده وعدده وتوالت كتب امرائهم الذين يأخذون
اقطاعاتهم خدما ومصانعات ودعا بأهم الذين يأخذون اموالهم جبايات ومقاطعات
ومكوسا وعشورا واحتكارات يرغبون الى الخادم في الانقياد ويحثونه في المسير على
الاعداء ويشكون انهم مع جوار دار الخلافة المعظمة لا يسلك فيهم سبيلها ولا يقضى
فيهم شرايعها وسننها ويما الى الخادم من مفاصيل المغارم التي يلزم الفريقين ويعد ليهما
عن القصد الطريقين ما يروع السامع ويسمع الرابع ويسجل عليهم بالخلاف ويشهد لهم بالانحراف
لانهم ان دعوا التقليد افقد بعضه كونهم ابتدعوا وما اتبعوا ونقضوا وما افترضوا
ومثلوا بالحق وما امتثلوا وامروا بكف الايدي وقد بسطوها وبأخذ الاموال من حلها
وقد خلطوها وبرعاية امة النبي صلى الله عليه وسلم وقد تخطوها فيها وانخطوا وان الدعوة

العباسيه من دعاها الامن ادعاها والعهود وصايا وما الاولى بها من سمعها بل من وعاها
واى عهد لمن لا عهد له بالطاعه واى ولاية لمامور ان يجمع اهل الفرقة ويفرق اهل
الجماعة فالجذى يوكل الارض باسمه ولا شى بيديه والغامى يرفع الى السماء استغاثه ما
لا يمهل الله عليه ولقد يعجب الخادم من اسعاف الابعض الغنيه الا انها الغفيره والارتفاق
سلك الطمع الكليله وسعى على الحقيقه الحقيره يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم
وجنوبهم وظهورهم الاية هذا الى طامة اخرى لا يقرعليها الحسوف ولا يدر عليها الحلوب
ولا يمام على سم حالبها بارقها وان كان الحلوب وهو ان الخادم بلغه انهم كانوا جهة من
الجهات التى الدولة منحرفه عنها وبدلوا الطاعة لها وقد امروا بالامتناع عنها وهذا نص فى
الخلاف لا يدخله التاويل وقول قد احاط به العلم فلا يختلجه التقويل وكل صغيرة من هذه
الكبار وكل واحد من هذا الجمع المكاثر يعض الولايه ويخرج العداله ويسلب الرشد
ويثبت الضلاله ويمضى بنيه الولى فيما هو له ماض ويعتقد عريمه فيمضى ما هو قاض ويحطه
وكيف لا يحط والمولى عنه راض ويعظه بما لا عذر عليه للمغتاظ معتاض وما انهى الخادم
بما اتصل به الا الاوايل والاطراف وما عول الا على ما صحّحته المعتبرون ما خيله الارجاف
واذ قد ساق الله الى هذه الولايه حظها من معدله كان الزمان بها مطيلا مطله وانشا لها
سحاب احسان كان زعيما عليها هطله فقد كفيت الخواطر الريفه ما كانت به على اهتمامها
كالمحب للامة على امامها والى بعوض الله يرجع امرها ويبرع بحلب بعضها ويجلا ضرها
وقد تجددت للدولة الشريفه قوة واستظهار وبسطه واقتدار وسيف به نناضل من
فى الجهاد ولسان يجادل به من يريد الدار وكان الخادم طالع بوصول الاسطول
المصرى الى الشام الفرنجى وما فعله فى مواسيه وسواحله وما غنمه من مراكبه وقوافله
وورد كتاب من مصر بانه كسب بسطه فرنجيه خرج من فيها سائرًا من القسطنطينية
لغنيه ومعه فيها من روسها وفرنجها فقتل منهم خمسون الف فرنجى واملنا منهم بطس
منها هذه البطشه وفيها رجال الاكابر ومقدمون لهم ذكر ساير وغنم المجاهدون
منهم ما ملاء ايديهم من سبى وذخاير وانقلبوا بنعمة من الله وفضل وحازت القبضه
من الاسارى ما تزيد على اربع مايه تعد من درج بالقتل **فصل** قال العماد ثم كاتب
السلطان الملوك بالوفود بالاعاق لمن جاء مستسلمًا سلمت بلاده على ان يكون من اجناد

السلطان

السلطان واتباعه فى جهاد الكفار وجاء رسول صاحب حصن كيفا بالاذعان وهو نور الدين
محمد بن قرا ارسلان ثم رحل السلطان من البيره ونزل على الرها وكان فيها فخر الدين مسعود
ابن الزعفرانى فاذعن وانقاد وتسلمها مظفر الدين مضافة له الى حران ثم وصل السلطان
الى حران فرتبها وانفصل منها الى الرقة وفيها الامير قطب الدين ينال بن حسان فاذعن ايضًا
وسلم ولم يوافق مراعاة لصاحبه فاصلحها السلطان ودخل الى مشهد الرمان ثم الى عرابان
فتسلمها واصلح من شانها وتواصلت اخبار وصول السلطان بالخابور وما نشر من العدل
فى البلاد التى فتحها ففتحت راس عين ودورين وماكسين والشمسانيه والفدين والمجدل والحصين
قال وقطعنا نهر الخابور على قنطرة التنينير الى نصيبين فاستعصت قلعتها ايامًا
ثم فتحت استسلامًا وولاها السلطان حسام الدين ابا الهيجاء السمين وولى الخابور جمال الدين
خوشترين ثم سرنا الى الموصل وقطعنا اعمال بين النهرين ثم اعمال السنجه ثم منها الى بلد
واشرفنا على دجله وكنا اوردنا خيلنا فى انهر من تلك السنة نيل مصر والفراه ودجله
ثم صممنا على قصد الموصل فلما دنونا من الوصول كرنا بكبير بن طغربك الشول وتقدم السلطان
فى الامرا ذوى الارا ودار حول السور وعين لكل مقدم مقامًا فنزل هو وراء البلد وتقى الدين
من شرقيه واخوه تاج الملوك بورى عند باب العماديه فحصلت المحاصره والمضايقه وتولى مجاهد
الدين قايماز حفظ البلد باحسن تدبير وكاتب الديوان العزيز فى ان يشفع بهم الى السلطان
فقدم فى ذلك شيخ الشيوخ وبهاء الدين حسين فى الشفاعة فرحل السلطان عنها
فى شعبان وقصد سنجار وقدم امامه تقى الدين • **وقال** القاضى بن شداد
كان نزول السلطان على الموصل فى هذه الدفعة يوم الخميس حادى عشر رجب سنه ثمان
وسبعين وكنت اذ ذاك بالموصل فسيرت رسولًا الى بغداد قبل نزوله بايام قلايل
فنزلت سرعًا فى دجله وابنت بغداد فى يومين وساعتين من اليوم الثالث مستنجدًا بهم
فلم يحصل منهم سوى الانفاد الى شيخ الشيوخ وكان فى صحبته رسولًا من جانبهم يامرونه
بالحديث معه وبتلطف الحال معه وسيرا الى بهلوان رسولًا من الموصل يستنجد فلم يحصل
من جانبه شوى شرط كان الدخول عنه اخلط من حرب السلطان ثم اقام السلطان على
الموصل ايامًا وعلم انه بلد عظيم لا يحصل منه شى بالمحاصره على هذا الوجه وراى ان طريق
اخذه اخذ قلاعه وما حوله من البلاد واضعافه بطول الزمان فرحل عنه ونزل على سنجار

في سادس عشر شعبان فاقام يحاصرها وفيها شرف الدين بن قطب الدين وجماعة واشتد
عليه الامر حتى كان ثاني شهر رمضان فاخذها عنوة وخرج شرف الدين وجماعته محترمين
محفوظين الى الموصل واعطاها السلطان ابن اخيه محيي الدين ورحل عنها الى نصيبين وقال
العماد لما قصد السلطان سنجار نزل على دجان فوجد بها عسكرا من الموصل سائرا اليها فاحاط
به واخذ خيلهم وعددهم وردهم الى الموصل رجالة ووصل الى سنجار ومعه رسل دار الخلافة
ونور الدين صاحب حصن كيفا وكان في سنجار شرف الدين اخو صاحب الموصل فامتنع من تسليمها
فحوصر ورميت القلعة بالمنجنيق فانهدمت ثلمة من السور ووكل بها من يحفظها ودخل شهر
رمضان وكف السلطان عن القتال ثم جاءه الخبر ليلة ان الموكلين بحفظ تلك الثلمة نيام
فارسل اليهم من اوثقهم وحملهم اليه وكان فيهم جماعة من المقدمين والاعيان فلما اصبح صاحب
سنجار ذعر وسلم ورحل باهله وماله ودخل السلطان القلعة ودبرها وامر بعمارة نقضها
وولاها الامير سعد الدين مسعود بن انر وكان السلطان يعتمد عليه واخته ابنة معين الدين
كانت في حبالة السلطان وكان رؤساء سنجار بني يعقوب فتركت الرياسة فيهم وولي القضاء
منهم نظام الدين نصر بن المظفر بن محمد بن يعقوب ، ثم رحل السلطان الى نصيبين فاقام بها
الى الايام كانت باردة ومنها ودع رسل دار الخلافة وشكا اهل نصيبين من اميرها
ابي الهيجاء السمين فاستصحبه السلطان معه وسار الى دارا وامده صمصام الدين بهرام
الارتقي فتلقى السلطان باحسن ملتقى فاكرمه وسار الى حران واقام بها للاستراحة وعاد
كل الى بلده وسار تقي الدين الى حماه هذا والمواصلة في جد من جمع الجموع وبغي الغوائل
بالسلطان **فصل** في وفاة فرخشاه قال العماد وفي هذه السنة في جمادى الاولى توفي بدمشق
الملك المنصور عز الدين فرخشاه ووصل خبره الى السلطان عند عبوره الفراة فاقر السلطان
ولده الملك الامجد بهرامشاه على بعلبك واعمالها مكان ابيه وبعث شمس الدين ابن المقدم
واليا مكانه على دمشق واعمالها ، قال ابن ابي طي وكان فرخشاه من اكرم الناس يدا واطهرهم
اخلاقا واسدهم رايا واشجعهم قلبا ومما يحكى من كرمه انه دخل الحمام يوما فراى رجلا
قد قعد به الزمان وكان يعرفه من اهل اليسار وشاهد عليه ثيابا رثة بين منها بعض جسده
واستدعى بجميع ما يحتاج الرجل الى لبسه وبغلة بسرجه وبالف دينار وقال لبعض غلمانه
احمل هذا الكل في موضع ثياب الرجل وخذ ثيابه واحمل هذا الغلام والبغلة له فلما تغسل

الرجل

الرجل وخرج راى موضع ثيابه تلك الثياب فسال الحمامي عن ثيابه فقال ان لك هذه الثياب
فتقدم اليه الغلام واخبره بجميع ما صنعه عز الدين واخبره بانه قد اجرى عليه معيشة عشرين
دينارا في كل شهر فلبس الثياب وخرج من الحمام وهو من اغنى الناس **قال وكان فرخشاه**
ممدحا مدحه ابن سعدان بعدة قصائد من جملتها التي يقول فيها
مجد الساساني بدءا وعود الداني بابا والهند وائلي طرا اعجمي الانساب صرح الاعراب عنه نجعا ونظما ونثرا
هز منه كتبه الكاتب جفلا واعاد في حجر الحوادث فخرا فهو كالمازني علما وكالاحنف حلما وكالفرزدق شعرا
قال وكان فرخشاه مضافا الى الشجاعة عالما متسعا كثير الادب مطبوع النظم والنثر **فمن شعره**
انا في اسر الغرام من هوى هذا الغلام رشا رشق عيناه فؤادي بسهام كلما ارشفني فاه على حر اوامي
ذقت منه الثلج في الشهد المصفى في المدام
وفي بعض الكتب الفاضلية عن السلطان اليه وصل كتابه يتضمن خروج الفرنج وما دبروه من الاحوال
واعتدوه من مكايد القتال ولسنا نستبعد ان يدني الله به كل بعيد من المراد وان يقلل
منه تقلب الذين كفروا في البلاد وان يجري على يده اول النخل الذي يوعد به اخر حصاد
وان يصب به على المشركين سوط عذاب ان ربك لبالمرصاد ، قال العماد وكان عز الدين
فرخشاه من اهل الفضل ويفضل على اهله ويغني الكرام عن الابتذال بكرم بذله ومن اخص
خواصه وذوي اصطفائه واستخلاصه الصدر الكبير العالم تاج الدين ابو اليمن الكندي
اوحد عصره وسمح وحده وفريد دهره وعلامة زمانه وحسان احسانه ودرير دسته ومشير
وقته وخطيب ابنه ودقيق درسه وشعاع شمسه وحبيب نفسه **ولي في هذا الملك قصائد منها**
قصيدة ثمانية موسومة من جنسها في اول سنة صحبت فيها السلطان الى مصر في سنة اثنتين
وسبعين وعارضها تاج الدين ابو اليمن الكندي بعدة في وزنها ورويها وحسن زينها فما كلمني فهي
بين اجتلاء العيش الشهي وهوى احال طلاوة الزمن البهي وصباحة لا اسغل عن حمر حمر المنبع المدره
أأحبتي ان غبت عنكم فالهوى دان لعلك بالغرام مولة ابهى البكر ان صبري شاء بل منته والشوق ليس بمنتهي
اما عقود مدامعي فلقد وهت واني عقود الود مني لم تهي ولقد ذهبت بينكم فاسفتكم بابل المشاق — بينكم ذهي
في شوقكم ابدا الزمان تفكري وبذكركم عند الكرام تفكهي لو قيل لي ما تشتهي من هذه الدنيا لقلت هو لكم لا اشتهي
ما كان اروع عيشتي والدهر من ذا الذي يبقى بعيش ارفه ومن السفاهة انني فارقتكم من ارض ذا الحلم الذي لم يسفه
وعقابيله ما تعار وحلفا احد اليها غير عبالله ما لي ومصر والمطامع انما ملكت قيادي حين لم اتنزه

لا تنهني يا عاذلي فأنا الذي تبع الهوى وأتى بما عنده هي قد فلت الحادي وقد بادية في مهمة أقصر وصل ميه
ختام حديثك للزمام فارحه فلقد انحل الأخرى فرخشه منكم بالطبع لا منكره ستان بين كوم ونكره
احسان ذي مجد وهمة محسن مجد وبقوى عابد منا له

وهي ثلثة وثمانون بيتاً والقصيدة الناجية تسعة وأربعون بيتاً ، أولها ·

هل أنت ذا لحم عبرة وتوله ومجير صب عنده ما منه دهي هيهات يرحم قاتل مقتوله وسنانه في القلب غير منهنه
من بان من داء الغرام فإنني مدخل بي مرض للهوى لم أنفه إني بليت بحب أغيد ساحر بلحاظه رخص البنان مرفه
ابغي شفاء تلهفي من دائه ومتى برق مدلل المدلله يا مفرداً بالحسن إنك منته فيه كما أنا في الصبابة منتهى
قد رام فيك معاشر إفنائي باللوم عن حب الحياة وإنه هي ابكي لديه فإن أحسن لوعتي وتشهق او ما بطرفي مقهقه
أمان محاسنه وحالي عن حيران بين عكسه ونعكه صيد إن قد حجا بلفظ وأحلى هواه معنيين موجه
قلت تفالتفكهت بالشيء أي تمتعت به وتفكهت أي تعجبت وتفالتندمت ومنه قوله تعالى
فظلتم تفكهون فهو في نعكه أي يمتع بالمحاسن وفي يعجب من حاله ويندم عليها **ثم قال**
أنا عبد من شهد الزمان بعجزه عن أن يجي له نبد مشبه عبد لعز الدين ذي الشرف الذي كل الملوك لعزه في حشه
طابت موارده معص فناوه وشد الحراه بدكره في المهمه تفديك كل مملك منا به أبداً بالسنة الرعاع مملّه
لا نفقه النحوي إذا حدثه وإذا بدا يحدثه لم يفقه

قلت وذكر العماد في ديوانه أبياتاً حسنة في الشيخ أبي اليمن رحمهما الله قال

تذاكر من وراد مصر عصابة حدت فتى طاب الذي بذكره وقالوا رأينا فاضلاً ذا نباهة إذا ما فوق العالمين بفخره
مدن حبيب والوليد لنظمه ويحكي عبد الحميد لنثره ولو عاش قيس في زمان نبا به لكان مشيداً في البيان بذكره
فضائله كالشمس نوراً ولم يزل مناقبه في الدهر أعداد دهره سان هو البحر الكلال وإننا نرى بحراً من فضله كل بحره
ذوو الفضل هم عند الحقيقة أبحر ولكنهم أضحوا أحاد ابحره يضوع مهب الحمد من عرف عرفه وناح أرجاء الرجاء بنشره
فقلت لهم هذا الذي تصفونه أبو اليمن تاج الدين أوحد عصره

قلت وبلغني أن أول معرفة فرخشاه به أنه كان في مجلس القاضي الفاضل بالقاهرة فجاء
فرخشاه إلى الفاضل يجري ذكر بيت من شعر أبي الطيب المتنبي فتكلم فيه تاج الدين بما يليق به فأعجب
فرخشاه وسأل القاضي الفاضل عنه فقال هذا فلان وعرفه بفضله فلما قام فرخشاه من مجلس
الفاضل أخذ بيد الشيخ تاج الدين وخرج به ولزمه إلى أن توفي رحمهم الله

فصل

في أخذ الفرنج الساكرين في البحر لقصد الحجاز قال العماد وفي شوال سنة ثمان وسبعين كانت

نصره

نصرة الأسطول المتوجه إلى بحر القلزم والمقدم فيه الحاجب حسام الدين لؤلؤ لطلب الفرنج
الساكرين بحر الحجاز وذلك أن البرنس صاحب الكرك لما صعب عليه ما توالى عليه من نكاية أصحابنا
المقيمين بقلعة أيلة وهي في وسط البحر لا سبيل عليها لأهل الكفر أفكر في أسباب حيلة به
وفتح أبواب اغتياله فبنى سفناً ونقل أخشابها على الجمال إلى الساحل وركب المراكب وشحنها
بالرجال وآلات القتال ووقف منها مركبين على جزيرة القلعة تمنع أهلها من استقاء الماء
ومضى الباقون في مراكب نحو عيذاب فقطعوا طريق التجار وشرعوا في القتل والنهب والإفساد
ثم توجهوا إلى أرض الحجاز فتعذر على الناس وجه الاحتراز فعظم البلا وأعضل الدا وأشرف
أهل المدينة النبوية منهم على خطر ووصل الخبر إلى مصر وبها العادل أخو السلطان فأمر
الحاجب حسام الدين لؤلؤ فعمر في بحر القلزم مراكب بالرجال البحرية ذوي التجربة من أهل النخوة
للدين والحمية وسار إلى أيلة فظفر بالمركب الفرنجي عندها فحرق السفينة وأسر جندها ثم عدي إلى
عيذاب وشاهد بأهلها العذاب ودل على مراكب العدو فتبعها فوقع بها بعد أيام وأوقع
بها وواقعها وأطلق المأسورين من التجار ورد عليهم كل ما أخذ لهم ثم صعد إلى البر فوجد
أعراباً فاستأجر منهم شعاباً فركب خيلهم وراء الهاربين وكانوا في أرض تلك الطرق ضاربين
فحصرهم في شعب آبا فيه فأسرهم بأسرهم وكان ذلك في أشهر الحج فساق منهم أسيرين
إلى منى كما تساق الهدي وعاد إلى القاهرة ومعه الأسارى وكتب السلطان إليه بضرب رقابهم
وقطع أسبابهم بحيث لا يبقى منهم عين تطرف ولا أحد يخبر طريق ذلك البحر ويعرف ○

قلت ولأبي الحسن بن الذروي في الحاجب لؤلؤ بسبب هذه الواقعة أشعار منها ·

مر يوم من الزمان عجيب كاد يبدي فيه السرور الجماد إذ أتى الحاجب الأجل بأسرى قرنتهم عن ظهرها الأصفاد د
جمالاً كأنهن جبال وعلوج كأنهم أطواد قلت بعد التكبير لما بدا هكذا هكذا يكون الجهاد
حبذا لؤلؤ يصيد الأعادي وسواه من الأعادي يصاد · **ومنها** ·
قال وقد سافر من غدا جهاده يعضد من حجه إذ قيل سار الحاجب المرتجى في البحر بالسماحة
المحدث البحر لا يعدو على لؤلؤ لأنه كون من بحته · **ومنها** ·
يا حاجب المجد الذي ما الله ليس عليه في الرجاحة ومن دعوه لؤلؤا عندما صحته من بحر نسبه
لله ما تعمل من صالح فيه وما يطويه من حسبه كفيت أهل الحرمين العدى وذدت عن أحمد والكعبة
ومنها · أنما أنت لؤلؤ للمعالي جاء من بحر السماح العذاب · **ومنها** ·

بن كنت من ذا البحر باللولو العلى بحث فان الجود فيك وفيه وان لم تكن فيه الاجل منذ افد فانك من بحر السماح اجيه
وكتب السلطان الى العادل من كلام الفاضل وصل كتابه المورخ بخامس ذى القعده المسفر عن المسفر
من الاخبار المنبتهم عن المتبسم من الآمار وهي نعمه تضمنت نعما ونصره جعلت الحرم حرما وكفايه
ماكان الله ليوخر معجزة نبيه صلى الله عليه وسلم متاخيرها وعجيبه من عجايب البحر التى يحدث عن يسيرها
وسيرها وماكان الحاجب لولوفيها الا سهما اصاب وحمد مسدده وسيفا قطع فشكر
مجرده ورسوله عليه البلاغ وان لم يجهل ما ارتهنه وقد غبطناه باجر جهاده ونجاح اجتهاده
وكب المسلمين برا وبحرا وامتطا السابقين مركبا وظهرا وخطا ما وسع الخطوه وغزا
فانجح الغزو وحبذا العنان الذى في هذه الغزوه اطلق والمال الذى في هذه الكره انفق
وهولاء الاسارى فقد ظهروا على عورة الاسلام وكشفوها وتطرقوا بلاد القبله وتطرقوها
ولو جرى في ذلك سبب والعياذ بالله لضاقت الاعذار الى الله والخلق وانطلقت الالسن بالمذمه
في الغرب والشرق ولابد من تطهير الارض من ارجاسهم والهواء من انفاسهم بحيث لا يعود منهم
مخبر يدل الكفار على عورات المسلمين وان هذا العدد القليل فدا ذلك المنال الجليل
وهذا مقام ان رعى فيه حراسه الطاهره والوفاء للكافر حدث العنق الذى لا يمكن في كل
الاوقات سده وثقبه ولدغ المومن مرتين والاولى تكفى لمن له فى النظر بقيه ٭ وفى كتاب
آخر الى العادل ايضا ونحن نهنى المجلس السامى بظفره ولم لا يكلمه بنصره ولم لا يشكره شكرا يجلله
وليس في قتل هولاء الكفار مراجعه ولا للشرع في ابقائهم فسحه ولا في استبقاء واحد منهم مصلحه
ولا في التغاضى عنهم عند الله عذر مقبول ولا حكم الله في امثالهم عند اهل العلم مشكل ولا مجهول
فليمض العزم في قتلهم لينتهى امثالهم عن فعلهم وقد كانت عظيمه ما طرق الاسلام بمثلها وقد اتى الله
بعدها بلطيفه اجراها على يد من رآه من اهلها ٭ وفى كتاب آخر ايضا الى العادل
وقد تكرر القول في معنى اسارى بحر الحجاز فلابد على الارض من الكافرين ديارا ولا تورد من بعد
ماء البحر الا نارا فان فى قتلهم اذا ابقى جنا الامر الاصعب ومتى لم يعجل الراحه منهم وجدت العاقبه بالاسف
الانعب ٭ ومن كتاب آخر الى بغداد وسارت المراكب الاسلاميه طالبه شوكه المراكب
الحربيه المعترضه للمراكب الحجازيه واليمنيه وكانت مراكب العدو قد اوغلت في البحر ودلها على عورات
الساحلين من العرب من اشبه ركابها في الكفر فوصلت الى عيذاب فلم تنل منها مرادا فيرا من وجدته
في طريقها ارتقى عرضه عبد الالتها وشعثت وافسدت فيه وعثت وتمادت في الساحل الحجازى
الى رابغ الى سواحل الحوزا وهناك وقع عليها اصحابنا واوقعوا بها اشد ايقاع واخذوا المراكب
الفرنجيه على حكم البدار والاسراع وفروا بها الى الساحل فركب اصحابنا وراءهم خيول العربان
التى وجدوها واخذوا الكفار من شعاب وجبال اعتصموا بها وقصدوها وكفى المسلمون
اشد فساد في ارضهم واقطع قاطع لفرضهم وانبسطت امالهم بقبضهم وعمت على الكفار
هذه الطريق التى لو كشف لهم غطاؤها قدما ولو احاطوا بها علما لاسطت بكابتهم واشتدت
جنايتهم وعز على قدماء ملوك مصر ان يصرعوا هذه الاقران ويطفيوا هذه النيران
ويركبوا غوارب اللجج ويخوضوا الى المهج ويقتضوا هذا الطاير من جوه الذى لا يدرك لوجه
ويدركوا هذا العدو الذى لا يدرك الا ان يتخذ عليه ملايكه الله وروحه ٭ وفى
كتاب آخر الى بغداد كان الفرنج قد ركبوا من الامر نكرا وانتضوا من البحر بكرا وعمروا
مراكب حربيه شحنوها بالمقاتله والاسلحه والازواد وضربوا بها سواحل اليمن والحجاز
واثخنوا واوغلوا في البلاد واشتدت مخافه اهل تلك الجوانب بل اهل القبله لما اومض اليهم
من خلل العواقب وما ظن المسلمون الا انها الساعه وقد نشر مطوى اشراطها والدنيا قد طوى
منشور بساطها وانتظر غضب الله لفناء بيته المحرم ومقام خليله الاكرم وتراث انبيايه
الاقدم وضريح نبيه الاعظم صلى الله عليه وسلم ورجوا ان تشحذ البصاير آية كآية هذا البيت
اذ قصد اصحاب الفيل ووكلوا الى الله الامر وكان حسبهم ونعم الوكيل وكان للفرنج مقصد ان
احدهما قلعه ايله التى هى على فوهه بحر الحجاز ومداخله والاخر الخوض في هذا البحر التى
تجاوره بلادهم في ساحله وانقسموا فرقتين وسلكوا طريقين فاما الفريق الذى قصد
قلعه ايله فانه قدر ان يمنع اهلها من ورود الما الذى به قوام الحياه ويقاتلهم بشاد العطش
المشبوب الشباه واما الفريق القاصد سواحل الحجاز واليمن فقدر ان يمنع طريق الحاج
عن حجه ويحول بينه وبين حجه ويأخذ تجار اليمن وكارم عدن ويلم بسواحل الحجاز فيستبيح
والعياذ بالله المحارم ويهيج حزنه العرب بعظيمه دونها العظايم وكان الاخ سيف الدين
بمصر قد عمر مراكب وفرقها على الفريقين وامرها ان تطوى وراءهم السفينين فاما السايره الى
قلعه ايله فانها انقضت على مراكب الما انقضاض الجوارح على بنات الما وقذفتها قذف شهب
السما مسترقى سمع الظلما واما السايره الى بحر الحجاز فتمادت في الساحل الحجازى الى رابغ
الى سواحل الحوزا فاخذت تجارا واخافت رفاقا ودلها على عورات البلاد من الاعراب

من أسند كفرًا ونفاقًا وهناك وقع عليها أصحابنا واحدقت المراكب بأسرها وفرق فرنجها بعد إسلام
المراكب وسلكوا في الجبال مهاوي المهالك ومعاطن المعاطب وركب أصحابنا وراءهم
خيل العرب يتلونهم سلا ويقتنصونهم اسرا وقتلا وما زالوا يتبعونهم خيلا ورجلا
نهارا وليلا حتى لم يتركوا عنهم مخبرا ولم يبقوا لهم أثرا وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا
وقيد منهم الى مصر مائة وسبعون اسرا ❍ ومن كتاب آخر ومن جملة البشائر الواصلة
من مصر عود الأسطول مرة ثانية كاسرا كاسبا غانما غالبا بعد نكايته في أهل الجزائر
واخرابها وجد فيها من الأعمال والعمائر التي يعلق مضبه وما كاد او دخل في شعب
وما عاد بأن العربان اقتصوا آثارهم والزموا احصادهم فلم يبق منهم الا من نهى عن المعاودة
مراكب ع ومن قد علم ان امر الساعة واحدة ومن جملة ما ظفر به في طريقه بطشة من تلاد الفرنج تحمل اخشابا
مجوزه الى عكا ومعها نجارون ليبنوا منها شواني فأسر النجارون ومن معهم وهم
نيف وسبعون واما الاخشاب فقد انتفع بها المجاهدون وكفى شرها المؤمنون
وللخادم في المغرب عسكر قد بلغت اقصى افريقية وجوهه وعاود به شخص الدين في ملك البلا د
روع **فصل** في ما تجدد في هذه السنة قال العماد وفي هذه السنة وهي سنة ثمان وسبعين
أنعم السلطان على نور الدين ابن قرا ارسلان باعمال الهيثم وكانت جارية في عمل الموصل فلما تسلمها
جعلها من نصيبه وقد كان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله حين توجه الى الموصل
في اوائل سنة ست وستين عند وفاة أخيه مودود وعد ابن قرا ارسلان بقلعة الهيثم بتسليمها
اليه دون اعمالها تخلة ليمينه ووفاء بوعده الكريم ودينه ولما جاء المساعد نيابة في هذا
العام خصه السلطان عاجلا بهذا الانعام ثم وهب له قلعة الجديدة وهي قريبة من نصيبين
ووعده بفتح آمد له وفي بوعده كما سيأتي ❍ قال وكان شاه ارمن صاحب خلاط ظهير الدين
سكمان وهو خال صاحب ماردين ابن ايلغازي بن البي بن تمرتاش وصاحب ماردين هذا هو
ابن خال صاحب الموصل عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي فقصد شاه ارمن يشفع الى السلطان
في الموصل وسنجار وهو على سنجار وارسل اليه سيف الدين بكتمر وهو من اعز اصحابه عليه فلم يشفع
السلطان شفاعته فاجتمع هو وصاحب ماردين وصاحب الموصل وصاحب ارزن وبدليس
وغيرهم من عسكر حلب وجمعوا جموعا وعزموا على لقاء السلطان ونزلوا اصعية من اعمال ماردين
مما يلي حرزم وجمع السلطان عساكره وجاء تقي الدين من حماه الى حران في خمس ليال فساروا

اليهم

اليهم بعد العيد الأكبر فلما وصل السلطان الى رأس عين وسمعوا بمجيئه تفرقوا وافترقوا وعاد الخلاطي
الى خلاطه باختلاطه ورجع الموصلي الى موصله لمواصلة احتياطه واعتصم الماردي في
حصنه المارد وهتكوا حرزم للصادر والوارد وهاب عسكر حلب العود اليها وخيف
على طريقه فأذن جمعه بتفريقه ومضى معظمهم الى الموصل فعبر الفرات عند عانة ولم يجدوا
اعانة ونسفتهم ريح او هم جبال وذهبوا بقلوب السبا وقد حبا وا وهم رجال
ثم نزل السلطان منزلة القوم بحرزم وفيها قصر لصاحب ماردين كان يتنزه فيه وأقام
فيه تاج الملوك اخو السلطان ❍ **قال** ابن ابي طي وفي هذه السنة نزل قراقوش
على بلد زالوف وقاتله الى ان ملكه وانهزم منه اهله ودخل المدينة ليقضي بها ايام الشتاء فأصبح
يوما واذا حول المدينة عسكر مقداره خمسة آلاف رجل وغلام واستقل اصحابه فلم يجد الا
جماعة من الدواوين والركابدارية وما في الناس سكارى ورأى احد البوقية فأمره ان يضرب
بالبوق وفتح الباب وخرج فظن العسكر ان قراقوش والعسكر قد ساعدوا اليهم فانهزموا
قال ثم انه قصد طرابلس يحاصرها وضيق عليها وكان شيخها عبد المجيد بن مطروح قد راسل
قراقوش وطلب منه الامان وسأله ان ينفذ اليه قوما يقرر معهم امر التسليم فانفذ اليه تسع
وثلاثين من وجوه اصحابه فأخذهم عبد المجيد وانزلهم في دار اخلاها وامر لهم بجميع ما يحتاجون
اليه فلما جاء لهم الليل اخذوا المخاد وتصافعوا بها حتى قطعوها وقام بعضهم الى الصهريج
فملؤا ماء للشرب فأحدث فيه فأخبر الرقباء عبد المجيد بما كان منهم فأحضر وجوه البلد
وقص عليهم ما كان منهم وقال اذا كان هؤلاء خيار القوم فما ظنكم بشرارهم وكان اهل البلد
قد اشاروا على عبد المجيد بتسليم البلد فامتنعوا حينئذ وحضر ابن مطروح من الغد اليهم
الى الدار ومعه وجوه البلد فقال لصاحب الضيافة لم احضرت لهؤلاء السادة مخاد
مقطعة فقال لم احضر لهم الا مخادا جددا وذكر القوم اكلوا طعام الصوفية الذي لا
نعرفه في بلادنا فاستحيا القوم وعلموا انهم قد فطن بحالهم ونزل رجل الى الصهريج فرأى
العذرة على وجه الماء فقال من فعل هذا فلم يرد واحد منهم جوابا فقال ابن مطروح يا قوم
انا ما دخلنا اليكم الا عازمين على تسليم البلد اليكم وان يكون لكم رعايا وقد شاهدنا منكم
افعالا ما نرضاها وان علمتم ان هذا الفعل من غلماننا وعبيدنا مما فعل هذه الاحدوثة
من خيار اصحاب هذا الرجل وان كان عبيد من هو خير منكم فلم يبعثكم الينا بعد الطعن في عقله

ثم امر باخراجهم فاخرجوا من المدينه فلما صادوا الى قراقوس وعلم القضه عظم عليه الامر واراد
الفتك فيهم وعلم انهم قد وقفوا عليه فتقًا لا يمكنه رتقه ابدًا وتيقن انه لا يملك البلد
ابدا وانفذ عبد المجيد الى قراموش انك لست بقادر على اخذ هذا البلد لاجل ما نفر به
اصحابك قلوب اهله فان اردت ان نجعل لك حوالة نحملها اليك في كل سنة وترحل عنا
فعلنا فاجاب الى ذلك ورحل عنهم بعد ان احتوى عليهم قال وتوافت اليه الفرسان
من مصر حتى صار في نحو مائة فارس من الاتراك وسار من جبل نفوسه الى قابس في يومين ثم الى
قصر الروم وغيره من المواضع والقلاع فهجم ونهب وغنم وغلب وخافه اهل تلك النواحي ۞
فصل في فتح امد قال العماد ثم سار السلطان الى آمد ونزل عليها يوم الاربعا
سابع عشر ذي الحجه بعد ان استاذن الخليفه في ذلك فاذن له فنصب السلطان عليها المجانيق
وضايقهم وطال الحصار بهم ثم اخذها في السنه الاتيه كما سياتي ؁ قال ابن ابي طي ؁
ودخلت سنة تسع وسبعين والسلطان نازل لآمد واستدعينا العامه بها فامر السلطان
بكتب رقاع فيها ارفاق وارهاد ووعد وايعاد ان داموا على القتال ليستاصلن شافتهم
وان اعتزلوا وسلموا البلد ليحسنن اليهم وليضعن ما عليهم من الكلف والضرايب وامر ان تعلق
تلك الرقاع على السهام وترمى الى آمد فرمي من ذلك شي كثير فكفوا عن القتال واشاروا على
ابن نيسان بطلب الامان فاومن على ان يخرج جميع امواله دون الذخاير والسلاح وامهل ثلاثه
ايام فلما عول على نقل امواله قعد به اصحابه فارسل الى السلطان فانفذ اليه غلمانا ودواب
وضرب له خيمه بظاهر آمد وجعل ينقل ما يقدر على نقله من المال والقماش والاثاث الذهب والفضه
مدة ثلاثه ايام بتعالم عظيم كانوا يزيدون على ثلاثمائة انسان ولم ينقل عشر ما كان له وسرق من امواله
اكثر مما حصل له لانه ما اخرج احد شيا الا واخذ نصفه او اكثر وكان ابن نيسان قد حصل
في آمد اشياء كثيره لا يمكن وصفها من الاسلحه والاموال والغلال والكتب ولما اعتقل لاجل
اخذ ما حصل وسار قاصدًا بلاد الروم وتسلم السلطان مدينة آمد باموالها وذخايرها
ونصب اعلامه على اسوارها وذلك في رابع عشر محرم ووجد فيها من الغلال والسلاح والات
الحصار من المجانيق واللعب والعرادات اشيا كثيره لا يمكن ان يوجد في بلد مثلها ووجد
فيها برج من ابراجها فيه مائة الف شمعه وبرج مملو نصول النشاب واشيا يطول شرحها وكان
فيها خزانه كتب كان فيها الف الف واربعون الف كتاب فوهب السلطان الكتب للقاضي الفاضل

فاخذ

فانتخب منها حمل سبعين جاره ويقال ان ابن قرا ارسلان باع من ذخاير آمد وخزاينها مما لم حاجة
له به مدة سبع سنين حتى استولى الارض من ذخايرها وكان السلطان لما تسلم آمد وهبها لنور الدين
محمود بن قرا ارسلان بما فيها وكتب له بها وباعمالها توقيعًا ووفى له بما وعده به وقيل للسلطان
انك وعدته بامد وما وعدت بما فيها من الاموال والذخاير وفيها من الذخاير ما يساوي
ثلاثه الاف الف دينار ويقال الاصح عليه بما فيها من الاموال فانه قد صار من اتباعنا واصحابنا
قال وفي فتح امد يقول سعيد الجلبي من قصيدة في السلطان
ذي العزا بالصافنات فادعنت له طاعه اكامها ووعورها فما عربا ديها ولا اعتاض نعرها ولا حاش طايرها ولا
وازال لكره ابن نيسان محرجًا كما ازال الرماكرها قصيرها بهدنها حتى اذا انقاد صعبها وقر على طول الجماح نفورها
سمحت بها جودًا المن ظل برهة تغاور ما طورًا وطورًا تغيرها وملكت ما ملكت منها تجوزًا وكان قليلا في يديك كثيرها
وان بلاد الحد بك ملوكها لاحدر ان ترجو اياديك فقيرها وقال ابن سعد الزكي الجلبي يذكر فتح امد
فيا ساكني الرعبا من سفح آمد اذعا رضا نيل الموت هاطه لئن عضبت يوما عليكم عروشها فهذا ابن ايوب هو ابنها
ولو دامها يوما سواه لقطعن اباهره من دونها واباحله قلت وقال اخر
لو عرفت آمد فرحًا ما خطبت في الاسلام تسليمها ؁ لصيرت اعلام رايتها لمن على الارض سلاليمها
قال العماد واما آمد فحصل فتحها يوم الاحد في العشر الاول من المحرم وكان من ديار امداين
ميسان فهو دينها والقايم بامرها وكان لامد امير قديم يقال له ايلكلدي من ايام السلاطين
القدما وولده محمود شيخ كبير عنده بطيه وتيقنه ويدعي انه من غلمانه ومصطنعيه
وانه يحفظ البلد له وانه لا يقدر به ولا يوثر بدله واذا جا رسول يحضر عند اميره
ويسند ما يدبر الى تدبيره ويقول انه غلام وما معه كلام وحافظ على هذه البرهه
وآمن باحتياطه من جور الجيره بل ما منهم الا من يخاف مكره ويحفظ منه وكره ويشكر عرفه
ويعرف نكره ولم يزل الحصار عليهم الى ان دعنوا للانقياد وخرجت شواهم تحرا الى
المجيه الفاضل يطلب الامان فامنهم السلطان على انهم يخرجون بعد ثلاث ويحملون ما قدروا
عليه من المال والامان وامانهم السلطان على نقل الاموال بالدواب والرجال فلما انقضت
مدة الامان تسلمها السلطان وسلمها الى نور الدين ابن قرا ارسلان باعمالها وما فيها وكان
السلطان وعده بها قبل ذلك وانجز له الوعد وقد كان ابو عاما ها ملأ وثمرها فما قدر
عليها ثم وصف العماد ما كان في قلعة امد من الاموال والذخاير والحواصل والامتعه

ردّ سودها
دها
كثيرها
معاقله

وان اصحابها لم يغتدوا في تلك الايام الثلاثة الا على تحويل ما خف منها واستغنى المساعدون لهم
في تحويلها اليهم وكتب الفاضل عن السلطان الى الديوان ببغداذ وورد الى الخادم التقليد
الشريف بولاية آمد فلما رآه مستقرا عنده قال هذا مفتاحها وسمع الوصايا فاستضاء بها في
ظلمات القصد وقال هذا مصباحها وتناوله فما ظنه الا كتابا انزل عليه من السماء في قرطاس
وما انبعثه الا نورا يمشي به في الناس فنادبه ولولا العادة لما استصحب جنديا وعول عليه
ولولا الرتبة لما نقل هنديا وطرف نابه فليدع ولولاه لما استطاع الاوليا ان يظهروه وما
استطاعوا له نقبا وناشد المنجم بتغليق بلاد ايام ثلاث وسايل فلو كان داسع اصغى ولو
كان ذا لب لبا فلما انقضت مدة ضيافة البلد واحتفر بآمد نار الحرب جاهلا ان وقودها
الناس والحجارة عجلها في اليوم الرابع فنزل عندها وقاتلها فاذا الجلد ... وذيل جلدها ثم راي
ان الشوكه ربما اصابت غير ذات الشوكة من جندها وان المسلم قد آمنه الله من عذاب الحريق ولا
يأمن ان تحرقه القسي من الزهم بشرار زندها فعدل الى منجنيقه الذي امل صاحبها منه محاسنه
ورأى ان سطوة سطوته تضرب بالحجر وتضرب عن ان يباشر البشر وتلك الاتربة قد سمحت بانها
وما تعطفها ولا هنت على وامقها وعضت عين رامقها فهي في عقاب لوح الجو كالطاير
الا ان المنجنيق اغرى بها عقابه وسعها جلبيه وحثم امامها عجاصمها وقام الى الغيرة حاكمها
وتضرب بعصاه الحجر فيبجس من الثقوب اعين لا ترسل الما ولكن تروي العطاش لا منهل الدما
وتنهل الظما كذلك اياما حتى تحاز الزفات شبا بغرها وساوبها كاس فتك يتبين بعض اتراحها
آثار سكرها وعلت الايدي الراميه لها وغلت الايدي المحاميه عنها فلم تسو على سوقها من يصيح
حقبا وشن المنجنيق عليها غارته الى ان صارت شنا وقضت صناديق الحجارة المعقلة
وفصلت منها اعضا السور المتصلة ووجب القتال كلا انطربا الخادم ان لا حد له الا الخذله
فاوعز بالتقدم اليها ودخول النقابين فيها فاثخنت جراحا بالثقوب وهتك الحجاب
من اضالع البلد فكاد يوصل الى ما وراها من القلوب وخشيت معرة الجيش في وقت هجمه
ودروسل صاحبها بانه كشف له الخذلان حتى نص على شائه بعله فاعاد الرسول مستنكفا عجب
النجاه بارسال ذوات الحجاب وابرازهن ومستمسكا لتبذ القتل عن لم يكرج جوابه غير احرازه
واحراجهن ولم يعارض في نفسه ولا في قومه ولا في امواله وبتى ما بين ذخاير موفوره ومكاسب
من ارباح محرره كانت الحقوق عنها مدوده والامال دونها مطروده وعص الخادم كل عين

عن

عن عينه وورقه وصانه في محنته من الفقر صيانته في خزان سوره وخدوره واستوفى شرط
الوفا بما اعطاه من موثقه وهب آمد فهي مدينة ذكرها بين العالم شايع وما لها دم جانبها
من بغادم فرجع بغدوة انفه وان كان تخلا وقرعها فريد الهه واستصحب تخلا ورأى يخرجها
فقدا انه لا يغل له حجر وسوادها يحسب انه لا تحسبه تحبره وحيا انفها فاعتقد انه لا يستجيب
لحر من ملوك كلهم طوى صدره على الغليل الى مواردها ووقفها وقوف المحب المتمايل ولم يقربها
امل من حوائجهم تعهدها ثم ذكر تسليمها الى ابن قرا ارسلان ثم قال ولما راى صاحب ميافارقين
ان اخت صاحبته قد اتتني بها خاف ان يجمع له بين الاختين فراسل بيد الخدمة التي يكون فيها لنور الدين بين
ثاني اثنين ثم ذكر اجتماع المواصله وشاه ارمن وصاحب ماردين وصاحب ارزن وبدليس
وغيرهم على قصد الخادم ونزلوا تحت الجبل فلما صح عندهم قصده ظنوا انه واقعهم فاخذوا
اعنة الفرار بقوة وذكروا ما في لقائه من عوايد كان عندهم مخوفه وعنده مرجوه وسار
كل فريق على طريق بنية عدو وفعل صديق والخادم يقول مهما اراد منه الآرا الرفيعه
اتاه ومهما نوت فيه من احسان فقد علمه ما نواه فهذه آمد لما ارسل اليه مفتاحها وبقي
التقليد فتحها وهذه الموصل لما اخر عنه المفتاح منعها وما منحها ولو اعيد لعظمت
على الاسلام عايدته وظهرت في دفع مناره فايدته لان البلد كان يكون به على عدو الحق
واحد وله لالات النصر واحد فان راى امير المومنين ان يتربص اولياه وينظر
اليهم ابدا ولياته واشد على اعدايه واقوم بحقه وخول اباه واثبت رايا ورويه في مواقف
راياته ومجالس آرايه واعظم اقداما على ملحدين كلهم كان يتابعه ردا علايه وكان
السابقون من ولاة الدولة العباسية فاصر السيف على ان يشيع العصمة عماته وابهم امركه
للغراش المهد واهتك للطراف الممدود واهم في سبيل الله لراحه واصبر في جهاد عدو
الله على مضض جراحه واسلى عن ريحانة فواده واكثر مما دعه بحبه واد فيحا دالها الامة
بان جعله الله لها اماما واميرا اسعد من احرى في طاعة صابرا وملا ولاية صبرا
من عدله ان يولي عليها العدل الذي يقر عينها ومن فضله ان لا ينسى الفضل بينها وورد
ذلك المنشور بآمد فاورد المنشور فان ورده المنشور المشار اليه اعلاه ما يحيره وما
ويسعف فانه يود على نور وما يحسب الخادم ان كيدا للعدو واحد ولا جهدا لاهل
الضلال احد ولا ملاوسى ثابه تغبط دوشاء اهل الانجا داعد ومن يحنم امر الخادم

الكاوم

بمزيد الاستخدام والا فلينظر هل يشق على الكفار مزيد احد سواه من ولاة الاسلام
فكل ذي سلطان هو الطاعم الكاسي المحمي بالمناصل لا الحامي المكفي لا الكافي بنفسه
عمره وهو لا يشهد الطعن الا في الميدان ولا يتمثل الهام طائرا لولا الكرة في الصولجان
ولا يشق بسهمه الا قرطاسه ولا يحظى برفع الا كاسه فاعاد الله بامير المومنين هذا
الدين الى معالم محجته الاولى واطال يد سلطانه الطولى الى ان تاخذ الامور ماخذها
عدلا واعتدالا وتسلا وقتالا فيعود الى الاسلام عوايد ايامه وايام منصوره وسفاحه
ومن كتاب آخر فاضلي عن السلطان الى وزير بغداد اصدر هذه الوسيله
الى المجلس الشامي معولا على كرمه فيما حملته من الامانة مستغنيا بشهرة الحال المنجلية
عن الابانه فان احد قصر الامد بها وانفاذها من المطاولة التي كانت يلبس نهارها بغيبة غيمها في الظهور
وسار اليها بقية العساكر بعد الذين ساروا الى الشام واقاموا قبالة الكفار بعده
اقتصر عليها اكثرها من عساكر الديار المصرية على بعد تلك الديار لتظهر لمن نوى المناواه
وتبين لمن كان على منافاه الملافاه ان رجالا من مصر فتحوا آمد بعد سنة من البكار وبعد
غزوتين قد طولع بهما في تواريخها الى الكفار ففي ذلك ما يعض الحاسد وينقص الحاقد ويعلم
ان في اولياء الدولة من يرد كل شارد فلما حل بغفوتها اراد ان يجري الامر على صوابه ويلج الامر
من بابه وان ينذر المغتر ويوقظه ويعظه بالقول الذي راى من الرفق ان لا يغلظه فبعث
اليه ان يهب من كراه وبعد لضيف المعاقل قراه ويجا سعفه مجا الذباب ولا يتعرض
لان يكون مجا للذباب فاذا عركته لا يلبث الا بالعراك وطردته لا نضاد الا بالاشتراك
فهنالك راى عاجلا ما هنالك وموئل حق الغنا في يوم واحد عرف ما بعده من الايام
ووقع الاشفاق من روعة الحرم وسفك الحرام فاذن لنا حاديها مطرح وقطر السور نقدره
الذي قطع وخطب اهلها خطب خطبه واعمد الصارم اكتفا بنصبه فوقفه اهل
الحرب بحبس المنايا منه عن حربه فصارت في اقرب آلة وقايا خيلها كتبا مهيلا وعفرت
الارحبيه وجوههم تربا وتطرف القلعه نظرا كليلا حتى اذا امكننا المغوب ان يتوجه
وركب السوران يقلد راي الذي لا يبصر على بعضه واعتدل اليه القنا الذي بنا الامر
ان لم يعصف فلا بد من نقضه وسال فاجيب الى الامان على نعمته وخرج بها وانما اخرج
الظلم وسلم وهو يرى ان الكلمة امان الحلم واما من الحلم ثم قال ولولا تقليد امير المؤمنين

لما فتح له الباب الذي قرعه ولا انزل عليه النصر الذي انزل معه ولا ساعد سيفا ساعد ولا
نالت يده مددا من مصر فاخذت آمد ومن يامن ولو قبلت مسلمته في تقليد الموصل لكان
قد وليها ولو سخنا ادبجها واخذها ولو بحصاة نبذها وهو يتوقع في جواب هذا الفتح
ان يبعث هو الكلام ودماح سى الاعلام وتضرهو وافدا الامر وترشيد هو فك الحجر
وليس ذلك لوسائل تقدمت من دولة اقامها بعد ميل عروشها ولا لدعوة قام فيها بما تصاغر ت
دونه همم جيوشها ولكن لان هذه الجزيرة الصغرى منها سفن الجزيرة الكبرى وبين دار
الفرقه ومدار السنه ولو انتظمت في السلك لانتظم جميع عسكر الاسلام في قتال الترك من حلبه
ولكان الكفر يلقى بيديه وينقلب على عقبيه ويغشاه الاسلام من بين يديه ويغزى من مصر
برا وبحرا ومن الشام سرا وجهرا ومن الجزيرة مدا وجزرا ويكون خادمه قد وجب ان يتمثل
بقوله تعالى ولقد مننا عليك مرة اخرى ۞ ومن كتاب آخر كتابنا هذا والله بنه
قد فتحت ابوابها وعدقت بدولتنا اسبابها وتكلم لسان علمنا في فم قلعتها وتعدان السنتها
دولتنا وبنيا بمو على خلعتها فالحمد لله الذي يتم النعم بمجده وينجح الامل بقصده ما يفتح
الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده قال العماد
ثم دخل السلطان مدينة آمد وجلس في دار الامارة وحلف نور الدين بن قرا ارسلان
على ان يظهر بها العدل ويمنع الجور ويكون سامعا مطيعا للسلطان من معاداة الاعدا
ومصافاة الخلان في كل وقت وزمان وانه متى استمده من آمد لقاه الفرج وجد
لذلك يقظان واليه عطشان قال وكان هذا نور الدين في خدمة السلطان
بنفسه وعسكره مدة غيبة الغزاة ثم ان رسل ملوك الاطراف اجتمعت عند السلطان كل
يطلب لصاحبه الامان وان يكون من جملة الاعوان منهم صاحب ماردين وصاحب ميافارقين
وهما قرابتا ابن قرا ارسلان فرد السلطان كل رسول بسوله واجاب اقباله بقبوله
ثم رحل السلطان من آمد وعبر الفراه لقصد حلب وولاياتها فسلم في طريقه تل خالد
بالرعب ولم يكن منهم بالقرب فاقر اهلها فيها ثم نزل على عين تاب فبادر صاحبها ناصح الدين
محمد بن خمارتكين الى خدمة السلطان فاعاده الى مكانه بالاحسان ، قال ابن ابي طي
تسلم السلطان تل خالد في رابع عشر محرم وسلمها الى بدر الدين دلدرم ، ومن كتاب
فاضلي نزلنا تل خالد يوم الثلاثا ثاني عشر المحرم وكان قد تقدمنا الاعلام الملوك اليها

وأناخ عليها وقاتلها وعاجها ولو شاء لعاجلها ولما أطلّ عليها رأينا الفتح من فيها
سين وأنجز النصر صادق موعده وأرسلها حلب بعد منه لفتحها وقد أنعم الله علينا بنعم لا نحصيها
تعدادًا ولا نستقصيها اعتدادًا ولا نستوعبها ولو كان لها دار طرسًا والبحر مدادًا ورأينا
المضمون قد صارت معنا طيّبين البلاد بحدّها تطبعها وسيوفنا قد صارت مفاتح الأمصار
بفتحها بنصر الله لا بحدّها وتقطعها قلت وما أحسن ما قال ابن التعاويذي من قصيدة
له في السلطان قل للملوك تنحّوا عن ممالككم فقد أتى آخذ الدنيا ومعطيها

فصل في فتح حلب قال القاضي بن شداد لما عاد السلطان نزل تل خالد
ونزل عليها وقاتلها وأخذها في ثاني عشر محرم سنة تسع وسبعين ثم سار الى حلب فنزل
عليها في سادس عشري المحرم وكان أول نزوله بالميدان الأخضر وسيّر المقاتلة يقاتلون
ويباسطون عسكر حلب بانقوسا وباب الجنان غدوة وعشية وفي يوم نزوله خرج
أخوه تاج الملوك وكان عماد الدين زنكي قبل ذلك قد خرّب قلعة عزاز في تاسع
جمادى الآخرة سنة ثمان وسبعين وخرّب حصن كفرلاثا وأخذها من بكمش فإنه كان قد صادم
السلطان وقاتل تل باشر فلم يقدر عليها وخرّب غادان من الفزع في البلاد بحكم اختلاف
العساكر قال ولما نزل السلطان على حلب اشتدّ على العسكر من الجوانب فاجتمع خلق
كثير وقاتلها قتالًا شديدًا وتحقق عماد الدين زنكي أنه ليس له به قبل وكان قد ضرس من
اقتراح الأمراء عليه وحبهم فأشار الى حسام الدين طمان أن يسفر له مع السلطان في إعادة
بلاده ويسلم حلب إليه واستقرت القاعدة ولم يشعر أحد من الرعية ولا من العسكر حتى تمّ الأمر
ثم أعلمهم وأذن لهم في تدبير أنفسهم فاستعدوا ونفذ الرعية عز الدين جورديك وزين الدين
بلك يسألوا عنه الى الليل واستحلفوه على العسكر وعلى أمان البلد وذلك في سابع عشر
صفر وخرجت العساكر الحلبية الى الميدان الأخضر ونفذوا حلب وخلع عليهم وطيب
قلوبهم وأقام عماد الدين بالقلعة يقضي أشغاله وينقل الأمتعة وخزائنه الى يوم الخميس ثالث
عشري صفر وفيه توفي أخو السلطان من الجرح الذي كان أصابه وشق عليه أمر موته وجلس للعزا تاج الملوك
قلت وكان أصغر أولاد أيوب ذكر ابن القادسي أن مولده سنة ست وخمسين في ذي
الحجة فيكون عمره اثنين وعشرين سنة وشيئًا وأنشد له شعرًا قال العماد الكاتب
في كتاب الخريدة أنه لم يبلغ العشرين سنة وله نظم لطيف وفهم شريف ثم قال القاضي

ابو

أبو المحاسن وفي ذلك اليوم نزل عماد الدين الى خدمته وعزّاه وسيّره معه بالميدان الأخضر
وتقررت بينهما قواعد وأنزله عنده بالخيمة وقدّم له تقدمة سنيّة وخيلًا جميلة وخلع على جماعة
من أصحابه وسار عماد الدين من يومه الى قراحصار ثم سار الى سنجار وأقام السلطان بالمخيم بعد
مسير عماد الدين غير مكترث بأمر حلب ولا مستعظم لشأنها الى يوم الاثنين سابع عشري صفر
ثم صعد في ذلك اليوم قلعة حلب مسرورًا منصورًا وعمل له حسام الدين طمان دعوة سنية
وكان قد تخلف بالقلعة ما لعماد الدين من قماش وغيره قال العماد وصل السلطان
الى حلب وفيها عماد الدين زنكي بن مودود الذي كان صاحب سنجار وقد تحصّن بكثرة الأجناد
والعُدد وأراد مقابلة السلطان ومقاتلته وأراد السلطان أن يظفر بها بدون ذلك من
القتال وعداة الرجال لكن الشباب وجهّال الأصحاب داموا القتال واجتنوا النزال
وتقدموا وأقدموا والسلطان ينهاهم فلا ينتهون وكان فيهم تاج الملوك أخو السلطان
فطعن في فخذه ثم مات بعد ذلك بأيام بعد فتح البلد وكان السلطان ذلك اليوم قد صنع
وليمة لعماد الدين زنكي وكان السلطان أول ما نزل على حلب نزل في صدر الميدان الأخضر
وذلك في زمن الربيع الأنضر ثم رحل ونزل على جبل جوشن ونهى عن القتال وقال نحن ههنا
نستغل البلاد وما علينا من الحصن الذي بلغ منه هذا العناد ونفذ رسل الترهيب إليهم فتفكر
عماد الدين زنكي في أمره ورأى أن الصواب مصالحة السلطان فنفذ سرًّا إليه حسام الدين
طمان وصالحه وحلفه على أن يسلم إليه حلب ويرد عليه بلد سنجار معمل وزاده الخابور
ونصيبين والرقة وسروج وشرط عليه إرسال العسكر في الخدمة للغزاة ومن كتب
فاضلية تتلوها مدينة حلب وقلعتها تسلم ووضعت لها الحرب أوزارها وبلغت بها الهمم أوطارها
وعوّض صاحبها بما لم يخرج عن اليد لأنه مشترط عليه به الخدمة بنفسه وعسكره ومخلط
بالجملة فهو أحد الأولياء في صحبته ومحضره عوض عماد الدين عنها من بلاد الجزيرة سنجار ونصيبين
والخابور والرقة وسروج فهو صرف بالحقيقة أخذنا فيه الدينار وأعطينا الدراهم
ونزلنا عن المنحان وأحرزنا العواصم وسرّنا أنها الجلى والكافل المحارب والملم المسالم
واشترطنا على عماد الدين الخدمة والمظاهرة والحضور في مواقف الغزو والمصابرة فانتظم
الشمل الذي كان شتيتًا وأصبح الموفر ناحيه كثيرًا وزال الشعب وأخذ اللهب واتصل السبب
وأخذنا للغزاة الأهبة ووصلنا لمعانيها مدة الطلب والألفة واقفة والمصلحة جامعة

واشعة انوار الاتفاق شايعة فتحنا مدينة حلب فتسلم ما كشفت بحرمتها قناعا وتسلمنا قلعتها
التي ضمنت ان يتسلم بعدها بمشيئة الله قلاعا وعوض صاحبها من بلاد الجزيرة ما اشترط عليه
به الخدمة في الجهاد بالعدة الموضوعة فهي بيدنا بالحقيقة لان مراد ان البلاد رجالها لا اموالها
وشوكتها لا ذهبها ومناطرتها للعدو لا نضرتها وان تعظم في العدو الكافر نكايتها لا ان
تعدق بالولي المسلم ولايتها والهوا من حلب نافذة والرايات في اطراف قلعتها آخذة وجاء اهل
المدينة يستبشرون وقد بلغوا ما كانوا يؤملون وامنوا مما كانوا يحذرون وعوض صاحبها
بلاد من الجزيرة على ان يكون العساكر مجتمعة على الاعدا مرصدة للاستدعا فالبلاد بايدينا لسنا
نعنيها ولغيرنا مغرمها وفي خدمتنا ما لا نسمح به وهو عسكرنا وفي يدنا ما لا نضن به وهو درهمنا
شرطنا على عماد الدين المجد في وفائها والمظاهرة على العداة عند ملاقاتها فلم يخرج منا ملك الا
البيان عاد عسكرا وانما استنابه من يحمل عنا مؤنته ويديره ويكون عساكره الى عساكرنا
مضافة ويعمل قوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ويشعر الامير عماد الدين انه
من فتح حلب التي هي مفتاح البلاد وتسلم قلعتها التي هي احدى ما رسخت به الارض من الاوتاد
فلله الحمد وان يقع الحمد في هذه المنة ونسال الله الغاية المطلوبة بعد هذه الغاية فهي الجنة
وصدرت هذه البشرى والموارد قد افضت الى مصادرها والاحكام في مدينة حلب نافذة
في باديها وحاضرها وقلعتها قد امات لوآها على انفها وقبضت على عقبة نكوبها واعتذرت
من كآبة امس بشرفها ودأبنا ان نتشاغل بما بورك لنا فيه من البلاد وان يوسع المجال
فيما تصدق بقلب الدين كره والى البلاد قلت ولابي الحسن ابن الساعاتي في مدح السلطان
عند اوان فتح حلب قصيدة منها ما بعد لقياك للعافين من امل ملكت الملوك وهديك ولد الدول
وانتشر الحلم في كل سابقة بروضها فلل يغني عن الفلك ما فتحها غير اقليد الممالك والداعي لديه جميع الخلق
وما عصت منعة لكنه عصت علام اهلها اهمال منسدل عارض وحنك من جارها فشكت ما لبه بانقضاء غيبه
قلت وهذا معنى حسن يشير الى انها كانت من آخر البلاد الاسلامية فتحا على يديه
فلهذا اعتصبت اذ كان من حقها لجلالة قدرها ان يخطب اولا وللقاضي السعيد ابن
سنا الملك من قصيدة بدولة الترك عزت دولة العرب وما ابن ايوب ذلت شيعة الصلب
ان العواصم كانت اي عاصمة معصومة تعالى بها عن الرتب حلبية الحمى في اعلام رايته وطالما ثاب عنها وهي لم يثب
وما بغت كعيوق يمتنع على الشهد اوا شهى من الضرب ترعنها بلا غيظ ولا حرب وسار عنها بلا اخذ ولا
بكوكب

تطوى البلاد واهلها كتائبه طيا كما طوت الكتاب للكتب ارض الجزيرة لم تظفر بمالكها الا مالك فطن او سابق حرب
ممالك لم يدبرها مدبرها الا براي حصيف او بعقل صبي حتى اتاها صلاح الدين فانتعشت من الفساد كما صحت من الو صب
وقد حواها واعطى بعضها هبة فهو الذي يهب الدنيا ولم يهب ومذ دانت صعدة عن ربعها حلب ووطأ للبلاد حلو الجلب
عادت عليه وقد ذلت كل صعب منها اليه وانت وحر كتب واستعطفته قوافيها عواطفه واكتب الصلح اذ نادته عن كثب
واحل منها بافق غير منخفض للصاعدين وبرج غير منقلب فتح الفتوح بلا مين وصاحبه ملك الملوك ومولاها بلا كذب
قال ابن ابي طي وكان كثير من الشعراء يحرضون السلطان على فتح حلب منهم ابو الفضل
ابن جميل الحلبي له من قصيدة ما ابن ايوب لا برحت مدى الدهر رفيع المكان والسلطان
حلب الشام يجوز ان لهو وله الصب ربع بالجران وقال ابن سعدان الحلبي من قصيدة
دونك والحسنا من امر القرى وبادها الاشهب والطود الاشم واركب العليا كل صعبة ابيت العنا وخلال كل دم
وادم بكل الصيد في جوف الفرا الاصادد السهم ولاماى الحكم متى الى اختها دونه لا فرق بعضها والاندم
فيا لها شماء مشمخرة بطارح البرق وساحات الديم ايه صلاح الدين شد ازرها واعزم عليها فالزمان قد عزم
ودونك المنعة من قنانها وبابها المغلوق في وجه الامم
قال وفي آخر يوم السبت ثامن عشر صفر نصب سنجق السلطان الاصفر على سور قلعة حلب
وضربت له البشاير وفي ذلك الوقت تحقق عماد الدين وخرج من القلعة ليلا الى الخيم واخذ
في اخراج ما كان له بالقلعة من مال وسلاح واثاث وكان اسباب الامير حسام الدين طمان
في القلعة حتى توافي رسله بتسليم سنجار ونصيبين والخابور الى ابيه واعطى السلطان طمان
الرقة لوساطته في امر عماد الدين وكان السلطان شرط انه ما يريد من حلب الا الحجر فقط واذن
لعماد الدين في اخذ جميع ما في القلعة وما امكنه حمله فلم يترك عماد الدين فيها شيا وباع في السوق
كل ما لم يتمكن من حمله واطلق له السلطان بغالا وجمالا وخلا بهم ما يحتاج الى حمله وعمل له
يوم الاحد تاسع عشر صفر دعوة عظيمة في الميدان الاخضر واحضرها جميع الامرا ومقدمي حلب
قال وبينما السلطان على لذته بالدعوة والاخذ والاعطا والانعام والحبا اذ حضر اليه
من عرفه وفاة اخيه تاج الملوك بسبب الضربة التي اصابته على حلب فلم يتغير لذلك ولا اضطرب
ولا انقطع عما كان عليه من البشاشة والفرح وبذل الاحسان وامر بستر ذلك وتوعد عليه
ان ظهر وكظم غيظه واخفى حزنه وصبر على مصيبته ولم يزل على طلاقته وبشاشته الى وقت العصر
وفي ذلك الوقت انقضت الدعوة وتفرق الناس فجلس للعزاء فقام رحمه الله واسترجع وبكى

على أخيه ثم أمر به فغسل وكفن وصلى عليه وأمر به فدفن بمقام ابراهيم بظاهر حلب ثم حمله بعد ذلك
الى دمشق ودفنه بها قال وكان تاج الملوك شابا حسن الشباب مليح الاعطاف عذب العبارة
حلو الفكاهة مليح الرمي بالقوس والطعن بالرمح وكان شجاعا باسلا مقداما على الاهوال
وكان قد جمع الى ذلك الكرم والفضل في الادب ولهم ديوان شعر حسن متوسط منه

يا هذه وأماني النفس قربكم … يا ليتها بلغت منكم امانيها
ان كانت العين مذ فارقتكم نظرت … الى سواكم فخانتني مآقيها

قال ولما انقضت تعزية السلطان باخيه خلع على الناس في اليوم الرابع وفرق في وجوه
الحلبيين الاموال وفي سادس عشر صفر ورد اصحاب عماد الدين واحضروا اليه العلايم
بتسليم سنجار ونصيبين والخابور ففي ذلك اليوم تسلم قلعة حلب وانزل منها الامير طمان
واصحابه ولما تسلمها اي نواب السلطان ركب عماد الدين في وجوه اصحابه وامرائه وخرج الى خدمة
السلطان ظاهرا وركب السلطان الى لقائه فاجتمعا عند مشهد الدعا الذي بظاهر حلب من جهة
الشمال فتسالما ولم يترجل احد منهما لصاحبه ثم جاء بعد عماد الدين ولده قطب الدين فترجل
وترجل السلطان له واعتنقه وعاد فركبا وسار هو وابوه في خدمة السلطان الى المخيم
بالميدان الاخضر فاجلس السلطان عماد الدين معه على طراحته وقدم له تقدمة حسنة
عشرين بقجة صفر فيها مائة ثوب اطلس والاطلس والمعتق والمرش وغير ذلك وعشرة جلود قندس
وخمس خلع خاص برسمه ورسم ولده ومائة قباء ومائة كمه وخمسة عشر حصانا باداتها وبعلبين
مروجين وعشرة اكاديش وخمسة قطر بغال وثلاثة قطر جمال عربيات وقطار بخت ولما
فرغ السلطان من عرض الهدية قدم الطعام فلما اصاب منه عماد الدين نهض للركوب فخرج السلطان
معه وركب لوداعه وسار معه الى قرب بن دابلي وودعه وعاد وسار عماد الدين الى بلاده
قال وفي يوم الاثنين سابع عشري صفر ركب السلطان وصعد الى قلعة حلب وكان صعوده
اليها من باب الجبل فسمع وهو صاعد الى قلعة حلب يقرأ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء
الآية وقال والله ما سررت بفتح مدينة كسروري بفتح هذه المدينة والآن قد تيقنت اني املك
البلاد وعلمت ان ملكي قد استقر وثبت وقال اصعدني يوما مع نور الدين الى هذه القلعة فسمعته
يقرأ قل اللهم مالك الملك الآية قال ولما بلغ السلطان باب دار عماد الدين قرأ واورثكم ارضهم
وديارهم واموالهم وارضا لم تطؤها ثم صار الى المقام فصلى ركعتين ثم سجد فاطال السجود ثم خرج

ودار

ودار في جميع القلعة ثم عاد الى المخيم واطلق المكوس والضرائب وسامح باموال عظيمة وجلس
للهناء بفتح حلب وانشده جماعة من الشعراء منهم يوسف الراجحي له من قصيدة

تزف قسامي مجدك الشهباء … وتحلها بهجة وضياء
العز ملك قيادها وبها على … كل الملوك ترفع وإباء

ومنهم سعيد بن محمد الحريري الحلبي له من قصيدة

وصحبت شهباء العواصم صلتا … فواضب عزم النصل فيه نهي (هـا)
فامطتك منها عاديا فبك زاهيا … وعاد سنا في يديك عسيرها (العيون عيونها)
واوطان منها اخمصيك بنوفه … يعلو على الشعرى
وردت اليها روح عدلك روحها … وكانت رميما ارتجي نشورها

قال وقال والرئيس ابو طي النجار من قصيدة

حلب شامة الشام وقد زيدت … حلا لآل يوسف وجمالا
هي اس الفخار من نال علاها … تعالى مجانبه وتعالى
وبك العلا نزل فيها تاه كبرا … وعزة وجلالا
لا نرجو اهاملكا يملك الارض … اقسارا سهوله وجبالا
فافترعها منها لا يمجل سبق … الانجم الوضاء وطالا

قال وحدثني جماعة من الحلبيين
منهم الركن بن جميل العدل ان كان الفقيه مجد الدين بن جميل الشافعي الحلبي قد وقع اليه تفسير
القرآن لابي الحكم المغربي فوجد فيه عند قوله تعالى الم غلبت الروم الآية ان ابا الحكم قال ان الروم
يغلبون في رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ويفتح البيت المقدس ويصير دارا للاسلام
الى آخر الابد واستدل على ذلك باشيا ذكرها في كتابه فلما فتح السلطان حلب كتب اليه المجد بن
جميل ورقة يبشره بفتح البيت المقدس على يديه ويعين فيه الزمان الذي يفتح فيه واعطى
الورقة للفقيه عيسى فلما وقف الفقيه عيسى عليها لم يجاسر على عرضها على السلطان وحدث
بما في الورقة لمحيي الدين ابن زكي الدين القاضي الدمشقي وكان ابن زكي الدين واثقا بعقل
ابن جميل وانه لا يقدم على هذا القول حتى يحققه ووثق به فعمل قصيدة مدح بها السلطان (بالشهبا)
حين فتح حلب في صفر وقال فيها

وفتحكم حلبا في صفر … قضى لكم بافتتاح القدس في رجب

ولما سمع السلطان ذلك تعجب من مقاله ثم حين فتح السلطان البيت المقدس خرج المجد
ابن جميل الى خدمته مهنئا له بفتحه وحدثه بحديث الورقة فتعجب السلطان من قوله وقال
قد سبق الى ذلك محيي الدين بن زكي الدين غير اني اجعل لك حظا لا يزاحمك فيه احد ثم جمع
لمن في العسكر من الفقهاء واهل الدين ثم ادخله الى القدس والفتح بعد ما خرجوا منه
وامره ان يذكر درسا من الفقه على الصخرة فدخل وذكر درسا هناك وحظي بما لم يحظ به
غيره قلت وسيأتي في فتح بيت المقدس في فصل المنبر ذكر ما قاله ابو الحكم في
تفسيره وغيره ثمانيا سنة وبالله التوفيق وقال العماد بعد فتح حلب في صفر من هذه

السنه ومدح القاضي محي الدين بن الزكي السلطان بابيات منها

وفتحكم حلبا بالسيف في صفر مبشر بفتوح القدس في رجب فوافق فتح القدس كما ذكره فكانه من العجب انكره

قال وتشبه هذا انني في سنة اثنتين وثمانين طلبت من السلطان جارية من سبي الاسطول المنصور فكتبت اليه ابياتا وهي

يومل المملوك مملوكة يبدل الوحشة بالانس تخرجه من ليل وسواسه طلعتها مشرقة كالشمس

فوحدة الغربة قد حركت سواكن البلبال والمس فلا تدع يسدم شيطانه ثم الحكم النفوى من الاثن

فوقع اليوم بمطلوبه مما سبي الاسطول بالامس لا زلت وهابا لما حازه سيفك من جو ومن لعس

واني امل ان يعود كدا بما السبي من القدس قال فجاء الامر على وفق الامل

ووهب لي ما املت فصل فيما جرى بعد فتح حلب قال لما اعطي كاتب الوالي

حازم الفرج واسند امامه اليه مطمعا لهم في الاستيلاء على حازم بشرط ان يعصموه من الملك

الناصر وعلم الاجناد بقلعة حازم بما عزم عليه فتوامروا بينهم في القبض عليه وكان هذا

الوالي ينزل من القلعة ويصعد اليها في اموره لذاته فاتفق انه نزل منها لبعض شانه

فوثب اهل القلعة للمخرج واغلقوا ابوابها ونادوا بشعار السلطان وكان السلطان

راسل والي حازم وبذل له في تسليم حازم اليه اشيا كثيرة منها ولاية بصرى وضيعة

في دمشق تملكه اياها ودار العقيقي التي كان نجم الدين ايوب والد السلطان ينزلها

وحمام العقيقي بدمشق وثلاثون الف دينار عينا واجبه عشرة الاف دينار فاسشط في

السوم وتغالى في العوض وارسل اليه السلطان وتوعده وتهدده وكان الفرج يطلب

تحليفهم وقبل ان يغيب الى القلعة اراد ان ينفق سوقه عند السلطان ويحصل منه شيا وكاتب السلطان

بالعمل على الوالي فكتب اليه السلطان يتمم ذلك ووعده باشيا سكن اليها وجرى الامر

على ما ذكرناه من اغلاق الباب في وجه الوالي وقيل ان النقيب واهل القلعة لما اغلقوا

الباب في وجهه شنعوا عليه بمكاتبة الفرج ولم يكن فعل ذلك اقامة لعذرهم وقد قبضوه

بالحجارة ونادوا بشعار السلطان ولما اتصل بالسلطان هذه الاحوال انفذ تقي الدين

الى حازم ليتسلمها فامتنع النقيب واهل القلعة من تسليمها اليه ورحل السلطان اليها بنفسه حين

فلما اشرف عليها نزل اليه النقيب ووجوه القلعة وسلموها اليه في تاسع عشر صفر ولما حضروا عند

السلطان حدثوه بكيفية الحال وكان بدر الدين حسن كرك الداية حاضرا فقال للسلطان يا مولانا

لا تلتفت الى هولاء فانهم ادوا هذا الوالي وكذبوا عليه حتى فوتوه ما كان السلطان وعده به

وما قلت هذا الا عن تجربة فاني لما كنت متوليا لهذه القلعة جرى علي من كيدهم في حقي وتحريضهم

على امور كدت بها اهلك مع نور الدين وكانوا سبب خروجي من هذه القلعة وانا ارى

ان السلطان يقرهم في القلعة على هذه التجربة فضحك السلطان وامر لهم بما كان وعدهم

به وافضل عليهم وولى في القلعة غيرهم وقال الان الدنيا بين ايدينا امكنة نريد احدها

ومتى لم نف بما نعد ونخل العظائم لم يثق بنا احد وعاد السلطان من قلعة حازم ليلتين وعاد

الى حلب في ثالث ربيع الاول فرتبها وقرر ولده الظاهر سلطانا بها وقرر لهم في كل شهر

اربعة الاف درهم وعشرين كيسة وقبا وما يحتاج اليه من الطعام وغيره وجعل معه

واليا سيف الدين ازكش الاسدي وولى حسام الدين سرك الخليفتي بحنه حلب وولى الديوان

ناصح الدين اسمعيل ابن العميد الدمشقي ودار الضرب فضرب الدرهم الناصري الذي سكنه

خاتم سليمان ونقل الخطابة من بني العديم الى ابي البركات ابن الخطيب هاشم بشفاعة القاضي

الفاضل وولى القضا لمحي الدين ابن زكي الدين الدمشقي فاستناب فيه ابن عمه ابا اليسار بن ابي

البانياسي وولى الجامع والوقوف لابي علي ابن العجمي قال العماد كان في قلعة

حازم مملوك من مماليك نور الدين رحمه الله فعصى وتابى عن تسليمها فاخرجه منها اهلها

لما اتهموه بمكاتبة الفرنج وارسلوا الى السلطان فتسلمها ودبر امرها واحكمها وقال

ابن شداد انفذ الى حازم من يتسلمها ودافعهم الوالي فانفذ الاجناد الذين بها يستحلفونه

فوصل خبرهم اليه يوم الثلاثا ثامن عشري صفر فحلفهم وسار من فوره الى حازم فوطيها

تاسع عشري صفر فتسلمها وبات بها ليلتين وقرر قواعدها وولى فيها ابراهيم بن شروه

وعاد الى حلب فدخلها ثالث ربيع الاول ثم اعطى العساكر دستورا فسار كل منهم الى بلده

واقام يقرر قواعد حلب ويدبر امورها قال العماد وحصنت انطاكية بعد ذلك

رعبا فارسل صاحبها جماعة من اسارى المسلمين وانقاد وسارع الى امان السلطان وولى

السلطان القضا بحلب لمحي الدين ابن الزكي فاستناب فيها زين الدين نابا الفضل بن سليمان

المعروف بابن البانياسي وكشف السلطان عن حلب المظالم وازال المكوس وولى قلعتها سيف الدين

يازكوج وولى الديوان ناصح الدين اسماعيل بن العميد وجعل حلب باسم ولده الملك الظاهر

غازي وكان استصحبه من مصر عند وصوله الى الشام وامر بان على صاحبها واعطى تل خالد

وتل باشر بدر الدين دلدرم بن ياروق واعطى قلعة عزاز علم الدين سليمان بن جندر

قلت وفي توقيع اسقاط المكوس بحلب من كلام الفاضل عن السلطان وانتهى الينا ان بمدينة
حلب رسوما استمرت الايدي على تناولها والالسنة على تداولها وفيها بالرعاة ارفاق وبالرعايا
اضرار ولها مقدار الاعشار من كل شي عنه بمقدار منها ما هو على الابواب المجلوبة ومنها ما هو
على الدواب المركوبة ومنها ما هو في المعايش المطلوبة وقد راينا بحمد الله علينا ان نبطلها ونضعها
ونعطلها وندعها ونضع عنها في ايامنا ونضرب عليها باقلامنا ونسلك ما هو اهدى سبيلا
ونقول ما هو اقوم قيلا ونكره ما كرهه الله ونحظر ما حظره الله ونرجو سبحانه فانه من
ترك شيا له عوضه الله امثاله واربح متجره في الرعية اليوم بما يوضع عنهم من اصرها ولنا غدا عند
الله بما يرفع من اجرها فعلى كافة اوليائنا وولاتنا وامرائنا والمتصرفين قبلنا ان لا يهووا اليها
يدا ولا يردوا ولو بلغ الظما بهم منها موردا ولا يثقلوا بها ميزان المال فيخف ميزان الاعمال
ولا يرغبوا في كثير الحرام فان الله يغني عنه بقليل الحلال وليعلموا ان ذلك من الامر المحكم والقضاء
المبرم والعزم المتمم ● وفي منشور اهل الرقة بمثل ذلك اشقى الامراء من سمن كيسه واهزل الخلق
وابعدهم من الحق من اخذ الباطل من الناس وسماه الحق ومن ترك شيا لله عوضه ومن اقرض
لله حسنا وفاه ما اقرضه ولما انتهى امرنا الى فتح الرقة اسرعنا بها على سحب توكل وطلبنا امر
الله بان يقطع وامر الظالمون ان يوصل فاوجبنا على انفسنا وعلى كافة الولاة من قبلنا ان
يضعوا هذه الرسوم بازمتها ويلقوا الرعايا من يشابه ايام ملكنا بابرها ويعتق بلد الرقة من
رقها وبتت احكام العدل بمحو هذه الرسوم ومحقها وقد امرنا ان تسد هذه الابواب
وتعطل وتنسخ هذه الاسباب وتبطل وتستمطر سحائب الخصب بالعدل وتستنزل وتعفى
خبر هذه الضرائب من الدواوين وتسامح بها جميعها جميع الاغنيا والمساكين سامحة ماضية
الاحكام مستمرة الايام دائمة الخلود خالدة الدوام تامة البلاغ بالغة التمام موصولة
بعز الاحقاب مسنونة في الاعقاب ملعونا من يطمح اليها ناظره ويثني لها يده او يمسك
عنها اليوم على طمع لا يوصله اليه غده ● قال العماد وورد على السلطان وهو نازل
على حلب بشارتان احداهما ان الاسطول المصري غزا في خامس عشر المحرم ورجع بعد تسعة
ايام وقد ظفر بسطشة متقلعة من الشام وفيها ثلثماية وخمسة وسبعون علجا من خيالة وتجار
والثانية ان فرنج الداروم نهضوا فندب بهم والى الشرقية فخرج اليهم فالتقوا على ما يعرف
بالعسيلة فاشتغل عليهم المسلمون بعد ان كادوا يهلكون عطشا لان الفرنج كانوا قد ملكوا الماء

فاروّاهم

فارواهم الله تعالى بما السما ● قلت وكتب الفاضل عن السلطان الى بغداد بها بن الشهرزوري
وبفتح حلب وحارم كتابا ثانيا اوله ادام الله ايام الديوان العزيز ولا زالت داره لملائكته
منازل التقديس والتطهير والوفود باقصى المطارح من ابوابه موجبا للتقديم والتصدير والامة
مجموعة الشمل ما امتنع جمع السلامة لا جمع التكسير الخادم ينهي ان الذي فتحه من البلاد يتسلمه
اما ان يكون للعهد او يحركه ما في الاغماد انما يعده طريقا الى الاستنفار الى بلاد الكفار
ويحسبه جناحا يمكنه المطار الى ما يلابسه الكفرة من الاقطار وعلى هذه المقدمة وهو يستفتح
بذكر ظفرين للاسلام بري وبحري شامي ومصري احدهما وهو البحري غزو احد الاسطولين
اللذين اغزاهما اخو الخادم ابو بكر بمصر وكانت مدة غيبته من يوم خروجه الى حين عوده
الى دمياط تسعة ايام وظفر بسطشة مقلعة من الشام فيها ثلثماية وخمسة وسبعون علجا منهم
خياله ذوو شكة واهبة وتجار ذوو ثروة وسعة والثاني وهو البري نهوض فرنج الدا دوم
الى اطراف بعيدة فندب بهم الى الشرقية فركب اليهم الليل فرسانا كما ركب اليهم ركبوه
جملا وسروا ثقيلا وسروا رملا فتوافى الفريقان الى ما يعرف بالعسيلة سبق الفرنج الى موردته
والسابق الى الماء مخاصر للمسبوق ووردوا ارزقه فتعصب لا رزقهم وظن المؤمن ان
الكافر مرزوق واشتد بالمسلمين العطش ثم ثابوا الى الفرنج بقوة انجاد السماء بالماء فلم
ينج من الفرنج الا رجلان احدهما الدليل والثاني الذليل وعاد المسلمون برؤوس عدوهم
في رؤوس القنا وقد اجتنبوا اثمارها وبادروا بهم في رؤوس الظبا وقد اطعموا اياها جمرا بها
ثم قال وينهي الخادم بذكر ما امتثله من الاوامر العلية في اغماد سيف مجرد من استدعى
تجريده وسوده من عرض له بريده ثم ذكر صلح حلب وانه لا يوثر الا ان يكون كلمة
الله هي العليا لا غير وثغور المسلمين لها الرعايا ولا ضير ولا اعتداد الا ان تغدو جيوش
المسلمين متحاشرة على عدوها لا متحاسدة بعتوها ولو ان امور الحرب تصلحها الشركة لما عز عليه
ان يكون كثير المشاركين ولا ساءه ان يكون الدنيا كثيرة المالكين وانما امور الحرب لا تحتمل
في التدبير الا الوحدة فاذا صح التدبير لم يحتمل في اللقا الا العدة وعوض عماد الدين
من بلاد الجزيرة سنجار وخابور ونصيبين والرقة وسروج على ان المظالم عنها
فلا تثبت بعبورها والعساكر تنشر راية غزوها فلا تطوي منشورها واطاب الخادم عماد الدين
بلا ما اشا اليه من ان تصالح المواصلة مهما استقاموا لعماد الدين لانه لم يشق بهم وان

كان لهم اخا ولم يطين الى مجاورتهم الى ان ضرب عنقه وسنهم من عاينه برزخا فليلح الآن
عذرا لاجنى اذا لم شئ ولكن هذه مصحبه من عوبتى فى سكرة حسن الظن فلم تفق
ومن شرطه على المواصلة المعونه بعسكرهم فى غزواته والخروج عن المظالم فما زاد على ان قال
سالموا سلما وحاربوا اكاثرا واسكنوا التكون الرعية ساكنة واظهروا التكون حزب الله ظاهرا
وهذه المقاصد الثلاثة الجهاد فى سبيل الله والكف عن مظالم عباد الله والطاعة لخليفه
الله هى مراد الخادم من البلاد اذا فتحها ومغنمه من الدنيا اذا منحها والله العالم انه لا يقاتل
لعيش البين من عيش ولا لغضب ملا العنان من برق وطيش ولا يريد الا هذه الامور
التى قد توسم انها الملزم ولا سوى الا هذه النيه التى هى خير ما يسطر فى الصحيفه ويرقم
وكتب الخادم هذه الخدمه بعد ان بات بحلب ليله وخرج منها الخادم وكان استحفظها
مملوكا لا يملكه دنيا ولا عقل عرا ما هدته نفس ولا أهل واعتقد ان يسلمها الى صاحبها الطاعه
بيد الله فتحها اعتقادا صرح بفعله وشهره بكتبه ورسله ووطا على ذلك نفرا من رجال
يعرفون بالشمسيه لا يعرفون خالقا الا من عرفوه رازقا ولا يجدون الا من يروع فى نهر
النهار سابحا وفى بحر الظلام غارقا فشعر به من فيها من الاجناد المثليين فرده ومن
مانعه على فعله وطغره الملوك عمر ابن اخيه فى ضواحى البلد فاخذه وارسله الى قلعه حلب
وسار الخادم اليها فتسلمها ورتب بها حاميه ورابطه ولم يعول على انها للعمل طرف بل انها
للمعقد واسطه والخادم كما طالع بما ضبه الذى حازه الان المذكور يطالع بمستقبله
الذى يحرزه بمشيئة الله الغد المشكور فهو منتاهب للخروج نحو الكفار لا يسام راية النصب
ولا جهة نشره الرفع ولا حسبه الجر ولا يصغى الى قول خاطر الراحة المعتد لا ينفر وا
فى الحر ولا يجيب دعوة الفراش الممهد ولا يعرج على الظل الممدود ولا ديه الطراف
المدد ولا يعطف على ريحانه فؤاد يفارقه حولا ويلقاه يوما ولا يعيم على رهة ولى
استهل فنى ذكره العظم على راحته قال انى نذرت للرحمن صوما ❀ ومن كتاب
آخر انفذه من نصيبين فى سنه ثمان وسبعين الى بغداد سبيل الخادم ان يبنى ولا يهدم ويوفر
جانبه ولا يثلم وان يفرق بينه وبين من يعكون اعنة الجياد المسومه ولا ينطلقونها ويكرون
الذهب والفضه ولا ينفقونها فقد علم ان الخادم بيوت اموالها فى بيوت رجاله وان
مواطن دولته فى مواقف رجاله ومضارب خيامه الكنه ظلاله وانه لا يدخر من الدنيا

الاسكنة ولا ينال من العيش الا مسكنه وعدو الاسلام شديد على الاسلام كلبه مضطوم على
اهله لهيبه رجل اذا اصغت اسماع النامل نحبه ولو ان احدا من يدعى الملك ببرا او بعيد البلاد
له تراثا دفع الى مدافعه هذا العدو الكافر والى منافره هذا العريق النافر لعرفته الايام ما هو
جاهله ولعلمته الحرب ما هو قائله ولجملته الاحوال ما اعوزه تحته محامله ❀ وفى كتاب
آخر واذا ولاة امير المومنين بعد المرتضى فى وسطه واصبح فى طرفه فاذا سوغه بلدا هجر فى ظل
خيمه ولم يعتمر فى طارقه فاذا بات بات السيف له ضجيعا واذا اصبح اصبح ومعترك القتال
له ربيعا لا كالذين يعتون ابواب الخلافه اعياء لا سنداد ولا يؤامرونها فى تصرفاتهم مؤامرة
الاستبعاد وكان الدنيا لهم اقطاع لا ابداع وكان الامانة لهم تخليد لا تقليد وكان السلاح
عندهم زينه لحامله ولا نشبه وكان مال الخلق عندهم وديعه فلا عدد عندهم لجامعه ولا لحابسه
وكانهم فى البيوت دمى مصوره فى لزوم حدرها لا فى مستحسنات صبورها راضين من الدين
بالعروة اللفظيه ومن اعلا كلمته بما يسمعونه على الدرجات الخشبيه ومن جهاد الخارجين عن الدوله
باستحسان الاخبار المهلبيه ومن قتال الكفار بانه فرض كفايه تقوم به طائفه فيسقط
عن الاخرين فى اخرها ومن طاعة الخلافه بذكر اسمها والخروج عن رسمها فلا يقنعون بانهم
لا يجاهدون الى ان يمنعوا من يجاهد عنهم وشاغر وبانهم لا يساعدون المسلمين الى ان يساعد وا
عليهم عدوهم الكافر فقد بوا الوا الشيطان بلمد او طرنقا ووطئوا الاسلام واهله وطاء
عنيفا فاذا جاء وعد الآخرة جاء الله بهم فى زمرة السلطان لفيفا وقال فى هذا الكتاب
ان المواصله لما فزعوا الى دار الخلافه الا بعد ان فزعوا والا فطال ما طمع اولهم كما طمعوا وقديما
دعوا الى طاعتها فما سمعوا وسمعوا فما انتفعوا حتى ان الاولين منهم علموا اولياء الدولة من
الاتراك ضد ما جبلت خلافتهم عليه من عقوقها وسنوا لهم اضاعة حقوق الله باضاعة حقوقها
فان كان التعلق بالدار العزيزه وهم يحاصرون دار الاسلام باحزابهم ويرامون التاج الرفيع قها
منشابهم ويعدون محاصرتها بالاسلحة والمجنيقات والاوراد والاقامات ويصافون الخلفاء
مصافة المواقف ويكاسفونهم مكاشفة المخالف ويعترون ذرر دار نكرهت وهى من اهون
بلاد الله نحو الجوار ويعلونها نخبا للممالك الخلافه ذوى الاقتدار ولو تحرك اليوم متحرك
لكانوا له كاينه ولكانت بلادهم له خزانه ويرجو الخادم بالموصل ان يكون الموصل الى
القدس وسواحله ومستقر الكفر من القسطنطينيه على بعد مراحله وبلاد الكرج فلوا انهم من اهل العدم

جار الاستباحه الدار وبلادا اولاد عبد المومن فلو ان لها آماء سيف لاطفا ما فيها من النائر
الى ان تعلو كلمه الله العليا وتملا الولايه العباسيه الدنيا وتعود الكنايس مساجد والمذابح المتعبد
معابد والصليب المرفوع حطبا في المواقد والناقوس الصهل اخرس اللهجه في المشاهد وتضيف
الى الديوان بمشيه الله ما جاورها كافه وبلاد اطرافه مثل تكريت ودقوقا والبوازيج وحوزستان
وكيش وعمان والذي وقع اعظم من الذي يتوقع والذي طلع اكثر من الذي يتطلع والذي راى امس
اكثر من الذي يسمع ، قلت يعني ان ما فتحه من البلاد اعظم من هذه التي يرجوها واشار بفعل
اول المواصله الى ما سبق من فعل زنكي في حصار بغداد ومساعدته للسلجوقيه على العاده في
تلك الزمان والله اعلم ، وفي اخر كتاب فاضلي الى حطان بن منقذ باليمن عن السلطان
فتح الله علينا ممالك واصنافها وبلادا آباهها مما اخافها وبلغنا غرايب صنع لا نبلغ اوصافها
منها بلاد الشام باسرها ومملكه حلب بجملتها والمدينه بقطعها وبلاد الجزيره الى دجلتها
فمنها ما اعيد على من اشترط عليه استخدام عسكره في سكارنا ومنها ما استمر في اليد وولايه من اوليانا
وانصارنا ولم يبق في البلاد الاسلاميه الا ما هو في يدنا او يد مطيع لنا كان من شكر من
النعمه ان نصرف القوه وثنى العزمه ونخل الشوكه ونلبس الشكر للفرنج الملاعين فننازلهم ونقارعهم
ونخاصمهم الى الله وننازعهم فنطهر الارض المقدسه من رجسهم يوما بهم الى ان ترق السيوف
للصخره الشريفه لما مر بها من قسوه كفرهم واعتدايهم فنحن نرجو ان نكون من الطايفه من الامه
التي اخبر نبينا صلوات الله عليه انها لا تزال على الحق ظاهره وبثواب الله وعدوه ظافره
والله تعالى يعيننا على ما يعيننا ويلهمنا الاستجابه لدعوته الى ما يحيينا

فصل

في رجوع السلطان الى دمشق وخروجه منها للغزاه لمخاضه الاردن ، رحل السلطان من حلب
فمر على حماه ثم حمص ثم بعلبك ثم دمشق قال ابن شداد لم يقم في حلب الا الى يوم السبت الثاني
والعشرين من ربيع الاخر واشاعوا على الغزاة فخرج في ذلك اليوم الى الوضحي مبرزا نحو
دمشق واستنهض العساكر فخرجوا يتبعونه ثم رحل في الرابع والعشرين منه الى حماه فوصلنا
ثم رحل في تعبيه يومه ولم يزل يواصل بين المنازل حتى دخل دمشق في ثالث جمادى الاولى فاقام
بها متأهبا الى السابع والعشرين منه ثم برز في ذلك اليوم ونزل على جسر الخشب وتبعته
العساكر مبرزه واقام به تسعه ايام ثم رحل في تاسع جمادى الاخره حتى اتى الفوار وعبى فيه للحرب
وسار حتى نزل القصير وبات به واصبح على المخاض وعبر وسار حتى اتى بيسان فوجد اهلها

قد

قد نزحوا عنها وتركوا ما كان من ثقيل الاقمشه والغلال والامتعه بها فنهبها العسكر وغنموا
واحرقوا ما لم يمكن اخذه وسار حتى اتى الجالوت وهي قريه عامره وعندها عين جاريه فخيم بها
وكان قد قدم عز الدين جرديك وجماعه من المماليك النوريه وجاولي مملوك اسد الدين حتى
يكشفوا خبر الفرنج فاتفق انهم صادفوا عسكر الكرك والشوبك سايرين نجده للفرنج فوقع اصحا بنا
عليهم وقتلوا منهم مقتله عظيمه واسروا منهم زهاء ماية نفر وعادوا ولم يفقد من المسلمين سوى
شخص واحد يدعى بهرام الشاووش فوصل اليه في بقيه يوم الكسره وهو العاشر من جمادى الاخره
وفي حادي عشره وصل الخبر الى السلطان ان الفرنج قد اجتمعوا في صفوريه ورحلوا الى الفوله
وهي قريه معروفه وكان غرضه المصاف فلما سمع بذلك تعبى للقتال وسار للقاء العدو فالتقوا
وجرى قتال عظيم وقتل من العدو جماعه وجرح جماعه وهم يحمي بعضهم البعض ويحمي راجلهم فارسهم
ولم يخرجوا للمصاف ولم يزالوا سايرين حتى اتوا العين فنزلوا عليها ونزل السلطان حولهم والقتل
والجرح يعمل فيهم ليخرجوا الى المصاف وهم لا يخرجون لخوفهم من المسلمين فانهم كانوا في كثره عظيمه
فراى السلطان الانزاح عنهم لعلهم يرحلون فيضرب معهم مصاف فرحل نحو الطور سابع عشر
جمادى الاخره فنزل تحت الجبل مترقبا رحيلهم لياخذ منهم فرصه فاصبح الفرنج راجعين على اعقابهم
بالصبح فرحل رحمه الله نحوهم وحرك من رمي النشاب واستنهاضهم للمصاف امورا عظيمه
فلم يخرجوا ولم يزل السلطان حولهم حتى نزلوا الفوله راجعين الى بلادهم وعاد السلطان منصورا
وقد نال منهم قتلا واسرا وخرب عفربلا وبيسان وزرعين وقرى جمله من الغوار
واعطى الناس دستورا فسار من اثر المشيره واتى دمشق يوم الخميس الرابع والعشرين من جمادى الاخره
قال وانظر الى هذه الهمه التي لم يشغلها عن الغزاه اخذ حلب ولا الظفر بها بل كان غرضه رحمه الله
عليه الاستعانه بالبلاد على الجهاد والله يحسن جزاه في الاخره كما وفقه للاعمال المرضيه في الدنيا
وقال العماد خرج السلطان الى الغزو ورابط العدو بعين الجالوت وعبر المخاضه الحسينيه
تاسع جمادى الاخره فوصل الى بيسان وقد اخلاها اهلها فاطلق الناس فيها النيران ونهبوا ما فيها
وكذلك فعلوا بابراج وقلاع عبرنا وصادفت مقدمه العساكر خيلا ورجلا للفرنج قد برزت من
نابلس وتقدمهم ابن هنفري فقتل منهم واسر وتوغل الباقون في الحال ووصل الخبر بان الفرنج
قد احتفلوا في الف وخمسماية رمح ومثله تركبلي وخمسه عشر الف راجل فامام المسلمون وذلك
بعين الجالوت فاخذهم الرعب وخافوا عن الاقدام عليهم فخندقوا حولهم واسندوا ظهورهم

الى الجبل واقاموا كذلك خمسه ايام فلما راى المسلمون منهم ذلك رجعوا عنهم فتنفس خناقهم
ونكصوا على اعقابهم الى الناصره وعاد المسلمون بالغنايم والاسارى لم يخلص العدو منها شيئا
وذلك يوم الخميس سادس عشر جمادى الآخره وقد كانوا امنوا منامهم يتخطفهم المسلمون من كل
جانب ويرمونهم بالنبل ويسطرون ان يحملوا ولا كما هو عادتهم فما فعلوا ❁ ومن كتاب
فاصل عن السلطان الى بغداد لما كان بتاريخ الثامن من جمادى الاولى سار الخادم من ادنى
المنازل من بلاد الاسلام الى بلاد الكفر وقد كملت جنود الاسلام وتعبت مباشره ومباشره
واخذت اهبه وتحدث قضيه وباعوا الله ما اشتراه ومثل لا عنهم ثوابه وكانما نراه
وساروا تحت ليل عجاج ستر السابر تحته سراه واصبح الخادم وابا هم بعون الله في شبيله على
ما الاردن وهو النهر الفاصل بين الاسلام والكفر والمخاضه المضروب منها تسور على تلك
القطر تخاض ذلك البحر وذلك النهر وامدته نطف الحديد فاذا الماء يرمي بالشرر ويقذف
بالجمر وذلك يوم الخميس تاني يوم المسير وهو ماسع النهر ولما جاز المخاضه اخذ البلاد ضرب
المخاض وزلزلت ارضها فهي بالعفود ترض او للقنا منه تراض واخذت رجال الاسلام تنقص
الارض من اطرافها وتقلع قلاع الجبال وتطلب رسمها من اكنافها فاذا البلاد قد انهزم اهلها
فالحقها المسلمون مساكنها في الهزيمه وعولوا بها على سيوف المغاول فاذا هي راحله وكانها
مقيمه وهذه البلاد مدن ما كان عز قبل منها مدينا وعمارات ما كان امل اليها مغصبا
بل طالما كان عنها معصبا مثل بيسان وعفربلا وزرعين وجنين كلها بلاد مشاهيرها
بلاد مغله وبساتين مظله وانهار مغله وقلاع مطله واسوار قد صرحت على جنباتها واحاطت
بجنباتها واحديها المدن سياجا على قصباتها فغنم المسلمون ما فيها من اقوات مخزونه وسقوا
منها حزازات القلوب المصطغنه واحرقوا وعبه كفرها بالنار وعذبوها عذاب اهلها من الكفار
وقلوها وكان الغرام لعادمها وكتبوا عليها الخراب وكان السيف فيها قلما فاحلوا عن جاها
حميما وتساقطت حبه بها وكلما اسارت فيها البوى لمما ولما كان يوم السبت الحادي عشر
ورد الخبر بان عسكر الكافرين قد ركب من مكان مجتمعه وزحف لا نسبه ومدرعه فركب الخادم
بنوى المومنين مواقف القتال ومنازل النزال فمن سرع يطوف عليهم بصفاح لنطاف عليه
بصحاف ومن مثبت يمشي الى الموت مشي العروس الى ليله الزفاف وهناك منظر ود المومنون
لو ان بيرهم له ناظر كما هو به آمن ولا عذر وان تصفه الخادم لغير المخدوم لا لوصف الخادم

دل

ومن وصف ضربه السيف فانما وصف الضارب ولم يصف الصادم ونزل العدو الى الارض
مخطاعن سرجه ومنحازا عن لجته وسالكا نهجا غير نهجه واحدق به راجله وهو زهاء
عشرين الف راجل وركز صليب صلبوته فاستوى في العرالمجهول والكاهل ونزل محصورا
وحدق وكانما اصبح الكافر في حفر ذلك الخندق مقبورا واقام بازايه خمسه ايام
تماشيه الوقايع وتصاحبه وتماشيه الروايع وتصالحه وتفرع فيه الى الحتير وتبكر اليه
في اليوم الواحد النفير ويبعث اليه السهم وهو في الحرب السعير فيقتل تحته الضرب من دده
ولا يردها ويبتسم اليه طعنه النصل متوددة فلا يودها ويجتهد في استخراجه وقد راى
العزايم ولم يخرج لدعوتها والمكادم ولم يرحل لبغيتها ❁ ومن كتاب اخر الى الوزير
ببغداد اما رواغل يوم الكفر ليله عجاج جعلت ليل من وراهم من الاسلام سكنا وصبروا
وصابروا وكانما كان السيف لهم البقا وكان المعترك لهم وطنا واخذت في البلاد الناديا
خدما
وتعدت فيها الغيرنا فدها وبلت عروشها وبلت عروشها وحلت في مصنعات النيران
عروشها واصبحت ساحي العيون نواكلها ونصف النوازل ما نزلها دنا على الاطلال بطلوبه
وصرعى بسيوف البلا مقتوله وجا العدو فاحدقت به الابطال وتخرقت عادة حملة فمطلت
نهم
وكان خلقها المطال فلما كثر الله المسلمين في عيونهم وراوا بها ما لم يكونوا يرونه قبلها ظنوا
واستمدوا معاني الشكوى لسوح بها السنتهم داخلوا الى شياطينهم واخلدوا الى الارض نازلين
وقعدوا عن الحمله باكلين وانبق فارسهم راجله وراجلهم نابله ولا ذ سيفهم بخبثه ولا خير
في حامله ولاذ حقيقه باطرافه خوفا من لحله نبههم قاتله واقاموا محصورين لا يستطيعون
وردا ولا صدرا ولا يجدون مسعد دا ولا ناصرا فما كان للكفر فئه ينصرونه من دون الله
وما كان منتصرا وعرف البطل في الحز السيف ان الشجاعه والنكول امران ينفذ فيهما الله في القلوب
فلا يفعل الناس ليف **فصل** في ولاية الملك العادل حلب وولاية تقي الدين مصر
وغير ذلك قال العماد وقد كان العادل بالشام بمصر فلما فتح السلطان حلب كتب العادل اليه
يطلبها منه مع اعمالها ويدع الديار المصريه فكتب السلطان اليه ان توافيه الى الكرك فانه سائر
الى فتحه فاشار القاضي الفاضل على السلطان ان يستنيب في الديار المصريه موضع اخيه العادل
ابن اخيه تقي الدين فاستصحبه السلطان معه الى الكرك في رجب من هذه السنه وجاز في طريقه
قبل الوصول اليها غنايم وخيم على الربه ثم حصر الكرك ورماه بالمجانيق صباحا ومساء ونا و ب

عليه الامر حتى خرج شهر رجب وما حصل منه الطلب لكن عظمت الشكاية في الكفار واخذ
اموالهم وخرب الديار ووصل الخبر ان الفرنج قد اجتمعوا وتجمعوا بالموضع المعروف
بالواله على قصد المسلمين وخلاص الكرك من ايديهم وراى السلطان ان امر حصره يطول فعول
على الرحيل الى دمشق ووصل العادل الى السلطان وهو بعد على الكرك محمد تقي الدين الى الديار
المصريه والبا عليها وقوى عضده بصحبة القاضي الفاضل له وتولى العادل حلب واعمالها
ومنبج وجميع قلاعها وسار اليها في رمضان ورجع منها الى دمشق الملك الظاهر ونواب
السلطان ، قلت وكتب العادل الى الفاضل يستشيره في العوض عن مصر بحلب وكتب اليه
الفاضل كتابا فيه ، انما انت كعين ناظر حيثما صرفه الله انصرف ،
والمولى اعلم وبسياسة الديار اقوم وقد كرر الكتاب الناصري اليه بما نص عليه وكشف له الغطا
وسنى له العطا وقال له المخطوبه هيت لك وادى اليه ما لك الامر ما ملك فلا زالت سعادته
انور من شمس وادوم من فلك ولا زال راجحا على الدهر ان امر وحضر وباقيا ان امر وملك
ومن كتاب اخر اليه ادام الله دولة حامي الحمى وسنا الدولة الناصريه الذي يقوم بها ملكان
هماما هما هذا اصلاح يمنع فسادا وهذا سيف يحقن دما ، قال ابن ابي طي كان السلطان
يعظم الملك العادل ويعمل برايه في جميع اموره ويسمر بمشورته ولا يعلم انه اشار على السلطان
بامر فخالفه ، حدثني قاضي اليمن جمال الدين قال كان السلطان يجمع الامرا للمشورة فان
كان العادل حاضرا سمع من رايه وان لم يكن حاضرا لم يقطع امرا في المهمات حتى يكاتبه بجلية
الاحوال ثم يسمع رايه فيها قال وحدثني ابي حدثني جماعة قالوا كان السلطان ليس له غنا
عن العادل ولا عن رايه فلما حصل العادل في الديار المصريه وبعد عن السلطان هناك
صار السلطان يكلف في مكاتبته بالاخبار ويوخر الامور الى ان يرد عليه جوابه فيفوته بذلك
كثير من المنافع الحاصلة للدولة وللجهاد فلما حضر الكرك في هذه السنه كاتبه بالحضور اليه
بعياله واموالهو جميع اصحابه وولى مصر تقي الدين ولما حصل العادل عند السلطان وقع
في نفسه ان يعوضه عن ولاية مصر بما هو خارج عن ولاية توليه قال وحدثني علم الدين قيصر
القلاحي قال لما اقدم السلطان العادل من مصر لاجل ولاية حلب وبذلك كاتبه ولهذا اخرج
العادل باموالهو عياله واثقاله قال وحدثني غيره قال لما حصل العادل عند السلطان باموالهو
واثقاله كانت الاموال قد قلت على السلطان وقد حصل عنده عساكر عظيمه فاحضر العادل اليه

وقال

وقال اريد ان تقرضني مايه وخمسين الف دينار الى الميسور فقال السمع والطاعه ثم قام وخرج من
عنده وكتب اليه يقول اموالي جميعها بين يديك وانا مملوكك واشتهي ان احمل هذا المال
الى خزانة السلطان ويجعل عوضا عنه مدينة حلب وقلعتها فاجابه السلطان انني والله
ما افدنك الا وليك حلب واذا قد فرحت ذلك فقد وافق ما اشتهي فلما اصبح العادل
انفذ وسال السلطان ان يكتب له بمدينة حلب كتابا ويجعله ككتاب البيع والشرا فامتنع
السلطان وقال انما تكون حلب اقطاعا والمال علي لك فاعتذر العادل الى السلطان
ولما احتجا قال له السلطان اظننت ان البلاد تباع اوما علمت ان البلاد لاهلها المرابطين بها
ونحن خزنه للمسلمين ورعاة للدين وحراس لاموالهم اوما علمت ان السلطان ملكشاه السلجوقي
لما وقف طربه على جامع خراسان لم يحكم به احد من القضاه ولا من الفقها ، ثم قرر السلطان
ولاية العادل حلب واعمالها الى دعان الى الفرات الى حماه وكتب له التوقيع وقرر عليه ما لاجله
برسم البرددخاناه وخزانة الجهاد ورجاله من الحلبيين ورحل السلطان الى دمشق واستدعى
ولده الظاهر من حلب فلما حضر امره بالعود الى حلب وتسليمها الى عمه العادل ففعل وعاد
الى دمشق وسار العادل الى حلب فالتقيا بالرستن وباتا فيه وكانت مدة ولاية الظاهر حلب
في هذه النوبه نحو سنه اشهر ولما وصل الظاهر الى دمشق اقبل على خدمة والده والتقرب اليه
الا انه انكسر لخروج حلب من يده ظاهر عليه وهو مع ذلك لا يظهر شيئا الا الطاعة لوالده
والانقياد الى مرضاته وقال حدثني ابي عن مجد الدين ابن الخشاب قال حدثني الملك
الظاهر قال لما بلغني ان السلطان اعطى حلب للملك العادل جرى علي ما قدر وما حدث
واصابني من الهم ما لم اقدر على النهوض به وودت اني لم اكن رايتها ولا دخلت اليها
لان قلبي احبها وقبلها وطاب لي هواوها ولما فارقتها كنت احن اليها واشتاقها قال ودخل
العادل حلب في رمضان وخلع على المقدمين والاعيان وكان قدم بين يديه كاتبه المعروف
بالصنيعه ليتسلم حلب وقلعتها من الملك الظاهر وولى القلعه صارم الدين بزغش وولي
الديوان والاقطاعات شجاع الدين ابن البيضاوي صاحب دقنه وولى الانشا والاستيفا وما
يعود الى النظر للصنيعه ابن النحال وكان نصرانيا ثم اسلم على يد العادل فولى ابن النحال الكاتب من
النصارى وفي ذلك يقول الشاعر ، فاق ابن المسيح في دولة العادل حتى علا على الاديان
ذا امير وذا وزير وذا وال وذا مشرف على الديوان

قال ولم يزل الملك العادل يهذب امور حلب الى سادس عشري ذي القعدة ثم خرج متوجها
الى دمشق وسببه ان السلطان اجتمع عنده في ذي القعدة عدة رسل منهم رسل الخليفة ورسل طغرل
ابن البهلوان ورسل قزل اخي البهلوان ورسل شاه ارمن صاحب خلاط ورسل المواصلة
ورسل عماد الدين صاحب سنجار ورسل قلج ارسلان صاحب الشمال فاراد السلطان احضار
العادل لسماع الرسائل وسماع ما عنده في الاجوبة ولما قضى اجوبة الرسل ودع السلطان
وعاد الى حلب قال ولما بلغ سيف الاسلام ان السلطان كتب لتقي الدين عهدا بولاية
مصر لاجل ذلك فكتب السلطان له عهدا ببلاد اليمن جميعها قال واقطع السلطان تقي الدين
الاسكندرية ودمياط وجعل خاصة البحيرة والفيوم وبوش ثم عوضه عن بوش بسمنود
وحوف رمسيس وذكر غير ذلك وقال العماد انعم السلطان على تقي الدين بالاعمال
الفيومية وساير نواحيها بجميع حدودها وحواليها وزاده القايات وبوش واتفق عليه بالبلاد
الشامية مدينة حماه وقلعتها وجميع اعمالها ولما وصل تقي الدين الى مصر اعتضد بالقاضي الفاضل
وكان السلطان لا يؤثر مفارقته فلما لم يجد من توجه تقي الدين الى مصر بدا وكانت فيه حدة
لم تكن في العادل احتاج في تقويمه الى تدبير الاجل الفاضل قال ابن شداد وقتل على
الحركة في هذه الكرة سرف الدين برعش النوري شهيدا رحمه الله ثم رحل السلطان عنها مستصحبا
اخاه العادل الى دمشق فدخل دمشق في رابع عشري شعبان واعطى العادل حلب في ثاني
شهر رمضان قال وفي ذلك اليوم نحو حلب فوصلها وصعد القلعة في يوم الجمعة الثاني
والعشرين من رمضان وكان بها ولد السلطان الملك الظاهر ومعه سيف الدين يازكوج
يدبر امره وانه العمدة في البلد وكان الظاهر من احب اولاده الى قلبه لما قد خصه الله به من
النباهة والفطنة والعقل وحسن السمت والشغف بالملك وظهور ذلك عليه وكان ابر
الناس بالوالد واطوعهم له ولكن اخذت حلب لمصلحة راها فخرج من حلب لما دخلها عمه العادل
هو ويازكوج سايرين الى خدمة السلطان فدخل دمشق يوم الاثنين ثامن عشري شوال
فاقام في خدمة والده لا يظهر له الا الطاعة والانقياد مع انكسار في باطنه لا يخفى
عن نظر والده قال وفي ذلك الشهر وردا على السلطان رسلا من جانب الموصل وكان قد ارسلنا
الى الخليفة الناصر لدين الله في انفاذ شيخ الشيوخ صدر الدين رسولا وشفيعا الى السلطان
فسيره عندنا من بغداد وكان عزيز المروءة عظيم الحرمة في دولة الخليفة وفي ساير البلاد

وكانت

وكانت مكانته عند السلطان حين يتردد اليه اذا كان عنده في معظم الايام قال وكان الشيخ
قد وصل الى الموصل وسار منها بعد ان سار في صحبته القاضي محي الدين ابن كمال الدين
وكان بينهما صحبة من الصبا وكنت مع القوم وسرنا حتى اتينا دمشق وخرج السلطان الى لقاء
الشيخ ونحن في خدمته واقمنا اياما نراجع في فصل حال فلم يتفق صلح في تلك الدفعة
وخرجنا راجعين الى الموصل وخرج السلطان الى وداع الشيخ الى القصير واجتهد وا
في ذلك اليوم ان ينقضي شغل فلم يتفق وكان الوقوف من جانب محي الدين فان السلطان اشترط
ان يكون صاحب اربل والجزيرة على خيرتهما في الانتماء اليه او الى صاحب الموصل فقال محي الدين
لا بد من ذكرهما في النسخة فوقف الحال وكان مسيرنا يوم الخميس سابع ذي الحجة قال
وفي تلك الدفعة عرض على السلطان مواضع انهاء الدمشقي بمصر على لسان الشيخ فاعتذرت
ولم افعل خوفا من ان يحال توقف الحال علي ومن تلك الدفعة تمكن في نفسه الشريفة
مني امر لم اعرفه الا بعد خدمتي له واقام السلطان بدمشق تتردد عليه الرسل من الجوانب فوصله
رسول سنجرشاه صاحب الجزيرة فاستحلفه لنفسه والتمي اليه ورسل اربل وحلفهم
وساروا ووصل اليه اخوه العادل يوم الاثنين رابع ذي الحجة فاقام عنده وعيد
وعاد الى حلب قال العماد وصلت رسل صاحب الجزيرة معز الدين سنجرشاه ابن سيف الدين
غازي بن قطب الدين مودود بن زنكي ورسل صاحب اربل زين الدين يوسف بن علي كوجك
ابن بكتكين ورسل صاحبي الحديثة وتكريت يشكون من صاحب الموصل ويطلبون ان يكونوا من
اولياء السلطان المنتمين اليه ففعل السلطان ذلك وكان ابو سنجرشاه بها يعلقه عليها
عمه عز الدين مسعود بن مودود فبقيت الجزيرة بيد سنجرشاه وهو من تحت يد عمه وفي قلبه منه
ما فيه وكانت اربل واعمالها وما يليها كلها مضافة الى الموصل وصاحب الموصل هو الحاكم
على جميعها فلما طلب هؤلاء الانحياز الى خدمة السلطان فاجابهم وشق بذلك صاحب
الموصل فاستشفع بدار الخلافة الى ان ارسل منها شيخ الشيوخ وشهاب الدين بشير الى السلطان
ان يجدد لصاحب الموصل الايمان ويكون له من جملة الاعوان حربا لمن حاربه سلما لمن سالمه
وجاء رسول صاحب الموصل قاضي القضاة محي الدين ابو حامد محمد بن قاضي القضاة كمال الدين
محمد بن عبد الله ابن الشهرزوري ووقع في اداء الرسالة واغلظ في الكلام فلان له
السلطان وقال انا اقضي حاجته على ما اراد ولكن قد سبق مني يمين وليكن الان لا ضير فانا

استنهم وادّهم الى اختيارهم لي اوله فأبى ذلك وأراد أن يكون الصداقه له دون سائر ذوي
الممالك واشار الى ان طمعهم من نصرهم من جهة البهلوان ملك العجم فعظم ذلك على السلطان
وكان ذلك محركا له الى ان يعود الى الموصل ورجعت الرسل على ذلك غيظا فذين طايل
وكان منزل شيخ الشيوخ بالرباط على المنبع ومنزل القاضي محي الدين في جوسق بستان
الخلخال وشهاب الدين بشير بجوسق الميدان وتوفي ولد شيخ الشيوخ بدمشق وكان في
صحبته فدفنه في المقبره المحاذية للرباط وحضر عنده السلطان وجماعة الامرا للعزا
فصل في باقي حوادث هذه السنه قال العماد وكانت شتوة هذه السنه كثيرة
الامطار وكثرت مكاتبات العماد للفاضل واورد في بعضها ابياتا منها
عذر الزمان باي وجه يقبل ومحكم بالصد فيه يعقل مالي ستوى انسان عيني مسعدا بالدمع انسان عليه اعول
الدهر ليل كله في ناظري لا صبح الا وجهك المتهلل خيرتم بين المنية والنوى لا تحجروا فالموت عندي اسهل
يا ماسين وهم تعلكوا عتب بارا حلين وهم تعلبني نزل مال للسلو الى فوادي منهج ما للصبابة غير قلبي منهل
لا تعدلوا عني مالي معدل عنكم فليس سواكم لي موئل كل الخطوب دعنه يجلدي الا التفرق فهو خطب معضل
ان لم يجدني طيفكم في زوره فلانني منه اذق واعجل لا صبر الا قلب لي لا عمض لا علم لي بالنوم اذا افعل
قال ابن الاثير في جمادى الاولى من سنه تسع وسبعين قبض عز الدين اتابك على مجاهد الدين
قايماز وهو حسين نايبه في بلاده واتبع في ذلك هوى من اراد المصلحة لنفسه ولم ينظر في
مصلحة صاحبه وكان الذي اشار به عز الدين محمود زلفندار وشرف الدين احمد بن الخير الذي
كان ابوه صاحب بلد العراق وهما من اكابر الامرا فلما قبضه كان بيده اربل وشهرزور
ودقوقا وجزيرة ابن عمر وكان لصاحبها معز الدين سنجرشاه بن سيف الدين صغيرا والحكم فيها
الى مجاهد الدين وله ايضا قلعة العقر وحين قبض امتنع زين الدين يوسف بن زين الدين علي باربل
وكان فيها لا حكم له مع مجاهد الدين وامتنع معز الدين بالجزيرة وارسل الخليفة الناصر لدين الله
عسكرا فحصر دقوقا وملكها ولم يحصل لعز الدين من جميع ما كان لمجاهد الدين الا شهرزور وصارت
هذه البلاد التي كانت بيده اضر شي على الموصل وبقي مسوصا فاخرجه واعاده الى ولايته
قلعة الموصل الا ان الذي اخذ من البلاد لم تعد الى طاعته وقبض عز الدين على من كان اشار عليه بقبض
مجاهد الدين قال ابن الاثير وعلى الحقيقة فليس في الدول شي اضر من ازالة مدبرها واقامة
غيره فان الاول يكون كالطبيب الحاذق بمزاج الانسان ومرضه وعلاجه وما يوافقه ويؤذيه ويكون

الثاني

الثاني وان كان كافيا بمنزلة الطبيب الذي لا يعرف مزاج الانسان وما يوافقه ويؤذيه فالى ان
يعرف خاله يفسد اكثر مما يصلح قال محمد بن القادسي وفي هذه السنه في جمادى الاخرة توفي
الابله الشاعر وهو من اسماء الاضداد واسمه ابو عبد الله محمد بن بختيار بن عبد الله وكان فصيحا
هجاء وله اشعار رقيقة منها زار من احيا بزورته والدجى في لون طرته
يا لها من زورة قصرت فاماتت طول جفوته ثم دخلت سنة ثمانين قال العماد وقد نقوض
البرد فلما طاب الزمان نهض السلطان بالعساكر المنصورة الى الكرك مرة اخرى وارسل الى تقي الدين
فجا بالعساكر المصرية والاجل الفاضل وتتابعت العساكر الشرقية والملك العادل وجا نور الدين
ابن قرا ارسلان صاحب الحصن وآمد وصاحب دارا واخو صاحب سنجار وعسكر ماردين واجتمعت
العساكر براس الما وتحوزوا الى حسن العود وامر العادل بالاقامة معه قال ابن شداد سير السلطان
الى العساكر يطلبها فوصل ابن قرا ارسلان نور الدين الى حلب ثاني عشر صفر فاكرمه الملك العادل
اكراما عظيما واصعده القلعه وباسطه ورحل معه طالبا دمشق وكان السلطان قد مرض اياما
ثم شفاه الله تعالى ولما بلغه وصول ابن قرا ارسلان خرج الى لقايه وكان رحمه الله يكارم الناس
مكارمة عظيمه والتقاه تحت الجسر بالبقاع في تاسع ربيع الاول ثم عاد الى دمشق وخلف نور الدين
واصلا مع العادل فذاهب للغزاه وخرج مبرزا الى الجسر الخشب ووصل العادل ولقي قرا ارسلان
دمشق واقاموا بها اياما ثم رحلوا ليلحقوا السلطان ودخل السلطان من راس الما في ربيع
الآخر طالبا للكرك فاقام مرتبا لها اياما ينتظر وصول الملك المظفر من مصر الى رابع عشر
الشهر فوصل تقي الدين واجتمع به ومعه بيت العادل وخزانته فسيرهم اليه وتقدم اليه
والى بقية العساكر بالوصول اليه الى الكرك فتتابعت العساكر الخوصة حتى احدقوا بالكرك
في رابع عشر جمادى الاولى وركب المجانيق عليه وقد التفت العساكر المصرية والشامية والجزرية
ولما بلغ الفرنج ذلك خرجوا براجلهم وفارسهم الى الذب عن الكرك وكان فيه على المسلمين
ضرر عظيم فانه كان يقطع عن قصد مصر ويسر الله ذلك وله الحمد والمنة وكر كان فتحها
بعد ذلك ولما بلغ السلطان خبر خروج الفرنج تعبى للقتال ولعب العساكر وخرج الى ظاهر
الكرك وسير الثقل نحو البلاد وبقي العسكر جريدة ثم سار السلطان يقصد العدو وكان
الفرنج قد نزلوا بموضع يقال له الواله وسار حتى نزل بالبلقا على قرية يقال لها حسبان
قبالة الفرنج في طريقهم ورحل منها الى موضع يقال له ماعين والفرنج مقيمون بالواله الى

[illegible] ان يشتغل السلطان بقتال الفرنج [illegible] فانه [illegible]

السادس والعشرين من جمادى الآخرة ثم رحلوا قاصدين الكرك وسار بعض العسكر وزاد بهم فقاتلوهم
إلى آخر النهار ولما رأى رحمه الله تصميم الفرنج على الكرك أمر العسكر أن يدخل الساحل لتخلو
عن العساكر فهجموا نابلس ونهبوها وغنموا أموالها ولم يبق فيها إلا حصنها وأخذوا جنين
ولحقوا بالسلطان برأس الماء ❁ قلت وقد وصف القاضي الفاضل حصن الكرك في بعض كتبه
فقال هو شجا في الحناجر وقذى في المحاجر قد أخذ من الآمال بمخنقها وقعد بأرصاد العزائم
وطرقها وصار ذئبا للدهر في ذلك الفج وعذرا للناكل فرضه الله من الحج وهو وحصن الشوبك
يسر الله الآخر كتب الواصف للأسدين ما من يوم إلا وعندهما هجم رجال أو ولغان دما وفي
كتاب آخر وأما الكرك فكان المنجنيقان عليه متضافرة ومجانيقها على من فيه حاجرة وقد جلت
أبوا الأبرجة واسلبت قناع الستائر وجوهها المتبرجة وكل جوانبها وعرة المرتقى صعبة المتخطى
والسلطان يستعذب المشقات التي يستفاد منها الهمم ويباشر جمرات السنا الكالح بذلك الوجه
المبتسم ❁ ومن كتاب آخر وقد جمعت الحجارة في الإسقاط بين رؤوس الأبراج ورؤوس الأعلاج
فرمت الكراديس والواقفين عليها لحمايتها وأذن الفرنج بإهلاكها إلى ذا كما ثمانية غواربها
فما أخرج أحد منهم رأسا إلا دخل في عينه نصل وما هجم قراب الإسلام سيف الدولة مع رقاب
الكفر عند قطعها وصل وما على الجرب في الأشراف والبدر حجره ولكل ليلة من نقع الحوافر من
سنا الأسنة فجر ولقد أخذ على العدو بالمخنق وشرعنا في طم الخندق والحائط واقع والواقعة
بهم محيطة والدروع بالسيوف مفصلة وبالجروح محيطة ❁ ومن كتاب آخر عذاب الله بالحصن
وأهله واقع ما له من دافع وإن دليل النصر قد ظهر وما دونه من مانع وأما المنجنيقات فقد نكأت
في الأبراج بالهدم وفي الأعلاج بالهتك فلم يبق لها الحجارة الطائرة إليها حجارة قائمة وإن لها
من إبطالها عليها ليلا ونهارا دائمة وأطبقنا عليها بالزحوف زحفا وقعقعنا الأسوار
من شكرها وضربنا دونها الستائر حتى ترنمت لضربها ونماطتها كف المجانيق عقار عقرها فالسور
المقابل للمنجنيقات قد انهدمت أبراجه وأبدانه وانهدت قواعده وأركانه ولولا الخندق
الذي هو واد من الأودية واسع عميق لما تعذر إلى الزحف إليهم والهجم عليهم طريق ❁ ومن كتاب
آخر الحصن الذي نحن حاضروه وحاصروه في حصانة الحصانة فقد هدمت الحجارة منه ما أحكموه
بالحجارة وعمدا عليه بالتخريب ما أعدوه للعمارة وفي المنجنيقات ترمي ولا ترمي سهامها وتستدم
من أعداء الله وتعطلهم بالقتل والهدم انتقامها فما قابل المنجنيقات من الأبراج والأبدان

قد أتى التخريب على ما فيه من العمران فلم يبق إلا طم الخندق والأخذ بمخنق العدو والقلوب واثقة
بحصول الفتح وقد علم كل واحد منها أن متجره قد فاز بالربح فما يسمع من أحد منا بحمد الله ملل
ولا ضجر ولا يسفر هذه النوبة إن شاء الله تعالى إلا عن نصر وظفر ❁ قال العماد ورحل السلطان ن
من رأس الماء على طريق الطفيل والزرقا وعمان والبلقاء ثم الرقيم وزيزا والمشقوب واللجون
ثم أدركنا الربه وذلك في ملداب فلما لاحقت العساكر نزل على وادي الكرك ونصب عليها
تسعة مجانيق صفا قدام الباب فهدمت السور المقابل لها ولم يبق مانع إلا الخندق الواسع
العميق وهو من الأودية الهائلة والمهاوي الهائلة والمهالك الغائرة للغائلة ولم يكن في الرأي إلا
طمه وملؤه بكل ممكن من ردمه فعسر ذلك من الأمور الصعاب وتعذر من دونه الأرض وتحرها احتفر
الأسباب فأمر السلطان بضرب اللبن وجمع الأخشاب وبناء الحيطان المقابلة من الربض إلى
الخندق وتسقيفها وتلبيس ستائرها ونواليها فتمت دروبا واسعة لا يزحم فيها الجائي الذاهب
وتوافدت رجالا إلى العسكر وأتباعه وغلمانه وأشياعه على نقل ما يرمى في الخندق وهان طم
الخندق بالدبابات التي قدمت والأسراب التي بنيت وأحكمت فوصل الناس إلى الخندق طريقا
مهيعا فهم يزدحمون آمنين من الجراح عاملين بانشراح والناس تحت القلعة على شفير الخندق
لا يستشعرون حذرا ولا يخشون سهما ولا حجرا وقد امتلأ الخندق حتى أن أسيرا مقيدا
رمى بنفسه من السور إليه ونجا بعدما توالى من الفرنج رمي الحجارة عليه ❁ وفي بعض الكتب
العمادية ولولا الخندق المانع من الإرادة وأنه ليس من الخنادق المعتادة بل هو واد من الأودية
واسع الأفنية لسهل المشرع وعجم الموضع فلم يبق إلا التدبير في طم الخندق والأخذ بعد ذلك من
العدو بالمخنق فعملنا دبابات قدمناها وبنينا إلى شفير الخندق ثلاثة أسراب باللبن سقفناها
وأحكمناها فصارت منها إلى طرف الخندق طرق آمنة وشرع الناس في طم الخندق منها ونفوسهم
مطمئنة وقلوبهم ساكنة وكان الشروع فيه يوم الخميس سابع جمادى الأولى وقد تسنى طمه وتهيأ
ردمه وتسارع الناس إليه وازدحموا عليه ولم يبق صغير ولا كبير إلا وهو مستبشر بالعمل
منشط للبشرى بنجح الأمل وقد تجاسروا حتى ازدحموا تحت القلعة بها إذا كان زحامهم في المصلى
يوم العيد ولكن حضورهم في جامع دمشق ليلة النصف السعيد وهم بحمد الله من الجراح سالمون
وبنصر الله موقنون عالمون وأن إبطاء العدو عن النجدة فالنصر سريع والحصن ومن فيه صريع قد
حرقت الحجارة حجابه وقطعت بهم أسبابه وناولته من الأجل كتابه وحرقت لثام سوره وحطت نقا
به

فاباق الابراج مجدوعه وثنايا الرقاب مقلوعه ودور الابدان مجزوزه وحروف العوامل
مهموزه وبطون السقوف منقوره واعضاء الاساقف معقوره ووجوه الجدر مسلوخه وجلود
النواشير مبشوره والنقر اشهر من نار على علم والجرب اقوم من ساق على قدم واشرف السلطان
على اخذها فوصل الخبر ان الفرنج قد تجمعوا وجاوا مستنجدين لاهل الكرك لين حجوم عن حصادها
سنى السلطان عنان العزم اليهم وكانوا في منزلة الواله وتلك المواضع ضيقة صعبة المسلك
فانتظر السلطان ان يخرجوا الى ارض الملقى وتقدم بخيلهم بامثال فرجعوا وتفرقوا ولم يقدموا
وعلى قصد الكرك عزموا ولما راى السلطان ان الفرصة من العشير فاتت مر على نابلس فغار وغنم
وفي طريق عوده نزل على سبسطية وبها مشهد زكريا عليه السلام وقد اتخذه الفرنج كنيسة واودعوها
امتعة نفيسة وبها من الفرنج سكان واقساء ورهبان ففدوها باسارى مسلمين ولاذوا
بالامان معتصمين ثم اناخ على حصن فاهبطوا اوجها وهدم برجها وان بالنهب والسبايا والمرباع
والصفايا واجتمع باصحابه على الغوار وتحدث بالاعجاد بحوادث الاغوار **فصل** ثم
رحل السلطان الى دمشق للاجتماع برسل الخلافة شيخ الشيوخ وبشير وكانوا وصلوا والسلطان
محاصر الكرك فاجتمع بهم واكرمهم وكانوا قد مرضوا ومات جماعة من اصحابهم وكان السلطان
شيخ الشيوخ كل يوم وليلة في الرباط بالمنيع واستاذنوا في العود قبل الشتاء فضاقت الصدور
بصدر ذلك الصدر على تلك الحالة وعجزت تلك العثرة كما شاء الله عن الاقالة ثم استقل مودعا
وداع الابد وكان حسام الدين طمان مقدم عسكر سنجار مع السلطان حاضرا في الجهاد فاذن له
في العود وامره بمرافقة صدر الدين والرسل معه والرفق بهم في مسيرهم فساروا على سمت الرحبة
فاعتبر الامير طمان بركة تلك الصحبة فادركت المنية الامير شهاب الدين بشيرا بالسخنة ووصلوا
لشيخ الشيوخ الرحبة وهناك لقي ربه .. ولقد توفاه الله على الوفاء بعهده والوفاق لعقده
مشيمة الكرم كريم الشيم صالح العمل ناجح الامل مفارقا للدنيا في حياته مقبلا على الاخرة قبل وفاته
تمنوس نعته تربة الملايكه ووضعته في عليين الارايك وكانت وفاته في شعبان بواه
الله الجنان . قلت كان صدر الدين هو احد السادة وابوه وجده من اكابر الاعيان وشيوخ
مشايخ الزمان وهو عبد الرحيم بن اسماعيل بن ابي سعد احمد بن محمد النيسابوري وقد ذكرت
ترجمة والده في تاريخ دمشق والحقتها من اخبار جده مما ذكره ابو سعد السمعاني في تاريخه . وقال
ابن القادسي توفي صدر الدين في رجب برحبة مالك بن طوق ودفن في قبة ابي حنيف قبر الشيخ موفق الدين

محمد بن المشقه الرحبي وكان مولده في ذي الحجة سنة ثمان وخمسمائة وكان شيخا مالكا لاسباب العلم
والدين والسداد ثابت الجنان في الحوادث المزعجة والوقايع الباعثة المقلقة سديد البديهة
صافي الفكرة وجمع بين نظم الشعر ونثر الترسل وكان يرسله الى الاطراف وترتب في مشيخة
الشيوخ منذ توفي والده في جمادى الاولى سنة احدى واربعين وخمسمائة ولم يزل على ذلك
الى ان توفي وتولى بعده مشيخة الرباط صفي الدين اسمعيل **ومن شعره يعني صدر الدين**
ولم اخضب مشيبي وهو زين لاثاري حبها لان التصابي . ولكن كي تراني من اعادي فارهب بوثبات الشباب
ب
قلت ووقفت على كتاب فاضل اليه جوابا عن كتاب كتبه فيه وقفت على الحجة الطيبة والكرامة
الصبية والالفاظ العذاب لا انها العصاب والنعم الا انها العذاب والمسامحة الا انها الحساب
والمتشابهات اللواتي ولها احسن تاويلها والمحكمات اللواتي هن ام الكتاب ويكفي انه سرح
الصاب بعسله وادعف قلبه بما لا يرعف السماع من ابو واسله وهذا باب قد ان سده وسبيل
قد وجب صده وعين دهر اصابت هذه المودة وقد ان لها ان تطرف وتنصرف وبادرة
وهم قد حان ان تنكشف وتنكشف فلا نظر بعدها للعين الى اصابت ولا خطران في
اثرها للخطرة التي رابت ولا كان الايام في فصل ستبدا على عبده نصيب ولا غدا ابدا على شباب
الرضى عنده مشيب ولا تمكن من حبيب رده الى القلب رقيب ولا ملاك رقة غير تلك اليد الكريمة
ولا سمعت حدث الحوادث تلك المودة القديمة .. قال العماد وخرجنا من دمشق في شعبان
وخيمنا على سعسع ودعا تقي الدين فامره ان يرجع بالعسكر الى مصر فسار في منتصف الشهر ثم
رجعنا من فرض الجهاد الى فرض الصيام بدمشق ورجع كل عسكر الى مركزه **ومدح العماد تقي الدين**
في هذه الكرة بقصيدة ثائية مخرجة وثمانين بيتا اولها
بن

اذا شيما عن عبرتي تحدثا فما حل فيه الهم الا ليلبثا ... خذا شاهدي صدقي على صحة الهوى ضنى شاكيا مني ودمعا محدثا
مريض كما اسفي على الناس سقمه فلا تعجلا في امره وتريثا ... رثا لي عدوي من جفا الحبيب وما هكذا من حال عدوي لها رثا
رثا قديما ومحدثا
عهودكم بعد النوى ما تشعثت وحاشى لذاك العهد ان يتشعثا ... واسالك بالملك المظفر طائرا من الجد والجدوى
مخوف الشطى صعب الا باحسن السام رحي الندى سهل الرضى طيب الثنا ... صفا اخر العمرين من عسر الذي به العمر
ان اليوم في العدل ثلثا
سم احدثوا انقع الضلالة بالهدى ومد الكرام تلوح في الدين محدثا عثاي وعني ابن حامل بقصه مضك ان الحجر يحمل العثا
ومنها في وصف القصيدة وقد انتهت والشاعر مرتقى فلا فرق عندي بين راء وثاء

فصل يحتوي على ذكر المفاضلة من مصر والشام والتعريف بحال زين الدين الواعظ
الذي كان صلاح الدين يكاتبه بوقايعه وهو الذي نم على عماره واصحابه بما كانوا عزموا
عليه من قلب الدولة الناصرية بمصر كما سبق وسبب ذكره هنا انه هو الذي شرع في تفضيل
مصر بكتاب كتبه الى السلطان في هذا العام وقد تقدم للقاضي الفاضل كلام في تفضيل
مصر وذم الشام في اول اخبار سنة اربع وسبعين وله من كتاب آخر ما دعونا من بعلبك
البلد الاعز ومن راس عينها الضيقة المحجر ومن ثلجها الذي يعض الجبال بعضه ومن بردها
الذي لا يسمع الجمر عنده الا بادنه وعودوا الى ما ارغتم فيه ومساكنكم فانه قد علتها وحشة
لعطنها وسالت مطالع دموعها عن اقمار سلاطينها واذكروا النيل الذي وفي لكم في هذه
السنة معضه والى ان يكون ما اوه ذخيره لغير جودكم الذي احصاه الله ولم يحصه فاذكروا
فرطها وما طونها فقد كان تقيم الحجة على شم الشام ووخمه ويتغلغل برده فيسري الى
قلب العليل وكانه حاد على غير طريقه واذكروا صحة هوائها وبعصته لا يامكم حتى انعم
الله عليكم قبل صحة اجسامنا بصحة احسابكم ، ومن كتاب آخر ولما اخوا الى فاني
لم ازل علمانا منذ دخلت دمشق ليغير ماءها وهواءها وابنيتها وانيتها واوديتها واودائها
وقراها وقرناتها ومن لي بمصر فاني امنع بما بينته ارضها من بقلها وقثائها واسع بردي
وما عشاه سربه من مائها واستظل من السيف في حر سوادها وسوادها فالطلل هايل
ولا طايل وما ذا اشبع به من تلك الغضايل بصايل حتى اذا حاباه لم يجده شيئا مني بلاد
نسيجي ولا تجدي ويغل المال فيها الا ذم التعدي ، وقال العماد هنا زين الدين
علي بن نجا الواعظ من اهل دمشق ومن ساكني مصر ذو لهجة في الوعظ فصيحة وبهجة للفضل
صبيحة وقبول من القلوب ووصول في فصل الخطاب المخطوب وقد تاثث وتاثل وقبل
واقبل واحسن السلطان اليه بالاعطيات والاقطاعات واجمل اعطاه واجزل وانم له
مراده واكمل وكان السلطان يستشيره ويروقه تدبيره ويميل اليه لقدم معرفته وكرم شجيته
ووصل في هذه السنة منه كتاب الى السلطان يشوق الى مصر ونيلها ونعيمها وسلسبيلها
ودار ملكها ودارة فلكها وبحرها وخليجها ونشرها واريجها ومعتبرها ومقياسها وانباسها
نائرها وقصور معزها ومنازل عزها وحيرتها وجزيرتها وخيرتها وجيزتها وبركتها
وبركها وعدوتها وعدقتها ومعاق القلوب بطيوبها واستلاب نفايس النفوس باسلوبها
ومل

وملتقى البحرين ومرتقى الهرمين وروضة حبانها وجنة رضوانها ومساجدها وجوامعها
ومشاهدها ومرابعها ونواضر بساتينها ومساطر ميادينها وساحات سواحلها وآيات فضا بلبها
وحارب شوارعها وجلاب مشارعها وشروق غربيتها وغروب شرقيتها وطيب طوبتها وسادرها ها
ومجرى فلكها ومسراها وعجايب بناها وغرايب مناها وبيان معانيها بلسان بلسانها وكياسه
اخلاقها ونفاسه اعلاقها وشاوها في الفضل بيبع وعبادها عنبر وماوها كوثري وترابها
عنبري ثم وصف العماد غير ذلك ثم قال وذكر زين الدين الواعظ في كتابه ما دل به على فضيلة تلك
الديار من الايات والاخبار والاداب والاثار ولو ظفرت به لاوردته بلفظه وحلوته لو عظه
لكني فقدته فعزبت معانيه واحكمت مبانيه فكتبت الى زين الدين الواعظ في جوابه عن الكتاب
عرفنا طيب الديار المصريه ورقه هوائها ونحن نسلم له المسله في طيبها وتوفر نصيبها ورقة نسيمها
ورائق وسيمها لكن لا ريب ان الشام افضل وان اجر ساكنه اجزل وان القلوب الى قبله اميل
وان الزلال البارد به اعل واهل وان الهوا في صيفه وشتائه اعدل وان الزهر به اشب
والبت به اكمل وان الجمال فيه اكمل والكمال عنه اجمل وان القلب به اروح والروح به اقبل
ودمشق عقيلته المنوطة وعقلته المنشوطة وحدقته الناظرة وحديقته الناضرة وهي عين
انسانه بل انسان عينه وصبري بعوده في عين نضاده ولحينه قسام مستهام وما على محبها ملام
وما في ربوتها ريبه وفي كل جوه منها جبيه ولكل شاب من نورها شيبه ومع كل ورقه
ورقا وعلى كل معانقه من قدود البانات عنقا وشاد باتها على الاعواد تطرب وتطرق وساجعا تها
بالاوراد تنعم وتعرب وكم فيها من جوار ساقيات وسواق جاريات وانما ربلا اثمان وروح
وريحان وفاكهه ورمان وخيرات حسان وجميع ما في سورة الرحمن ونحن نعد عليه الاها
الى ان يرجع الينا فنتلوا على منكرها فباي آلا ربكما تكذبان وقد تمسكنا بالايه والسنه والا جماع
وعنينا بهذه الادله عن الاختراع والابتداع اما اقسم الله تعالى بدمشق في قوله والتين والزيتون
والقسم من الله بها ادل على فضلها المصون اما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشام خيرة
الله من ارضه اسوق اليها خيرة الله من عباده وهذا اوضح برهان واطع على انه خير بلاده اما الصحابه
رضوان الله عليهم اجمعوا على اختيار السكنى بالشام اما فتح دمشق بكر الاسلام وما نكر ان الله ذكر
مصرا وسماها ارضا ما الذكر والتسمية في فضيلة القسم ولها الاخبار منها دلالا على الكرم وانما
اكتسبت الفضيله من الشام سفل يوسف الصديق اليها عليه افضل السلام ثم المقام بالشام اقرب للرباط

وأوجب للسقاط وأجمع للعساكر السائرة من سائر الجهات للجهاد وأين قطوب المقطب من هنا سنيد
وأين دري منصف المشرق من دوحة المنيف المنير وأين الهرم الهرم من الحرم المحترم وبينهما فرق
ما بين الفرق والقدم وهل للنيل مع طول سيله وطول ذيله واستطالة سيله برد بردى في نقع
الغليل ونفع العليل وما الذي للكبير طلاوة هذا القليل وشبيل هذا السلسبيل وإذا فاخرنا
بالجامع وقبة النسر فلم عند ذلك قصر القصر على أن باب الفراديس ما للخفيفة باب النصر ومدارس
الطائفة كما للجانبية ولو كان لنا سهلها بأناس لم يحتاجوا إلى قياس المقياس ونحن لا نجفو الوطن كما
جفاه ولا نأبى وصله كما أباه وحب الوطن من الإيمان ومع هذا فلا ننكر أن مصر إقليم عظيم الشان
وأن مغلها كبير وماءها غزير وأن عدها نمير وأن ساكنها ملك أو أمير ولكن نقول كما قال المجلس
السامي الأجلي الفاضلي أسماه الله أن دمشق تصلح أن تكون بستانًا لمصر ولا شك أن أحسن ما في البلاد
البستان ودين الدين وفقه الله قد تعرض للشام فلم يرض أن يكون الشاوي حتى شرع وعد المساوي
ولعله يرجع إلى الحق ويعيد شغل إسعاده ووافد إلى الأهوان شاء الله ، قلت وقد قيل
في وصف دمشق ومدحها شيء كثير من النثر والنظم واشتمل أحمعته في أول تاريخ دمشق على قطعة
كثيرة حسنة من ذلك ووصف شيخنا أبو الحسن علي بن محمد السخاوي رحمه الله مقامة تشتمل على المفاخرة
بين مصر ودمشق ووصف كلا من البلدين ما يليق به وكان أول ما قدم دمشق يذمها في مكاتباته إلى
مصر تلطفًا وتبرمًا حنًّا للوطن ثم لما استقر بها قرت عينه وفضلها في بعض مكاتباته وقد ذكرت
كل ذلك في جزء مستقل بذلك وأما القاضي الفاضل رحمه الله فقد قال في بعض مكاتباته إلى مصر
وما تربة عليه الكريم أني وصلت إلى دمشق المحروسة حين شرد بردها وورد وردها
واخضل نبتها وحسن نعتها وصفا ماؤها وسفا دداؤها ونغت أطيارها ونسمت أزهارها
وافتر زهر أقحوانها يحكي ثغور غزلانها وما النقض بالفها فانثنت شتى ولدانها فلما قربت
من بساتينها ولاح لي فتح مبادينها وتوسطت جنة واديها ورأيت ما أبدع الله فيها سمعت
عند ذلك حماما يغرد وهزارا ينشد ويردد وقمريا ينوح وبلبلا بشجانه يبوح فوقفت
أثني على باريها وأكاد بالدمع أبا ريها أسفا على أيام خلت بعيدا عن أحبتها وفيها فعند ذلك
ما شئت روحي ونال السي ونوحي وكان العشر قدما تبغضتها فعند ذلك عادت روحها فيها
قلت وقد وصف أيضا دمشق من أهل مصر من يرجع إلى قوله ويرضى بحكمه لفضله وفضيله
وهو الوزير العادل صفي الدين أبو محمد عبد الله بن علي المعروف بابن شكر في كتاب التصاير له فقال

دمشق

دمشق نزهة الأبصار وعروس الأمصار ومجرى الأنهار ومغرس الأشجار ومعرس السفار ومعبد
الأبرار المستغفرين بالأسحار ظلها الممدود وسقاؤها المحمود ومآوها المسكوب وعينها المطلوب
ومحاسنها المجموعة وفضائلها المروية المسموعة ودرجها المرفوعة وفاكهتها الكثيرة لا مقطوعة
ولا ممنوعة نسيمها العليل وهجيرها الأصيل ومآوها السلسبيل وقد شرفها الله تعالى بالذكر
في كتابه وآوى إليها من اختار من أنبيائه وأحبابه فقال تعالى في جنابه المبين وآويناهما إلى
ربوة ذات قرار ومعين ولم تزل مقر البركات ومعدن النبوات ومنزل الرسالات ومسكن
أرباب الكرامات وورد في تفضيل بقعتها من الأخبار ما لا شك في صحة إسناده قال صلى الله
عليه وسلم الشام صفوة الله من بلاده فيها خيرة الله من عباده وثبت في خبر آخر على عظم فضله
فقال إن الله تكفل لي بالشام وأهله ورغب في سكناها أهل الإسلام بقوله عليه السلام البركة
في الشام وذهب بعض المفسرين من أهل الاجتهاد إلى أنها إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها
في البلاد قال ولما أنعم الله تعالى علي بإسكاني في فنائها وتجري لسانها ورهني في أمانيها
وآنسني بأنسابها مضيت إلى جامعها الجامع وشنفت إذ إلى النظر منه إدراك المسامع ○
فلما وصلت إليه وحللت الحبي لديه رأيت مرأى صغر الرواية دونه وحصل من الحسن في
النهاية ونور الحلول الأبصار وجمعا يفضل على جميع الأمصار وعبادة موصولة على الاستمرار
وقرآنا يتلى في آناء الليل وأطراف النهار وتستطعمن إليه قد اعتقوا في الاعتكاف بنفائس
الأعمار والبركات تحف بجوانبه والعلوم تنشر في زواياه ومحاريبه والأحاديث عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم تسند وتروى والمصاحف بين أيدي التالين تنشر ولا تطوى وأعلام البر
فيه ظاهرة فلا تخفى ولا تروى والخلق ينقسمون إلى حلق قد نشدا هلا لها ما أو آسم من العلق
والإسلام فيه فاش والجهل به متلاش وهو مما بناه الأولون لعبادتهم وجعلوه ذخرا
لآخرتهم ولم يبرح معبدا لكل ملة اتخذته المجوس واليهود والنصارى قبل الإسلام هيكلا
وقبلة وهو بيت المعبين وسوق المتصدقين ليله للمتهجدين ونهاره للعلماء المجتهدين قال
وعاشرت أهلها وباشرتهم ثم كاشفتهم فرأيت سادة أدباء وعلماء نجباء ورأيتهم يتناظرون
في الفقه مناظرة الوالد مع ولده ويقفون عند كتاب الله فلا يعدلون عن واضح جدده ويفرقون
من علم واستبصار ويحتاطون في علمهم بتصحيح الأخبار ويتتبعون ما وردت به ثقات الآثار
وما منهم مشغولون بالمعاش آخذون عن دينهم عند كل مجد أفضل الرياش لا يحظون في لفظ

ولا اكار ولا يجتمعون على قصادته في مقيم ولا بعيد الدار قال فاقمت بها في اشرف البلدان التي هي
انموذج الجنان وعنوان الدار التي خازنها رضوان والقلوب فيها عند ذكر الله حاضره والنفوس بالخير
دون الشر آمره **فصل** في باقي حوادث هذه السنه قال العماد كانت اربل وما يجري معها من
البلاد والقلاع من ولايات الموصل معدوده فاراد صاحب اربل ان ينفرد عنه ويستبد بالبلاد فاعتزى
الى السلطان وكاتبه وطلب منه منشورا ببلاده مكتتبا وفيه ان الله لما مكن لنا في الارض ووفقنا
في اعزاز الحق واظهاره لاداء الفرض راينا ان نقدم فرض الجهاد في سبيل الله فنوضح سبيله ونقيل في
اعضاد الدين وننصر قبيله ونبذ عوا اوليا الله من بلاد الاسلام الى غزو اعدايه ونجمع كلمتهم في رفع كلمته
العليا في ارضه على استنزال نصره من سمايه فمن ساعدنا على اداء هذه الفريضه واتنا الفضيله حظى
من عوارفنا الجزيله بحسن الصنيعه ونجح الوسيله ومن اخلد الى الارض واتبع هواه واعرض
عن حق دينه بالاقبال على باطل دنياه وان اناب قبلناه وان اصر على عوايته اذللناه وعزلناه
تفصيل ما كتب في منشوره اربل وقلعتها واعمالها جميع ما تقطعه الراي الكبير نهر زود
واعمالها معاقل بني قفجاق معاقل بني القرابلي الدشت والدرداريه قال وفي هذه السنه
مستهل جمادي الآخره توفي صاحب ماردين وهو قطب الدين الغازي بن البي بن تمرتاش ابن ايلغازي
ابن ارتق والامرا الارتقيه هم الذين تنقلوا فيها قبل الاسلام اولا وكانوا يتولون البيت المقدس
وحموه من الفرنج قبل المصريين وانما اخذه الفرنج سنة اثنتين وتسعين واربع مايه من المصريين فبقي
الساحل كله مع اهل الشرك ثم انتقلت الارتقيه ديار بكر وما والاها وحلب واعمالها وبواد بوادي ديار
بكر كابرا عن كابر الى ان انتهى الى هذا قطب الدين اعمال ماردين وميافارقين فلما مات تغلبت على
ولده وهو عشر سنين وانتهى الى ابن عمه نور الدين محمد بن قرا ارسلان بن داود بن سليمان بن ارتق
حصن كيفا وخرتبرت والبلاد التي تناسبها واضاف السلطان اليه آمد وقد كان قطب الدين اولا
في مصافاة صاحب الموصل لما بينهما من القرابه ثم اذعن للسلطان ودخل تحت طاعته قلت
وفي هذه السنه ايضا توفي خليفة المغرب يوسف بن عبد المومن بن علي وولي ابنه يعقوب
قال ابن شداد وبعد عود السلطان من حصار الكرك وصل رسل الخليفه ومعهم الخلع فلبسها
السلطان والبس اخاه العادل وابن اسد الدين خلعا جاءت لهما ثم خلع السلطان خلعة الخليفه
على نور الدين ابن قرا ارسلان واعطاه دستورا فسار الى بلاده ووصلت رسل ابن زين الدين
مستصرخا الى السلطان يخبر ان عسكر الموصل وعسكر قزل نزلوا على اربل مع مجاهد الدين قايماز

ولم

وانهم نهبوا واحرقوا وانه نصر عليهم وكسرهم فلما سمع ذلك سار من دمشق يطلب البلاد وتقدم
الى العساكر فتبعته وسار على طريق البقاع وسوس والبقاع الى بعلبك ومرض العماد فانقطع
بها وسار السلطان الى حمص ثم الى حماه فاقام بها الى ان شفي العماد ولحقه بها وكان الاجل
العادل بدمشق فارسل الحكيم الموفق بن المطران واسمه اسعد بن الياس الى العماد ببعلبك لما سمع
بمرضه فسار من دمشق الى بعلبك في يوم وليله وعمل معه عمل من طب لمن حب فبرا بعون الله فرجع
الى دمشق فلما استقام مزاجه رحل الى السلطان فوافقه بحماه **ودخلت سنة احدى وثمانين**
قال العماد والسلطان مخيم بظاهر حماه فسار الى حلب وتلقاه اخوه العادل واجتمعت
له بها العساكر فخرج منها في صفر لقصد الموصل فسار وقطع الفراه واقام العسكر بلا مه ايام للعبور
بها وكان السلطان قد سير الى معاقل الفراه وقلاعه ونواحيه وضياعه وامر اهلها باعانة كل سفينه
في الفراه وزورق ومركب وجمعها من كل مشرق ومغرب ثم وصل الى حران وفيها مظفر الدين
ابن زين الدين وهو اخو صاحب اربل بن زين الدين يوسف وقد كان اول من دخل في خدمة السلطان
اول ما قصد تلك البلاد في المره الاولى واقتدى به اخوه وغيره من اصحاب الاطراف في الانتما
الى السلطان وحضر معه حصار عدة بلاد كالموصل وسنجار وآمد وحلب واظهر من المودة فوق
ما كان في الحساب وهو كان كثير الحث للسلطان على المسير الى الموصل هذه المره برسوله وكتابه
وقال رسوله للسلطان ان مظفر الدين اذا عبرتم الفراه يستند بركم كل ما فات ويقوم بكل ما
يحتاج اليه في تلك البلاد من النفقات والغرامات والازواد ويقدم يوم الوصول الى حران
خمسين الف دينار وكتب خطه بذلك فلما وصل السلطان الى حران لم ير منه ما التزمه الرسول
وارتاب به فظن انه مال مع المواصله ووشى الاعدا فيه بذلك وان نيته قد تغيرت وتخلف
للسلطان انه لم يتغير وان ما التزمه الرسول لم يكن بامره وهو ابرا منه فانعزل عنه عن مرتبته
وكان قبض السلطان على مظفر الدين ليتبين امره وشاور فيه اصحابه فاشار بعضهم باتلافه
وبعضهم باستبقايه واستبلافه فعفى السلطان عنه على ان يسلم اليه قلعتي الرها وحران ففعل
ذلك وهو حزين ودستبقاء نفسه ثم اعيدت اليه القلعتان في آخر السنه لما راى السلطان من
حركاته المستحسنه **وقال** ابن شداد وسار السلطان حتى اتى حران على طريق البيره والقاه
مظفر الدين بالبيره في ثاني عشر المحرم وكان قد وصل الى السلطان عز الدين ابن عبد السلام يعني الموصلي
واسمه ابراهيم بن علي عبد السلام ويكنى بابي الخليل رسولا ملتقيه بحماه يعتذر مما جرى فاعطاه دستورا

بعد ان الزمه وسار من ضير عرض قلت وصحب ابن عبد السلم في هذه السفرة او بعدها من الموصل
عمر بن محمد المعروف بابن الشحنة فمدح السلطان بقصيدة اولها

سلام مشوق قد براه الشوق * على الحي من وادي الغضا اذ تفرقوا

فلما بلغ من مديحه الى قوله * وقال لي الآمال ان كنت لاحقا * بابناء ايوب فانت الموفق

قال له السلطان لقد وفقت واجازه جايزة سنية ثم قال القاضي وتقدم السلطان الى
سيف الدين المشطوب ان يسير في مقدمة العسكر الى راس عين ووصل السلطان حران في الثاني
والعشرين من صفر وفي السادس والعشرين منه قبض على مظفر الدين لشيء كان جرى منه وحديث كان بلغه
عنه رسوله ولم يقف عليه وانكره واخذ منه حران والرها ثم اقام في الاعتقال تاديبا الى مستهل ربيع الاول
ثم خلع عليه وطيب قلبه واعاد عليه قلعة حران وبلاده التي كانت معه واعاده الى قانونه في الاحترام
والاكرام ولم يتخلف له سوى قلعة الرها ووعده بها ثم رحل السلطان ثاني ربيع الاول من حران الى
راس عين ووصله في ذلك اليوم رسول قلج ارسلان يخبره ان ملوك الشرق بأسرهم قد اتفقت كلمتهم
على قصد السلطان ان لم يعد عن الموصل وماردين وانهم على عزم ضرب المصاف معه ان اصر على ذلك فرحل
السلطان يطلب دنيسر فوصله ثامن ربيع الاول عماد الدين ابن قرا ارسلان ومعه عسكر نور الدين
فالتقاهم السلطان واحترمهم ثم رحل من دنيسر نحو الموصل حتى نزل بموضع يعرف بالاسماعيليات
قرب الموصل بحيث يصل من العسكر كل يوم نوبة حربية تحاصر الموصل فبلغ عماد الدين ابن قرا ارسلان
موت اخيه نور الدين فطلب من السلطان دستورا طمعا في ملك اخيه فاعطاه دستورا * وقال
العماد خرج السلطان من حران في ربيع الاول على راس عين ودارا فخرج امراؤها باصحابه في الخدمة
وقدم عماد الدين ابو بكر ابن قرا ارسلان بعساكر ديار بكر وامد نيابة عن اخيه نور الدين فانه كان
مريضا ثم رحل الى نصيبين وقدم صاحب الجزيرة سنجر شاه ابن اخي صاحب الموصل فاكرمه السلطان ثم
سار من اقرب الطرق من دجلة وسلك طرق النواحي فنزل على بلد اخر ربيع الاول ثم توجه الى
الموصل فخيم على الاسماعيليات وقدم على السلطان زين الدين صاحب اربل واول ما بدأ به السلطان
يوم نزوله على بلد قبل الاسماعيليات ارسل ضياء الدين ابا القسم يحيى بن عبد الله الشهرزوري
الى الخليفة بما عزم عليه من حصر الموصل وان اهلها يواصلون الاعاجم ويخاطبون لسلطانهم القايم
وينقشون اسمه في الدنانير والدراهم وانهم يعتزرون بالبهلوان ويخرجون الاعز الطاعة له والاذعان
وانهم يرسلون الى الفرنج ويقوون املهم على قصد الثغور ويغرون جموعهم وانه ما جاء طمعا في استضافة

ذلك ولا استزادة سلك ولا قلع بيت قديم ولا قطع اصل كريم وانما مقصوده الاصلي ومطلوبه
الكلي ردهم الى طاعة الامام ونصرة الاسلام وكشف ما اعتادوه وما عتوا دونه من الظلم والظلام
ومنعهم عن استحلال الحرام وقطعهم عن مواصلة الاعاجم والزامهم بما يجب عليهم من حفظ الجار
وصلة الارحام فهذا صاحب الجزيرة وابن اخي صاحب الموصل قد عهد ابيه لم يرع فيه ذمة اخيه
وابعده عما استحقه بالارث والتولية وحرمه ما استوجبه من التربية والتلبية واحاق حربه
وقطع رحمه ولو تمكن منه لاطاح دمه ولولا خوفه من جانبه وتوقيه من دس عقاربه لما التجى
الى هذا الجانب ولا اختار الاجانب على الاقارب وهذا صاحب اربل جار الموصل ابوه زين الدين
علي هو الذي حفظ بيتهم وخلف في احيائهم ميتهم وهؤلاء في جوارهم شكوا جورهم وحديث
صاحب الحديثة في حادثه لا يخفى وعن من سكرت من مخافتهم وامنهم لا يكرى * قلت
وفي بعض الكتب الفاضلية عن السلطان الى الديوان وكان قد تحيز الى الخادم في وقت حركة صاحب
تكريت والحديثة وهو يستاذن في استتباعهما بحكم التقليد الذي بها ولهذا وغيره ولم يستاذن
في ذلك استبدادا محضا الا لمحلهما من جوار دار الخلافة ولانهما بما يرى الخادم اضافتهما الى ما يجري
في خاص الديوان العزيز مع غيرهما مما يجري مجراهما في القرب من الجوار والدخول في دوام شرف
تلك الدار فان اذن له استتباعهما في صلح ان تم معهم اوجاهما مع منابية ان اختار المشار اليهم
البقاء عليها وهذا برد شرف قد اعوزه علمه وتاج اذا اسلمه الخط الشريف نظم البحار منظمه
في كتاب اخر وما كنا نشهد الا في فقال المذكورين الاكنا طعمه لسلم سابرجهه وكراكب
حد السنان مضطرا في حكمه واصحب العماد الرسول قصيدة مدح بها الصاحب مجد الدين
ابا الفضل اولها * قضى الوجد لي ان لا امون من الوجد * فيا ظله الاحراد اطلس لم تهدي
محكم جلدي على كل حادث * ولكن على هجر لبس بالجلد * ببغداد حطوا ارحلكم بمحصكم * ابو الفضل مجد الدين بالفضل والمجد
راه الامام الناصر الدين ناصر المجد والعونه لاعلى مجده المجدي * الكي صلاح الدين الجا امره فحط ركنه والعقد الشد والشد
مليل على حرب العدو وصحيم * وما زال رغبة لب الجد والجد * تسافر افواه الجراح دماحه * مسافر الاميال الابض الرد
يجل المنايا الحمر بالكفر يجر * ادم الاصفر الروي والابيض الهندي * على الامير المومنين كيوسف * غدا نسبه في راضيه في بهجة بعدي
قال وشرع السلطان في اقطاع البلاد والتوقيع بها على الاجناد وسير الامير سيف الدين
علي بن احمد المعروف بالمشطوب الهكاري ومعه الامراء من قبيلته والاكراد من شيعته الى بلاد الهكارية
وجماعة من الامرا المجلية الى العقر واعمالها لاستفتاح قلاعها واستغلال ضياعها ونصب الجسر

ومكن الامر وعز مظفر الدين صاحب حران وغيره من الامرا وخيموا ابالجانب الغربي وكان الحر اذ
ذاك شديدا فامر السلطان بالصبر عن القتال الى ان يطيب الزمان واهل الموصل في الحصار واشير
عليه بتحويل دجله وكان ملوما قد قل بطريق ذكره خبيرها زعم انه يمكن سد دجله وسكرها وسق
فرصه اخرى وكسرها ونقلها وتحويلها الى دجله سوى وتعطش الموصل اذا الما منها ازوى وعرض
ذلك على راي الفقيه العالم فخر الدين ابي شجاع ابن الدهان البغدادي وكان مهندس زمانه وانسان
عين الفضل وعين انسانه وكان منه عهد قديم بعسكر الموصل في ظل كبير من اصحاب زين الدين علي ولما
سمع بقدوم السلطان بعثيا الى ظله وتعرف الى فضله فصدق المشير بذلك وقال هذا ممكن ولا يتعذر
ويتيسر ولا يتعسر * ومن كتاب عمادي الى بغداد وذكر المهندسون اهل الخبره انه يسهل تحويل
دجله الموصل عنها بحيث يبعد مستقى الما منها وحينيذ يضطر اهلها الى تسليمها بغير قتال
ولا حصول ضرر في تضييق ولا نزال **فصل** في فعل السلطان في امر خلاط وميافارقين
وغيرهما من البلاد قال العماد وصل خبر وفاه شاه ارمن صاحب خلاط فتحولت اليها العزوم وترجح
بها الحزم وكان ورود موته في العشرين من ربيع الاخر وكان موته في التاسع منه ولم يخلف ولدا
ولا ذا قرابه يكون خلفا له فيها ووردت كتب الاوليا من اهل بدليس وغيرها الى السلطان يخطبونه
لها وهم خايفون من العجم ان يتولوها فاختلف الناس على السلطان فمن مشير بالاقامه الى انفصال
امر الموصل ومن مشير بالمسير الى بلاد الارمن فان الموصل غير فايته ومن قايل بانقسام العسكر في
الجهتين فترجح راي السلطان على المسير اليها فكتب الى الخليفه يطلب منه كتاب تقليد بلاد الارمن
وديار بكر والموصل فجاه بعد فتح ميافارقين مثال شريف بتقليد النظر في امر ديار بكر وتولي صاحب
اتنام ملوكها ثم رحل السلطان عن الموصل في اواخر شهر ربيع الاخر وقدم في مقدمته ابن عمه
ناصر الدين محمد بن شيركوه ومظفر الدين صاحب حران وامرهما ان يسيرا الى خلاط من اقرب الطرق
فلما وصلا وجدا سيف الدين بكتمر مملوك شاه ارمن قد دخلها وحماها وتغلب عليها وجا بهلوان
في عساكر الشرق وهو شمس الدين ابو جعفر محمد بن ايلدكز متولي تلك البلاد فنزل من الجانب الاخر
وكان وزير خلاط مجد الدين بن الموفق ابن رشيق يظهر للسلطان الموده والمناصحه وهو على خلاف
ذلك فكتب ناصر الدين ان يعمر على القرب منه واشد الارهاب والرعب فعجل ولو خلاه لسبق اليها
وقيل ان هذا الوزير ايضا بعث الى بهلوان وامره بالاتيان واظهر له الموده والاحسان ولما ادى
التربان وقرب منها البهلوان راسله بكتمر وحمل ابنته مع اسه زوجه شاه ارمن الاموال التي اودعت

المرن

المرن ونذب السلطان اليها الفقيه ضياء الدين عيسى فدخلها وتخللها وتاملها وتكلم مع الوزير
وشاوره فاحال الحال على البهلوان وانه جا ليتملك المكان ولو استعجلتم لسهل ما صعب الان وكان
ثم جرت مراسله بين السلطان والبهلوان وانفصل الامر كانه ما كان * قال ابن شداد وفي ربيع
الاخر توفي صاحب خلاط وولي بعده غلام له يدعى بكتمر وهو الذي كان وصل رسولا الى خدمه السلطان ن
بسنجار فعدل ولجا الى اهل خلاط وكان موصوفا في طريقه فاطاعوه الناس ومالوا اليه ولما ملك
خلاط امتدت نحوه الاطماع فسار نحوه البهلوان بن الدكز فلما بلغه ذلك سير الى خدمه السلطان
من يقرر معه تسليم خلاط اليه واندراجه في جملته فقطع السلطان بخلاط وارتحل عن الموصل متوجها
نحوها وسير اليه الفقيه عيسى وعز الدين قلج لتقرير القاعده وتحريرها فوصلت الرسل وبهلوان
قد قارب البلاد جدا فخوف بهلوان من السلطان واشعره انه ان قصده سلم البلاد الى السلطان
فطلب بهلوان صلاحه وزوجه بنته هو وولاه واعاد البلاد اليه واعتذر الى رسل السلطان
وعادوا من غير زبده وكان السلطان قد نزل على ميافارقين يحاصرها ويقاتلها قتالا عظيما
ونصب عليها المجانيق وملكها في آخر جمادى الاولى * قال العماد واستشعر ملوك ديار بكر
من حركه السلطان وكان قد مات صاحب ماردين كما تقدم وفوض الولايه لابنه الكبير وله عشر سنين
وكان القايم بتدبير ملكه نظام الدين البقش ومات ايضا صاحب آمد نور الدين محمد بن قرا ارسلان
رابع عشر ربيع الاول من هذه السنه وتولى ابنه قطب الدين سكمان فاحذروا من السلطان
وخافوا ان يسترد بلاد آمد منهم فقصد السلطان لهم شمس الدين ابن الفراش ليختبر حالهم في المحاربه
والمسالمه فوجدهم على الطاعه مقيمين واليه راغبين ومنه راهبين ووصل السلطان في جمادى الاولى
الى ميافارقين وكان قد دخلها من امرا صاحب ماردين اسد الدين يرنقش واستعصى فيها على السلطان
محاصره وقاتله ثم راى ان امر القتال يطول فراسل اسيرها الاسد ورغبه في الموادعه ونهاه عن
المغالطه وكان في المدينه خاتون ابنه قرا ارسلان وهي زوجه قطب الدين صاحب ماردين الذي
توفي فاحال الاسد الامر على الخاتون فراسلها السلطان ورغبها وضمن لها كل ما تطلبه منه ووعدها ان يصاهرها
اليها فما زال بها وبالاسد حتى لانا فقرر السلطان لها كل ما كان باسمها وباسم خدامها وطلبت حصن الهتاخ
ليكون لها عشا للافراخ ووقع السلطان لابنه معز الدين اسحق باحدى كرايمها واحكم العقد وابرم العهد
وتسارع السلطان الى تدارك ما افتتحه وتسلم ميافارقين واقبل صاحب آمد قطب الدين سكمان بن نور الدين
على صغر سنه الى خدمه السلطان فاكرمه واعاده الى منصبه وكان معه وزيره قوام الدين ابو محمد عبد الله بن سماقه

[redacted]

وقتل عنيله في رمضان هذه السنه كما نشا اليه ثم سار السلطان لقصد الموصل وولي تلك البلاد
مملوكه حسام الدين سنقر الخلاطي ونزل السلطان على دجله بكفرزمار بقرب الموصل في شعبان وعزم على انه
يشتي في ذلك المكان فخرجت من الموصل نساء اتابكيات متعرضات للشفاعة فاكرمهن السلطان ووعدهن
بالاحسان وقال قد قبلت شفاعتكن لكن لابد من مصلحة نتم ومصالح نجز نفعها لكم واستقر الامر على ان يكون
عماد الدين زنكي صاحب سنجار اخو صاحب الموصل وسيطا في البين وحكما فيما يعود بمصلحة الجانبين
فانه كانت شفاعته سابقه ورأي بهذا الرأي قضاء الحق وتعطف وتلطف برجالهن ولاجلالهن
واى من الكرامة بما يليق بامثالهن ولكن ظن انه لا تقوم بحجهن فقصدهن وبصدق ظنونهن وانه يعرف
حقوقهن ويقضي بكرامته ديونهن ولا يشتغل بامر لا يوذن بمرادهن دونهن فدخلن البلد متلوما
منه بما في ولطف الله لا يزال معتصمات **فصل** في انتظام الصلح مع اهل الموصل ومرض
السلطان المرضه المشهوره بحران **قال** العماد وكان السلطان لما دخل شهر رمضان داوم قراءة القران
وحفظه واشتغل بالصيام والقليل من الطعام فظهر انزعاجه وتغير مزاجه وبعد علاجه
وطال مرضه وندم على رد الشوافع وسير الى عماد الدين صاحب سنجار في انفاذ رسله ليوم بكل
ما يعود بقبوله فوصل وزيره شمس الدين ابن الكافي وكان من قبل قد سبق القول في تسليم بلاد شهرزور
وقلاعها وحصونها وضياعها وكذلك ما وراء الزاب من البوازيج والرستاق وبلد القرابليه
وبني قفجاق فدخل شمس الدين ابن الكافي وشمس الدين قاضي العسكر من جانبنا الى الموصل لاخذ العهد
على هذا الملتزم ودخل السلطان قبل عيد الفطر بيوم وهو من مرضه بحرانه في هموم وختمنا على
نصيبين في شوال ولم يتم بعود الرسل بحاز الاشتغال بل كان الاتكال على الارتجال
ثم استمر الصلح وصلح الامر وخطب في جميع بلاد الموصل للسلطان بعد قطع خطبة السلجقية وفي
ديار بكر ايضا والولايات الارتقيه وضرب باسمه الدينار والدرهم وانحل الاشكال وانكشف المبهم
وكتب العماد عن السلطان كتابا الى اخيه سيف الاسلام باليمن بشرح الحال وفيه وسير الينا صاحب
الموصل عن جميع ما وراء الزاب من البلاد والقلاع والحصون والضياع وشهرزور ومعاقلها
واعمالها وولاية بني قفجاق وولاية القرابلي والبوازيج وعانه وقررنا عليه الموصل واعمالها
على انه يكون بحكمنا ويسير عسكره الى خدمتنا ويكون الخطبة والسكة باسمنا وان طابق المظاهر
ولا يتكتب الكاتم وقد حصل لنا من صاحب الموصل ومن جميع من بالجزيره وديار بكر الطاعة والسكه
والخطبه وعمتهم الهيبه والرهبه والعزايم الى الجهاد في سبيل الله نوازع وقد زالت العوائق

وارتفع

[illegible]

مع ابيه معتنٍ بمغاليه مقتفٍ لمراضيه وكان من جملة وصاياه عند اشفائه وارتجائه ترجي شفائه
ان ادركني المحتوم ودنا اليوم المعلوم فقد خلفت ابا بكر وعمر وعثمان وعليا وكلهم اراه
مرادي في اقامة الجهاد مثلثا فعني بابي بكر سيف الدين اخاه وبعمر تقي الدين ابن اخيه وبعثمان
وعلي ولديه الملكين العزيز والافضل ورأى عليهما كافلة سيف الدين وتقي الدين في مصر والشام
المعول واقام العادل الى ان وضح المنهاج وصح المزاج وطابت القلوب وعابت الكروب
ثم وصل اخيه الحلب وتم معه الى حمص ودمشق وهناه بتسلم مصر فاستجد لعشرة الشوق وسابق
ذكر مضيه مع الملك العزيز الى مصر في سنه اثنين وثمانين ووصول الملك الافضل من مصر بعد
الملك المظفر تقي الدين ⁌ قال العماد وكانت صدقاته الدارة دارة وبالارزاق بارة على ان
جوده مستوعب للموجود ولا ينفك فضلا للوفود ولما مرض وعرض له من الالم ما عرض قال لي
اكتب الى الولاة والنواب بالديار المصرية والشامية ان يتصدقوا على الفقراء والمساكين من المال
المعد المحمل بما ينص على قدر من التعيين فلم يبق من الممالك الا من وصل اليه نصيب ودعا بالشفا
من الله لدعائه مجيب فدفع بالصدقة البلا ووفق للصدق لولا ونظر الله الى النيات بنا منه
السنيات ومن جملة تلك الصدقات انه امرني ان اكتب الى نائبه بدمشق الصفي بن القابض
ان يتصدق بخمسة آلاف دينار صورية فقلت ما عنده غير دنانير مصرية امر ببناء دار عند سرادقه
وحمام فبنيت في اربعة خمسة ايام وكان قد استحضر من دمشق ولديه الصغيرين توران شاه وملك
شاه وامهما فاسكنهم فيها مدة مقامه وسماها دار العافية لما برئ فيها من سقامه ثم خلاها
لمن نزل بها ضيفا وجعلها للاولين لها وقفا وبعد ذلك اتصلت المواصلة من السلطان
والمواصلة واهدى السلطان لهم هدايا عظيمة لصاحب الموصل ولوالدته وصاحبته ولابنه
نور الدين رحمه الله وقوم ما سيره اليهم بما يربي على عشرة آلاف دينار سوى الخيل والطيب والتحف
البديع والغريب وجرى امر المواصلة على السداد وجهزوا في النصرة الناصرية على ما سياتي
شهرها الى الجهاد واول بركات الاعتاق فتح للبيت المقدس وساير البلاد وتجددت الفتوح
والمحدث الملايكة والروح واصبح بالبشر العيون وصح بحط الكسر وحصل الله السلطان
بفضيلة فتح القدس ومضى حاجته التي كانت في النفس وسياتي ان شا الله شرح كل
فتح في موضعه وكيف اشرق سنا النصر من مطلعه ⁌ وكتب الفاضل من دمشق الى تقي الدين
عمر ان العافية الناصرية قد استقلت اجارها وانوارها والادها ودولت العلة والله الحمد

وَاطفيت نارها واجلى غبارها وَخمد شرارها وما كانت الا فلته وقى الله شرها وعظيمه كفى الاسلام
امرها وتوبه امتحن الله بها نفوسنا فراي اقل ما عند ناصبرها وما كان الله ليضيع الدعاء
وقد اخلصته القلوب ولا لتوقف الاجابه وان سدت طريقها الذنوب ولا ليخلف وعد
فرج وقد ايس الصاحب والمصحوب ، نعم زاد الدهر فيه ميما ، فاصبح بعد بوساه نعيما ،
وما صدق التجربه لاني رايت الشمس تطلع والنجوما ، وقد استقبل مولانا الملك الناصر
العافيه غضه جديده والعزمه ماضيه حديده والنشاط الى الجهاد والجنه مبسوطه البساط
وقد انقضى الحساب وجزنا الصراط وعرضنا على الاهوال التي زخرفها كاد يلج الجمل في
سم الخياط ، ومن كتاب آخر الاحوال بالحضره مستقيمه والنعمه بالعافيه عظيمه والنفثه
الموهوبه من العمر الناصري كريمه القيمه عرف وعرف الناس قدرها ولزم ولزموا شكرها فسيوف
الجهاد فل كادت تصدى في اغمادها وخيل الله قد كادت تنادي اهلها اركبي لمعاد طرادها والمسجد
الاقصى مبتهل بالسنه بما استوحش منه من القران وتطهيره بما استولى عليه من رجس الصلبان
فصل في ما قيحوادث هذه السنه ومن توفي بها من الاعيان قال العماد في هذه السنه
توفيت الخاتون العصمتيه بدمشق في ذي القعده وهي عصمه الدين ابنه معين الدين انر وكانت في عصمه
الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله فلما توفي وخلفه السلطان بالشام وحفظ البلاد
ونصره الاسلام تزوج بها في سنه اثنتين وسبعين وهي من اعف النساء واعصمهن واجلهن في الصيانه
واخيرهن مستمسكه من الدين بالعروه الوثقى ولها امر نافذ ومعروف وصدقات ورواتب للفقرا
وادرارات وبنت للفقها والصوفيه بدمشق مدرسه ورباطا ، قلت وكلاهما ينسب اليها فالمدرسه
داخل دمشق بحجر الذهب قرب الحمام النركسي والرباط خارج باب النصر راكب على نهر بانياس في اول
الشرف القبلي واما مسجد خاتون في آخر الشرف القبلي فهو منسوب الى خاتون اخرى قديمه تقدم ذكرها
وهي زمرد بنت جاولي اخت الملك دقاق لامه وزوج زنكي والد نور الدين رحمهم الله ، قال
العماد وذلك سوى وقوفها على معتفيها وعوائدها واياديها وكان السلطان حينئذ بحران في بحر
المرض وبحرانه ومنقلب الالم وعنفوانه فما اخبرناه بوفاتها خوفا من تزايد علته وتوقد غلته
وهو يستفهم في كل يوم مرتجا ويكتب اليها كتابا طويلا ويلقى على ضعفه من تعب الكتابه والفكر
حملا ثقيلا حتى نعى نعي ناصر الدين محمد بن شيركوه ابن عمه فنعيت اليه الخاتون وقد نعدت عنه اليها
المنون وكان وفاه ناصر الدين بحمص في تاسع ذي الحجه فجاه من غير مرض واجرى السلطان اسد الدين

شيركو

شيركوه ولده على ما كان لوالده وتقابلته باحسن عوائده قلت ونقلته زوجته ابنه عمه
ست الشام بنت ايوب فدفنته بمقبرتها في مدرستها بالعونيه فهو القبر الاوسط بين قبرها وقبر اخيها
رحمهم الله وكانت كثيره المعروف والبر والصدقات ، وكتب الفاضل الى محيي الدين ورد الخبر
عشيه يوم الاربعا الحادي عشر من ذي الحجه من حمص بانه لما كان عشيه يوم الاحد وقت الوقفه انتقل
الى رحمه الله ورضوانه المولى الاجل ناصر الدين محمد بن المولى اسد الدين رحمهما الله بمرض حاد اعجل
بن لمح البصر ومد النظر فانا لله وانا اليه راجعون وشاهد الملوك كابا من ولده اسد الدين
شيركوه احياه الله الى كابة ابيه رحمه الله يقول فنه وكيته وقد صار من حفرته واسعر في قبره
فنسال الله حسن المرجع وكفايه هول المطلع والمعونه على ساعه هذا المصرع ونشكر الله ثم نشكره
ونذكر باحسن ما نذكر به من نذكره ادوفق النفس الكريمه العاليه الشريفه الناصريه وقدمه
قبلها من الاسره المنعم بربه وجعل الله انفسنا فداها فان تلك نعمه علينا كانت نعمه عليه
ولا فرق الله لهذا البيت شملا ولا قصم له حبلا واعظم الله اجر الملك المعظم في ابن اخيه وامتعه
بتقاء اخيه واعاذه من امثاله معذور الله ثم وهمه فليس الا التسليم لما لا يستطيع الخلق له دفعا
ونعوض امر هذه الانفس اليه تعالى فانا لا نملك لها ضرا ولا نفعا ونخوف الملوك ان تلتبس الحزن في
مطالعه وتحرف الكلم عن مواضعه عمل بالانها والاسعار وسبق بالانباء الشبق به من هذه الا حباد
قال العماد وفيها في جمادى الاخره توفي اخو الخاتون المذكوره سعد الدين مسعود بن انر وكنا
قد فجعنا بيافارقين بها ولقد كان من الاكارم الاكابر ومن ذوي المآثر والمفاخر وما رايت احسن
منه خلقا وازكى عرقا ولم يزل في الدولتين النوريه والصلاحيه اميرا مقدما وعظيما مكرما وللسعود
فضائله ووفور فواضله وحدتها منه وجل من امته رغب السلطان وهو زوج اخته ان يكون
هو ايضا زوج اخته فزوجه بالتي تزوجها مظفر الدين كوكبوري بعده ، قلت وهي ربيعه
خاتون بنت ايوب عمرت الى ان توفيت بدمشق بدار ابيها وهي دار العقيقي في شهر رمضان سنه
ثلاث واربعين وستمايه وهي آخر اولاد ايوب لصلبه موتا وكان يحترمها الملوك من اولاد اخوتها
واولادهم ويزورونها في دارها ، قال وفيها توفي الامير عز الدين جاولي وهو من اكابر الامرا وله
مواقف حميده في الهيجا ونشامات في الغزاه حقيقه بالثنا وهو اكبر امرا الاسديه ولم يزل في الهيجاء
يحسن بلاوه ويصدق غناوه ولما عدنا بعد فتح بيافارقين الى الموصل طرقه البلا في طريقه فعبر
عصابانه بعض السواقي فعثر به واكره بعد حله ثم عملت عليه قدمه واشتد اله وطال به سقمه

واستقل الى دمشق وتوفي بها في آخر السنة او في اول سنة اثنين وثمانين ولقد فجع الاسلام منه بذمير
مشيح لدمار الكفر مبيح ، وفيها يوم الاربعا ثامن رمضان قتل بآمد وزيرابن قرا ارسلان
وهو قوام الدين ابو محمد عبد الله بن سماقه قتله مماليك مخدومه غيله وتحيلوا له في مباغتته بالقتل حيله
وذلك انه كان جالسا في ديوانه وابوابه مسدودا في مكاتبته في مكانه وعنده الاكابر والاماثل
فدخل عليه واحد منهم وقال له الملك يدعوك وحدك فقام فدخل الدهليز وقد اغلق
الباب الذي يصل منه الى الامير واغلقوا وراه الباب الآخر وقتلوه ثم اخرجوا الصلاح من حبسه
وهو احد الامرا الاكابر وقتل اولئك القاتلين وكان نوابه واتباعه ، قال وفيها توفي الفقيه
مهذب الدين عبد الله بن اسعد الموصلي بحمص وكان المدرس بها وكان علامة زمانه في علمه وتبحر وحده
في نظمه وقد اوردت من شعره في صدر الكتاب ما استدل به على فضله وانه ممن عقم الدهر بمثله واستسـ
كسبا بملا الايمان وكم اخرج بحره فلايبا للولو والمرجان ، قال وفي هذه السنة رد السلطان
قلعتي الرها وحران الى مظفر الدين كوكبوري ابن زين الدين لتوفره في الخدمة على حفظ القوانين
وطهر منه كل ما حقق به الاستظهار واوجب الرها الامرار ورغب في مصاهرة السلطان وقلده
طوق الامتنان ، قال وكان السلطان قد سكنت نفسه بالمقام واراد ان يكون حركته بعد
استكمال السكون وعنده اولاده الافاضل والملك العزيز والملك الظاهر بدمشق والافضل بمصر
فلما ورد نعي الخاتون وناصر الدين وخلا شكر اسد الدين بعد في العرين وخيف على بلاده
لصغر اولاده واحتيج ايضا الى الاحتياط على ما في خزائنه واستخراج دفائنه وذلك ان الخاتون
خلفت املاكا وتراثا واوقافا وامتعة واثاثا لم يكن من الحركة بد وقدم الكتب الى البلاد باصم
عليه عزمه واجرى به حكمه وامر بالاستعداد لنزهة الاسنة بها وحصانتها في ساير المقاصد والانحا
وكتب الى ولد ناصر الدين قد عرفنا المصاب بوالده رحمه الله وعظم اجرها واجره فيه وان مضى لسبيله
فولدنا اسد الدين احياه الله نعم الخلف الصالح وان انتقل والده الى دار البقا فهو في مكانه المستقر
من المجد والعلا والولايات والبلاد والمعاقل باقيه عليه مسلمه اليه مقرره في يديه وما مضى من والده
رحمه الله الا عينه ولدنا منه العيون وبه استقرار السكون والحمد لله الذي كرمه جبر المصاب
والبسنا واياه ثوب الثواب فليشرح ولدنا صدره ولا يشغل سره وليعرف خواصه واصحابه
وولاته ونوابه بحمص والرحبة وغيرها انهم باقون على عادتهم وكان المندوب اليه القاضي نجم الدين
ابو البركات بن الشيخ شرف الدين ابن عصرون ولم يفارق الخدمة السلطانية في هذه السنة ، قال

بن

وفي هذه السنة الكاملة على ما رقين وقد فتحناها ورد للسلطان مثال شريف امامي ناصري بتفويض
ولاية ماردين والحصن وهو حصن كيفا والعلامة الشريفة الناصرية في بابي سطوره بالقلم
الشريف الناصر لله ، قلت وفي هذه السنة توفي بمصر في شعبان الشيخ جمال الدين ابو الفتح
ابو الثنا ابو محمد محمود بن احمد بن علي بن احمد بن الجودي المعروف بابن الصابوني ودفن بسارية
بن القرافة ومولده ببغداد سنة خمس مائة وجد ابيه لامه شيخ الاسلام ابو عثمان اسماعيل بن عبد الرحمن
الصابوني فبه عرف بابن الصابوني وكان جده صحب السلطان محمودا ونسبته بالمحمودي اليه ودخل
ابن الصابوني هذا دمشق زمن الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله واجتمع به ونزل
الى زيارته وساله الاقامة بدمشق فذكر له ان قصده زيارة الامام الشافعي رحمه الله بمصر فتجهز
صحبة الامير نجم الدين ايوب والد صلاح الدين سنة سار الى ولده بمصر وصار بينه وبينه صحبة اكيده
ومحبة عظيمة بحيث انه ما كان يصبر عنه ساعة واحدة واقبل عليه ولما ملك ولده الملك الناصر
صلاح الدين رحمه الله ديار مصر لم يمكنه من العود الى الشام ووقف عليه وقفا بالديار المصرية
وعلى عقبه وهو باق بايديهم الى الآن وقرات بخط صلاح الدين رحمه الله ما كتبه في حقه الى
اخيه الملك العادل لما كان نايبه بمصر الاخ الاجل الملك العادل ادام الله دولته غير خاف
عنه قضية الوقف الذي اوقفه الوالد نجم الدين تغمده الله برحمته ورضوانه على الشيخ الفقيه
ابن الصابوني وانه لما جرى له من المحاصصة مع الشيخ الفقيه نجم الدين يعني الخبوشاني ما جرى
اقتضت المصلحة تسكين الفتنة وقطع الكلام اسناده الى موضع غيره ليتقطع الفتنة والخصومة
بينهم امرنا اليه ضع نقا الوقف في تصرفه وتصرف من عنده من الفقها والاخ الاجل
الملك العادل يتقدم برعايته وحفظ جانبه وتمكينه من التصرف في الوقف المشار اليه ومنع من
يتعرض فيه بوجه من وجوه التاويلات وحسم مادة الشكوى منه ممن يتعدى عليه ان شاء الله تعالى
وقرات بخط الشيخ عمر الملا الموصلي رحمه الله كتابا كتبه الى ابن الصابوني هذا يشير ان يطلب
منه فيه الدعا ويصف حاله اوله احوج عمر محب الملا يقول فيه ويعد فالذي تطلع اليه من
معرفة احوال محبها خبر وسلامة غارق في بحار النعماء ومغمور هو اطل الالا غير ان
ايدي السلو بالنعم برفعني تارة الى المقام الصدر ويضعني تارة اخرى الى المقامات المتخلفين
ومع هذا فطلب النجاه لا يغني والحركة في طلب العود لا يسكن والعمر ينقضي بالمنا والعنا
امل في يومي ادراك المناجي اذا ولي منيت غدا ، لا وطرا اقضي من الدنيا ولا اعمل للاخرى فعال السعدا

والعمر يمضي بين هاتين فلا صلاة له خالصة ولا هدا

يا اخي ما احزنك باحوال هذه الارجاء ان تحرك همتك لها الشفقة والرافة فتدعوا الله بـ
قلب حاضر بنور الشفقة والرحمة ويؤمن على دعائك من حضر من السادة الاخوان وتقول اللهم
عبدك الضعيف عمر بن محمد الملا يدعوك **ويقول** لا تهني بعد اكرامك لي فشيبته بادة منقطعة
وقد توسل بنا اليك نسالك ان تبلغه آماله وان تحييه حياة السعدا وان تميته موت السعدا
وتحشره في زمرة السعدا وان تجعل خير عمره آخره وخير اعماله خواتيمها وخير ايامه يوم لقاك

ثم دخلت سنة اثنين وثمانين فرحل السلطان الى الشام وودع مظفر الدين صاحب
حران من الغزاة ورحل صوب حلب والعادل صاحبها على المقدمة وقد هيأ اسباب التكرمة
فوصل حلب في العشر الاوسط من المحرم ورتب العادل في حلب نوابه وصحب السلطان فوصل الى حماه
وفيها نائب تقي الدين ناصر الدين منكورس بن ناصح الدين خمارتكين وهو صاحب ابو قبيس وقد جمع
النهضة والامانة ثم وصل السلطان الى حمص وقد مات المجاهد اسد الدين ابن الحارث شيركوه
ابن ناصر الدين وكان عمره اذ ذاك ثلث عشرة سنة سماه ابوه باسم جده ولقبه بلقبه وكتب
له منشور بما قرر عليه من البلاد وذلك حمص وسلمية وتدمر ووادي بني حصين والرحبة
وزكتها وكتب منشور آخر باسقاط المكوس بالرحبة وفيه وهذا دأب السلطان في جميع البلاد
اقتصر فيها على الرسوم التي يبيحها الشرع وهي الخراج والاحكار والزرع واعتمد على الامير الحاجب
بدر الدين ابراهيم بن شروه الهكاري في ولاية قلعة حمص ثم نقله الى قلعة حلب فبقي واليها
فيها ست سنين ونقله العزيز في آخر عهد السلطان نقوص ل ورتب السلطان مع اسد الدين
بحمص اميرا من الاسدية يعرف بارسلان بوا مقدم على اصحابه يتولى مصالح بابه حتى يتفرد الاسد
بالامر لسداده ويبلغ مبلغ رشاده وبعث الملك المجاهد ونهض بمحامل المحامد قال واقمنا بحمص
اياما حتى استعرضنا خزاين ناصر الدين وقسمنا ميراثه وكانت اخت السلطان الخاتونية زوجة
ناصر الدين وبيع مستغله للثمن والباقي بين البنت والابن وخلف عينا وورقا مجتمعا ومفترقا
وبلغ التراث في الملك والعين والاثاث عظم ان يعد بمقدار وانا احزر الف الف دينار
فما التفت السلطان طرفه بل تركه على اهل التركة قال ولما شاع بدمشق خبر دنونا احتفل
اهلها واجتمع بالمساد شملها وطلعت اعيانها ونبعت عيونها ووافت ابكارها وعونها وظهر
مكنونها ومخزونها وزانت لنا ثمراتها ومكرماتها سهولها وحزونها ودخلنا المدينة ور

الدنيا

الدنيا خارجه وسكينة النعمى فارجه ودمشق كالهدى برقوقه محفوفة وبالحسن موصوفة
وكان الناس قد شاع بهم خبر المرض فرهبهم عيان السلامة وارهم الهم للاشفاق فراجعوا للشفا
كري الكرامة وما الداء لرجا بعد الابلاس والشراعت الافراس والامل عقيب الياس وانهم
طعنوا في حالة الاحياش بالابتياش وامنوا بمشاهدة الانوار السلطانية حوادث الوسواس
واجتمع السلطان في القلعة باهله واقلع المرجف عن جهله وحسنت الاحوال وامتلاهوا ل
وشاهدنا الفضل والكرم بالمشاهدة الفاضلية الكريمة وعدنا الى العادة السعادة القديمة وفتح
السلطان فيه اسراره واستبرا الصفو رايه افكاره ودخل جنته وجنانه وزار تربة
واستزاره وراجعه في مصالح دولته واستشاره وجلس السلطان في دار العدل لكشف
المظالم وبث المكارم واحيا المعالم واقامة مواسم المراسم قال ابن شداد ولما وجد
السلطان نشاطا من مرضه رحل طالبا جهة حلب وكان وصوله اليها يوم الاحد رابع عشر المحرم
وكان يوما مشهودا اشتد فرح الناس بعافيته ولقائه فاقام بها اربعة ايام ثم رحل
في ثامن عشره نحو دمشق ولقيه اسد الدين شيركوه بن محمد بن شيركوه بتل السلطان ومعه اخته
وقد صحبه خلعة عظيمة وقرب رايه ومن عليه بحمص واقام اياما يعتبر تركة ابيه ثم سار يطلب
جهة دمشق وكان دخوله اليها في ثاني ربيع الاول وكان يوما لم ير مثله فرحا وسرورا **فصل**
في ذكر ما استانفه السلطان بمصر والشام من نقل الولايات براو لحقه قال العماد وكان
السلطان لملازمة اخيه العادل له قد مال الى رايه وكان الملك الافضل نور الدين علي بمصر وهو
ولده الاكبر وقد بدا نظره وعلى تجويد الخط والادب وسماع الاحاديث النبوية يتوفر وقد
مال اليه بمصر جماعة وله منهم طاعة وربما نقم تقي الدين النايب هناك من واحد امرا فوقعت
منه فيه شفاعة فكتب يشكو اختلال امره واشتغال سره وكان في نفس السلطان ان ينقل
ولده الملك العزيز عثمان الى مصر ليكون عزيزها والنجوم تملكها وتحوزها وهو مفكر في طريق
تدبيره ووجه تقديره حتى بدا له نقل الافضل الى الشام فكتب اليه يتشوقه ويستدعيه بجميع
اهله وجماعته ووالدته وحشمه واصحابه فخرج ووصل دمشق يوم الاثنين الثالث والعشرين
من جمادى الاولى وخرج السلطان لاستقباله وانزله بالقلعة في دار رضوان وكتب الى العادل
انه قد استقل امره وزال عذره فابتهج بمفرده وخفي عنه انه كان في ذمة ولد السلطان
وعصمته ولزمام حرمته محرمته قال ولما وصلنا الى دمشق كان بها من اولاد السلطان الملك

الظاهر غازي غياث الدين فنازعه العادل وهو صهره وقد اشتد بمصاهرته ظهره فقال
له قد نزلت عن حلب لك وانا امنع من اخي ما قطاع ان كان والزم الخدمه ولا اعارض السلطان
فاطلبها من ابيك ان كانت من ضيك وجا الى السلطان وقال امنع حلب مع رغبتي فيها
ويحتني لنولها ارى ان احدا ولادك بها احق وهذا ولدنا الملك الظاهر احب ابني او ثر بها
فقال السلطان المهم الان تدبير امر ولدي الملك العزيز فان مصر لا بد ان يكون لي بها ولد اعتمد
عليه واسند ملكها اليه ورحل الى الزرقا ومعه ولده العزيز والظاهر واخوه العادل
فالتمس العادل عوض حلب بلادا عينها ونواحي بمصر تبيها وكان قد مال الملك العزيز اليه لاشفاقه
عليه فسال اباه ان يستر معه العادل فانه نعم الكافي الكافل فاعطاه السلطان عمر البلاد
المعروفه بالرقيه واعتمد عليه بنيابته في ساير الممالك المصريه ولما سمع تقي الدين هذا الخبر
سا وبقر وذم العبر واستبدل من الصفو الكدر وعاد من يعبر الراي فيه واذا نوى ابو بكر
فلاعم معبر الى الجيره فظهر انه يمضي الى بلاد المغرب ليملكها وكتب وسال السلطان ان لا يمنعه
من سلوك مسلكها وسمت همته الى مملكه جديده واما ليمن ذات ملال مديده وبلاد واسعه
ومدن شاسعه وقد كان احد مماليكه المعروف بقراقوش قد جمع من قبل الجيوش وسار الى بلاد
برقه وملكها وهدته الامنيه الى النفايس من بلاد نفوسه فادركها وجاور الى افريقيه وهو يكتب
ابدا الى الملك المظفر برغبته في تلك المملكه ويقول ان البلاد سايبه فلما تجدد لتقي الدين
ما تجدد ونهد لعمه العادل ما مهد عادت له ذكر المغرب فعبر بعسكره ومال اليه عساكر
مصر لبذله وقدم مملوكه بوزبا في المقدمه فلما انتهى الى السلطان خبر عزمه قال لعمري ان فتح
المغرب مهم لكن فتح البيت المقدس اهم والفايده به اتم والمصلحه به اخص واعم واذا توجه
تقي الدين واستصحب معه رجالنا المعروفه ذهب العمر في اقتناء الرجال واذا فتحنا القدس
والساحل طوينا الى تلك الممالك المراحل وعلم بجاح تقي الدين في ذوب تلك اللجه فكتب
اليه يامره بالقدوم عليه وجهز ولده العزيز الى مصر وقرر له قوصا واعمالها وسار معه عمه العادل
فدخلا القاهره في خامس شهر رمضان واما الملك الظاهر فسيره السلطان الى حلب وانعم عليه
بها وساير قلاعها واقاليمها وبعث معه الحاجب شجاع الدين عيسى بن بلاشو وعاد السلطان نحو
الافضل وقدم تقي الدين في اخر شعبان وتلقاه السلطان وخيم على المرج فوق قصر ام حكيم
فلما قرب ركب لاموكبه ورحب به ودخل الى دمشق وعاد الى ما كان له من البلاد ومنبج والمعره

دينار

وساير اعمالها ثم اضاف اليه ميافارقين وجميع ما في ذلك الاقليم من المعاقل وكتب الى مصر
باستدعاء رجاله واعلامهم بتاخير عزم المغرب بل ابطاله فاستقلوا الامر وطلبوا الى الشام مصر
سوى مملوكه زين الدين بوزبا فانه رهب لدعسكر الى المغرب فمضى واستغفر وظهر على بلاد اوسعهم
ثم قصد صاحب المغرب فاخذ ماسورا ثم اعزه مع المعترف بقدر العفو والفاه مشهورا
مشكورا وافضت عليهم قال وكتب الفاضل الى تقي الدين يتنبه على الحزم ما انتقل المولى
من تردد وساير مولانا في التماس السفر الى المغرب والصدود اليه تحكي الرواه فالنا نشتغل بمولانا
هذا الواقع الذي وقع وما هذا العزم من الهم الذي ما اندفع بالامس ما كانت لكم من الدنيا الا
البلغه واليوم قد وهب الله هذه النعمه وقد كان الشمل مجموعا والهم مقطوعا ممنوعا فاصبح
الان الدنيا ضيقه علينا وقد وسعت والاسباب بنا مقطوعه ولا والله ما انقطعت بمولاك
الى ابن وما الغايه وهل نحن في صايفه من عيش او في قلة من عدد او في عدم من بلاد او في شكوى
من عدم كيف نختار على الله وقد اختار لنا وكيف ندبر لانفسنا وهو قد دبر لنا وكيف ننتجع الجدب
ونحن في دار الخصب وكيف نعدل الى حرب الاسلام المنهي عنها ونحن في المدعو اليها من حرب
اهل الحرب معاشر الخدام ما قلنا وارباب العقول والا اليس منكم رجل رشيد
نعقب الراي وانظر في اواخره فطالما انهمت قدما اوايله
لا زال مولانا يمضي الا الى اصابه ويحليها بلديه وعاقبه لا اخلى ... ما ان خلت فيها تلك
تمر ولجمعه ايام ان لم نطلع فيها من وجهه دخلت في عداد الليالي فلم تذكر قال
ابن شداد وفي سابع عشر جمادى الاولى سنة سبع وثمانين وصل الملك الافضل الى دمشق وكان خرج
الى الشام قبل ذلك وكان السلطان راى رواح الملك العادل الى مصر فانه كان ابن يحول الها
من الملك المظفر وما زال يفاوضه في ذلك وهو على حماه مريض وحصل في ذلك بعض الوحل
ظنه كان حصل له بالمهر فلما عاد السلطان الى دمشق ومن الله بعافيته سير يطلب العادل
الى دمشق فخرج من حلب ... واقام بدمشق في خدمة السلطان يجري بينهما احاديث في مراجعات
في امور تتعلق بالمملكه الاخرى فاستقر عود العادل الى مصر ... بلاد حلب الى الظاهر ونزل الملك
اليه ولده الملك العزيز وجعله اتابكه قال ولقد قال لي الملك العادل لما استقر هذه القاعده — علي
اجتمعت ... الملك العزيز والملك الظاهر وجلست بينهما وقلت للعزيز اعلم يا مولاي ان
السلطان قد امرني ان اسير في خدمتك الى مصر وانا اعلم ان المفسدين كثير وغدا ما يخلو من يقول

عني لا يجوز وعفوكم عني فان يكن لك عزم تسمع فقل اخي لا اخي فقال لا اسمع وكيف
يكون ذلك ثم التفت وقال للملك الظاهر انا اعرف ان اخاك ربما يسمع في اقوال المفسدين
وانا فاني لا اسمع وقد قنعت منك بهذا فانه قد ضاق صدري من جانبه فقال مبارك وذكر كل
خير ثم ان السلطان سير ولده الظاهر الى حلب واعاده الى ما كان رحمه الله على ان حلب هي
اصل الملك وجرثومته وقاعدته ولهذا ارغب في طلبها ذلك الدأب ولما حصل له من علم اهل
بلاد الشرق ووقع منهم الطاعة والمعونة على الجهاد فسهل اليه علما انه بحلب امنه وحرمه وحفظه
فسار الباطني الى العسكر المبارك وهو مترف في خدمته بحبس حسام الدين بشارة وابا الباطني من بلاد الشرق
ونزل بهم الى العسكر المبارك فخرج الناس الى القائد في بكرة السبت تاسع جمادى الاخرة
وصعد المتصاحبون وفرح الناس فرحا شديدا ومن على الناس جناح عدله واقام
عليهم وابل فضله واما الملك العزيز والعادل فان السلطان قرر حالهما وكتب الى الملك
المظفر يخبره بمسيرهما الى مصر صحبة الوصول الى الشام فشق ذلك عليه حتى ظهر للناس وعزم
على المسير الى بلاد المغرب فرفع ذلك عليه جماعة من اكابر الدولة وعرفوه ان عمه السلطان
يخرج من يده البلاد والله يعلم ما يكون منه بعد ذلك فراى الحق بعض التبصير واجاب
بالسمع والطاعة وسلم البلاد ودخل مصر لما وصل الى خدمة السلطان فساروا الى القاهرة فلقيه بمرج
الصفر وفرح بوصوله فرحا شديدا فحضر في الثالث والعشرين من شعبان واعطاه حماه
ومنازلها وكان قد عقد بين الظاهر وبين ابنة العادل عقد نكاح فتم ذلك وبه دخل بها يوم الاربعاء
الثامن والعشرين من شهر رمضان وعقد للملك الافضل على ابنة حسام الدين محمد اسد الدين
في شوال من هذه السنة ومن كتاب فاضلي الى السلطان الملك العادل في الملك المظفر
المذكورين اما انهما فلا نزاع انهما والدواء انما ضرهما الاجل فلما اصبحا وكل واحد منهما
لمشيء من النزاع الى ان ينطبع فيه وما ذكر وكان الحق والخلاف فلا يمنع
كل واحد منهما طرفين ملكه واعلم بعد بعد من مولانا في ذلك بما يقتضيه صدره للواسع
فصورة المخيم الذي اتم البالغ والمنع من اعدهم ولم تحفظوا القرابة
ولا ترضوا الا صاحبنا في الطرف الا على صبر ولا في ابي بقيته ويستغني لكن الايام
ما لكنت ان بقاهم الى ما في السنة اذ سمعوا امر ولا فيه كما امر
لمنع من يسعه ولو اكتفى بما عنها فيه فانها من يشكو الا الدنيه في الطلب وهي

من باب المقه بكرم المنعم وعلمه اولاده والمولى يقول الاينه لها نتكلم انا سلوا
فاني مكاثر عم الاثم لا تنال العلم المولى لدواء على تجهيز الحاجات ويمنى الكدور وتستوا على افق
هذا الحسن طلوع الشمس والعود ٥ قال العماد ومدحت تقي الدين بقصيدة سينية شينية
قطوفها دانية جنية فتشتمل على مائة واربعين بيتا انشدته اياها في ثالث شهر رمضان من هذه
السنة بدمشق واوردت بعضها ومطلعها
عفا الله عنكم عن ذوي الشوق تنسوا فقلب المغلوب الى الشوق هو اهل المعلوب او المغلوب طنتم تعنيني املالكم فهلا عنتم طبعكم تبخسن
وليس لغلي في الشرود وترو وقطعي على الاحزان ووقف مجلس لغرامه محييه حفظ طرفه وتحسبه من سلم عينيه نعس
له ناظر عند الكلاء فاطر بتوا وليل الداعي عليش اذا درست الحاطه الى اصبح من سوم اصطباري حين يدرس
ولم انس انسى بالحمى ودعي الى عشية لي حجو وجل ومجلس بحا الله ابا دالوان فكم صحيفة اودى بها المتلمس
ولولا ابتسامات المطهر بالندى لما راق نفسي صبحه المتنفس جلت شمس الخادم بعد ما عن بنا وبل مع مع الشمس
وصار به هذا الزمان جميعه مقاذا انما القامس ليل معتمس اذا صال والمعلول الغدع وان
جيادوالمسدول الفكيتن ٥
وليس يعيبون على فضل ابه وبعض الاحوال يجلس اذا اطلق الملك المطفر في الوغى اعنته والشمس بالنقع يحلس
فذاك ملوك لا يكونون دائما وكلهم عن دعوة الحق مجلس لكل الملك العزيز ملوكه فاشكية والحور بالعدل تعلس
سيهدي الى المهدية النصر والهدى بعد بكم منها ويومن يومن رددت كراديس الفرنج وكلهم
لدى الاسر في على الصعان مكردس
ويبيضت وجه الدين يوم لقيتم واسعكم من اسود الغدر اسود افادوا الاجناس طه صينكم وما استغيد الطهر لولا النجس
يمون طي بعد وله الهامن بحد الله نصرانيته ومحبتكم وكم كفى الاسلام سوا بلكم لقيتم على رغم المعاندين كل شو
ولا استنج البيت المقدس غيركم وسنكم من كل عام مقدس لهم كل يوم في جهاد مثلث اذا
نصروا التوحيد في ذي مخمس ٥
اذا ما تولى الدين صال الصاعطين لاقدامه عنه الرش كادوش وباع الاشبيه نعيمه شيدعلى اللادثيث عرش
فصل في قضايا حوادث هذه السنة قال العماد كان المنجمون في جميع البلاد يحكمون بخراب العالم
هذه السنة في شعبان عند اجتماع الكواكب الستة في الميزان بطوفان الريح في سائر البلدان
وخوفوا بذلك من لا ثبوت له باليقين ولا احكام له في الدين من ملوك الاعاجم والروم واشعروهم
من تاثيرات النجوم فشرعوا في حفر مغارات في التخوم وتعمقوا بيوت في الاسراب وتوثيقها وسد

منافسها على الريح وقطع طريقها وتشلوا اليها آلما ، والادوله واسلما اليها وانتظروا الميعاد وكلما
تمضا بلخدمهم استعربنا فى الضحك من عقولهم وسلطاننا متبرى من اباطيل المنجمين موقن ان قولهم
مبنى على الكذب والمنجمين فلما كانت الليله التى عينها المنجمون لمثل ريح عاد وقد شارفنا الميعاد ونحن
جلوس عند السلطان فى فضا واسع وبادٍ للشموع والمهدات جامع وما يتحرك لنا نسيم و لا
يسرح الهوا فى ربع مبانيه لانوار متسم وما راينا ليله فى ركودها وركوبها وهدوها وهدوها
مثلها
قال العماد الكاتب وحكم اصحاب النجوم انه فى الثامن والعشرين من جمادى الاخره من هذه السنه
تقترن الكواكب السياره الخمسه والشمس والقمر فى برج الميزان ويؤثر ذلك هوا عظيما
وحبا سموميا وفى يوم الثلثا التاسع والعشرين يهلك البلاد ويحمل الرمل ونسبوا ذلك الى
الحادى وقالوا انكون اشد ذلك من ليله الثلاثا الى نصف ليله الاربعا فاستعد لذلك اقوام
فى البلاد وجمعوا الكعك وصنعوا المراجب فاهل رجب وماجرى مما قالوا شى يجرى
اهل التنجيم لذلك ولم يهب فى ذلك اليوم هوا النسيم وكان الزمان حارا واشتد الحر فى ذلك
اليوم وبعده ولم يظهر مما قالوا شى وقال الشعرا فى ذلك شعرا يزرون عليهم فى حكمهم منهم
ابو الغنائم محمد بن المعلم الهرثى ومجد الدين عيسى بن مودود ونكريت وابو الفتح سبط ابن
التعاويذى قال ابو الغنائم ابن المعلم قل لابى الفضل قول معترف مضى جمادى وجانا رجب
وماجرت زعزعا كما حكموا ولا بدا كوكب له ذنب كلا ولا اظلمت ذكا ولا ابدت اذى فى قرانها الشهب
يقضى عليها من ليس يعلم ما يقضى عليه هذا هو العجب فارم بتقويمك الفرات والاصطرلاب خير من صفوه الحطب
قد بان كذب المنجمين وفى اى مقال قالوا فما كذبوا مدبر الامر واحد ليس للسبعه فى كل حادث سبب
لا المشترى سالم ولا زحل باق ولا زهره ولا قطب تبارك الله حصحص الحق وانجاب التمادى وزالت الريب
فليبطل المدعون وضعوا فى قبتهم وليخرق الكتب
وقال عيسى بن مودود
من مبلغ المعيوم والريح قد بان الخفا انما التقويم والريح هوا وهبا وبلا
علت للسبعه اجرام وعطاء ضمنه فى الميزان تستول الهوا وتغير الرياح حتى تمتلى الفضا منعم الارض خسف وخرا
ويصير القاع كالعهن كالطود الغرا وحكم فى الحاكم الحقايق الاشيا مالى الشرع ولاجات هبنا الانبيا فتبينهم
فضيحه تضحك منها العقلا
حسبتم حزنا وخرابا ما تقول الشعرا ثم المنحكم فى الحكم الى الامر الهيا ذم يحسنوا فى الدين ظنا ما اساوا
فعلى اصطرلابكم بطليموس والريح العفا وعليه الخرى ما خادت على الارض السما

ولم يذكر شعر سبط التعاويذى قال وفى التاسع والعشرين من شوال توفى ابو محمد عبد الله بن
برى بن عبد الجبار النحوى وكان آيه فى النحو عالما فقيها صالحا وكان مبتلى فى امر دنياه حدث عن ابن
الخطاب ومرشد بن صادق وغيرهما ، قال العماد وفى هذه السنه جانى اتابك شمس الدين محمد
ابن اتابك ايلدكز المعروف بهلوان وهو الذى كان نزل على خلاط فى العام الماضى وكانت حبوته
متصله الجد والجدى واضطربت من بعده تلك الممالك واحتربت اصفهان والى اليوم من سنه
اربع وتسعين ما وضعت اوزارها وتولى بعده اخوه قزل ارسلان فازال مهابه الملك السلجوقى
وسلك السعد نهج الشقى الى ان ذهب فاضمحل الملك وانقطع السلك واتسع الهلك وطمع خراسان
فى العراق وعدمت الافاقه من الاخاق واظلمت مطالع الاشراق ، قال واشتغل السلطان
فى بقيه سنه اربع وثمانين بدمشق بالصيد والقنص والاستهتار فيه لبوادر الفرص وكان يركب الخيل اهط
للصيد بالبزاه والشواهين مع مماليكه الخواص المياميين وله شاهين بحرى كان يجرى اذا حلق فيشرد
وان اخرق يجر فكم صاد لبوسف يعقوبا وعفر باحاز وعد صيده عرعوبا فطلبه من السلطان
فقال ابنى للعلم فى الدواوين مماليك والبزاه والشواهين فقلت يكون فى ملكى وكل ما تعيضه
بالسوانح المولى وهذا ادبح لى وانفع واولى فقال نعم فلما اصبح سبر لى تسع عشره قطعه
من طير وحجل وقال هذا صيد شاهينك فى طلق واحد وعلى عجل فملكت ذلك الشاهين خمس
سنين من سنين السلطان يصطاد به ولى فرصه له مطلعه ولى مخاصه فما زال على هذا النحو محافظا
ولهذه النكته ملاحظا الى ان اودى الجارح وانقطعت تلك المنايح فبالله دره من سلطان
لم يبرح ذكر هذه القضيه التى اعادت جرحا جديدا واعتد لى حقا معدا ودون حقه على مثله ابو يوسف
ومن حقنا نعيد ان سلوا انا اسفى على يوسف ، قال ولما دخل شهر رمضان نوع اقسام
الانعام واتفق ان بعض التجار كانت بضاعته بعاير وقيعه وما لها نعاق وهى اكثر من مايه قطعه
فحملها الى الخزانه السلطانيه فى بضاعات فقال خذوها واكتبوا الى اثمانها فى مصر على بعض الجهات
فاستربت منه بما كان يرجوه من الربح وكان من كرم شيم السلطان اذا عرف فى خزانته موجودا
انه لا يستطيب تلك الليله حتى يفرقه جودا فقال لى قد اجتمعت لنا بقاير وعمايم وقد تقاضتنى
بخلعها على اهل الفضل المكارم فسما باهل الدين والتقوى وتعجل لهم اوفر حظ من الجدوى
وكان فى الوافدين ومن اهل البلد وعاظ وعلما وحفاظ فيكون كل يوم نوبه لمن يتكلم على
المنبر ويذكرنا بالحلال والحرام والبعث والمحشر بخلع عليهم وعلى القرا فاشتغل منه

اسبوعين بالمواعظ ووضع المنبر في ايوان القلعة فقلت بقي احضار الفقها في الليلة الباقية من الشهر
فقال انهم يقضي بهم الخلاف الى التشاحن والتضاغن فقلت انا اضمنهم ولا يحضر الا اوقرهم وادربهم
فاستدل اول يوم برهان بن مسعود مدرس الحنفية في المدرسة المعروفة بالنورية واعترض عليه العماد
الكاتب وفي اليوم الثاني استدل اكبر مشايخ الحنفية بدر الدين عسكر واعترض عليه قاضي القضاة
محي الدين ابن الزكي وكان السلطان يجلس في كل يوم لطايفة فلما دنا العيد امر بابتياع العمايم وغيرها
وصرفها اليهم • قال ابن شداد وفي شهر ربيع الاول من سنة اثنين وثمانين وقعت وقعات كثيرة
بين التركمان والاكراد بارض نصيبين وغيرها وقتل من الفئتين خلق عظيم وبلغ السلطان ان معين الدين
ابن معين الدين قد عصى في الراوندان فكتب الى عسكر حلب ان يحاصروه وكان قد سلمه اليه في العام الاول
من سنة اثنين وثمانين واعطى برج الرصاص لسرخك في بقية ذلك الشهر وفي تاسع جمادى الاول وصل
معين الدين من الراوندان وقد سلمها الى علم الدين سليمان ثم مضى الى خدمة السلطان • قال
ابن القادسي وقدم الحاج في عاشر صفر فاخبروا ان سيف الاسلام اخا صلاح الدين ملك مكة وضرب
الدنانير بها باسم اخيه ومنع من قول حي على خير العمل وشرط على العبيد ان لا يوذوا الحاج واخبر
الحاج ان قفل باب الكعبة تعسر حتى فتح وللمانع مات في الدوسة اربعة وثلاثون شخصا من بين رجل
وامراة • قال ووصل الخبر ان ريحا هبت بالبصرة فكسرت نخلا كثيرا وماتت بهايم كثيرة ووصل
الخبر الى بغداد بقتل البهلوان وان القتال وقع هناك واحرقت المحال ونهبت الاموال واقتتل
اهل المذاهب واحرقت مدارس وبقي القتل من سابع محرم الى ربيع الاخر فاحصوا من القتلى
اربعة الاف رجل وسبع عشرة امراة بعد احراق اطفال في المهود بالليل وقام قزل اخو البهلوان
فكف الناس وكان قزل قد رتب شحنة في اصفهان بعد الفتنة التي وقعت بها ومعه الف فارس
فما زال يهذب البلد والرساتيق بالقتل والصلب وصادرهم واشير على قزل بان يلزم اهل البلد
سبعين الف دينار فقال له الشحنة اهل البلد فقرا فقال بعض المصالحية لقزل انما اخذ الامر الاعيان
فوثب عيار فقتل المصلحي وكان العيار معلقا على قاضي البلد فوكل الشحنة بدار القاضي محمد ابن الخجندي
الى القاضي من يحرز له اخراج الموكلين به وتحالفوا على اخراج الشحنة من البلد وان يقطعوا خطبة السلطان
الذي نصبه قزل ففعل ذلك في سابع شوال ثم كثر القتل في البلد فكل من في قلبه على احد شر
وثب عليه فقتله من رجل او امراة وكان القتل الكثير في اصحاب الخجندي وكان الحريق والنهب واحراق
الدور في اصحاب القاضي وجرى القتال يوم عرفة ويوم العيد ودام وبطل الناس من المعايش

وخر

وخربت الاسواق ووقع الغلا ومات الناس من الجوع وبقي اهل اصفهان على قدم الخوف
واخذت ثياب الناس ولا يتجاسر احد ان يلبس ثوبا جديدا والعيارون ياخذون اموال
الناس مغاواة وهرب الناس من اصفهان **فصل** • قال العماد رحمه الله تعالى من
اسباب نصرة الاسلام ووهن الكفران قومص طرابلس رغب في مصافاة السلطان والتجا اليه والمنع
له على اهل ملته بسبب انه كان تزوج بالقومصية صاحبة طبرية وكان اخو الملك المجذوم لما هلك
اوصى بالملك لابن اخته هذه وهو صغير فتزوج القومص امه ورباه فمات الصغير وانتقل الملك
الى امه ثم انها مدت عينها الى بعض المقدمين من الغرب فتزوجته وفوضت الملك اليه فنزع يطلب
حساب البلاد من القومص فوقع الاختلاف بينهم لذلك فالتجا القومص الى ظل السلطان فصار
له من جملة الاتباع فقبله السلطان وقواه وشد عضده باطلاق من كان في الاسر من اصحابه
فوثقت مناصحته للمسلمين حتى كاد القومص لولا خوف اهل ملته يسلم وصار بدولة السلطان وملكه يقسم
ومال ابن الفرنج جماعة وظهرت له منهم للطاعة طاعة ودخلت من جانبه الى بلادهم السرايا
وخرجت بالغنائم والسبايا واعطى الدنية في دينه بما اسلفناه من العطايا فصار الفرنج يدفعون
شره ويحذرون مكره فتارة يدارونه وتارة يمارونه وللقومص قوم صدق يساعدونه في
كل حق وباطل فبلي بهم اهل الساحل بشغل شاغل وهذا الملك المجذوم هو ابن الملك اماري
ابن فلك وتوفي اماري في اخر سنة تسع وستين سنة مات نور الدين رحمه الله وخلف هذا الولد
المجذوم فبقي بينهم نحوا من عشر سنين ملكا مطاعا فلما حضره الموت اوصى لابن اخته بالملك
قال وكان ابرنس الكرك ارناط اغدر الفرنجة واخبثها وافحصها عن الردى والرداة واحرصها
وانقضها للمواثيق المحكمة والايمان المبرمة وانكثها واحنثها ومعه شرذمة لها شر ذمة وهي شر
امة وهم على طريق الحجاز ومن ينهج على المجاز وكان في كل سنة يغزوه وبالبوائق يعزوه
ويصيبه منا المكروه فاظهر انه على الهدنة وجنح للسلم واخذ الامان لبلده واهله وقومه
وزوجه وبقي الامر له شاملا والقفل من مصر في طريق بلده متواصلا وهو يمكن الجائي والذاهب
حتى لاحت له فرصة في الغدر فقطع الطريق واخاف السبيل ووقع في قافلة ثقيلة مع نعم جليلة
فاخذها باثرها وكان معها جماعة من الاجناد فاوقعهم في الشرك وحملهم الى الكرك
واخذ خيلهم والعدد وسامهم الشد والشدة فارسلنا اليه وذممنا فعاله وقبحنا احتياله
واغضبنا له فابى الا الاصرار والاضرار فنذر السلطان دمه ووثق في اراقته بما التزمه وذلك

في السنه الآتيه كما سياتي واقام السلطان بدمشق بقيه هذه السنه وهو في الاستعداد للجهاد وقد ارسل في طلب العساكر من البلاد المشرقيه والمصريه فانتظمت اموره على احسن قضيه ومن كتاب فاضلي الى بعض اخوانه كتبت هذه المكاتبه من جسر الخشب ظاهر دمشق وقد ورد السلطان اعز الله انصاره للغزاه الى بلاد الكفر في عسكر فيه عساكر وفي جميع المبادي فيه كانه حاصر وفي حشد يتجاوز ان يحصله الناظر الى ان لا يحصله الخاطر وقد نهضت به همه لا يرجى غير الله لانهاضها ويحث به عزمه الله المسؤول في حسم عوارض اعتراضها وباع الله نفسا تستمتع اهل الاسلام بصبتها ويذهب الله الشرك بهيبتها وارجوان تتمخض عن زبده يستريح الابدي بعدها عن المحض وان يكون الله قد بعث سيفه نصره الاسلام وسلطانه قد نهض للقبض ثم دخلت

سنة ثلاث وثمانين

وهي سنه كسره حطين وفتح الساحل والارض المقدسه للمسلمين قال العماد في كتاب البرق وهي السنه الحسنه المحسنه والزمان الذي يقضت على اسطار احسانه الازمنه وطهر فيه المكان المقدس الذي سلمت بسلامته الامكنه وحلصت بمنحه الله من المحنه الارض المقدسه الممتحنه وكفى الله شر الشرك وحكم على دماء الكفره بالسفك ونصرت الدوله الناصريه وخذلت المله النصرانيه واستم التوحيد من التثليث وشاع في الدنيا محاسن الايام الصلاحيه حسن الاحاديث ثم ذكر في البرق والفتح واجملناه قال فبرز السلطان من دمشق يوم السبت اول المحرم في العسكر العرمرم ومضى باهل الجنه لجهاد اهل جهنم فلما وصل الى راس الما امر ولده الافضل بالاقامه هناك ليستدني اليه الامرا الواصلين والاملاك وجمع الاعراب والاعاجم والاتراك وسار السلطان الى بصرى وخيم على قصر السلام واقام على ارتقاب اقتراب الحجاج وكان فيهم حسام الدين محمد بن عمر بن لاجين ووالدته اخت السلطان مع جماعه من الخواص وقد تقدم ذكر عدو الله صاحب الكرك وهو على طريق العسكر المصري والحجاج ووصل الحاج في آخر صفر وخلا سر السلطان من شغلهم ثم سار ونزل على الكرك واخاف اهله واخذ ما كان حوله ورعى زروعهم وقطع اشجارهم وكرومهم ثم سار الى الشوبك وفعل به مثل ذلك ووصل عسكر مصر فلقاه بالقريتين ووفد على عمال العافيه واقام على هذه الحاله في ذلك الجانب شهرين والملك الافضل ولده مقيم براس الما في جمع عظيم من العطاء ومنه المحافل الحافله والحواصل الحاصله والعساكر الكاثره والقسا ور العابره وهو ينتظر اثر ابيه ويكتب اليه ويقتضيه وانقضى من السنه شهران وطال بهم انتظار السلطان فانهض

منهم سريه وامرها بالغاره في بلد طبريه ورتب في جبل الحرون... بالشرق ودبار بكر مظفر الدين كوكبوري صاحب حران وعلى عسكر حلب والبلاد الشاميه عز الدين دلدرم ابن ياروق وعلى عسكر دمشق وبلادها صارم الدين قايماز النجمي فساروا عند نصف ليله وصبحوا صفوريه وقد خرج الاسبتار والداويه مع مقدمهم الفرنج اليهم فنصرهم الله عليهم وقتلوا منهم جماعه والطلول وسلموا منهم من الخيل والسلاح ما تكاثر... وامروا الملك مقدم الاسبتار وحصل جماعه من فرسانهم في قبضه الاسار وانهزم مقدم الداويه وله حشاشه ووقع الباقون ثم انصرف العسكر من الملك ظاهر وعاد واثنا سالمين غانمين في حالين وكانت هذه النوبه اول البركات وتقدمها بعدها من ميامن الحركات وكان السلطان في نواحي الكرك والشوبك فسار السلطان ووصل الى عشترا فالتقى به وتوالت عليه العساكر وتقدم عسكر الموصل وماردين وكاملت العساكر فرتب عرضها وطولها وملا بالملا حزونها وسهولها وما رايت عسكرا اكبر منه ولا اكثر ولا اظهر للكفر ولا اكثر وكان يوم الجمعه يوم العرض ونشاهد ميلا وعرض العسكر بين يديه الى الخميس ثم رتب السلطان العسكر اطلابا ودخل يوم الجمعه سابع عشر ربيع الآخر قاصدا في دخول الساحل فاناخ ليله السبت على خسفين ثم نزل على الاردن ثم الاقحوانه واقام هناك خمسة ايام وتدعو اقف الامرا وخادم واحاط بجيره طبريه بحره المحيط وضاق سايل خيامهم وكانت لبسط وقامت الفرنج اجتماع كلمه الاسلام عليهم وسيرة عسكر الملوك اليهم علوا انهم لا عزم لهم عليه وان الفرنج كله قد يرنا الى الترك كلا فاجتمعوا واسطبوا واجمعوا واجمعوا واتبعوا ودخل القومص معهم بعد ان دخل عليه الملك وغيره واسطنوا الملك من... الصلبان والاولينه وجمعوا الفاريس والراجل والداريه واسعوا عليهم الصليب ونقلوا اليه من بلاد الطاغوت ومن ذلك الناسوت وكان الحجه والاحياء من اهل الاقاليم واهل الكنائس وطلبوا الصليب الاعظم بالتعظيم وما منهم من ارضه شجاع من العدو والاحيا وكانوا عنده الحصا وساروا وهم خمسين الفا ويزيدون ويكثرون قد دونا الصليب

[redacted]

وكابيها بالنبال وكان ما فرقه من النشاب اربع مايه حمل ووقف سبعين حماره في حومة الوغى
باخذيها من خلف حجابه وفرغ نشابه حتى اذا اسفر الصباح خرج الجالشيه تخرق نيران
الضلال اهل النار ودب الغبش وعتت الاوتاد ذاك اليوم ذاك والجيش شاك واللقيط
عليهم فيض وما للغيظ منهم غيض وقد وقد الحر واستشرى الشر ووقع الكر والفر والتراب
طايح والطاء لافح والجو محرق والجوى مقلق ولاوليك الكلاب من اللهث لهث وبالعيث
عيث وفي ظنهم انهم يردون الما فاستقبلتهم جهنم بشرارها واستطهرت عليهم الظهيرة
بنارها وذلك في يوم الجمعه بجموع اهلها المجتمعه وورا عسكرنا بحيره طبريه والورد عد
وما منه بعد وقد قطعت على الفرنج طريق الورود وبلوا من العطش بالباردان الوقود فوقفوا
صابرين مصابرين مكابرين مصابرين فكلبوا على ضراوتهم وشربوا ما في اداواتهم وشفوا
ما حولهم من موارد المطالع واستنزفوا حتى ما المدامع واشرفوا على المصير الى المصارع
ودخل الليل وسكر السيل وباتوا حيارى من العطش سكارى وهم على شغف البحيره بحيره
وفوقوا اسنهم على الشر واستعدوا ابا العزايم المحنكه وقالوا غدا نصب عليهم ما المواضي
ونتقاضيهم الى القواضب القواضي فاجد واعزم البلا وطلبوا اللقا بالتورط في الفنا واما
عساكرنا فانها اخذت ومن كل ما نعوفها برئت فهذا السنانه شاحذ وهو العنابة اخذ
وهذا سهم يفوق وهذا سهم موفق وهذا مكبر للتكبير ومنتظر للتبكير وهذا ناج للسعاده
وهذا راج للشهاده فيالله تلك من ليلة حراسها الملايكه ومن سحره انفاسها الطاف الله
المتداركه والسلطان رحمه الله قد وثق بنصر الله فهو يمضي بنفسه على الصفوف ويحثهم ويعدهم
من الله بنصره المالوف ويغري المبين بالالوف وهم مشاهدته اياهم يجدون ويجدون ويصدون
العدو ويردون وكان للسلطان مملوك اسمه منكورس حل في اول الناس وكان حصانه قوي
الراس فابعد عن اخوانه ولم يتابعه احد من اقرانه فانفرد به الفرنج فابت في مستنقع الموت
رجله وما مالوا الى ان بلغوا قتله فلما اخذوا راسه ظنوا انه احد اولاد السلطان واستقل الشهيد
بالجوار الرحمن ولما شاهد المسلمون استشهاده وجلده وجلاده حميت حميتهم وخلصت لله
بينهم واصبح الجيش على تعبيته والنصر على تلبيته وذلك يوم السبت الخامس والعشرين من ربيع الاخر
وهو يوم النصره ووقوع الكثره وبرح بالفرنج العطش وابتغيتها ننتعش وكان النسيم من
امامها والحشيش تحت اقدامها فرمى بعض مطوعه المجاهدين النار في الحشيش فصاح عليهم اشعالها

وتوهجوا اوارها فصلوا وهم اهل التثليث من نار الدنيا بثلاثة اقسام في الاصطلاء والاصطلام و
نار الصوارم ونار الاضطرام ونار السهام فرجا الفرنج فرجا وطلب طالبهم المخرج مخرجا فكلما خرجوا
جرحوا وبرح بهم حر الحرب فما برحوا وهم ظمآ وما لهم سوى ما بايديهم من ماء الفرند ما فشوتهم
نار السهام واشوتهم وصممت عليهم قلوب القسي القاسيه واصمتهم واعجزوا وازعجوا واحرجوا
واخرجوا وكلما حملوا ردوا وارتدوا وكلما ساروا وشدوا اسروا وشدوا وما دبت فيهم نمله
ولا ذبت عنهم حمله واضطرموا واضطربوا والتهفوا والتهبوا وتناشبهم النشاب فعادت
اسودهم قنافذ وصابتهم السهام فوسعت فيهم الخرق النافذ فاووا الى جبل حطين يعصمهم
من طوفان الدمار فاحاطت بحطين بوارق البوار ورشقتهم الظبى وفرشتهم على الربا وشعثتهم
الحنايا وفرستهم المنايا وقرشتهم البلايا ورقشتهم الرزايا ولما احس القومص بالكسره
خنس عن دراع الحسره وافال من العزيمه واحتال في الهزيمه وكان ذلك قبل اضطراب الجمع
واضطرام الجمر فخرج بطلبه يطلب الخروج واعوج على الوادي وما ود ان يعوج ومضى
كومض البرق ووسع خطى خرقه قبل اتساع الخرق واملس في عده معدوده ولم يلتفت الى
ردة مردوده وكان قال لاصحابه انا اسبق بالحمله وافصلهم من الجمله فانضم هو ومؤازروه
وجماعه من المقدمين هم مظافروه وصحبه صاحب صيدا وباليان بن بارزان وتوامروا على انهم
يحملون ويبلغون الطعان فحمل القومص ومن معه على الجانب الذي فيه الملك المظفر تقي الدين
وهو موفق من الله بالتوفيق والتمكين ففتح لهم طريقا ورمى من اتباعهم فريقا فمضوا على رؤوسهم
ونجوا بنفوسهم ولما عرف الفرنج ان القومص اخذ بالعزيمه ونفذ في الهزيمه وهنوا وهانوا
ثم اسندوا وما لانوا وتثبتوا على ما كانوا واستقبلوا واستقتلوا واستلحموا فحملوا ووقعنا
عليهم وقوع النار في الحلفا وصببنا ماء الحديد للاطفاء فزاد في الاذكاء فحطوا خيامهم
على غارب حطين حين راوا انهم محيطين فاعجلناهم عن ضرب الخيام بضرب الهام ثم استحرت
الحرب واستحر الطعن والضرب واحيط بالفرنج من حواليهم ودارت الدوائر عليهم ونزحوا
خيرا فترجلوا عن الخيل وجرفهم السيف جرف السيل وملك عليهم الصليب الاعظم وداك
مصابهم الاعظم ولما شاهدوا الصليب سليبا ورايت الردى قريبا ايقنوا بالهلاك واثخنوا
بالضرب الدراك فما برحوا يوسرون ويقتلون ويحملون ويحملون وللوثوب يجثون
وبالجراح يثقلون ومن مصارع القتل الى مواطن الاسر ينقلون ووصلنا الى مقدميهم وملكهم وامرائهم

ثم

ثم اسر الملك وارنس الكرك واخو الملك جفري واوك صاحب جبيل وهنفري بن هنفري
وابن صاحب اسكندرونه وصاحب مرقيه واسر من نجا من القتل من الداويه ومقدمها من الاسبتار
ومعظمها ومن البارونيه من اخطاه البوار فاصابه وساء الاسار واسر الشيطان وجنوده
وملك الملك وجنوده وجبر الاسلام بكسرهم وقتلوا واسروا باسرهم فمن شاهد القتلى قال ما هنا ك
اسير ومن عاين الاسرى قال ما هناك قتيل ومذ استولى الفرنج على ساحل الشام ما شفي للمسلمين
كيوم حطين غليل فان الله عز وجل سلط السلطان واقدره على ما اعجز عنه الملوك وهداه من التو فيق
لامتثال امره ولقامه فرضه النهج المسلوك ونظم له في حتوف اعدايه والفتوح لاوليايه السلوك
وخصه بهذا اليوم الاغر في النصر الابر واليمن الاسر والنجح الادر ولو لم يكن له الا فضيلة هذا
اليوم لكان متعززا على الملوك السالفه فكيف وملوك العصر في السمو والنمو فمن ان هذه
النوبه المباركه كانت للفتح القدسي مقدمه ولمعاقد النصر وقواعده مبرمه محكمه ومن عجايب
هذه الوقعه وغرايب هذه الدفعه ان فارسهم ما دام فرسه سالما لا يصرع فانه من لبسه
الزرد من قرنه الى قدمه كانه قطعه حديد ودراك الضرب والرمي اليه غير مفيد لكن فرسه
اذا هلك فرس وملك فلم يغنم من خيلهم ودوابهم وكانت الوفا ما هو سالم وما ترجل فارس
الا والطعن والرمي لمركوبه كالم وغنمنا الاحصر من سفن مكنون وزرد مرصون وبلاد حصو ن
وسهول وحزون واستدللنا منهم بهذا الفتح كل اعليم مصون وذلك سوى ما استبيح من
المال المخزون واستخرج من كنز مدفون وصحت هذه الكسره وتمت هذه النصره يوم السبت
وضربت ذله اهل السبت على اهل الاحد وكانوا اسودا فعادوا من النقد فما افلت من
تلك الالاف الا احاد وما نجا من اوليك الاعداد الا اعداد وامتلات الملا بالاسرى والقتلى
وانجلى الغبار عنهم بالنصر الذي يجلى وتبدت الاسارى في الحبال واجبة القلوب وفرشت
القتلى في الوهاد والجبال واجبة الجنوب وحطت حطين تلك الجيف عن متنها وطاب
نشر النصر بنتنها وعبرت بها فالفيتها محل الاعتبار وشاهدت ما فعل اهل الاقبال باهل الاد بار
وعاينت اعيانهم خبرا من الاخبار ورايت الرؤوس طايره والنفوس بايره والعيون غايره والجثوم
دشتها السوافي والرسوم درستها العوافي واشلا المقتولين في الملتقى ملقاه بالعرا عراه
ممزقه بالمارق مفصله المفاصل مفرقه المرافق مفلقه المفارق مجذوذه الرقاب مقصوفه
الاصلاب مقطعه الهام موزعه الاقدام مجدوعه الاناف منزوعه الاطراف مفقوه العيون

مبعوجة البطون منضفة الاجساد منقصفة الاعضاد مفلصة الشفا مخلصة الحياه سايلة الاحداق
مايلة الاعناق عديمة الارواح هشيمة الاشباح كالاحجار من الاحجار عبرة لاولي الابصار ولما
ابصرت خدودهم ملصقة بالتراب وقد قطعوا الآراب تلوت قول الله تعالى ويقول الكافر يا ليتني
كنت ترابا فما اطيب نفحات الظفر من ذلك الخبث وما الهب عذبات العذاب في تلك الجثث وما احسن
عادات القلوب بفتح ذلك السحث وما اخر اصلوات البشاير بوقوع ذلك الحدث هذا حساب من قتل
فقد حصرت السنة الامم عن حصره وعده واما من اسر فلم يلف اطناب الخيم لقيده وشده ولقد
رايت في حبل واحد ثلاثين واربعين يقودهم فارس وفي بقعة واحدة مائة ومائتين يحميهم حارس
وهنالك الغداة غداة والعداة عراة وذووا الاسرة اسرى واولوا الاثرة عثرى والقوامص قناص
والفوارس فرايس وعوالي الارواح رخايص ووجوه الداوية عوابس والدوية الاخامص
فكم اصيد صيد وايد قيد وقيد وملك مملوك وهاتك مهتوك وحر في الرق ومبطل في
يد المحق ولم يؤسر الملك حتى اخذ صليب الصلبوت واهلك دونه اهل الطاغوت وهو الذي اذا نصب
واقيم ورفع سجد له كل نصراني وركع وهم يزعمون انه من الخشبة التي يزعمون انه صلب عليها معبودهم وقد
غلفوه بالذهب الاحمر وكللوه بالدر والجوهر واعدوه ليوم الروع المشهود ولموسم عيدهم الموعود
فاذا اخرجته القسوس وحملته الرؤوس بادروا اليه وانثالوا عليه ولا يسع احدهم عنه التخلف ولا
يسوغ للمتخلف عن اتباعه في نفسه التصرف واخذه عندهم من اسر الملك وهو اشد مصاب لهم في
ذلك المعترك فان الصليب السليب ما له عوض ولا لهم في سواه غرض والتاله له عليهم مفترض فهو
الاههم وتعفر له جباههم وتسبح له افواههم يغشون عند احضاره ويغشون لابصاره ويتلاشون
لظهوره ويتغاصون اذا شهدوه ويتواجدون اذا وجدوه ويبذلون دونه المهج ويطلبون به الفرج
بل صاغوا امثاله صلبانا يعبدونها ويخشعون لها في بيوتهم ويشهدونها فلما اخذ هذا الصليب
عظم مصابهم ووهت اصلابهم وكان الجمع المكسور عظيما والموقف المنصور كريما فكانهم لما عرفوا اخراج
هذا الصليب لم يتخلف احد منهم يومهم العصيب فهلكوا قتلا واسرا وملكوا قهرا وقسرا ولما اصبح الكفر وهي
العرى ومكن النصر وسكن البحر ضرب السلطان في تلك الحومة دهليز السرادق ووافت اليه حماة الخفايق ونزل
السلطان وصلى الشكر وحمد وحمد الاستبشار بما وجد واحضر عنده من الاسارى الملك والابرنس واجلس
الملك بجنبه وقال في كتاب الفتح وجلس السلطان لعرض اكابر الاسارى ومن يساهمون في القيود بها د
الكفاري فقدم بداية مقدم الداوية وحملة كثيرة منهم ومن الاستبارية واحضر الملك كي واخوه جفري

ردا

واوك صاحب جبيل وهنفري والابرنس ارناط صاحب الكرك وهو اول من وقع في الشرك وكان
السلطان نذر دمه وقال لاعجلن عند وجدانه عدمه فلما احضر بين يديه اجلسه الى جنب الملك والملك
بجنبه وقرعه على غدره وذكره بذنبه وقال له كم تحلف وتحنث وتعهد وتنكث وتبرم الميثاق وتنقض
وتقبل على الوفاق ثم تعرض فقال الترجمان عنه انه يقول قد جرت بذلك عادة الملوك وما سلكت
غير السنن المسلوك وكان الملك يلهث ظماء ويميل من سكرة الرعب منتشيا فانسه السلطان وحاوره
وفثا سورة الوجل الذي ساوره وسكن رعبه وامن قلبه وامر له بماء مثلوج فشربه واطفا به لهبه
ثم ناول الملك الابرنس القدح فاستشفه وبرد به لهفه فقال السلطان للملك لم تاخذ مني في سقيه
اذنا فلا يوجب ذلك له مني امانا ثم ركب وخلاهما وبنار الوهل اصلاهما ولم يزل الى ان ضرب سرادقه
وركزت اعلامه وبيارقه وعادت عن الحومة الى الحمى فيالقه فلما دخل سرادقه استحضر الابرنس فقام
اليه وتلقاه بالسيف فحل عاتقه وحين صرع امر براسه فقطع وجر برجله قدام الملك حتى اخرج
فارتاع وانزعج فعرف السلطان انه خامره الفزع وساوره الهلع وسامره الجزع فاستدعاه واستدناه ناه
وآمنه وطمنه ومكنه من قربه وسكنه وقال له ذاك رد انه اردته وغدرته كما تراه غادرته وقد هلك ببغيه
وبغيه ثم جمع الاسارى المعروفين وسلمهم الى والي قلعة دمشق الناصح الغيدي فقال لهم انتخب فيدى وسلمهم
الى الصحابه فتسلمتهم الايدي وامرهم ان ياخذوا واخط الصفي ابن القابض في دمشق بوصولهم ويحتاط
عليهم في اعلالهم وكبولهم وتفرق العسكر من ضمنه النسا ايدي سبا وعادتهم الوهاد والربى
ولما اصبح السلطان يوم الاحد استقام على الجدد وخيم على طبرية وراسل القومصية واخرجها لها
من حصنها بالامان ووفى لها وللفرسان بشروط الايمان فخرجت بمالها ورجالها ونسائها وولدانها
وسارت الى طرابلس بلد زوجها القومص بمالها وحالها وولى طبرية قايماز النجمي وكانت طبرية
في عهد الفرنج تقاسم على نصف مغل البلاد من الصلت والبلقا وجبل عوف والجبانية والسواد
وبناصف الحولان وما تعزيها الى بلد حوران فخلصت المناصفات وصفت الصفات وامنت
الآفاق هذا والسلطان نازل ظاهر طبرية وقد طبت البرية وعكس فقد طبق البرية فلما اصبح يوم
الاثنين بعد الفتح بيومين طلب الاسارى من الداوية والاسبتارية وقال انا اطهر الارض من هذين
الجنسين النجسين فانه جرت عادتهما بالمعاداة ولا يقلعان عن المعاداة ولا يحدمان في الاسر
وهما اخبث اهل الكفر فتقدم باحضار كل اسير داوي واسبتاري ليمضي فيه حكم السيف
وراى البقيا عليه عين الحيف ثم علم ان كل من عنده اسير اسمح به وانه يحن بعطبه فجعل لكل من ياتيه

باسير منهما من الدنانير الجم خمسين فاتوه في الحال بمايتين فامر باعطايهم وضرب رقابهم ومحو حسابهم
وكان بحضرته جماعة من المطوعة المتورعه والمتصونه المتصوفه والمنتميه المتصرفه ومن يمت بالزهد
والمعرفه فسال كل واحد في قتل واحد وسل سيفه وحسر عن ساعده والسلطان جالس ووجهه باشر
والكفر عابس والعساكر صفوف والامرا في السماطين وقوف فمنهم من فرى وبرى فشكر ومنهم من ابى
ونبا وعذر ومنهم من يضحك منه وينوب سواه عنه وشاهدت هناك الضحوك القتال ورايته
منه القوال الفعال فكم وعد انجزه وحمد احرزه واجر استدامه بدم اجراه وبر امنه اليه بعنق
براه وسير ملك الفرنج واخاه وهنفري وصاحب جبيل ومقدم الداويه وجميع اكابرهم المأسورين
الى دمشق ليودعوا السجون ويستبدلوا حركاتهم السكون وتعرفت العساكر ما حوت ايديهم من السبي
وسيق بهم الى البلاد الشام ولم يقع على عددهم القياس وكتب الى الصفي ابن القابض نايبه بدمشق
ان يضرب عنق من يجد من الداويه والاسبتاريه فامتثل الامر في ارهاقهم وضرب اعناقهم فما
قتل الا من عرض عليه الاسلام فابى ان يسلم فما اسلم الا احاد حسن اسلامهم وتاكد بالدين عزامهم
قال العماد وما زلت ابحث عن سبب نذر السلطان اراقة دم الابرنس حتى حدثني الامير العزيز
عبد العزيز بن شداد بن تميم بن المعز بن باديس وهو ذو البيت والحسب الجليل وكان جده صاحب
افريقيه والقيروان وكانوا يتوارثون ملكه الى قريب من هذا الزمان ذكر ان الاجل الفاضل
حدثه ان السلطان لما عاد الى دمشق من حران بعد المرضه التي صار بها كل طبيب عليه حيران وذلك
في سنة اثنين وثمانين وهو من عقابيل سقمه لا يفارق الانين فقلت له ما معناه قد ايقظك الله
وما يعيدك من هذا السوء سواه فانذر انك اذا ابللت من هذا المرض تقوم بكل ما لله من المفترض
وانك لا تقاتل من المسلمين احدا ابدا وتكون في جهاد اعدا الله مجتهدا وانك اذا نصرك الله في المعترك
وظفرت بالقومص وابرنس الكرك تتقرب الى الله باراقة دمايهما فانهم وجود النصر الا بعدمهما فاعطاه
يده على هذا النذر ونجاه الله ببركة هذا العذر من الذعر وخلصه اخلاصه في مرضاة الله فابل
من مرضته واستقبل السنة القابلة سنة الغزو وفريضته ثم جرى من بعد ما
الجهاد ونتايجها ما جرى وجمع السلطان جموع الاسلام بعشترا وركب يوما في عسكره وعزم على
نشر القساطل وطي المراحل ودخول الساحل والعزم بالحق على الباطل فنبا بلقا الطلعه
المباركه من الاجل الفاضل فقال له ليكن بدرك على ذكرك واستزد نعمة الله عندك بمزيد
شكرك ولا تعطل غير نقع اهل الكفر بعسكرك فما يعدك الله من تلك الورطه وتعشك من

تلك السقطة الا ليوقظ حظك من هذه الغفلة فتوكل على الله عازما وجاز الاردن زاحفا وارعب
جاش الكفر وكسر جيوشه وثل عروشه ووقع في الشرك ابرنس الكرك موفى بصره عقبة نذره
واما القومص فانه اخذ في الملتقى بالهزيمة حذره ولما وصل الى طرابلس احاقه في مامنه القدر
وفجاه في صفوه الكدر وتسلمه مالك الى سقر **فصل** هذا الذي تقدم من وصف
كسرة حطين هو من ما ذكره عماد الدين الكاتب رحمه الله في كتابيه الفتح والبرق وحصرته منهما وهو
مطول فيهما وقد وقفت على كلام لغيره في ذلك فاحببت ايراده على وجهه لما فيه من شرح ما تقدم وتقويته
وربما اشتمل على زيادات من فوايد يتعلق بذلك لم يتعرض العماد لها او مخالفة لبعض ما ذكره ۝
قال القاضي ابو المحاسن ابن شداد لما كان المحرم سنة ثلاث وثمانين عزم السلطان على قصد الكرك
فسير الى حلب من يستحضر العسكر وبرز من دمشق في منتصف المحرم فسار حتى نزل بارض الكرك منتظرا
اجتماع العساكر المصريه والشاميه وامر العساكر المتواصله اليه لشن الغاره على ما في طريقهم من البلاد
الساحليه ففعلوا ذلك واقام رحمه الله بارض الكرك حتى وصل الحاج الشامي الى الشام وامنوا
غايلة العدو ووصل ثقل مصر وصحبته تقي الملك المظفر وما كان له بالديار المصريه وتاخرت عنه العسا
الحلبيه بسبب اشتغالها بالفرنج بارض انطاكيه وبلاد ابن لاون وذلك انه قد كان مات وصي ابن
اخيه لاون بالملك وكان الملك المظفر بحماه وبلغ الخبر السلطان فامره بالدخول الى بلاد العدو
واحاد بابرنه فوصل تقي الدين حلب ونزل في دار العفيف بن زريق واشتغل الى دار طمان وفي تاسع
صفر خرج بعسكر حلب الى حارم ليعلم العدو ان هذا الجانب ليس بمهمل وعاد السلطان فوصل الى السواد
ونزل بعشترا سابع عشر ربيع الاول ولقيه ولده الافضل ومظفر الدين وجميع العساكر وكان تقدم
الى الملك المظفر بمصالحة الجانب الحلبي مع الفرنج ليفرغ البال مع العدو في جانب واحد فصالحهم
وتوجه الى حماه يطلب خدمة السلطان للغزاه فسارت العساكر الشرقيه في خدمته وهم عسكر الموصل
مقدمهم مسعود بن الزعفراني وعسكر ماردين الى ان اتوا عشترا فلقيهم السلطان واكرمهم ثم عرض
السلطان العساكر منتصف ربيع الاخر على تل يعرف بتل تسيل وثبتهم واندفع قاصدا بلاد العدو
في وسط نهار الجمعه وكان ابدا يقصد بوقعاته الجمع لاسيما اوقات صلوة الجمعه تبركا بدعاء الخطباء على
المنابر فربما كانت اقرب الى الاجابه وبلغه ان الفرنج اجتمعوا في مرج صفوريه بارض عكا فقصد
نحوهم للمصاف معهم فسار ونزل على بحيرة طبريه عند قرية تسمى الصنبره ورحل من هناك ونزل غربي
طبريه على سطح الجبل لتعبئة الحرب منتظرا ان الفرنج اذا بلغهم ذلك قصدوه فلم يتحركوا من منزلهم

من اخربه على طبرية وترك الاطلاب على حالها قبالة وجه العدو ونازل طبرية وزحف عليها فنقبها
واخذها في ساعة من نهار وامتدت الايدي اليها بالنهب والاسر والحريق والقتل واحتمت القلعة
وحدها فوصل الفرنج وقصدوا طبرية للدفع عنها فاخبرت الطلايع الاسلامية الامرا بحركة
الفرنج فسيروا الى السلطان من عرفه ذلك فترك على طبرية من يحفظ قلعتها ولحق العسكر هو ومن
معه فالتقى العسكران على سطح جبل طبرية الغربي منها وحال الليل بين الفيتين فباتا على مصاف
شاكين في السلاح الى صبيحة الجمعة فركب العسكران وتصادما وذلك بارض قرية تسمى اللوبيا
ولم تزل الحرب الى ان حال بينهم الظلام وجرى في ذلك اليوم من الوقايع العظيمة والامور الجسيمة
ما لم يحك عن من تقدم وبات كل فريق في سلاحه ينتظر خصمه في كل ساعة وقد اقعده التعب عن النهوض
حتى كان صباح السبت الذي بورك فيه فطلب كل من الفريقين مقامه وعلمت كل طايفة ان
المكسور منهما مدحور الجنس معدومة النفس وتحقق المسلمون ان من وراهم الاردن ومن بين ايديهم
القوم ولا ينجيهم الا الله وكان الله قد قدر بنصر المسلمين فيسره واجراه على وفق ما قدره فحملت
الاطلاب الاسلامية من الجوانب وحمل القلب وصاحوا صيحة الرجل الواحد فالقى الله الرعب
في قلوب الكافرين وكان حقا علينا نصر المومنين وكان القومص ذكي القوم والمعيهم فراى امارات
الخذلان قد نزلت باهل دينه ولم يشغله ظن محاسنه جنسه عن نفسه فهرب في اوايل الامر قبل
اشتداده واخذ طريقه نحو صور وتبعه جماعة من المسلمين فنجا وحده وامن الاسلام كيده
واحتاط اهل الاسلام باهل الكفر والطغيان من كل جانب فانهزمت منهم طايفة فتبعها
ابطال المسلمين فلم ينج منها واحد واعتصمت الطايفة الاخرى بتل حطين وهي قرية عندها قبر
شعيب النبي صلى الله عليه وسلم فضايقهم المسلمون على التل واشعلوا حولهم النيران وقتلهم
العطش وضاق بهم الامر حتى كانوا يستسلمون للاسر خوفا من القتل فاسر مقدموهم وقتل
الباقون واسروا وكان الواحد منهم العظيم يخلد الى الاسر خوفا على نفسه ولقد حكى لي من
اثق به انه لقي بحوران شخصا واحدا ومعه طنب خيمة فيه نيف وثلاثون اسيرا يجرهم وحده
لخذلان وقع عليهم واما القومص الذي هرب فانه وصل الى طرابلس واصابه ذات الجنب فاهلكه
الله بها واما مقدمو الاسبتار والداوية فان السلطان اختار قتلهم فقتلوا عن بكرة ابيهم واما
البرنس ارناط فكان السلطان قد نذر انه ان ظفر به قتله وذلك انه كان عبر به بالشوبك قفل
من الديار المصرية في حالة الصلح فنزلوا عنده بالامان فغدر بهم وقتلهم فناشدوه الله والصلح

الذي

الذي بينه وبين المسلمين فقال لم يتضمن الاستحقاق بالنبي صلى الله عليه وسلم وقال قولوا لمحمد كم
يخلصكم وبلغ ذلك السلطان فحمله الدين والحمية على انه نذر ان ظفر به قتله فلما فتح الله عليه بالنصر
والظفر جلس في دهليز الخيمة فانها لم تكن نصبت والناس يتقربون اليه بالاسارى وبمن وجدوه من
المقدمين ونصبت الخيمة وجلس فرحا مسرورا شاكرا لما انعم الله به عليه ثم استحضر الملك جفري
واخاه والبرنس ارناط فقال السلطان للترجمان قل للملك انت الذي تسقيه والا انا ما سقيته
وكان على جميل عادة العرب وكريم اخلاقهم ان الاسير اذا اكل او شرب من مال من اسره امن فقصد بذلك
الجري على مكارم الاخلاق ثم امر بمسيرهم الى موضع عين لنزولهم فمضوا واكلوا شيا ثم عاد
استحضرهم ولم يبق عنده احد سوى بعض الخدم فاقعد الملك في الدهليز واستحضر البرنس ارناط
ووافقه على ما قال وقال ها انا انتصر لمحمد صلى الله عليه وسلم ثم عرض عليه الاسلام فلم يفعل
ثم سل النيمجاه وضربه بها فحل كتفه وتمم عليه من حضر وعجل الله بروحه الى النار فاخذ ورمي على
باب الخيمة فلما راه الملك قد خرج على تلك الصورة لم يشك في انه يثني به فاستحضره وطيب
قلبه وقال له لم تجر عادة الملوك ان يقتلوا الملوك واما هذا فانه جاوز حده فجرى ما جرى
وبات الناس في تلك الليلة على اتم سرور واكمل حبور ترتفع اصواتهم بالحمد لله والشكر له والتكبير
والتهليل حتى طلع الصبح في يوم الاحد فنزل رحمه الله على طبرية وتسلم قلعتها في بقية ذلك اليوم
واقام بها الى يوم الثلاث ۞ قلت وذكر محمد بن القادسي في تاريخه انه ورد في هذه السنة
كتب الى بغداد في وصف هذه الوقعة منها كتاب بن عبد الله بن احمد المقدسي يقول فيه كتبت هذا
الكتاب من عسقلان يوم الاثنين ثاني عشر جمادى الاخرة سنة ثلاث وثمانين وفيه ولو حمدنا
الله عز وجل طول اعمارنا وفنينا بعشر معشار نعمة التي انعم بها من هذا الفتح العظيم فانا خرجنا
الى عسكر صلاح الدين وتلاحق الاجناد حتى جاء الناس من الموصل وديار بكر واربل فجمع صلاح الدين
الامرا وقال هذا اليوم الذي كنت انتظره وقد جمع الله لنا العساكر وانا رجل قد كبرت وما
ادري متى اجلي فاغتنموا هذا اليوم وما ملوا الله العزاجل فاختلفوا في الجواب وكان راي اكثرهم
لقا الكفار معرض جنده وترتيبهم وجعل تقي الدين في الميمنة ومظفر الدين في الميسرة وكان هو
في القلب وجعل بقية العسكر في الجناحين ثم ساروا على مراتبهم حتى نزلوا الاقحوانة وتركوا بها
اثقالهم وساروا حتى نزلوا بكفرسبت واقاموا يومين ينتظرون ان يبرز لهم الكفار وكان
عسكر الكفار على صفورية فلم يبرزوا فعاد صلاح الدين حتى نزل على طبرية فقدم فرسانه

وناول الملك شربة من جلاب وثلج فشرب منها
وكان على اشد حال من العطش ثم ناول
بعضها البرنس ارناط

وحانة ورمانة والسقابون فدخلوا تحت الحصن فلما تمكن النقب منه انهال من عنده وقود نار ودخل
المسلمون فانتهبوا يوم الخميس واصبحوا يوم الجمعة شرعوا في نقب القلعة فلما كان وقت الصلوة جاء
الخبر ان الكفار قد توجهوا الينا فارتحل صلاح الدين على صفوفه فلقيهم ثم لم يزالوا يستقدمون حتى
صار المسلمين محيطين بهم وصار قلب المسلمين خلفهم فقاموا ساعة وبات كل قوم على مصافهم ثم اصبحوا
فسار الكفار يقصدون طبرية والمسلمون حولهم يلحون عليهم بالرمي فاقتلع المسلمون منهم فوارس
وقتلوا خياله ورجاله فانحاز المشركون الى تل حطين فنزلوا عليه ونصبوا الخيام وقام الناس
حولهم الى ان انتصف النهار وهبت الرياح فهزم المسلمون عليهم فانهزموا لا يلوون على شيء
ولم يفلت منهم الا نحو مائتين وكانوا كما قيل اربعين وثلاثين الفا وقيل ثلاثة وعشرين الفا
لم يتركوا في بلادهم من يقدر على القتال الا قليلا وكان الذي اسر الملك دربا بن الكردي غلام
الامير ابراهيم المهراني اسر الابرنس وقتل صلاح الدين الابرنس بيده لانه كان قد غدر واخذ قافلة
من طريق مصر ثم عاد صلاح الدين الى طبرية فاخذ قلعتها بالامان ثم ضرب اعناق الاسارى
الذين كانوا في العسكر وارسل الى دمشق فضربت اعناق الذين بها منهم ٥ **قلت** وورد
كتاب آخر فيه هذه الفتوح التي ما سمع بها قط وهذا ذكر بعضها مختصرا مع انه لا يقدر احد يصف
ذلك لان الامر اكبر من ذلك الذي يبشر به المسلمون ان بلاد طبرية فتحت بالسيف واخذت
قلعتها بالامان واجتمع عسكر الافرنج جميعهم والتقوا بالمسلمين عند قبر شعيب النبي صلى الله عليه وسلم
وقتل من الفرنج ثلاثون الفا وكان عدد الافرنج ثلاثة وستين الفا من فارس وراجل واسر
منهم ثلاثون الفا وبلغ ثمن الاسير بدمشق ثلاثة دنانير واستغنى عسكر الاسلام من الاسرى والاموال
والغنايم بحيث لا يقدر احد يصف ذلك وما سلم من عسكر الفرنج سوى قومص طرابلس
مع اربعة نفر وهو مجروح ثلاث جراحات واخذ جميع امراء الفرنج واكثر قد سبي من النساء والاطفال
وباع الرجل وزوجته واولاده في المناداة بسبعة واحدة ولقد بيع بحصوري رجل وامراته وخمسة
اولاد له بثلاثين واثنين وثمانين دينارا واخذ صليب الصلبوت فعلق على قنطارية منكسا ودخل
به القاضي ابن عصرون الى دمشق وكل يوم يرى من رؤوس الفرنج مثل البطيخ واخذ من البقر
والغنم والخيل والبغال ما لم يحص من حسن بها من كثرة السبي والغنايم ٥ **قال** وفي كتاب آخر
وكان الفرنج خمسة واربعين الفا فلم يسلم منهم سوى الف وقتل الباقون واستاسروهم
وكذلك الملوك ٥ **قلت** وقد بلغني ان بعض فقراء العسكر وقع بيده اسير وكان محتاجا

مدينة

بلاد

الى نعل فباعه بها فقيل له في ذلك فقال اردت ان يذكر ذلك ويقال بلغ من هوان اسرى الفرنج وكثرتهم
ان بيع منهم واحد بنعل ولله الحمد **ومما احسن ما قال ابو الحسن بن الذروي المصري من قصيدة**
شرحت صلاح الدين بالشمر والظبى من المجد معنى كان من قبل يغمض وما كاد جيش الروم برم كيده الى ان تنسك المهلة
حميت ثغور المسلمين فاصبحت ثغورا اماواه الحديد مغمض اسرت ملوك الكفر حتى تركته وما فيه عرق عن قوى البغض ينبض
وكان القاضي الفاضل غائبا عن هذه الكسرة بدمشق فلما بلغته كتب السلطان ليهنه المولى ان الله قد
اقام به الدين القيم وانه كما قيل ٥ اصبحت مولاي ومولى كل مسلم ٥ وانه قد اسبغ
عليه النعمتين الباطنة والظاهرة واورثه الملكين ملك الدنيا وملك الآخرة كتب المملوك
هذه الخدمة والرؤوس الى الآن لم ترفع من سجودها والدموع لم تمسح من خدودها وكلما فكر الخادم
ان البيع تعود وهي مساجد والمكان الذي كان يقال فيه ان الله ثالث ثلاثة يقال اليوم فيه انه
الواحد حدد لله شكرا تارة يقيض من لسانه وتارة يفيض من جفنه وخر ليوسف خير اعن
اخراجه من سجنه والمماليك ينتظرون امر المولى فكل من اراد ان يدخل الحمام بدمشق قد عول على دخول
حمام طبرية تلك المكارم لا قعبان من لبن وذلك الفتح لا الهبار واليمن وذلك السيف لا سيف ابن ذي يزن
وللالسنة بعد في هذا الفتح سبح طويل وقول جليل **وللعماد رحمه الله قصائد يذكر
فيها وقعة حطين لم يذكر منها شيئا هنا بل ذكر بعضها عند ذكر فتح نابلس
وبعضها عند فتح القدس فنقلت الى هذا المكان منها ما يتعلق بها والباقي يذكر في مكانه قال**
يا يوم حطين والابطال عابسة وبالعجاجة وجه الشمس قد عبسا رايت فيه عظيم الكفر محتقرا معفرا خده والانف قد تعسا
ما طهر سيف بري راس البرنس فقد اصاب اعظم من بالشرك قد نجسا وغاص اذ طار ذاك الراس في دمه كانه ضفدع في الماء قد غطسا
ما زال يعطس مزكوما بغدرته والقتل تشميت من بالعدر قد عطسا عرى ظباه من الاغماد مهرقة دما لبس التراب دما به وكسا
من سيفه في دماء القوم منغمس من كل من لم يزل في الكفر منغمسا افناهم قتلهم والاسر فانتكسوا وبكفرهم من حينهم نكسا
وقال يخاطب صلاح الدين رحمه الله تعالى ٥
تحنن على الاردن رد ماء الفنا دبيبة بلدا وطبرية ملسا حططت على حطين قدر ملوكهم ولم تنش من الحابس كريهم حبسا
وقم مجال الخيل حطين لم يكن معاركها الجرد ضرسا ولا دهسا غداة اسود الحرب يعتقل القنا اشاوده نهسا من مخوف العدى نهسا
اتوا شكس الاخلاق خشنا فلينوا حد ورد الوفاق لحسن اخلاقها الشكسا طردتهم في الملتقى وعكستهم
٥ فحببا بحكم العزم طردك والعكسا ٥
فكيف يكسب المشركين رؤوسهم وذا بل في الاحشاء ان يطلقوا المكاكرهم اذ مع عزمك فيهم وكتبتهم اذ حسا دسفهم كسا

تهم
ينبض
قد غطسا
وكسا
نهسا

بواعية رجت لها الارض تحتهم دمارا كما تبنت حالهم بثّا بطون دواب الارض صارت قبورهم ولم يرض ارض ان تكون لهم رمسا
وطارت على نار المواضي فراشهم ضلالا فوادت من جسودهم قبسا وقد خشعت اصوات ابطالها
فما تقع الشمع الا من صليل الظبي همسا
بغادي ندا ما الدما ملوكهم اسارا كسبق البيم بطنها الغلسا يا بلاد الله مملوءة بها وقد ضربت وقد عرضت بحبسا
بطافها الاسواق لا راغب لها لكثرتها كم كثرة توجب الوكسا شككا بيننا راس الرئيس الذي
به تبتدي حسام حاسم ذلك البيسا
حادمة ماضي العداد لعدره وما كان لولا غدره دمه بحسا فسدها اهدى يدا فكنت به واطهر شيئا معدنا جسمه النجسا
سعنه راس البرنس بضربة فاشبه راسي راسه العهن والرشا سوع فى اوداجه دم بغيه فصال عليه
السيف يلحسه لحسا
بعيا مام امه النار دعوها اما مهم ادنا طهم ذلك الحبسا ولله نصر النصر جاء لنظام فلا فوسا ابي لرا من ولا قبسا
حكى عنق الداوي صل نحر به طرير الشباء عود ا عصر انه حسّا اليوم الوغي تدعوه ام يوم مابل وانت وهبت الغانم به الخمسا
وقد طاب رباانا على طرقه فيا طيبها ديّا وياحسنها مرسى

وللشهاب فتيان الشاغوري من قصيدة سياتي بعضها في مدح صلاح الدين

جاشت جيوش الترك يوم لقيتهم سدا من على متون الضمر اوردت اطراف الرماح صدورهم فولغن في علق النجيع الاحمر
فهناك لم يرغبهم تنفيل في اثر عشرته رحيم مدبر فر الذي رحيشهم لم تحرم ومن الذي من جمعهم لم يوسر
حتى لقد تبعن عقابل ادهفن بالتشبي بالثمن الاحس الاحقر بيعت لما الكك الكرام ملوكهم
كاشاته سقت اللئيم الهنبري
وعمت عود صليبهم مكرته وسواك القاه صليب المكبر اعلا الاداهم من اسرت وادخصت سطر الصوادمن هام العسكر
وحعلت ترق الارض تجسد عرتها مك تهوداع دعوى المستنصر لا بعد منك المسلمون فكم يدا وليتهم معروفها لم ينكر
اشتريتهم وصنعت بهم ودرات عنهم فاصبات الاطهر ما ان تراك الله الا آمرا فيهم بمعروف ومنكر منكر
متواضعا لله جل جلاله وبك اصبحت سطوة المتكبر لم تحل سمعا من هنى يهنى للسلمين
ومن شماع مبشر ٥
واستعظم الاحاد عنك معاشرا فاستصعروا اما استعظموا بالمخبر بعث الملوك وكم تنل عشر الذي اوتيته من مبحج او مخبر

وقال ابو الحسن علي ابن الساعاتي في فتح طبرية ٥

جلت عزمائك الفتح المبينا فقد قرت عيون المومنينا ددت اجيد الاسلام لما قدامر في القضا بها ضمينا

ولان

وهاتيك الصليب وكان قدما ابعر على العوالي ان يهونا معاقل كل ذي ملك ريات وان تفاعل الاعتادينا
عدت في وجنة الايام خالا وفي جيد العلا عقدا ثمينا فبالله كم بررت فلوبا وبالله كم ابكت عيونا
وماطرته الاماري نفع عن اكف اللامسينا حصان الذيل لم تعرف فسوقا ووسل عنها الليالي والسنينا
فضضت ختامها وسرا ومن ذا تصيد الليث ان يلج العرينا لقد انكحتها صم العوالي مكان
ناجها الجرب الربونا
هنالك ندّ اهل الارض طرا سوالي معقل اعيا القرونا فضيت حتى وان كفوا ملا ثم وعانت كل فارس ان يلينا
قضيت فريضة الاسلام منها وصدقت الاماني والظنونا تهز معاطف المدن ابتهاجا ورض عنك مكة والحجونا
فلو ان الجماد نطبق نطقا لنا ذلك ادخلوها امنينا جعلت صباح اهلها ظلاما وابدلت الرسل بها ابينا
نحال جماه حوزتها نساء عوصوت الحديد مقصعينا لبيضك في جماجمهم غناء الرنيد علم الطير الحنينا
تميل الى المسقفة العوالي فهل امست رماحك ام غصونا بكاد النقع يدهلها فلولا بروق الفاصلات لما هدينا
فكم حازت قدود فناك منها فدودا كالقنا لونا ولينا وعيدا كالجاد رانسات كحيد
نداك ابكارا وعونا
ولما باكرتها منك نعمى بيان تنضح العيش الخنونا اعدن بها الليالي وهي بيض وقد كانت بها الايام جونا
فليس بعاد درع حطنا اخو شعب ولا اما معينا فلا عدم الشام وساكنوه لطبي تشتفي بها الداء الدفينا
تها دعفوتها في كل فتح سها دمنع الغمض الجفونا فابلم بالسواحل فهن صور الكيك والحق الهام الهتونا
معقل العدن شرود ولولا سطاك لكان تكسا حرتينا ادرت على الفرنج وقد بلاقت جموعهم عليك رحا الطحونا
في مسان داقوا امنك يوسا وفي صعد اتوك مصعدينا لقد جاتهم الحدان جمعا كان
صعود وجها كانت كمينا
وجاءتهم الزمان ولا ملام فلست معنص زمنا حولونا لقد جردت عزما ناصرتا يحدث عن سناه طور سينا
وكنت كيوسف الصديق حقا له هوت الكواكب ساجدينا لقد اعتب من طلب المعالي وطوا ابو السلمنا
وان يك آخرا وخلاك دم فان محمدا في الآخرينا

قال ابو طي الحلبي حدثني والدي ابو طي حميد الخياد قال كنت بالموصل سنة خمس وخمسين فيها
فزرت الشيخ عمر الملا فدخل اليه رجل فقال ايها الشيخ رايت البارحة في النوم كاني بارض غريبة لا اعر
وكانها مملوة بالخنازير وكان رجلا في يده سيف وهو يقتل الخنازير والناس ينظرون اليه
فقلت لرجل هذا عيسى بن مريم هذا المهدي قال لا فقلت من هذا قال هذا يوسف ما ادري على

ذلك قال فصحبت الجماعة من هذه الرؤيا وقالوا انه سيقتل الناصري رجل يقال له يوسف وحدثت
الجماعة ان يوسف بن عبد المومن صاحب المغرب وكان المستنجد بالله قد ولي الخلافة تلك السنه
فحدث بعض الجماعة عليه قال وانسيت انا هذه الواقعه فلما كانت سنه كسره حطين ذكرتها وكان
يوسف الملك الناصر رحمه الله قال وحدثني طرلي من نساء الحلبيين كانت تداخل اخت
السلطان الملك الناصر والتي كانت والدة السلطان تخبر انها ابنت في نومها وهي حامل بالسلطان
فقيل لها ان في بطنك سيفا من سيوف الله عز وجل **فصل** في فتح عكا وغيرها وهي
بالالف الممدوده ويدل على ذلك انه يقال في النسبه اليها عكاوي وقد وجدت ذلك في شعر قديم
ومنهم من يقول عكه بالها ومثل ذلك حصن عرقه وبعضهم يقول عرقا بالالف ونهر ثورا وبعضهم
يقول ثوره بالها قال ابن شداد ثم رحل السلطان طالبا عكا وكان نزوله عليها يوم الاربعا
سلخ ربيع الاخر وقاتلها بكرة الخميس مستهل جمادى الاولى فاخذها واستنقذ من كان فيها من الاسارى
وكانوا زهاء اربعة الاف نفر واستولى على ما فيها من الاموال والذخاير والبضايع والمتاجر فانها
كانت مظنة التجار وتفرقت العساكر في بلاد الساحل ياخذون الحصون والقلاع والاماكن المنيعه
فاخذوا نابلس وحيفا وقيساريه وصفوريه والناصره وكان ذلك لخلو الرجال بالقتل والاسر
قال العماد ورحل السلطان ظهر يوم الثلاثا والتوحيد ظاهر على التثليث والطيب قد امتاز
من الخبيث ونزل بارض لوبيه عشيه واعادها بارزها بنوده وانوار جنوده روضه موشيه ثم اصبح
سائرا الى عكا سارا سره مائرا باهل الدين بره وكان امير المدينه النبويه صلوات الله على ساكنها في موكبه
فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سير للثغر الى نصرته من يرى به من تربه وهذا الامير عز الدين
ابو فليته القسم بن المهنا الحسيني قد وفد في تلك السنه اوان عود الحاج وهو ذو شيبه تتقد كالسراج
وما برح مع السلطان ماثور المآثر ميمون الصحبه مامون المحبه مبارك الطلعه شاهدا في الوقعه
فما تم فتح في تلك السنين المحضوره ولا اشرق مطلع من النصر الا بسوده قرانه ذلك اليوم
للسلطان سايرا ووافى السلطان له مشاورا ومحاورا وانا اسير معهما وقد دنونا منها للسعي في
واستنعها ولاحت اعلام عكا وكانت بوارق الفرج المركوزه عليها السنه من الخوف تنشلي وكانت غدبات
النيران بصاعقات العذاب لاهلها وقد توافرت عساكر الاسلام اليها من وعرها وسهلها ولما اشرفنا
عليها مستظهرين انفا بفتحها مستبشرين فما كان فيها من جمعها فما صدقنا كيف نملكها ونحوزها
وظهر على السور اهلها لاطلب المدافعه والثبات على المدافعه وخفقان الويتها يشعر بقلوبها

الخافقه

الخافقه وارواح جلدهم الزاهقه ووقفنا بنا قبل طلوعها وتاملنا حصولها وخيم السلطان
بقربها وراء التل وانبثت عساكره في الوعث والسهل وبتنا تلك الليله وقد هونا الاطلاب
ونقول متى يخرج الاصحاب الاصباح فما هجدنا ولا غرارا ولا وجدنا من الفرح قرارا والسلطان
جالس ونحن عنده وهو يحث جنده ويقدح معهم في اقتباس الاراء زنده ومنا من يستنجز وعده
ومنا من يستنجح رفده ومنا من يواصله بالدعا ومنا من يشافهه بالهنا واصبح يوم الخميس وركب
في خميسه ووقف كالاسد في عرينه ووقفنا بازاء البلد صفوفا واطللنا على اطلاله وقوفا
فخرج اهل البلد يطلبون الامان ويبذلون الاذعان فامنهم وخيرهم بين المقام والانتقال
ووهب لهم عصمة الانفس والاموال وكان في ظنهم انه يستبيح دماءهم ويسبي ذريتهم ونساءهم لولا انهم
ابا ما حتى يتعلق بعصام النقله واغتنموا تلك المهله وفتح الباب للخاصه واستغنى بالدخول
الى البلد جماعه من ذوي الخصاصه فان القوم ما صدقوا ان الخوف المزعج والفرق المحرج كيف
يتركون دورهم بما فيها ويسلمون وعندهم انهم اذا نجوا بانفسهم انهم يغنمون فلما دخل الجند
ركز كل على دار رمحه واسام فيها سرحه فحصلوا على دور اخلاها اربابها واموال اخلاها
اصحابها وكنا لاجل الامان نهابها فطاب لاولئك نهابها وجعل السلطان للفقيه عيسى
الهكاري كل ما كان للداويه من منازل وضياع ومواضع ورباع فاخذها بما فيها من غلال
ومتاع واستخرجوا الدفاين وولجوا المخازن وداروا الاماكن وكذلك مماليك الملك الافضل
واصحابه ومواليه ونوابه نبشوا المخازن وفتشوا المراكز واستباحوا الاهرا واخافوا
الاشيا وكان السلطان قد فوض عكا وضياعها ومعاقلها وقلاعها الى ولده الاكبر الملك الافضل
نور الدين علي ثم ذكر العماد انواعا مما استولوا عليه من الاموال ثم قال ومن جملة ذلك انهم احتاطوا
بغير علمي على دار اسمي فادعوا انها متاعا بسبع مائة دينار واخلوها مما كان فيها من الات وادخا ر
وقلدوني المنه في تحصيل تلك الدار فانها كانت من انفس العقار وسلموها الى غلام صديق لي
يصونها ويقوم بحفظها والدفع عنها والدفاع دونها فذكر ان الغلام اسعر من الاتها نقل
خلوها بما قيمته سبعون دينارا وان الاولين نقلوا منها من الذخاير وقارا فلك وانما وصفت
هذا لنعلم ما عموه والتهوا على حيازته والتهموه وتصرف الملك المظفر تقي الدين في دار الملك
فاقتنى منقودها واستوعب موجودها ونقل فذودها وانقاضها وحوى جواهرها واعراضها
وقال في كتاب الفتح وخلا سكان البلد دورهم ومخزونهم ومدخورهم وتركوا المال اخذها

وتبدوا ما حووه لمن حواها وما نبذها واسفر من الفرح اعينا واستغنى من اخاذنا فقرا ولو
تحرف تلك الحواصل وحصلت تلك الذخاير وجمع لبيت المال ذلك المال المجموع الوافر لكان
عدة ليوم الشدايد وعدة لنجح المقاصد ورعيت في حضرايها بل في صفرايها وشفى بها شروح الاطماع
وطال المستجليها ومستحليها الامتاع بذلك المتاع ٭ قال في البرق وورى على السلطان ليلة من كان
الفتح وحرب القدس يعني هذا المكان وذلك سنة ثمان وثمانين فعال السلطان هذه رفيعة على ثلاثة
اثنان منهم في جوار الرحمة والآخر باق في مقر العصمة يعني بالاثنين الفقيه عيسى وتقي الدين وبالآخر الباقي ولده
نور الدين علي ولعمري هو كما ذكره لكن الافضل ما حصل له بخاصه بل لذوي اختصاصه واستخلاصه
وفتحوا البلد يوم الجمعة مستهل جمادى الاولى وجئنا الى كنيستها العظمى فادخلناها البوس بالنفي وحضر
الاجل الفاضل ورتب بها المنبر والقبلة وهي اول جمعة اقيمت بالساحل بعد يوم الفتح وكان الخطيب
والامام فيها الفقيه جمال الدين عبد اللطيف بن الشيخ ابي النجيب الشهروردي وولاه السلطان صاحب
السعيد بعكا تولي الخطابة والقضا والحسبة والوقف ٭ ومن كتاب فاضلي الى بغداد بعد فتح عكا
يصف كسرة حطين صبح الخادم طبريه فاقتض عذرتها بالسيف وهجم عليها هجوم الطيف وتفرق
اهلها بين الاسر والقتل وما جلبهم الغفل بعيد او على الخداع والحيل وجا الملك ومن معه من كفاره
ولم يشعر ان ليل الكفر قد آن وقت اسفاره فاضرم الخادم عليهم نارا ذات شرار اذكرتهم بما اعد الله
لهم في دار القرار فتحصل هو ومن معه عن صهوات الجياد وسنموا هضبة رجاء ان ينجيهم من
حر السيوف الحداد ونصبوا للملك خيمة حمرا وضعوا على الشرك عمادها وتولت الرجال حفظ اطنابها
فكانوا اوتادها فاخذ الملك اسيرا وكان يوما على الكافرين عسيرا واسر الابرنس لعنه الله
محصد بدره وقتله الخادم بيده ووفى بذلك نذره واسر جماعة من مقدمي دولته وكبرا ضلالته
وكان القتلى تزيد على اربعين الفا ولم يفلت من الداوية فيما هو من يوم تصاحب فيه الذئب والنسر
وتداول فيه القتل والاسر اصدر الخادم هذه الخدمة من ثغر عكا والاسلام قد اتسع مجاله وتصرف
انصاره ورجاله والكفر قد بيت اوحاله ودنت آجاله ٭ قال العماد ومن جملة البشاير بكسرة حطين
ولما احيط بالقوم ورأى ملكهم احلل بعصمة من القوم فاستعر السيف لا عاصم اليوم واستولى الخذلان عليهم
باثرهم وبرزت ايدي المؤمنين بحر قتلهم واسرهم ولم تبق لهم باقية وعصمت بغلاهم الدنيا والغزو ارض
الله الواسعة ونار الله الحامية ثم اطلق من بعض الحصينا الاعلى برهم البالسه واسر الملك واخوه
وبا روتيته وسعد معه لم يعلن بهم الا الغويص وهو مساوب والابدان تركه هو مطلوب وقد

كان بدرنا ضرب رقبة الابرنس صاحب الكرك لغدره كافر الكفار وتشييع النار فلما دانيناه صرعنا
عنقه سريعا وسرنا الى عكا وهي بيضة ملكهم وواسطة سلكهم ومدار دايرة كفرهم ومجمع برهم
وبحرهم فتسلمناها بالامان والصخرة المقدسة الآن تباشر وتستعتب وعباد الله الصالحون
قد وصلت اليهم بوعد الله الصادق المواريث والبشارة بفتح القدس لا تتأخر والهمم بعد هذا الفتح
السني على ذلك متوفرة والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها
وما يمسك فلا مرسل له من بعده ٭ فصل في فتح نابلس وجملة من البلاد الساحلية بعد فتح
عكا وطبرية وذكر بعض كتب البشاير الشاهدة لذلك قال العماد واقام السلطان اياما بباب
عكا على التل مخيما وعلى فتح بلاد الساحل مصمما وكان قد كتب الى اخيه العادل بمصر بما فتح الله عليه
فوصل بعسكره وفتح في طريقه حصن مجدليابا ومدينة يافا عنوة معضدة من عسكره بالعصاد
ووفد اليه الوفاد وامر السلطان بان نقيم في ذلك الجانب جامعا للكتائب ليجتمع به الوا صلون
من مصر الآملون بعده النصر قال وتوجه عدة من الامرا والعسكرية الى الناصرة وقيسارية
والبلاد المجاورة لعكا وطبرية ومضى كل فريق في صوب وآبوا بالغنيمة والسبي من كل اوب
قال فاما الفولة فهي قلعة للداوية حصينة وفيها ذخايرهم واموالهم فلما خرج الداوية
منها وقتلوا لم يبق فيها الا الاتباع وغلمان فسلموها وجميع ما يجاورها كدبورية وخنين وزرعين
والطور وادي جابر العين والفولة وبيسان والعفولة وجميع ما لعكا وطبرية من الولايات
والدنيا ومعليا والبعنة واسكندرونة ومنواث قال وتوجه مظفر الدين كوكبوري
الى الناصرة فاستباحها وصفرت صفورية من سكانها وتوجه بدر الدين دلدرم وغرس الد ين
قلج وجماعة من الامرا الى قيسارية ففتحوها بالسيف وسلمت بعدها حيفا وارسوف واستولوا
على تلك الثغور والاعمار والكسوف والخسوف واحمال صيدا بين عكا وقيسارية على البحر واما نابلس
فان اهل ضياعها ومعظم اهلها كانوا مسلمين وهي في ملكة الرعية مع الفرنج مستوطنين وهم يحملون
منهم كل عام قرارا ولا يغيرون لهم عهدا ولا يسعدا فلما عرفوا كسرتهم وانهم لا يرجون خيرهم خافوا
من ساكنة المسلمين فتفرقوا وكتبهم اهل الضياع في الدور والرباع وغنموا ما وجدوه من الذخاير
والمتاع واوقعوا بضعفايهم وضايقوا الحصون على اقويايهم وطلبوا من السلطان ان اجبته
حسام الدين عمر بن محمد بن لاجين وهو عزيز عنده خاله على فضله وافضاله فاقطعه السلطان
نابلس واعمالها وضياعها ونواحيها وقلاعها فتوجه اليها بعسكره فاول ما اناخ على سبسطية

ومنها مشهد زكريا عليه السلام وقد اتخذها الاقساء كنيسة مذ فارقه الاسلام وهو متعبدهم الاعظم والمشهد المكرم وقد محوه بالاسار وحلوه بالفضة والنضار وعبنوا له متوانسم الزوار وقومته من الرهابين فيه متعبه ولا يوذن بالزيارة الالمن معه هدية لها قيمه فدخله وجوه ماقيه وانقى ما الا لحس ان يخلوا منه شله المسجد وفتح للمسلمين ابوابه وطهر للمصلين محرابه ثم سار الى نابلس ففتحها بالامان واستمال من سكانها من ضرب عليه الجزيه بعد زمان واحراهم على مالهم من العمارة والسيار ونفيت بيده الى اخر عهده وعمت بعدله ودفنه

قال العماد وانشدته يوم فتح القدس قصيدة اولها

استوحش القلب مد غبتم عما انسا واظلم اليوم مذ بنتم فما شمسا بالطيب بعيشا ولا استحسنت بعدكم شيا يعيبنا ولا

استعذبت لي نفسا

قلبي وصبري وعقلي والشباب وما العنم من نشاطي كل حلسا وكيف يصبح او يمسي محبكم وسوكم بتوالي صباح سا عادني بعا بهم كربا بحرع دارنه وان معهد كرة العلب ما درسا ولست احسب كل داهبة وما دهاها لهجران باحد لما هدتنا ودشوق صيع طيبكم مونبه بالكرى اذا ذنعنبسا ومن بانبته حتى وهبت لم اسا عيني افديه فانسا اما الخيال الحولا والخيال اذا ما زاري كيف يلقى منه النبا الهفي على زمن فضيته طربا ادلم اكن من صروف الدهر محترسا عبى يعود شبابي ناصرا ومتى ارجو نضارة عود الشباب عنا وشادن بعر بين الاسياد ناظره فدينه شادنا

للاسد مفترسا

في العطف لين وفي اخلاقه شرس يا ليت عطفيه حين عطفه الشرسا

ومنها في المدح

ان با لبس ضبينا الاحسن الى العلى الهام لنا لاحر بنا ملبسا نمت احمد ابه لينبا وبابله يحيى بحاه الذى من محبه ابسا بمرقى الماروق المنسوخ عيسوه فمحا الكفر البتع وانطمسا لازلت مستوليا فوق الحصان وفي حصن الحفاظ

ومن عاداك منتكسا

وهي طويلة وقد تقدمت منها ابيات في وصف كسرة حطين وسياتي منها ايضا ابيات عند فتح الكرك في مدح السلطان صلاح الدين رحمه الله وذكر كاتب عن السلطان الى سيف الاسلام اخيه كاتبنا اخانا العادل انه جل العساكر المصريه من ذلك الجانب فلما اخبر بكسر الفرنج ومنح طربه وكان قد وصل الى السواحل محاذ العريش فراد الداروم واخليت قدامه البلاد ووصل الى يافا ففتحها عنوه ثم حصر مجدل يابا فطلبت منه الامان وقد اشتمل الفتح على البلاد المعتنيه وهي طبريه عكا الذيب معليا اسكندرونه تبنين هونين الناصره الطور صفوريه الفوله حنين زرعين دبوريه عفربلا بيسان

بشنطيه

شبشطيه نابلس اللجون اريحا سنجل البيره بافا ارسوف قيسارية حيفا صرفند صيدا بيروت قلعه ابي الحسن جبل مجدل يابا جبل الخليل مجدل حباب الدارون عزه عسقلان تل الصافيه التل الاحمر الاطرون بيت جبريل جبل الخليل بيت لحم لدا الرمله قرينا القدس بيت صوبا هرمز سلع عفرا الشقيف قال ولم نذكر ما تخللها من القرى والضياع والابراج الحصينة الجاريه مجرى الحصون والقلاع ولكل واحدة من البلاد التي ذكرناها اعمال وقرى ومزارع واماكن ومواضع قد حاز المسلمون خلالها واستوعبوا ثمارها وغلالها قال العماد ومما انشاته من شروح الفتوح وكتبت به الى الديوان ويبدا بقوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون الحمد لله على ما انجز من هذا الوعد وعلى نصرته لهذا الدين الحنيف من قبل ومن بعد وجعل بعد عسر يسرا وقد احدث الله بعد ذلك امرا وهون الامر الذي ما كان الاسلام يستطيع عليه صبرا وخوطب الدين بقوله ولقد مننا عليك مرة اخرى فالاولى في عصر النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والاخرى هذه التي عتق فيها من رق الكآبة فهو قد اصبح حرا وبان الكبد الحرا والزمان كهيئته استدار والحق بهجته قد استنار والكفر قد رد ما كان عنده من المستعار فالحمد لله الذي اعاد الاسلام جديدا ثوبه بعد ان كان حديثا اجله مبيضا نصره مخضرا نصله متسعا فضله مجتمعا شمله والخادم يشرح من نبا هذا الفتح العظيم والنصر الكريم ما يشرح صدور المومنين ويمنح الحبور لكافة المسلمين ويورد البشرى بما انعم الله به من يوم الخميس الثالث والعشرين من شهر ربيع الاخر الى يوم الخميس منسلخه وتلك سبع ليال وثمانيه ايام حسوما سخرها الله على الكفار فترى القوم فيها صرعى كانهم اعجاز نخل خاوية واذا ابنتم رايت البلاد على عروشها خاويه ورايتها الى الاسلام ضاحكه كما كانت من الكفر باكيه فيوم الخميس الاول فتحت طبريه ويوم الجمعة والسبت نوزل الفرنج فكسروا الكسرة التي ما لهم بعدها قايمه واخذ الله اعداءه بايدي اوليايه اخذ القرى وهي ظالمه وفي يوم الخميس منسلخ الشهر فتحت عكا بالامان ورفعت بها اعلام الايمان وهي ام البلاد واخت ارم ذات العماد وقد اصبحت هذه المطالعة وصليب الصلبوت ماسور وقلب ملك الكفر الاسير بجيشه المكسور مكسور والحديد الكافر الذي كان في يد الكفر يضرب وجه الاسلام قد صار حديدا مسلما يعوق خطوات الكفر عن الاقدام وانصار الصليب وكباره وكل من المعمودية عمدته والدير داره قد احاطت به يد القبضة وغلق رهنه فلا يقبل فيه القناطير المقنطرة من الذهب والفضة وطبريه قد رفعت اعلام الاسلام عليها

وتمكنت من عكا ملة الكفر على عقبيها وعمت الى ان شهدت يوم الاسلام وهو خير يومها وقد صارت
البيع مساجد يعمرها من آمن بالله واليوم الآخر وصارت المذابح لخطبا المنابر واهتزت ارضها موافق
لموقف المسلمين فيها وطالما ارتجت لموقف الكافر فاما القتل والاسرى فانها زيد على ثلاثين الفا
واما فرسان الداوية والاسبتار فقد امضى حكم الله فيهم وقطع بهم سوق نار الجحيم ودخل الرجال
منهم الى الشقا المقيم وقتل الابرنس كافر الكفار ولشيعة النار من يده في الاسلام كما كانت يد
الكليم والبلاد والمعاقل التي تخطتها عكا الناصرة صفورية قيسارية بالمنحرفة معلبا
الفولة الطور الشقيف وقلاع من هذه كثيرة والملك المظفر تقي الدين حفظه الله مصابر لصور
حصن تبنين والاخ العادل سيف الدين نصره الله قد كوتب بالوصول من عنده من العساكر ونازل
في طريقه علي غزة وعسقلان وتجهز مراكب الاسطول المنصورة الى عكا وعلينا الان النهوض الى
القدس فهذا اوان فتحه ولقد دام عليه ليل الضلال وقد آن ان يسفر فيه الهدى عن صبحه

فصل في فتح تبنين وصيدا وبيروت وجبيل وغيرها ومجي المركيس لعنه الله الى صور

قال العماد ارسل السلطان الى تبنين ابن اخيه تقي الدين فضايقها وكتب الى السلطان ان يأتيه
بنفسه فوصل اليها في ثلاث مراحل ونزل عليها يوم الاحد الحادي عشر من جمادي الاولى فراسلوا
السلطان وسالوا الامان واستمهلوا خمسة ايام لينزلوا باموالهم فامهلوا وبذلوا رهاين من
مقدميهم ووفوا بما بذلوا وتقربوا باطلاق الاسارى المسلمين فخرجوا المأسورون فرحين
فرآهم السلطان وسر بهم واقرهم وقربهم وكساهم وحباهم وآثرهم بعد ردهم الى مغانيهم
عنايتهم وهذا دابه في كل بلد يفتحه وملك يجتبيه انه يبدا بالاسارى فيفك قيودهم
ويعيد عليها وجودها وتخلص تلك السنة من الاسر اكثر من عشرين الف اسير ووقع في
الاسر من الكفار ما يزيد الف ولما خلوا القلعة واخلوا البقعة سيرهم وسيرهم من العسكر المنصور
من اوصلهم الى صور وتسلمها يوم الاحد الثامن عشر من جمادى الاولى وكان شرط عليهم تسليم
العدد والدواب والخزاين ❁ وقال ابن شداد فتحها السلطان عنوة وكان بها رجال ابطال
شديدون في دينهم واحتاجوا الى معاناة شديدة ونصر الله عليهم واسر من بقي بها بعد القتل
ثم رحل منها الى مدينة صيدا فنزل عليها ومن الغد تسلمها وهو يوم الاربعاء الحادي والعشرين
قال العماد سمحت لقصد اقتصدى لقصدها وكانت صيدا في قيدها وبادرت اشفاقا من مكر العداة
وكيدها ووصلنا في يوم الى صيدا الى نهل منها صادين وعن حمى الحق دونها لاهل الباطل صادين
وقال

ولما نزل ابن الوعر الى النهل نهل ما توعر وصفا من الامر ما ظن انه تكدر وصرفنا الاعنة الى صرفند وهي
مدينة لطيفة على الساحل موردة المناهل ذات بساتين وازهار ورياحين واشجار فاخذناها
وختمنا على صيدا وقد جات رسل صاحبها بمفاتيحها وطلعت الراية الصفراء على سورها واقيمت
بها الجمعة والجماعة واسندت بيعتها بعد العصيان الله الطاعة ❁ ثم سار في توجه على سمت بيروت
فنزل عليها يوم الخميس فضايقها وحاصرها ثمانية ايام ثم طلبوا الامان فامنهم وتسلمها يوم الخميس
التاسع والعشرين من جمادى الاولى ومرض العماد فاملى كاتب صلح بيروت ورجع الى دمشق للمداواة
ثم وحل الشفا وعاد الى السلطان بعد فتح القدس كما سياتي وسلمت بيروت بحضوري وكان من اسباب
البلاء بزوري بعثها وحضوري فخرج منها ومن قلعتها الفرنج واستلانهم الى صور النهج وعاد
الاسلام الغريب فيها الى الوطن وتوطد الدين بها في منه وسكن في مسكنه ❁ واما جبيل فان صاحبها
اول كان في جملة من نقل الى دمشق مع الملك الاشرف وكان ذا ديجنة الذي يحل له فيه عذاب التعبد
فتحدث مع الصفي بن القابض في امره وباح اليه بسره وقال اللهم ما الكرب في اسري فاين ولا اعنيه
على فتح جبيل دايرة وانا اسلمها على شرط سلامتي فجدوها ولا تفقدوني فقدت فامتثل فيا مني
فاتى بالصفي حاله واستصوب ما قاله فامر باحضاره في قيده والاحتراز من كيده فوصل به وحمل
على بيروت فسلم جبيل وسلم وربح نجاته وغنم ومضى اليها من تولاها واتصل بها صاحبها وتلاها
وتبعها فتح بيروت وتلاها فانتظمت هذه البلاد المتناسقة بالساحل في سلك من الفتوح
نسق وامر من الاستقامة متفق وكان يخطط اهل صيدا وبيروت وجبيل مسلمين ساكنين لمساكنه
الفرنج مستسلمين فذاقوا العزة بعد الذلة وذاقوا الكثرة بعد القلة وصدقت البشاير وصدحت
المنابر وطهرت البيع وشهدت الجمع الجمع وقرى القرآن واستشاط الشيطان وخرست النواقيس
وبطل النواميس ورفع المسلمون روسهم وعرفوا نفوسهم وكان كل من استامن من الكفار يمضي
الى صور بحمى الذمار فصارت صور عش شيهم ووكر مكرهم وملجاطريدهم ومنجا شريدهم وهي التي
قر القومص اليها يوم كسرتهم بل يوم حشرهم ولما عرف القومص قرب السلطان منها اخلاها وخلاها
واوى الى طرابلس وتواها فاتسع بها ملك فكان كما قيل ❁ راح يبغي نجوه من هلاك فهلك
وتعوضت صور عن القومص بالمركيس كما يتعوض عن الشيطان بابليس وادرك دما الكفر بعد ما اشفى
واشعل ذوح الروع بعد ما اطفى وضبط صور بمن فيها من مهزومي الفرنج وسفيها وكان المركيس
من اكبر طواغيت الكفر واغوى شياطينه واضرى سراحينه واخبث ذيابه والعن كلابه وهو الطاغية

عنبه

الداهية الذي خلفته ولامثاله الهاوية ولم يكن وصل الى الساحل مثل هذا العام واتفق وصوله
الى مينا عكا وهو يعتقدها جاهل وعمر فيها من المسلمين ذاهل فعزم على ارساء السفينة بالمينا ثم تعجب
وقال ما نرى لي احدا من اهلها يلتقينا وراى زي الناس غير الزي الذي يعرفه فارتاب وارتاع وحاد
عن الدخول لتوقفه وبان تندمه وتاخر تقدمه وسال عن الحال فاخبرها ففكر في النجاه والهواء
راكد والقضاء عنه راقد فانه لو خرج اليه مركب لاخذ ولو وقف له قاصد لوقذ فاحتال
كيف يخرج بسفينته ولا يدخل مع فقد سكينته فسال عن متولي البلد وقال خذوا لي منه امانا
حتى ادخل وارفع اليكم ما معي من المتاع وانقل فجاء اليه من لا يفضل بالامان فقال ما اتوا الا بخط يده
ولا انزل الا بعهده الى بلده وهو ينتظر هبوب الريح الموافقة فما زال يردد الرسل ويدبر الحيل حتى
وافقته الريح فاقلع وافلت من الركن بعد ما وقع وصار الى صور فدبر الامور وجرى الكفر
بعد حوزه ونصر الشيطان بعد عجزه وعوزه وارسل رسله الى الجزاير وذوي الجرايد يستعدي
ويستدعي ويستودع ملة الصليب عباده ويستنجد ويستنفر ويستزبر ويستنفر ويستنصر
ويثبت في صور ويبث وجمع اليه من الفرنج من تشتت وما فتح بلد بالامان الا سار اهله في حفظ
السلطان حتى يصير الى صور ويامنوا المحذور فاجتمع اليها اهل البلاد المفتحه والقلوب المعتقله
المغلقه المفروحه فاشتلات وكاشت اليه وانثالت وكانت باليه وتعللت وكانت معتله وتعقد
وكانت منحله والحفل بها فاحترفتها فاستجدت مغانا بالمهله وتصعبت بعد تعادتها الى التهله
والهي عن طلبها طلب ما هو اشرف وهو البيت المقدس فان فتحه من كل فتح انفس والمركيس في اثناء
ذلك يحفر الخندق ويحكمه ويعقد الموثق ويبرمه ويجمع المتفرق وينظمه **فصل** في فتح عسقلان
وغزه والداروم وغيرها قال العماد لما فرغ السلطان من فتح بيروت وحصل في غاية يا عابدا
في تاصيدا وصرفند وجا الى صور ناظرا اليها وعابرا عليها غير مكترث بامرها ولا متحدث في
حصرها ودلته الفراسة على ان محاولتها تصعب ومزاولتها ستعب وليس بالساحل بلد منها احصن
فعطف الاعنة الى ما هو منها اهون وكان قد استحضر ملك الفرنج ومقدم الداوية في قيودهما
وشرط معهما واستوثق منهما انه يطلقهما من الاسر والبلية متى عمر ما عاشهما من البلاد الغثيه
وعز والمصون صور الى صور وما شك المركيس انه بها محصور فلما اوجس من فاقة واتسع ضيق
خنافه خلق في مطار ومطاره وحرك لغوائه اوتارا وتاره واجتمع السلطان راحته العادل
واتفقا على طي المراحل ونشر القسطاطل فنزل على عسقلان يوم الاحد سادس عشر جمادى الآخرة

وشديدة افد لان محله من نها على الحصار وتربصوا ونصبوا وبرز السلطان عليها مجانيق ورماهم
بها وحثير النقاب بحسر للنقاب وباشر الباشوره فرفع الحجاب واشتد القتال واخذ المصال
وراسلهم عند ذلك الملك المأسور وقال قد بان عذركم حين نقب السور وجرت حالات وكررت
حوالات وترددت رسالات وقال لهم الملك الاسير لا تخالفوا ما ابه اشير واحفظوا ان اتي بعهدو
راس مالكم ولا تخطروا واعتبروا بالكم فاني اذا تخلصت خلصت واذا استعدت استنقذت وخرج
مقدمون وشاوروا الملك ونحوا الى التسليم متماسكين وسلموا عسقلان على خروجهم باموالهم
ونسائهم واستوفوا لذلك المشاق والايمان وذلك يوم السبت انسلاخ جمادى الاخره وخرجوا
بنسائهم واموالهم وممن استشهد على عسقلان من الامراء الكبار حسام الدين ابراهيم بن حسين
المهراني وهو اول امير افتتح بالشهادة واختتم بالسعادة وكان السلطان قد اخذ في طريقه اليها
الرمله ويبنى وبيت لحم والخليل واقام بها حتى تسلم حصون الداويه غزه والنطرون وبيت جبريل
وكان قد استصحب معه مقدم الداويه وشرط معه انه متى سلم معاقلهم اطلقه فسلم هذه المواضع
الوثيقه لما احل موثقه كذا قال العماد في كتاب الفتح وقال في البرق وما برح السلطان مقيما
بظاهر عسقلان حتى تسلم المعاقل المجاورة لها والبلاد فذكر الداروم وغزه والرمله
ويبنى وبيت لحم ومشهد الخليل عليه السلام ولد وبيت جبريل والنطرون **قال** ابن شداد
ولما فرغ بال السلطان من هذا الجانب يعني ناحية بيروت راى قصد عسقلان ولم ير الاشتغال بصور
بعد ان نزل عليها ومارسها لان العسكر كان قد تفرق في الساحل وذهب كل انسان ياخذ لنفسه
شيئا وكانوا قد ضرسوا من القتال وملازمة الحرب وكان قد اجتمع في صور من بقي من فتحنا كل
فرنجي في الساحل فراى قصد عسقلان لان امرها كان ايسر وتسلم في طريقه مواضع كثيرة كالرمله
ويبنى والداروم فاقام عليها المنجنيقات وقاتلها قتالا شديدا وتسلمها سلخ جمادى الآخرة
واقام عليها الى ان تسلم اصحابه غزه وبيت جبريل والنطرون بغير قتال قال وكان بين فتح عسقلان
واخذ الفرنج لها من المسلمين خمس وثلاثون سنه فان العدو ملكها في السابع والعشرين من جمادى
الآخرة سنة ثمان واربعين وخمسمائة وذكر القاضي نسخة كتاب كتبه السلطان الى بعض
اهله وفيه استقلنا الى الجانب الذي فيه القدس وعسقلان معظما قلاعه كلها وحصونه جمعها
وسقاقله بحملتها ومدنه بابنيها وهي حيفا وقيسارية وارسوف ويافا والرمله ولد ونابلس الصافيه
وبيت جبريل والدين والخليل وبازلنا عسقلان وهي المعقل المنيع والحصن الحصين والتل الرفيع

وفيهم من القوة والعدة والعدد ما استغنى الامال عن نيل مثلها فافتتحناها سلمًا لتمام اربعة عشر
يومًا من يوم نزولنا عليها ونصبت اعلام التوحيد على بروجها واسوارها وعمرت بالمسلمين وخلت
من مشركيها وكفارها وكبر المؤذنون في اقطارها ولم يبق في الساحل من جبيل الى اوائل حدود مصر
سوى القدس وصور والعزم مصمم على قصد القدس فالله يسهله ويعجله فاذا يسر الله تعالى فتح القدس
ملنا الى صور والسلام ﴿ وفي كتاب آخر تقدم ذكر بعضه قال وقد سرق العسكر قوم الى القدس
وابن زين الدين وتقي الدين نازلان على صور وفتحت هونين بالسيف وتبنين بالسيف واسكندرونه
بالسيف ﴿ وفي كتاب آخر نزلوا على صور وكاتبهم ملك بيت المقدس يطلب الامان فقال له
صلاح الدين انا اجي اليكم فقال له المنجمون على نجمك ان تدخل بيت المقدس ويذهب عين واحدة منك
فقال قد رضيت بان اعمى وآخذ البلد قال ولم يمنعه من ذلك الا اخذ صور ولا بد من شيء يتفق عليه وقد خطب
لامير المومنين الناصر لدين الله على منابر ما افتتح من بلاد الفرنج ﴿ قال العماد وفوض السلطان القضاء
والحكم والخطابة وجميع الامور الدينية بمدينة عسقلان واعمالها الى جمال الدين ابي محمد عبد الله
ابن عمر الدمشقي المعروف بقاضي اليمن قال ووصل الى السلطان من مصر ولده الملك العزيز عثمان
واجتمع به على عسقلان فقرت عينه بولده واعتضد بعضده ووضع يده بيد الله في يده وكان
قد استدعى بالاساطيل المنصورة فوافت كالعقبان الكواسر بل الافلاك المواخر وجاءت كانها امواج
متلاطم امواجها وافواج متراحم افواجها تدب على البحر عقاربها وتحب لقطع الليل سحائبها والحاجب
لولو مقدمها ومقدامها وضرغام غاباتها وهمامها فطفق يحمي ويكسب وينال ويسلب ويقطع
الطريق على سفن العدو ومراكبه ويعيق لجار البحر على مذاهبه وسياتي ذكر ذلك ﴿ ٥

فتح البيت المقدس شرفه الله تعالى ٥

قال القاضي ابن شداد لما تسلم
السلطان عسقلان والاماكن المحيطة بالقدس شمر عن ساق الجد والاجتهاد في قصده واجتمعت
اليه العساكر التي كانت متفرقة في الساحل بعد قضاء لباناتها من النهب والغارة فسار نحوه معتمدًا على الله
مفوضًا امره الى الله منتهزًا فرصة فتح باب الخير الذي حث على انتهازه اذا فتح بقوله عليه السلام من
فتح له باب خير فلينتهزه فانه لا يعلم متى يغلق دونه وكان نزوله عليه قدس الله روحه يوم الاحد
الخامس عشر من رجب فنزل بالجانب الغربي وكان مشحونًا بالمقاتلة من الخيالة والرجالة ولقد حزر اهل
الخبرة ممن كان معه من المقاتلة بما يزيد على ستين الفا ما عدا النساء والصبيان ثم انتقل رحمه الله
لمصلحة راها الى الجانب الشمالي وكان انتقاله يوم الجمعة العشرين من رجب ونصب عليه المنجنيقات وضايقه

بالزحف

بالزحف والقتال وكثرة الرماة حتى اخذ النقب في السور مما يلي وادي جهنم في قرنة شمالية
ولما راى اعداء الله ما نزل بهم من الامر الذي لا يندفع وظهرت لهم امارات نصرة الحق على الباطل وكان
قد القى الله في قلوبهم بما جرى على ابطالهم ورجالهم من السبي والقتل والاسر وما جرى على حصونهم
من الاستيلاء والاخذ علموا انهم الى ما صاروا اليه صائرون وبالسيف الذي قتل به اخوانهم مقتولون
فاستكانوا واخلدوا الى طلب الامان واستقرت القاعدة بالمراسلة من الطائفتين وكان تسليمه في
يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب وليلته كانت ليلة المعراج المنصوص عليها في القران المجيد فانظر
الى هذا الاتفاق العجيب كيف يسر الله عوده الى ايدي المسلمين في مثل زمان الاسرا بنبيهم صلى الله عليه وسلم وفي
علامة قبول هذه الطاعة من الله تعالى ﴿ قلت هذا احد الاقوال في ليلة المعراج وفي ذلك اختلاف
ذكرناه في مواضع غير هذا والله اعلم وكان فتوحًا عظيمًا شهده من اهل العلم خلق عظيم ومن ارباب
الخرق والحرف وذلك ان الناس لما بلغهم ما من الله به على يده من فتوح الساحل شاع قصده للقدس
فقصده العلماء من مصر ومن الشام بحيث لم يتخلف معروف عن الحضور وارتفعت الاصوات بالضجيج
والدعاء والتهليل والتكبير وخطب فيه وصليت فيه الجمعة يوم فتحه وحط الصليب الذي كان على قبة
الصخرة وكان شكلا عظيمًا ونصر الله الاسلام نصر عزيز مقتدر وكانت قاعدة الصلح انهم قطعوا على انفسهم
عن كل رجل عشرة دنانير وعن كل امراة خمسة دنانير وعن كل صغير ذكرًا او انثى دينارًا واحدًا
قلت كذا قال وسياتي في كلام العماد ان على كل صغير دينارين وكذا قال ان الجمعة صليت
المقدس يوم فتحه وسياتي في كلام العماد التصريح بان يوم الفتح ضاق عنه ذلك فصليت في يوم الجمعة
الاتي ثم قال القاضي فاحضر القطيعة سلم بعضه والا اخذ اسيرًا وفرج الله عمن كان فيه من اسرى
المسلمين وكانوا خلقًا عظيمًا زهاء ثلاثة آلاف اسير واقام عليه رحمه الله يجمع الاموال ويفرقها على
الامراء والعلماء ويوصل من دفع قطيعته منهم الى مامنه وهو صور قال ولقد بلغني انه رحمه الله
رحل عنه ولم يبق معه من ذلك المال شيء وكان مائتي الف دينار وعشرين الفا وكان رحيله عنه
يوم الجمعة الخامس والعشرين من شعبان سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة **فصل** هذا الذي ذكره
القاضي في امر فتح بيت المقدس مختصر مجمل وقد بسطه العماد فقال رحل السلطان عن عسقلان
للقدس طالبًا وبالعزم غالبًا وللنصر مصاحبًا ولذيل العز ساحبًا والاسلام خطب من القدس عروسًا
وبذل لها في المهر نفوسًا وحمل اليها نعمًا ليجلو عليه بؤوسًا واهدى بشر البشائر عبوسًا وبعث مرحه
الصخرة المستدعية المستعدية لاعداء الها على اعدائها واجابة دعائها وتلبية ندائها واطلاع زهر

المصابيح في سمائها واعادة الايمان الغريب منها الى وطنه ورده الى سكونه وسكنه واقصى الدين
اقصاهم الله بلعنته من الاقصى وحدب قيامة بتحه الذي استعصى واسكان الناقوس منه بانطاق
الاذان وكف كف الكفر عنها بايمان الايمان وتطهيره من انجاس تلك الاجناس وادناس ادنى
الناس وطار الخبر الى القدس فطارت قلوب من به رعبا وطاشت وخفقت افئدتهم خوفا من جيش
الاسلام وجاشت وتمت الفرنج لما شاعت الاخبار انها ما عاشت وكان بها من مقدمي الفرنج باليان
بن بارزان وهو وملكهم في السلطنة سيان والبطرك الاعظم وهو للشان العظيم الشان
والذي اعطاهم حياطة حطين من الفرسان الداوية والاسبتارية والبارونية من ذوي الكفر
والسنان وقد حرروا وحشدوا ونشزوا ونشدوا وحميت حميتهم وابت الضيم ابيتهم وحارت
غيرتهم وعادت تحيرتهم وتبلدوا وتلددوا وقاموا وقعدوا وصوبوا وصعدوا فاستغل بال
باليان واشتعل بالنيران وخمدت بطل البطرك وضاقت بالقوم منازلهم وكان كل دار منها شرك
للمشرك وداموا اللذين في مقام الادبار وتعست افكار الكفار وايس الفرنج من الفرج واجمعوا
على بذل المهج فقالوا ها هنا نطرح الروس ونسبك النفوس ونسفك الدما ونهلك الدهما ونصبر
على افتراح القروح واجتراح الجروح ونسمح بالارواح شحا بمحل الروح فهذه قمامتنا فيها مقامتنا
ومنها تقوم قيامتنا وتصبح عامتنا وتصح ندامتنا وتسبح علامتنا وترشح غمامتنا وبها غرامتنا
وعليها غرامتنا وباكرامها كرامتنا وبسلامتها سلامتنا وبسقامتها استقامتنا وفي استدامتها
استدامتنا وان تخليها غاب عنا لزمتنا لامتنا ووجبت ملامتنا ففيها المصلب والمطلب والمذبح والمقر
والمجمع والمعبد والمهبط والمصعد والمرقى والمرقب والمشرب والملعب والمموه والمذهب
والمطلع والمقطع والمربع والمبدع والمرجم والمرخم والحلال والمحرم والصور والاشكال والانظار
والامثال والاشباه والاشباح والاعمدة والالواح والاجسام والارواح وفيها صور الحواريين
في حوارهم والاحبار في اخبارهم والرهبان في صوامعهم والاقسا في جوامعهم والسحرة وحبالها
والكهنة وخيالها ومثال السيد والسيدة والهيكل والمولد والمائدة والحوت والمنعوت
والمنعوت والتلميذ والمعلم والمهد والصبي المتكلم وصورة الكبش والحمار والجنة والنار والنواقيس
والنواميس قالوا وفيها صلب المسيح وقرب الذبيح وتجسد اللاهوت وتأله الناسوت واستقام
التركيب وقام الصليب ونزل النور وزال الديجور واتحدت الطبيعة بالاقنوم وامتزج الموجود
بالمعدوم وعمدت معمودية المعبود ومحضت البتول بالمولود واضافوا الى التعبد من هذه الضلال

ما ضلوا فيه بالشبه عن نهج الدلالات وقالوا دون مقبرة ربنا نموت وعلى خوف فوتها نفوت وعنها
ندافع وعليها نقارع وما لنا لا نقاتل وكيف لا ننازع ولا ننازل ولاي معنى نتركهم حتى ما اخذوا
وندعهم حتى يستخلصوا ما استخلصناه منهم ويستنقذوا وتناهبوا وتباهوا وما انتهوا الى ما باهوا
ونصبوا المجانيق على الاسوار وستروا بظلمات الستائر وجوه الانوار واستوطن شياطينهم وسرحت
سراحينهم وطغت طواغيتهم واصلتت مصاليتهم وهاج هائجهم وماج مائجهم وحصنتهم منهم
وحرضتهم رهبانهم وحركتهم بغوثهم وجاءتهم بحوب السو جواسيسهم ونصبوا على كل نقب منجنيقا
وحفروا في الخندق حفرا عميقا وشادوا في كل جانب ركنا وثيقا وفرقوا على كل برج فريقا
وجعلوا الى كل طارق بالردى للرد طريقا واعادوا كل نهج واسع بما وعروه وعوروه به مضيقا
وتحمل كل منهم ما لم يكن له من قبل مطيقا وخرج جماعة منهم على سبيل اليزك فادلجوا البلا واعترضوا
عدة من اصحابنا عائدة على طريق السلامة ماره وكان مقدم المقدمة المنصورة امير تقدم وما تحرز
ولا تحرم وما ظن ان قدامه من له جراة الاقدام ومن يعتقد ان ربح كفره خسارة الاسلام وهو
الامير جمال الدين شروين بن حسن الزرزاري فوقعوا عليه في موضع يعرف بالقبيبات فاستشهد رحمه الله
ولما بلغ السلطان خبره ساءه وعمه ثم اصل باقبال سلطانه وابطال شجعانه واقبال اولاده
واخوانه واسباق مماليكه وغلمانه وكرام امرائه وعظام اوليائه واصبح يسال عن الاقصى وطريقه
الادنى وفريقه الاسنى ويذكر ما نص عليه بحسن فتحه من الحسنى وقال ان اسعدنا من الله على اخراج
اعدائه من بيته المقدس فما اسعدنا واي يد له عندنا اذا ايدنا وانه مكث في يد الكفر احدى وتسعين
سنة لم يتقبل الله فيه من عابد حسنة ودامت همم الملوك دونه متوسنة وخلت القرون متخليه
وخلت الفرنج به متوليه فما ادخر الله فضيلة فتحه الا لآل ايوب ليجمع لهم بالقبول القلوب وكيف
لا يهتم بافتتاح البيت المقدس والمسجد الاقصى المؤسس على التقوى وهو مقام الانبياء وموقف
الاولياء ومعبد الاتقياء ومزار ابدال الارض وملائكة السما ومنه المحشر والمنشر ويتوافد اليه من اولياء
الله بعد المعشر المشعر وفيه الصخرة التي صينت جدة ابهاجها من الابهاج ومنها منهاج المعراج
ولها القبة الشماء التي هي على راسها كالتاج وفيه ومض البارق ومضى البراق واضاءت ليلة الاسرا
بحلول السراج المنير فيه الافاق ومن ابوابه باب الرحمة الذي يستوجب داخله الى الجنة بالدخول
الخلود وفيه كرسي سليمان ومحراب داود وله عين سلوان التي يتمثل لواردها من الكوثر الحوض المورود
وهو اول القبلتين وثاني البيتين وثالث الحرمين وهو احد المساجد الثلاثة التي جاء في الخبر النبوي

انما شد اليها الرحال وتعقد الرجا بها الرجال ولعل الله يعيدها الى احسن صوره كما رفع
بذكره مع اشرف خلقه في اول سوره فقال عز من قايل سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام
الى المسجد الاقصى وله فضايل ومناقب لا تحصى ومنه كان الاسرا ولا رضه فتحت السما وعنه تواتر
انبا الانبيا والاوليا ومشاهد الشهدا وكرمات الكرما وعلامات العلما وفيه مبارك العباد
ومسارح العباد وصخرتها الطولى القبله الاولى ومنها تعالت القدم النبويه وتوالت البركه العلويه
وعندها صلى نبينا بالنبيين وصحب الروح الامين وصعد منها الى اعلى عليين وفيه محراب مريم عليها السلم
الذي قال الله فيه كلما دخل عليها زكريا ولنهاره التعبد ولليله المحيا وهو الذي اسسه داود
واوصى ببنايه سليمن ولاجل اجلاله انزل الله سبحانه سبحان وهو الذي افتتحه الفاروق وافتتحت
به سوره من القران فما اجله واعظمه واشرفه وافخمه واعلاه واحلاه واسناه وايمن بركاته
وابرك ميامنه واحسن حالاته واحلى محاسنه وازين مناهجه وابهج مزاينه وقد اظهر الله طوله وطوله
بقوله الذي باركنا حوله وكم فيه من الايات التي اراها الله نبيه وجعل سموعنا من فضايله
مرئيه ووصف السلطان من خصايصه ومزاياه ما وقف على استعاذه الآلاء مواشيه والاباه
واقسم الا يبرح حتى يبر يمينه ويرفع اعلامه عليه ويخطو الى زيارة موضع القدم النبويه قدمه ويستعلي
الى صخره الصخره وسار واثقا بكمال النصره **فصل** في نزول السلطان على البيت المقدس
وحصره وما كان من امره قال العماد نزل السلطان على غرب القدس يوم الاحد خامس عشر رجب
وكان في القدس حينيذ من الفرنج ستون الف مقاتل من فارس وراجل وسايف ونابل فاستهدفوا
للسهام واستوقفوا الحمام وما لوا كل واحد منا بعيرهم وكل عشره بمين ودون العيانه يقوم القيامه
وتحت سلامتها بعلو السلامه واقام السلطان خمسه ايام يدور حول البلد ويقسم على حصاره اهل
الجلد فاخبر في شماليه ايضا رحبه للحصار متسعه لمجال الاسماع والابصار ممكنه للدنو من النقب
ان صار في حيز الانصار فانتقل الى المنزل الشمالي يوم الجمعه العشرين من رجب فما اصبح يوم السبت
الا المنجنيقات قد نصبت بلا نصب قدام القتال والنزال وفرسانهم في كل يوم يباشرون دون
الباشوره امام جموعهم المحصوره المحشوره ويبرزون ويبارزون ويطاعنون
ويعاجرون والمطيعون لله عليهم يحملون ومن دنا منهم ينهلون وينهلون كما قال تعالى منهم يجاهدون
في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وممن استشهد مبارزا ولم يشهد بينه وبين الجنه حاجزا الامير عز الدين
عيسى بن مالك كان ابوه صاحب قلعه جعبر فانه جاد بها ذنه في المحشر المعز واكرم ورود الموت

الى ان ورد الكوثر وكان في كل يوم يفترس فوارس ويلقى ببشر وجهه وجوه المنون العوابس
فاصم المسلمون من صرعته وتمان عليهم اتلاف المهج بعد تلاف مهجته فركبوا اداف الرهج حتى
وصلوا الى الخندق فخرقوه وبددوا جمعه وفرقوه والتصقوا بالسور فنقبوه وعلقوه وحشوه
واحرقوه وصدقوا وعد النصر في القتال الاعدا به فصدقوه ولما عضتهم الحرب ووقع السور واتسع
النقب صعب عليهم الهين وهان لنا الصعب عقدوا بينهم مشوره وعقدوا امامهم ضروره
وقالوا ما لنا الا الاستيمان فقد احل الخطه الخذلان والحرمان واخرجوا كبرايهم ليوخذ لهم
الامان فابى السلطان الا فنا لهم وتدميرهم واستيصالهم وقال ما اخذ القدس الا كما اخذوه من
المسلمين منذ احدى وتسعين سنه فانهم استباحوا القتل ولم يتركوا طرفا يسدر ينسنر فانا
افني رجالهم قتلا واحوي نساءهم سبيا فبرز ابن بارزان ليامن من السلطان لقومه وطلب الامان
لقومه ومنع السلطان وتنامى في شومه وقال لا امن لكم ولا امان وما هو الا ان نديم
لكم الهوان وغدا نملككم قسرا ونوسعكم قتلا واسرا ونسفك من الرجال الدما ونسلط على
الذريه والنسا السبا وان في تامينهم الا الاما فتعرضوا للتضرع وخوفوا عاقبه التسرع وقالوا
اذا ايسنا من امانكم وخفنا من سلطانكم وخبنا من احسانكم وايقنا انه لا نجاه ولا نجاح
ولا صلح ولا صلاح ولا سلم ولا سلامه ولا نعمه ولا كرامه فانا نستقتل فنقابل الدم والندم
ونقابل الوجود بالعدم ونلقي انفسنا على النار ولا نلقي بايدينا الى التهلكه والعار ولا يجرح
واحد منا حتى يجرح عشره وانا نحرق الدور ونخرب القبه ونترك عليكم في سبينا السبه ونقلع
الصخره ونوجد لكم عليها الحسره ونقتل الصخره ترميها ونعمي سلوان بعيبها والمصانع نخسفها
والمطامع نكسفها وعندنا من المسلمين خمسه الاف اسير ما بين غني وفقير وكبير وصغير فنبدا بقتلهم
وشتت شملهم واما الاموال فانما نعطيها ولا نعطيها واما الدراري فانا نسارع الى اعدامها ولا
نستطيبها فلا تحصل لكم شي ولا نقبل لكم شي ولا نسلم عم ولا عماره ولا نضار ولا نضاره ولا
نسا ولا صبيان ولا جاد ولا حيوان فاي فايده لكم في هذا الشح وكل خير لكم في هذا الربح
ورب جهيه جات من رجا النجح ولا يصلح الشي سوى الصلح فشاور السلطان اصحابه فقيل له
الصواب ان يحسبهم اسارا انا فنبيعهم نفوسهم ونغنم بصغار الجزيه رؤسهم وندخل في القطيعه
مرؤسهم ورئيسهم واستقر بعد مرددات ومعاودات ومعارضات ومعوضات وضراعات
من القوم وشفاعات على قطيعه يكمل بها الغبطه ويحصل منها الحوطه اشتروا بها منا انفسهم واموا

لهم

وخلصوا بها رجالهم ونساءهم واطفالهم على انه من عجز بعد اربعين يوما عما لزمه او امتنع منه ومما سلمه
ضرب عليه الرق وبقي في ملكنا الحق وهو عن كل رجل عشرة دنانير وعن كل امراة خمسة
وعن كل صغير او صغيرة ديناران الذكر والانثى فيهما سيان ودخل ابن بارزان والبطرك
ومقدما الداوية والاسبتار في الضمان وبذل ابن بارزان ثلثين الف دينار عن الفقرا وقام بالادا
ولم ينكل عن الوفا ومن سلم خرج من بيته آمنا ولم يعد اليه ساكنا وسلموا البلد يوم الجمعة السابع
والعشرين من رجب على هذه القطيعة وردوه بالرغم رد الغصب لا الوديعة وكان فيه اكثر من مائة
الف انسان من رجال ونسا وصبيان فاغلقت دونهم الابواب ورتب لعرضهم واستخراج ما يلزمهم
النواب ووكل بكل باب امير ومقدم كبير يحصر الخارجين ويحصي الواجبين فمن استخرج منه خرج ومن
لم تقم بما عليه قعد في الحبس وعدم الفرج ولو حفظ ذلك المال حق حفظه لعاد منه بيت المال
باوفر حظه لكنه تم التفريط وعم التخليط وكل من رشا مشى وتنكب لا مناهج الرشد بالرشا
فمنهم من ادلي من السور بالحبال ومنهم من حمل مخفيا في الرحال ومنهم من غير لبسته فخرج بزي
الجند ومنهم من وقعت فيه شفاعة مطاعة لم تقابل بالرد والنفقات لاكابر استبانوا اضاعة
فاقاموا في مصيرهم المعاذر وقسموا لانفسهم الذخاير وادعى مظفر الدين كوكبوري ان منهم جماعة من
ارض الرها وعددها الف ارمني فحمل اليه امرها وكذلك صاحب البيرة ادعى بالعدة الكثيرة
زهاء خمس مائة ادعى ذكرانهم من بلده وان الواصل منهم الى القدس متعبدة وكذلك كل من استوهب
عدة استطلقها وحصل لو رفقها ثم تولى الملك العادل استخراجهم وقوم على الادا منهاجهم
وسهل على السلطان لفرط جوده الاستخراج والاخراج وتوفر لعامة الناس وخاصتهم بحسن سماحته
الابتهاج وما فينا الا من حاز اوفر نصيب ودعي منه في مرتع خصيب وكان السلطان قد رتب
عدة دواوين في كل ديوان منها عدة من النواب المصريين ومنهم من الشاميين فمن اخذ من الدواوين خطا
بالادا اطلق مع الطلقا بعد عرض خطه على من بالباب من الامنا والوكلا فذكر لي من لا اشك في
مقاله انه كان يحضر في الديوان ويطلع على حاله فربما كتبوا خطا لمن يعدونه فكيستهم وتلبس اثر تلبيسهم
فكانوا شركا بيت المال لا امناه وخانوه على ما حصل لكل من الغنى والنفع وما اضر عناه ومع ذلك
حصل لبيت المال ما يقارب مائة الف دينار وبقي من بقي تحت رق واسار ينتظر به انقضاء المدة المضروبة
والعجز عن الوفا بالقطيعة المطلوبة • وكانت بالقدس ملكة رومية متعبدة مترهبة في عبادة الصليب
متصلبة وعلى مصابها متلهبة وفي التمسك بملتها متصعبة متعصبة انفاسها متصاعدة بالحزن وعبراتها

متحدرة

منحدرة تحدر القطران من المزن ولها خال ومال ومتاع واشيا واتباع فاستاذنت السلطان
فاعادها ومن عليها وعلى كل من معها بالافراج واذن في اخراج كل ما لها في الاكياس والاخراج
والتي عليها من مصوغات صلبانها الذهبية المجوهرة ونفائسها وكرائم خزائنها فخرجت بجميع مالها
وحالها ونسائها ورجالها واسفاطها واعدالها والصناديق باقفالها وتبعها من لم يكن من اتباعها
فراحت فرحى وان كانت من حزنها قرحى • وكذلك خرجت زوجة الملك المأسور كي وهي ابنة
الملك اماري وكانت مقيمة في جوار القدس مع ما لها من الخدم والخول والجواري فاستاذنت
في الالمام بزوجها وكان بعينه مقيما في برج نابلس موكلا به لتوم وعد بتسريح فاذن لها فخلصت
هي ومن معها واقامت عند زوجها • وكذلك خرجت الابرنساسة ام هنفري وهي
ابنة فليب زوجة الابرنس الذي سفك دمه يوم حطين وهي صاحبة الكرك والشوبك
وبنيت بوابها محوطة وبرايها منوطة مخافت سايلة في ولدها العاني فوعدت بانها ان سمح عصنها
سمح لها بابنها ثم اعيت واطلقت وعصت واستحضر ابنها هنفري بن هنفري من دمشق اليها
واقر برؤيته عينيها وسار معها من الامرا الامنا من يتسلم منهم تلك المعاقل فخرجت فمضت
الى حصونها لتسليمها فمانعها اهلها ودافعوها وردوها ذليلة خائبة فتمسكت صور واستودعت
السلطان ابنها المأسور ووعدها باطلاقه اذا تسلم تلك الحصون فصل في ذكر الفتح وبعض
كتب البشاير الى البلاد • قال العماد تسلم المسلمون المدينة يوم الجمعة اوان وجوب صلاتها
وطلعت الرايات الناصرية على شرفاتها واغلقت ابوابها لحفظ اهلها في طلب القطيعة والتماسها
وضاق وقت الفريضة وتعذر اداؤها وللجمعة مقدمات وشروط لم يمكن استيفاؤها وكان الاقصى
لا سيما محرابه مشغولا بالخنازير والخنا مملوءا بما احدثوا من البنا مسكونا من كفر وغوى وظل وظلم
وخنا معمورا بالنجاسات التي حرم علينا في تطهيره منها الونا فوقع الاشتغال بالاهم الانفع والاتم
الاسح الانجع وهو حفظهم وضبطهم الى ان يوجد شرطهم ويوخذ قسطهم واتفق فتح البيت المقدس
في يوم كان في مثل ليلته منه المعراج وتم بما وضح من منهاج لنصر الابتهاج وجلس السلطان بالمخيم
ظاهر القدس للهنا للقاء الاكابر والامرا والمتصوفة والعلما وهو جالس على هيئة التواضع وهيبة
الوقار بين الفقها واهل العلم جلسائه الابرار ووجهه بنور البشر سافر وامله بعز النجح ظافر وبابه
مفتوح ورفده ممنوح وحجابه مرفوع وخطابه مسموع ونشاطه مقبل وبساطه مقبل ومحياه يلوح
ورياه تفوح فلحظت له حالة الظفر وكان دسته به هالة القمر والقرا جلوس يقرؤن ويرشدون

والشعرا وقوف ينشدون وينشدون والاعلام ببرز للنشر والاعلام تربي لبشر والعيون من فرط
المسرة تدمع والقلوب للفرح بالنصرة تخشع والالسنة بالابتهال الى الله تضرع وبشرا المسجد الحرام
بخلاص المسجد الاقصى وتلى شرع الدين ما وضح وهنى الحجر الاسود بالصخرة البيضا ومنزل الوحي بمحل
الاسرا ومقر سيد المرسلين وخاتم النبيين بمقر الرسل والانبيا ومقام ابراهيم بموضع قدم المصطفى
صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين وادام اهل الاسلام شرف سنة مستمعين وتسامع الناس بهذا النصر
الكريم والفتح العظيم فوفدوا للزيارة من كل فج عميق وسلكوا اليه في كل طريق واحرموا من
البيت المقدس الى البيت العتيق فمن هو من اذهانا ذكر امانته في الروض الانيق وقد سبق ان
العماد كان توجه الى دمشق والسلطان على بيروت للالم الذي كان الم به فلما سمع بنزول السلطان
على القدس ابل من مرضه وتوجه اليه فوصل يوم السبت ثاني يوم الفتح قال وطلعت عليه صبحا
عند طلوع الصبح فاستبشر بقدومي وخلع على البشير بل وبيتي وكان اصحابه يطالبونه بكتب البشائر
ليغربوا بها ويشرقوا وهو يقول لهم لهذه الموسوية هذه المادية مارد قال فكتبت في ذلك
اليوم سبعين كتابا نسات كل كتاب بمعنى بديع وعبارة ، فمنها كتاب الى الديوان العزيز ببغداد
افتتحته بهذه الاية وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين
من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا الحمد لله الذي انجز لعباده
الصالحين وعد الاستخلاف وقهر باهل التوحيد اهل الشرك والخلاف وخص سلطان الديوان
العزيز بهذه الخلافة ومكن دينه المرتضى وبدل الامن من المخافة وذخر هذا الفتح الاسنى والنصر الاهنى
للعصر الامامي النبوي الناصري على يد الخادم اخلص اوليائه واخص من اعتزازه باعتزائه اليه وانتمائه
وهذا الفتح العظيم والنجح الكريم قد تعرض الملوك الماضيه والقرون الخاليه على حسرته تمنيه وحيرة
ترجيه وفحشه الياس من سببه وتقاصرت عنه طوال الهمم وتخاذلت عن الاستصار له الملاك الامم
فالحمد لله الذي اعاد القدس الى القدس واعاده من الرجس وحقق من فتحه ما كان في النفس وبدل
وحشة الكفر فيه من الاسلام بالانس وجعل عز يومه ماحيا ذل امس واسكنه الفقها والعلما بعد الجهال
والضلال من البطارك والقسوس وعبدة الصليب ومستقبل الشمس وقد اظهر الله على المركبين الضالين جنود
العالمين المومنين وقطع دابر القوم الظالمين والحمد لله رب العالمين وكان ان اسر في هذه الامة وقال
لهم اعزموا على اقتنا هذه الفضيلة التي بها فضلكم وحقق في حقهم امتثال امره في قوله الكريم ادخلوا
الارض المقدسة التي كتب الله لكم وهذا الفتح قد قدره الله على اقتضائه بالحرب العوان وجعل ملائكته
المنوهة له من اعز الانصار واظهر الاعوان فاخرج يوم الجمعة من بيته المقدس ابل الحد وفع مركان

يقول

يقول ان الله ثالث ثلاثة بمن يقول قل هو الله احد وانا ان الله بانزال الملائكة والروح واني بهذا
النصر الممنوح الذي هو فتح الفتوح وقد تعالى ان يحيط به وصف البليغ نظما ونثرا وعبد الله في البيت
المقدس سرا وجهرا وملكت بلاد الاردن وفلسطين غورا ونجدا وبرا وبحرا وملئت اسلاما وكانت
قد ملئت كفرا وتعاضى الخادم دين الدين الذي علق رهنه دهرا والحمد لله شكرا حمدا يجدد كل يوم
جيم للاسلام نصيرا ويزيد وجوه اهله مسرة ويوحد بشرا واني الخادم الا استباحة اموالهم واروا
وحسم دا اجتراحهم باجتياحهم وانه لا بد من تطهير الارض المقدسة من رجس دمائهم وقتل رجالهم
وسبي دراريهم ونسائهم ولما يئسوا من النجاة وفتح ابوابها المرتجة من اسبابها المرتجاة وخوفوا
بقتل الاسارى المسلمين وهم اكثر من ثلاثة الاف وانهم يفسدون جميع ما في البلد من مال
وبناء بهدم واحراق واتلاف وعرفوا ان حملهم جملتهم على كل كريه سبيع وانهم تدعوهم
قطاطهم الى كل شر وطيع وبذلوا الطلاق الاسرا وشرطوا حمل مال الفدا وما زالوا يبتهلون
ويتضرعون ويذلون ويخشعون حتى استقر الامر انهم يفادون واجيبت الا الصخرة المقدسة
عند استصراخها وبركت البركة الناهضة اليها في مناجحها وغسلت من اوضارها واوزارها
بعبرات العيون ورجع اضطرابها الى السكون وفدت سواظر اهل الايمان وصوحب
للوفا بعهدها المجدد بالايمان وذكرت في يوم خلاصها من رجب ليلة المعراج وجلي
اظلامها بانارة سنا السراج واعيدت الكنايس مدارس واضحت باحيا رميم التوحيد رسوم
الكفر عافية دوارس وزالت صخرة الصخرة وبعثها الله من العثرة وبدل الانس فيها ما كان من
الوحشة والحسرة والحمد لله على هذه النصرة والمسرة على هذه المبرة وقد تسلمنا سبت المقدس
جميع المعاقل من حد الداروم الى حد طرابلس وكلما كان جاريا في مملكة ملك القدس ونابلس
ولم يبق الا الصور فانها لو تأخر انتزاعها وتقدم امتناعها والفرج فيها قد ضرب ابان لها الطماعها
وهي بتأييد الله مستفتحة والقلوب بتذليل جامحها منشرحة ، ومن كتب اخر فتحت الله المقدس
الذي عجز الملوك وقد تمنيته فكيف نتسنيه وما انشا الاطماع دونه فلم تطمع فيه من الله علينا بتذليل
صعبه واعذاب شربه وتسهيل وعره وتحصيل فخره وفض الملوك في ليله وحينا حر عند
اسفار فجره ، وقد كانت الصخرة مستصرخة ومطايا الكفر بكلاكلها عليها متنوخة فاجيبت
دعوتها واصيبت خطوتها وتناثرت على حجرها نوافث الشفاه وقوبلت قبلتها بقبل الافواه
وعاد المسجد الاقصى للقاصي والداني وزال رين العاني وموتعبين الراني ، هذا فتح عظيم قد

جسيم نخره فاصل عصره كامل نصره غير منسي الى يوم الحشر ذكره وقد امضى بنا نكره وافتضى بسيفنا
وتره وزهر زهره وظهر قهره وهلك الكافر وكفره وكان من نعم الله ما الزم على الاحد شكره ابينا
الا احرافهم بنيران الصوارم واغراقهم في امواه الطلى والجماجم وتسلمنا القدس في يوم كان مثل
ليله ليلة المعراج وحنت الصخرة حنين جذع المنبر الاولى في طلعة ليلها الى ذلك السراج الوهاج
والحمد لله على سلوك ما اوضح من المنهاج وتصوب ما كان يبغ من الاعوجاج وخلا بيت الله لقصد الحاج
وصدق الحاج مدبره بما فضل الله به عصرنا وعجل به نصرنا ونظم به سلكنا وطرز به ملكنا
وهو فتح بيت الله المقدس الذي علق رهنه دهرا واغتصب من الاسلام مهرا وازدلف كفرا وامتدت
به الايام عمرا قفرا وتقاصرت الهمم عن استفتاحه واصلد زند الملوك فيه فعجزوا عن اقتداحه ونزلنا
بالرغم على التماس الكفر واقتراحه واحتملوا الخبط بتواضعهم بكابته احترامه واجتراحه فلا
جرم اعلى لله لايامنا وذخره لموسم اعتزامنا وفتحه بنا اظهارا لفضل هذه الايام وايثارا
لما نحن نؤثره من اعلاء كلمة الاسلام فاصرخنا الصخره واهدينا اليها النصره ومكنا من قلبها
وان كان من الحجر المتره • تسلمنا البيت المقدس يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب وقضينا
من حق هذا البيت ما وجب وجاء القدس الى القدس وزال الرجس وذهب وتولى فيه الاسلام
وتولى عنه الكفر وعظم الاجر وفخم الفخر وطاب النشر وزاد البشر ومحى الرجس وبيت الطهر وهلك
الشرك وذل البطرك وافضى من المسجد الاقصى الساجد الى الشمس وتجلى الحق بنوره الكاشف للبس
عاد بيت الله المقدس لطهارته ونطق منه لسان التقديس بعبارته وتهلل وجه السعد بنضارته وخصصنا
القدس في تمام امره بخطابه واشارته وزادت الوجوه نشر ابشارته وقد اعاد الله الى الاسلام
المسجد الاقصى وملكنا ادناه واقصاه واسناد دولتنا بما اسناه من فتحه وهناه • علموا انهم هالكوا
وانا لهم ان القهر مالكون وفي سبيل القتل والاسر والسبي سالكون فجنحوا يطلبون الامان
ويبذلون الاذعان حتى تسلموا المكان فقيل لهم الآن وقد عصيتم ورضيتم بما فيه هلاككم وابيتم
نوعوا انفك اسارى المسلمين وهم الوف وعرفنا انهم لا يعتصمون في الثغر فان حملهم معروف
فنزعوا وشفعوا وتضرعوا وتعفروا في تراب الذل ووقفوا وبعد عليهم ما الستر وابا نفسهم فنزعوا
من الخوف ملابسهم وسلموا القدس فاعدناه الى القدس وطهرناه من الرجس واحيينا دعوة الصخره
وعدلناها وفر الكفر بعبراته العبرة • فتح بيت الله المقدس الذي علق رهنه وطال في يد الكفر
اسره وسجنه واستهل بعز ايامنا مزنه وانار منه وعاد باحياننا حسنه وزاد بنا خوفه وزاد

امنه وبقي قريب مائة سنة في يد الكفر مسجونا وبرجس الشرك مشحونا حتى اعاد الله نهاره ونفذ وادهب
قلقه واعدم فرقه • وهذا فتح لم يكن منذ عصر الصحابة له نظير واوفى الدين به منيف منير وشرف
ايامنا به كثير وهو امام فتوحنا المدخرة لنا وما لها بتاييد الله تاخير • فتح البيت المقدس الذي لم يخطر
تمنيه بخاطر الملوك ولم يوع على عزمهم نهج طريقه المسلوك وحالت دونه قطاربات الفرنج وطوارقها
وحبت على الاسلام فيه حوادث الليالي وطوارقها حتى دعانا الله لفتحه فاجبناه ووعدنا بالعود
فاصبناه واوردنا مشرع صفايه فاستعذبناه وعرفنا طيب عرفه فاستطبناه وذخر لعصرنا
هذا الغرض فاستقبلناه • راوا احجار المنجنيقات قد ازلت الاسوار بالاسوار وعادت الصخور
علاج للصخره المباركة تحدث في انقيادها من الاسار وهتمت ثنايا الابراج واعضل بها في العلاج داء الا
فعاينوا الحمام وشاهدوا الموت الزؤام • اقامت المنجنيقات على حصانته حد الرجم ووقعت
ثنايا باثر افاته بالهدم فتطايرت الصخور في نصرة الصخرة المباركة وحرصت على حكم السور بسنة الاحجار
المتداركة وحرقت الثقوب عن عروش البلد نقب الاسوار وانكشفت للعيون اكتاف الاسوار
ونصت الاصراخ الصخره المقدسة الصخور وطارت من اوكار المجانيق كانها الصقور ما اثر البيت
الحرام بفكاك اخيه من الاسر واحترام الاسلام فيه لغل اوضار الكفر وانقاد الصخره المباركة
من قلوبهم كالحجاره واشد قسوة والحافها من البها والرونق والعز الاسلامي كسوه ولقد غسلت من
ادران الكفر وادناسه وطهرت من ارجاس النجاسة بمياه العيون التي بها قد نبت وصقلت بشفاه
المؤمنين وطالما ابدى المشركين صديت واعيد اليها ذكر الله بعد طول الغيبة وتذكرت صحبة الاوليا
ما سلف لها في عهد الصحابة رضي الله عنهم من حسن الصحبة وقام المسجد الاقصى فاقصى منه الساجد للشمس
وسكن العلماء والفقهاء في مواطن البطرك والقس وابدل الناقوس بالاذان بل الكفر بالايمان
وصلى محراب الاسلام في المحراب الذي اسلم وقدسه الله هذا الفتح الاعظم والنجح الافخم وقد ندب ولان
في الرسالة القدسية والبشارة العرسية التي تم بها ماتم الكفر وعرس الاسلام وعاد بها المسجد الاقصى
الى ما دناه المسجد الحرام • وجليت عروس الصخره لعيون الناظرين وفاضت عليها مياه احداق الاوليا
فرحت عليها اوصار الكافرين وكان الاسلام منه غريبا فرجع الى وطنه وسكر منه الى الوطن في سكنه
وزال محاوقه وعاد الى مامنه وفاض العرف من منبعه وانار التوحيد من مطلعه وعلا سنا السنه
وجلا حبا الجنه وخلصت مواضع المخلصين من اوليا الامه وخرج البطاركة والقسيسون من
مساجد الائمه وعادت الكنايس مدارس وايات التثليث عادت دوارس ووجوه الايمان ناشره ووجوه

أهل الصليب عوابس وبحنا ابان هذه الايام تلك الليالي الدوامس وقد اعتمت الجمع والجماعات
ونطقت بل طهرت تلك الساحات وصلى في محرابه المحرب ودرس فيه الخلاف والمذهب والحمد لله
الذي يسر بعضه هذه المطلب وتيسر بنا بيده الامر الاصعب **فصل** قال العماد
وكان المولى الاجل الفاضل متاخرا بدمشق لعارض من الله بشفائه ثم جملة كتب السلطان اليه
اما الفتح من جملة بركات همته وانا رجوت عزمته فان الله سهل ما حل اهل الدهر بانه اصعب
واهب نسيم النصر ابان القتال لمن له مهب وخصنا بهذا الشرف والحقنا في هذه الفضيلة
بصالح السلف وقد بدل الكفر بالايمان والناقوس بالاذان وجلس العلماء والفقهاء في مجالس
الرهبان وفتحت بهذا الفتح من بيت الله المقدس ابواب الجنان وتزاحم الخارجون من البلد من الروح
والنصارى في دخول ابواب النيران وصلى بمحاريب الدين في المحراب ووقع الملايكة ما كان
يكابد بانفاس الكفر من الحجاب وعلت الصخرة المباركة من اوضارها بماء العيون الفايض
العايق عن ارة الاموات وقبلت بالشفاه وبو شرت بالافواه وطهرت باهل العلم والحلم من ادناس
اهل الجهل والسفاه والحمد لله ثم الحمد لله وما كان يعوزنا ويعوزه الا حضور المجلس السامي
اسماه الله فما لهذا الامر سوا الا دوابه ولا للاسى لها الا من لقايه وكاد يصحف الفتح لولا صاح
دعايه بمحو آيه والحمد لله الذي خصنا بهذه الخاصه وفضلنا بالنصرة القدسيه ودخلنا
هذا البر الذي عجز عن قصده ملوك البريه والحمد لله على هذه النعمه السنيه فما اسوقنا واشوق
القدس الى قدومه وما اطماناوا اطماه الى خصوص الرويه وعمومه وبا حظ هذا البيت الذي هو
اخو البيت الحرام من زيارته وما آنق روضه واوفق رضاه اذا افاد نشطه ونضارته وبحن نعرف
ان همته العاليه تحدوه واذ دنا الى جانب دعوته يدعوه ونسال الله ان يكمل صحته وينعش قوته
ويقوي نهضته وما اقمنا بهذا البلد الا لتطهيره وترتيب امره وتدبيره ومن كتب اخرى نصرنا
الله بملايكته المسومين واولياية المومنين واستخلصنا بايدينا البلاد وانتزعناها وافتضضنا
بالسيف الذكور من الحرب العوان ابكار الفتوح وافترعناها وهي موهبة مذهبة وسيقة لا يبلغ
الى وصفها بلاغة مرجزة ولا تشبيه ونوبة نابت بعوالي الاثام نوبه وخطوة في مذاق اهل التقوى
والمعرفه حلوه وثريا يجلو الوجوه ببشرها ويضوع بها المحاريب بنشرها ويعرف اهل الشرق
والغرب بكما غريبها ويفرع المومنين في البعد والقرب بانوار قربها ثم اذا القدس بملا الارض
التي به وصفت واخا المنازل البركه بالبقعه التي بقوله تعالى باركنا حوله عرفت وطهرت الصخرة

المقدسه وطهرت وزهيت ايا من هذه الايام وزهرت وقعت الطايفه الطاغيه من اهل التثليث
باهل التوحيد وقهرت واستبشر المنبر والمحراب بخطيبه وامامه وافتخر الزمان بعصر مولانا امير المومنين
وايامه وقد ملكنا البلاد الساحليه وتسلمنا ما حصنا حصنا ونقصنا من الكفر ركنا ركنا
واجلينا الكفار منها فاجلبنا بها من الحسنى حسنا فتح شرف الله به هذه الامه وجلا به الغمه
وكشف الظلمه بل شرقنا بفخره واعذبنا الدخره وحصنا بفضيلته في عصره واجرى لنا ما كان قد ابطا
من عادة نصره وقمع باهل دينه من عساكرنا اهل كفره وقامت بوارنا بنوره وعرق البلاد الساحليه
من دم الكفار بحره واصرخت الصخره وحقت بها النصره وزالت عنها المعره وعادت اليها المبره
وبعثت فيها العتره وفاضت لها من عين المومنين العبره وزفت عروسها البكر محصنة لم تفتض
منها العذره وحالت الغره ولاحت الغره وطهرت من صدفتها الدره وصوفحت بار القدم
النبويه بالايمان وجددت بعدما صنعته الايمان وبطل الناقوس بحي الاذان وفتحت ابواب
الجنان لاهلها واخرج منها اهل النيران والحمد لله على هذا الاحسان حمدا استمرا على ممر الزمان
ومن كتاب الى سيف الاسلام باليمن فتح بيت الله المقدس الذي علق سبعا وتسعين سنه مع
الكفر رهنه وطال في اسره سجنه واستحكم وهنه وقوي بكره وضعف ركنه وزاد حسنه
وزال حسنه واحدث من الهدي رضه واطفا برده وواصله خوفه وفارقه امنه واشتغل
خاطر الاسلام بسببه وشاطنه وذكر فيه الواحد الاحد الذي تعالى عن الولد ان المسيح ابنه
وربع فيه التثليث فعز صليبه وصلبه وافرد عنه التوحيد فكاد يمسه ودرج الملوك الاقدمون
على تمني استنفاده فابى الشيطان عن استيلايه واستحواذه وكان في الغيب الالهي ان بعاده في
الآخره الى معاده ووطنت اوطانه بقراء القران ورواية الحديث وذكر الدروس وظلت الصخرة
المقدسه خلوة العروس وزار مانها رمضان مضيفا لها نهار صومها بالتسبيح وليل فطرها
بالتراويح ومن كتب اخر البيت المقدس صار مقدسا واصبح للاسلام معرسا ورجع اهل
التقوى اليه فقد كان بهما مؤسسا وخرب الجرس وذهب الدنس وبطل الناقوس وخرج القسوس
وزال الاذى بالاذان وصوفحت الصخرة المقدسه باعيان اهل الايمان وما صلت في محراب البيت
المقدس القبله حتى صلت في محاريب رقاب الكفر المرهفات وما تم الرضى بفتح المسجد الاقصى
حتى اقصى منه من اقصاه الله عن رضاه وما تبوا المسلم المصلي فيه مثواه من الجنه حتى تبوا الكافر
المصلي بالنار مثواه ثم صوفح موضع القدم المباركه ليلة المعراج بالايدي وقال الاولياء الله

أهل الاخلاص اهلا لكم فما احسن الخلاص من ولاية اهل التعدي وعلا المسجد الاقصى للمصلين
المقربين حنه وسار ابعد ان كان للمفضين المصلين نا نا دارا وتسلم محرب الاسلام محرابه واصحب
الاولياء لما الغي اصحابه ونزح المنبر لنزيم الخطيب واعجب الدين بانكسار صلب عابد الصليب
السليب ❜ حنلا باله من امر القدس باعادته الى قدسه واخلائه من رجز الشرك ورجسه واجلا
دوابه واستاده وبطركه وقسه وتعويضه من وحشة الضلالة بالهدى بانسه ورد الاسلام
الغريب الى بيته المقدس ونفي الكافر منه كانسف البال راغم المعطس ونصب المنبر بالمسجد الاقصى
لاقامة الخطبة الامامية ورفع ما رفع قدره من الاعلام العباسية والافراج عن محرابه بهدم ما بني
دونه من بان الشرك وكشف استار الكفرة التي حجبت بالهتك والقتل واقامة الجمع فيه والجماعات
وادامة اوراد العبادات به ووظايف الطاعات وغسل الصخرة المقدسة بدم الكافر
ودمع المومن وشرع لباس باس المسيح عنها بافاضة ثوب ثواب المحسن وتنزيه تلك الجنة من دنس
اهل النار واعلاء ما كان درس من معالم الابرار ومطالع الانوار ❜ وقد رجع الاسلام الغريب
منه الى داره وخرج قمر الهدى به من سراره وذهبت ظلم الضلالة بانواره وعادت الارض المقدسة
الى ما كانت موصوفة به من التقديس وامنت المخاوف فيها وبها فصارت صباح الرجى ومناخ
التعريس وقد اقصي عن المسجد الاقصى الاقصون من الله الابعدون وتوافد اليه المصطفون الاقربون
والملايكة المقربون وخرس الناقوس بحلول المسبحين وخرج المفسدون بدخول المصلحين وقال
المحراب لاهله مرحبا واهلا وشمل جماعة المسلمين من اقامة الجمعة والجماعة ما جمع للاسلام فيه
شملا ورفعت الاعلام العباسية على منبره فاخذت من ترح اوفى نصيب وتلت بالسنة عذبتها نصر
من الله وفتح قريب وغسلت الصخرة المباركة بدموع المتقين من دنس المشركين وتعبد اهل الاحد
من قربها تقرب الموحدين فذكرتها ما كان نسي من عهد المعراج النبوي واقامت بدلايلها
براهين الاعجاز المحمدي تماد الاسلام باسلام البيت المقدس الى تقديسه ورجع بنيانه من
التقوى الى تاسيسه وزال ناموس ناقوسه وبطل بنقض النصر قياس قسيسه وفتح باب الرحمة لاهلها
ودخلت قبة الصخرة لفضلها وباشر من الجباه بها مواضع سجودها وصافحت ايدي الاوليا اثار
القدم النبوية بتجديد عهودها وشهد مقام المعراج ومواطي براقه وروي نور الاسرار ومطلع
اشراقه ودني المسجد الاقصى للراكع والساجد وامتلاء ذلك الفضا بالاتقيا الاماجد ❜
ومن كتاب فاضلي الى بغداد ناعيا ظل الكافر المبسوط وصدق الله اهل دينه فلما وقع الشرط

وقع المشروط وجا امر الله وانوف اهل الشرك راغمة وادلجت السيوف والاجال نايمة واسترد
المسلمون تراثا كان عنهم ابقا وظفروا بعظة مما لم يصدقوا انهم يظفرون به طيفا على النايي
طارقا ❜ ومنه في وصف نقب السور فاخلى السور من السيارة والحرب من النظارة وامكن
النقاب ان يسفر للحرب النقاب وان يعيد الحجر الى سيرته من التراب فتقدم الى الصخر فمضغ سرده
بانياب معوله وحل عقده بضربه الاخرق الدال على الطاقة انمله واسمع الصخرة الشريفة حنينه
واستغاثته الا انه كاد يرق لمقتله وتبرا بعض الحجارة من بعض واخذ الخراب عليها موثقا
فلن تبرح الارض واسفرت على الاعلى اقدامهم وجعلت على الاقصى اعلامهم وملاقف على الصخرة
قلبهم وشعبت بها وان كانت صخرة كما شقق بالما عللهم وملك الاسلام خطة كان عهده بها
دمنة سكان تحذيها الكفر الى ان صادف روضة جنان لا جرم ان الله اخرجهم منها واهبطهم
وارضى اهل الحق واسخطهم واوعز الخادم برد الاقصى الى عهده المعهود واقام له من الايمة
من يوفيه ورده الموزود واقيمت الخطبة يوم الجمعة رابع شعبان فكادت السموات للنجوم
ينفطرن والكواكب منها للطرب ينتثرن ورفعت الى الله كلمة التوحيد وكانت طريقها مسدودة ده
وطهرت قبور الانبيا وكانت بالنجاسات مكدودة واقيمت الخمس وكان التثليث يقعدها
وجهرت الالسنة بالله اكبر وكان سحر الكفر يعقدها وجهر باسم امير المومنين في وطنه الاشرف من المنبر
فرحب به ترحيب من بر وخفق علماه في حفافيه فلو طار سرورا لطار بجناحيه وكان الخادم
لا يسعى سعيه الا لهذه العظمى ولا يقاسي تلك البوسى الا رجاء هذه النعمى ولا يحارب من يستظلمه
الا ليكون الكلمة مجموعة فتكون كلمة الله هي العليا وليفوز بجوهر الاخرة لا بالعرض الادنى من الدنيا
وكانت الالسنة ربما سلقته فانضج قلوبها بالاحتقاد وكانت الخواطر ربما غلت عليه مراجلها
فاطفاها بالاحتمال والاصطبار ومن طلب خطيرا خاطر ومن رام صفقة رابحة جاسر
ومن سمى لا يعلى عمره عامره ❜ ووصف فيه يوم حطين فقال وكان اليوم مشهودا وكانت
الملايكة شهودا وكان الصليب صارخا وكان الاسلام مولودا واسر الملك وبيده اوثق وثايقه
واكد وصله بالدين وعلايقه وهو صليب الصلبوت وقايد اهل الجبروت ما دهموا قط بامر
الا وقام بين دهمايهم يحرضهم ويبسط لهم باعه وكان نهوض الدين في هذه الدفعة وداعه لا جرم
انه يهافت على بارده فراشهم ويجتمع في ظل ظلامه خفاشهم ويقاتلون تحت ذلك الصليب اصلب
قتال واصدقه ويرونه ميثاقا يبنون عليه اشد عقد واوثقه ويعدونه سورا يحفر

حوافر الخيل خندقه ولم يفلت منهم معروفاً الا القومص وكان لعنه الله مليّاً يوم الظفر بالقتال
ومليّاً يوم الخذلان بالاحتيال محا ولكن كيف وطار خوفاً من ان يلحقه منسر الشرع وجناح
السيف ثم اخذه الله بعد ايام بيده واهلكه لموعده وكان لعدتهم فذلك واسفل من ملك
الموت الى مالك وبعد الكسره من الخادم على البلاد فطواها بما نشر عليها من الرايه السود صبغا
البيضا صنعا الخافقه بي وقلوب عداتها الغالبه بي وعزايم اوليايها **فصل قال العماد**

ومن قصايدي التي هنيت بها السلطان بفتح القدس وهو مخيم عليها

الطيب بالغاير يطيب لكم نفسا ويعتاض من ذكراكم وحشتي انسا   واسال عنكم عاديات دوارس عدت بالشان للجمال الطمه خرسا
معاهدكم ما بالها لعهودكم وقد كررت من ذي ايابها درسا   وقد كان في حدسي لكم كل طارق وما جيم من نحوكم خالف الحدسا
ارى حدثان الدهر ينسي حديثه واما حديث العهد منكم فلا ينسا   تزول الجبال الراسيات وثابت سيبين غرام في فوادي
لكم ارسى

حسبت حبيبي فاتي القلب في حبه ومثلت الذي يهوى محل الهوى افسا   اما لكم يا مالكي الرق رقة يطيب بها مملوككم منكم نفسا
وان سروري كنت ابدع حسنه فمذ بنت عنكم ما استغل حسا   وان نهاري صار ليلا لبعدكم فما ابصر عيني صباحا ولا شمسا
كتبت على مسودعات قلوبكم كما قد كتبت قدما على صخرها الخنسا   فلا تعسوا عني الجميل فانني جعلت على
حبي لكم منهجي حبسا

وان صلاح الدين افضل من غدا واروى من الصحو واكرم من اسا   وقل ابا في الارض سبعه ابحر ولسا ترى الا انامله الخمسا
بحثه الحسنى وسيرته الرضي وبطشته الكبرى وعزته القعسا   فلا عدمت ايامنا منه مشرقا منيرا بها يولي ليالينا الدمسا
جنود كل املاك السما وطنهم عدا ملك من الارض في الفلا الا الانسا   ولا تسعو القدس عن ركب في الورى فانت
الذي من دونهم فتح القدسا

ومن قبل فتح القدس كنت مقدسا فلا عدمت اخلاقك الطهر والقدسا   وطهرته من رجسهم بدمايهم فاذهبت بالرجس الذي ذهب الرجسا
نزعت لباس الكفر عن قدس ارضه والبستها الدين الذي كشف اللبسا   وعاد بيت الله احكام دينه فلا بطركا ابقيت فيه ولا قسا
وقد شاع في الافاق عنك بشارة بان اذان القدس قد بطل النقسا   حري بالذي يهوى العصا وظاهر من لا اسكه
الرحمن احتاذل الخمسا

وكم للبني ايوب عندك عبرة فان ذكروا ابا لبار لا تذكروا عبسا   وقد طاب رياها على طربه فيا طيبها معنى ويا حسنها مرسا
وعكا وما عكا فقد كان فتحها الاحلام عن مدن ساحلهم كنسا   وصيدا وبيروت وتبنين كلها بسيفك
التي انفه الرغم والتعسا

ويافا

ويافا وارسوف وبيني وغيره يحدث بها من الطلي والطبي عرسا   وفي عسقلان الكفر حل بك الحكم شطره بل امره اثار   وادحسا
وصار لتصور عقبه برقيوبكم فلا يسطيعوا عنها وحسوم حسا   توكل على الله الذي لك اصبحت كلا من درعا وعصمه ترسا
ودم على الباقين واجتث اصلهم فانك قد صيرت منه ديارهم فلسا   ولا تبس شرك الرق غدبك سروبا تماء
الطلي من صاديات الطبي الخمسا

منع اما منهم الترك

وان بلاد الشرق مطلبه فجد خراسان في النهرين والترك والفرسا   وبعد الفرنج الكلج فاقصد بلادهم بعزمك والملا
افامت نعاب الساحلين اسودكم وقد طردت عنه ذيابهم الطلسا

ومن طويله وقد تقدم بعضها في ذكر كثير محطين وللعماد ايضا من جملة القصيدة التي مدح
بها الامير حسام الدين ابن لاجين وقد تقدم بعضها

من تمليك

طرابلسا   فإن الملك صلاح الدين اكرم من مشى على الارض او من ركب العرشا من بعد فتحك بيت القدس ليس سوى صور فان فتحت فاقصد
اثر على يوم انطرسوس ذا الجبه وابعث الى ليل انطاكيه العشا واخل ساحل هذا الشام اجمعه من العداه ومن في دينه وكسا
ولا تدع منهم نفسا ولا نفسا فانهم ياخذون النفس والنفسا نزلت بالقدس فاستنقذته ومتى نعصد طرابلسا فاقصد على ...

ومن قصيدة اخرى له انفذها الى الخليفة الناصر

ب   ابى بعض امير المومنين الى وصيته من جميع الارض جواب   ما كان يخطر في بال تصوره واستصعب الفتح الا انه ابا
وحام عنه الملوك الاقدمون وقد بصت على الناس احقاب واحقاب   وجاء عصرك والايام تعلبه وكان فيه لبعض الكفر انصاب
في اعراب   نصر اعاد صلاح الدين دونه اجازه ببليغ القول اسهاب   قرع الطبي بالطلي بطربه الاقبيه صنع
بالحسن مطواب

ابواب   احيا الهدى وامات الشرك صارمه لغلب حل الهدى والشرك ينتاب   فتحه القدس للاسلام قد فتحت في فتح طاغيه الاشراك
في موافقه البيت المقدس للبيت الحرام لناسه واعجاب   والصخره الحجر الملثوم جانبه كلاهما الاعماد الخلوع حراب
بني بن القدس صلبانا كما نعيت من بيت مكه ازلام وانصاب

وكثير يمدح الفضلا السلطان عند فتح القدس وقد ذكر العماد من ذلك جملة عند اواخر كتاب البرق وقد ات
تقدم ما اخترته منها هنا وردت عليه ما لم يذكره

ثم من ذلك قصيدة الحكيم ابي الفضل عبد المنعم بن عمر بن حسان الاندلسي الجلياني منها

ابا المظفر انت المحتوى لهدى احرى الزمان على جري بحيرته   فلولاك وقد حرب العلا عمر في ملة الشك اقصى كنه عبرته
ولولاك واهل القدس في وله ابو عبيد وذي من من بنيه   غداه حروا النواحي في قامته واعولوا ابا البنيال حول صخرته
دارت بك الملة الحسنى فحق على عهد الصحابة في استمرار مرتبته   وانت كاسمك صديق وصاحبه الملك للظفر سام في مسيرته

وفي الاسلام عمان يوٮن على على الاسار نصرته وكم لديك دوي قري رفعوا اسرٯا وكم بعيد راي الدلفي بحصرنه
تشبه الفتح ما بنر البراه لنفي ملك الفرنج احسابا بن عربنه اما رات معالي يوسف سعنه حتي دمنكل دي ملك بحربته
اصحي لبشر الهدي في فتح منبصر وبان سطوى العدي في سد بعرته واستنفح الاحر مهنوا مبتهدا فاستفتح
القدس محشوا بن مربته

لكن ما بن صلاح الدين اذ هلم يوفعله الثل واستترا صورته بعي الحوايع والفوسان وهو على مدر النشاط عشيا يتل كريد
يا فاتح المسجد الاقصي على بهم وفاتض الجيش لا يحصى بنفرته اسر علتك الشمس الظهر مطلع على البسيطة فتاج بنشرته
حتى يكون لهذا الدين ملته عكى النبوه في ايام نشرته

قال وتقدم من مصر نجم الدين يوسف بن الحسين ابن المجاور الوزير العزيزي قصيدة
وعرضتها على السلطان بالقدس وفيها حديث الانكلتير وفتح يافا وذكر الهدنة
التي باتي ذكرها في اخر الكتاب فمنها وسياتي الباقي المختار ايضا ۝

الوقف لسيف من شجاع فضيلة موصوفة بصفات لعبد اهيف الحد في هذا الزمان ضر والهزل فيه مع الغوايه مخف
بالناصر المهدي والهادي الى اسبل الجهاد اي المظفر يوسف المستغني بربه والواثق المنصور والمستظهر البر الوفي
شدت قوى اركان ملة احمد وحمانه جهاده في الموقف ملك اذا ام الملوك جنابه لاذوا باكرم
من يسوم واشرف

واذا اتوا التربي الى ابوابه وقفوا باعظم من نصول اراقي مولا غدا للدين اكرم والد يحدب على ابنائه متروف
غل الفرنج ثم ولى حسبه اعظم به من صارف ومصرف قد انصف التوحيد من تثليثهم واقام في الاعيل حد المصحف
معزى بجزع الرجال لانه يروي احاديث العوالي الرعف ملك له في الحرب نعت نفعته وله غداه
السلم زهد تصوف

وعليه انزلت الجهاد مفصل فلذاك تقروه بسبعة احرف عزم وحلم انسيا عما كان من عزم ابن داود وحلم الاحنف
يا ايها الملك الذي لطباعه وسيوفه حلفا رضى وتعسف لله يوم عروبة اذا عربت ساعاته عن نصرك المتعوف
سفنت سيوفك في الروم حانة ذهبت بمهجة كل علج اقلف افاتهم وافت باحد ابنهم دانا فكم
من حشرة ونا نشف

او ما راى الاعلاج حين دعوتها بلسان سيف في الكريهه مثقف لم تستطع عصيان امرك بل انت مبادرة طوعا ولم تتخلف
فاستاع جاذبها وثن باختها وكذاك حتى الارتيز ونيف مما للنواحل غير جرهك تحافضا بشباشبان ادهب مرهف
هذا الطراز الاخضر استفتحته فرمي بشوك من علاك منجعف احبب دين محمد فاقمته وشرته

ر

من بعد طول ايام تكشف

وضبطت ديوان الجهاد بقابل من عامل وبنفرة من شرف وبجهد العزم الذي لا ينثني وبناظر الراي الذي لم يطرف
نجدا الخراج من البسيطة كلها واستا دو من حرية وموظف واقمت في الدنيا بكف زهادة واسط لرغبتها جناح تعطف
حانت حنوه الله تطلب ثارها وصدودها بل عن قليل تستعفي فانهض بها وتفاض حقك موقنا ان لا اله
بما تو ملة خفي

بهم فتية من الاتراك كل محجف يعشى الكريهة فوق كل محجف قوم يخوضون الحمام شجاعة لا يسطون الدهر ظرف حتف
ان صحبوا الاعدا في اوطانهم تركوا ديارهم كقاع صفصف انت اصطفيتهم لنصرة ديننا لله در المصطفي والمصطفى

قلت وذكرني بقولي هذا الطراز الاخضر استفتحته حكاية حسنة لا ابقيه بالحال
حدثني بها شيخنا ابو الحسن علي بن محمد رحمه الله تعالى وارضاه قال قرات بخط
شيخنا ابي الفضايل بن رشيق بمصر عقيب موته في سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة
قال راى انسان كان شخصا ذا جهامة واقفا على حايط بجامع دمشق يسمي البشر ويقول
ملك الصياصي والنواصي ناصر للدين بعد اياسه ان ينصرا وسيفتح البيت المقدس بعد ما يطوي الطراز له ويفتل خيبرا

قلت وهذا قبل ان يفتح صلاح الدين البلاد بعشر سنين وقرات بخط بعض اصحابنا قال وجدت
على حاشية كتاب يروى عن خطيب كان بالرقه انه راى من ينشد هذا الشعر في اليوم سنة احدى وثلاثين
وخمسمائة فذكر البيتين وهذا قبل الفتح بائنين وخمسين سنة وقبل مولد صلاح الدين بسنة والمعنى
بالطراز بلاد الساحل المصطفة على البحر من الداروم وغزة وعسقلان وعكا وصيدا وبيروت
وجبيل وغير ذلك ولم يبق من الطراز في اثناء ذلك سوى صور من صيدا وعكا وهكذا
كان الامر كما سبق بانه فتح هذا الطراز اولا ثم فتح البيت المقدس وكنى بخيبر عن البرنس الذي
قتله بيده لانه كان من رؤوس الكفر وملوكهم وغلاتهم في معاداة الاسلام والله اعلم

قال العماد وكان وفد الكاتب ابو علي الحسن بن علي الجويني المقيم بمصر من اهل بغداد
ينفذ الي قصايد لاعرضها فرايت ان اثبت له هذه القصيدة في الفتح وهي
مشتملة على ذكر ملوك الاسلام واهمالهم لما تعين عليهم مما حي بجده سلطاننا فذكر منها
خذلتم لهذا الملك اعوان من شك فيهم فهذا الفتح برهان من هداه الناس ما حكته في دهر وقد صب من ازمان وازمان
هذا الفتوح فتوح الانبيا وما لها سوى الشكر بالافعال ايمان اضحت ملوك الفرنج الصيد في يده
صيدا وما ضعفوا يوما وما هانوا

كم من فحول ملوك عود رواسهم حوف الفريحة ولدان ونسوان استصرخت بكشاه طرابلس فحام عنها وحمت منه اذان
هذا وكم ملك من بعده نظر الاسلام يطوى ويحيى وهو كران تسعون عاما بلاد الله تصرخ والاسلام نصار صم وعميان
فالآن لبى صلاح الدين دعوتهم بامر من هو للمعوان معوان للناصر ادخرت هذا الفتوح وما سمت لها هم الاملاك مذ كانوا
حباه ذو العرش بالنصر العزيز فقال الناس داود هذا ام سليمان في نصف شهر غدا للشرك مصطلما فطهرت منه اقطار وبلدان
فان سلطه عنهم ولحوته بل ابن والدهم بل ابن مروان وعد عما سواه بالفريحة لم تلدهم من
ملوك الارض انسان

لو ان ذا الفتح في عصر النبي لقد نزلت فيه آيات وقرآن بالفتح اوجه عباد الصليب وقد غدا ابن بتها شوم وخذلان
خرت عند له العرش سابغا ملكه وملوك الارض خزان فالله يبقيك للاسلام تحرسه من ان يضام ويلقى وهو جيران
وهن سنه اكرم بها سنه بالكفر في سنه والنصر سلطان باحاميا كلم الايمان قام من معبوده دون رب العرش صلبان
اذا طوى الله ديوان العباد فما يطوى لغير صلاح الدين ديوان

وللشريف النسابة المصري محمد بن اسعد بن علي بن معمر الحسيني المعروف بالجواني نقيب الاشراف بالديار المصرية من قصيدة

اترى مناما ما بعيني ابصر القدس يفتح والفرنجة تكسر وقمامة قمت من الرجس الذي بزواله وزوالها يتطهر
ومليكهم في القيد مصفود ولم ير قبل ذاك لهم مليك يوسر قد جاء نصر الله والفتح الذي وعد الرسول فسبحوا واستغفروا
فتح الشام وطهر القدس الذي هو في القيامة للانام المحشر من كان هذا فتحه لمحمد ماذا يقال له وماذا يذكر
يا يوسف الصديق انت لفتحها فاروقها عمر الامام الاطهر ولانت عثمان الشريعة بعده ولانت في نصر النبوة حيدر
ملك غدا الاسلام من عجب به يختال والدنيا به تتبختر ونظم طعنه وضرابه فالرمح ينظم والمهند ينثر
حيث الرقاب خواضع حيث العيون خواشع حيث الجباه تعفر فاذا نجع فان خطبته له فيها السيوف وكل هام منبر
ادا اثرى الاطلى سنابك يحدي نعالا او دما تتهدر وصوابا يختار ان تطا الثرى فصدها عنه طلى وسنور
مشي على جثث العدى عرجا ولاعج بها الكها تتعثر

وقال الشيخ ابو الحسين بن جبير الاندلسي

اطلت على افقك الزاهر سعود من الفلك الداير فابشر فان رقاب العدى تمد الى سيفك الباتر
وعما قريب يحل الردا بكبيرهم الناكث الغادر وحسب الورى يوم تسقى الثرى سحايب من دمها الماطر
ولم لكن من تمكنه فيهم حكمت فتكة الاسد الخادر فحربت صليبهم عنوة فلله درك من كاسر
وغيرت آثار رسم كلما فليس لها الدهر من جابر واعضيت حدك في غزوهم فتعسا لجدهم العاثر
وادبر ملكهم بالشام وولى كانهم الدابر جنودك بالرعب منصورة فاجر متى شئت او صابر

فكم

فكم عرقها لك تبيانه عسكرك الزاخر ما رتب الدين الهدي في العدا فاتوك الله من ثابر
وقمت بنصر آله الورى فسماك بالملك الناصر وجاهدت مجتهدا صابرا فلله اجرك من صابر
تبيت الملوك على فرشهم ومنزلك في البرد السابر وتوثر جاهد عيش الجهاد على طيب عيشهم الناصر
وتشهى لبلك في حق من سير ضيك في جفنك الساهر فتحت المقدس من ارضه فعادت الى وصفها الطاهر
وجيت الى قدسه المرتضى مخلصه من يد الكافر واعليت فيه منار الهدى واحييت من رسمه الداثر
لكم ذخر الله هدى الفتوح من الزمن الاول العابر وخصك من بعد فاروقه بها لاصطناعك في الآخر
محبتكم الفتن في النفوس بذكركم في الورى طاير فكم لهم عند ذكر الملوك بشكرك من مثل سائر
وبالى العصيدة تقدم في احادي سنة اربع وسبعين **وقال ابو الحسن علي بن محمد الساعاتي** ٥

العمى
احيا وقد عاينتم الآية العظمى لآية حال سيروا النثر والنظما وقد شاع فتح القدس في كل منطق وشاع الى ان تسمع الاصل
حابكه الحسنى ومنى بمترب وكطرت بابك الضرح وما صمما فلست فتى الخطاب شاهد فتحها فتشهد ان السيف من يوسف اصما
وما كان الا الدا اعيا دواوه وغير الحسام العضب الحسن الحسما واصبح ثغر الدين جذلان باسما والسنة الاعماد توسعه لثما
سلوا الساحل المحمي عن سطواته فما كان الا ما جلا صادق النبا

وله في السلطان من قصيدة اخرى

عصفت في الخطوب زعازعا فلمن طودا لاعصف ابائه هو منقذ البيت المقدس بعد ما طالت لها وجد الشام اسكا
حتى تاسين بالسكون وانما عند الرجاف تحركت سكاته اسست الهدا وهي حافل عن سل دين حمت اسناته
اوليته عزما في الحروب مشددا الا يزعزعه عصي ولا هفواته احسنت بالبيت العتيق وشرب وكلت العمل الكريم جنانه
هدى مسوفك حرمات دونه لكا يتن تسمت حراته **وله من قصيدة اخرى** ٥

هو الفاتح للبيت المقدس بعد ما تحامته سادات الذرا ومسودها فضيلة فتح كان ثاني خليفة من القوم سيدها واني

وله من قصيدة في بعض اقارب السلطان رحمه الله

السن من القوم الاولى سيوفهم سنوا صخرة البيت المقدس مجدا

وقرات على شيخنا ابي الحسن علي بن محمد رحمه الله من جملة قصيدة مدح بها بعض ولد السلطان

ملك به وابيه تعتز العلا وتفوق فخرهما السها والفرقدا ما يوسف من نفاس حاتم انى وقد وهب الحصون واصفد
اوان يقال كانه يوم الوغى والروع كالاسد الهصور اذا عدا اومن خشيته جوده بحماسه اومن
يقال لمثله عمر الردا
بل الك الدنيا وملاء مرحبا حللا ورحلا باصراد من الهدا وحلم البيت المقدس بعد ما ادع الصليب على ذراه وحيدا

وبن الملوك الصيد للقاسم اذا دعى الرادق واكرم ونجدا وبه اتى البيت الحرام وفوده من كل فج آمين المرادا
من بعد ما درست معالم سبله دهرا وعز نحوها ان يقصدا

فصل في صفة اقامة الجمعة بالاقصى شرفه الله في رابع شعبان بامن يوم الفتح وقدومهم محمد
ابن القادسي في بادية فيما قرانه بخطه فانه قال فتح صلاح الدين بيت المقدس وخطب على المنبر فيه بنفسه
وصلى فيه ولبس خلعة سودا ولم يكن السلطان هو الذي باشر الخطبة على ما سنذكره وقد تقدم ان يوم
الفتح وان كان يوم الجمعة الا ان الوقت ضاق عن اقامة الجمعة فيه ولما تسلم السلطان فرض صلوة
القدس امر باظهار المحراب وكان الداوية قد بنوا في وجهه جدارا وتركوه للغلة هريا وقيل كانوا اتخذوه
مستراحا عدوانا وبغيا وكانوا قد بنوا من غربي القبلة دارا واسعة وكنيسة رفيعة فامر بكشف ذلك
الحجاب وكشف النقاب عن عروس المحراب وهدم ما قدامه من الابنية وتنظيف ما حوله من الافنية بحيث
يجتمع الناس للجمعة في العرصة المتسعة ونصب المنبر واظهر المحراب المطهر ونقض ما احدثوه بين السواري وفرشوا
تلك البسيطة بالبسط الرفيعة عوض الحصر والبواري وعلقت القناديل وتلي التنزيل وحق الحق وبطلت الاباطيل
وتوالى القرآن وعزل الانجيل وصفت السجادات وصفت العبادات واقيمت الصلوات وادينت الدعوات
وحلت البركات واجليت الكربات واجيبت العبادات واسيلت الهدايات وتليت الآيات واعليت
الرايات ونطق الاذان وخرس الناقوس وحضر المؤذنون وغاب القسوس وزال العبوس والبوس وطابت
الانفاس والنفوس واقبلت السعود وادبرت النحوس وعاد الايمان الغريب منه الى موطنه وطلب الفضل من
معدنه وورد القرا ونوى الاوراد واجتمع الزهاد والعباد والابدال والاوتاد وعبد الواحد ووحد
العابد ونوافد الراكع والساجد والخاشع والواجد والراجي والزاهد والحاكم والشاهد والجاهد
والمجاهد والقايم والقاعد والمتهجد الشاهد والزاير والوافد وصح المنبر وصدع المذكر وانبعث
المعشر وذكر البعث والحشر وابى الحفاظ والى الوعاظ وتذاكر العلما وتناظر الفقها وتحدث الرواه
وروى المحدثون وعسف الهداه وهدى المتحيفون واخلص الداعون ودعا المخلصون واخذ بالعهد
المترخصون وخص المعترفون وقر المحصنون واشتد الفضلا واشتد الخطبا وكثر المترجحون للخطابة
المترشحون للخطابة المعروفون بالفصاحة الموصوفون بالحصافة فما فيهم الا من خطب المرتبة ورتب الخطبة
وانشاء معنى شايقا ووشى لفظا رايقا وسوى كلاما بالموضع لايقا وروى مبتكرا من البلاغة
فايقا ومنهم من عرض على خطبته وطلب منى نصبته ومنى ان ترجح فضيلته فيحج وسيلته وتسبق منيته
فيها امنيته وكلهم يطال الى الانها بعاعنقه وشال من الاخلاف على عرقه وما منهم الا من تباهب وترقب

وتوسل وتقرب ومنهم من تعرض وتضرع وتشوف وتشفع وكل قد لبس وقارة ووقر لباسه وضرب
في الحماسة اسداسه ورفع لهذه الرياسة راسه والسلطان لا يعين ولا يبين ولا يبيض ولا يخص
ومنهم من يقول ليتني خطيب في الجمعة الاولى وقد ترت بالبد الطولى واذا ظفرت بطالع السعدى فما ابالي
بمن خطب بعدى فلما دخل يوم الجمعة رابع شعبان اصبح الناس يسالون في تعيين الخطيب السلطان
وامتلاء الجامع واحتفلت المجامع وتوجهت الابصار والمسامع وفاضت لرقة القلوب المدامع وراعت
عليه تلك الحالة وبها ملكت البهجة الروايع وغصت بالسابقين اليها المواضع وتوسمت العيون
وتقسمت الظنون وقال الناس هذا يوم كريم وفضل عميم وموسم عظيم هذا يوم تجاب فيه الدعوات
وتصب البركات وتسال العبرات وتقال العثرات ويسقط الغافلون ويسعد العاملون
وطوبى لمن عاش حتى حضر هذا اليوم الذي فيه انتعش الاسلام وارتاش وما افضل هذه الطايفة الحاضرة
والعصبة الطاهرة وما ادوم هذه النصرة الناصرية والاسرة الامامية والدولة العباسية والمملكة
الايوبية والدولة الصلاحية وهل في بلد الاسلام اشرف من هذه الجماعة التي شرفها الله بالتوفيق
لهذه الطاعة وتكلموا فيمن يخطب ولمن يكون المنصب وتناوصوا في التعويض وتحدثوا بالتصريح
والتعريض والاسلام تعلى والمنبر يحكى ويجلى والاصوات ترتفع والجماعات تجتمع والافواج تزدحم
والامواج تلتطم وللعارفين من الضجيج ما في عرفات للحجيج حتى حان الزوال وزال الاعتدال وجعل
الداعي واعجل الساعي نصب السلطان الخطيب بنصه وابان عن احتياره بعد فحصه واوعز الى القاضي
محي الدين ابي المعالي محمد بن زكي الدين علي القرشي بان يرقى في ذلك المرقى وبرز خطابه البابين بنعمته
عرفي فاعرته من عنده اهبة سودا من شريف الخلافة حتى يكمل له شرف الافاضة والاضافة فرقي
العود ولقى السعود واهتزت اعطاف المنبر واعترت اطراف المعشر وخطب وانصتوا وانطق وسكتوا
وافصح واعرب وابدع واغرب واعجز واعجب واوجز واسهب ووعظ في خطبته وخطب
بموعظته وابان عن فضل البيت المقدس وتقديسه والمسجد الاقصى من اول تاسيسه وتطهيره بعد تنجيسه
واخراس ناقوسه واخراج قسيسه ودعا للخليفة والسلطان وختم بقوله تعالى ان الله يامر
بالعدل والاحسان ونزل وصلى في المحراب وافتتح ببسم الله الرحمن الرحيم من ام
الكتاب فام تلك الامة وتم نزول الرحمة وكمل وصول النعمة ولما قضيت الصلوة انتشر الناس
واستهر الايناس وانعقد الاجماع واطرد القياس وكان قد نصب للوعظ تجاه القبلة سرير لمعرفة
كثير فجلس عليه زين الدين ابو الحسن علي بن نجا فذكر من خاف ومن رجا ومن سعد ومن شقي ومن هلك

ومن نجا وخوف لجة ذوي الحجا وجلا سود عظاته من ظلمات الشبهات ما دجا وأتى بكل عظة للرادع
موقظه وللظالمين محفظه ولأولياء الله مرفقه ولأعداء الله مغلظه وضج المتباكون وعج
المشاكون ورقت القلوب وحفت الكروب وتضاعفت العبرات وتحدرت العبرات وتاب
المذنبون وأناب المعتوبون وصاح التوابون وباح الأوابون وجرت حالات جلت وحلوات
حلت ودعوات علت وضراعات قبلت وفرص من الولاية الإلهية انتهزت وحصص من العناية
الربانية أحرزت وصلى السلطان في قبة الصخرة والصفوف على سعة الصحن بها متصله والأئمة إلى الله
بدوام نصره مبتهله والوجوه الموجهة إلى القبلة عليه مقبله والأيدي إلى الله مرفوعة والدعوات له
مسموعة ثم رتب في المسجد الأقصى خطيبا استحسن خطبته واستعرف نصبته ، قلت هذه
ألفاظ العماد في هذا الفصل من كتاب الفتح وذكره في كتاب البرق بعبارة أخرى تشتمل على فوائد زايدة
وفي تكرارها ما تقدم أيضا بغير تلك العبارة عائده فإنهما معا جليلة كلما كررت حلت هـ

فصل قال العماد في كتاب البرق لما كان يوم الجمعة التالية لجمعة الفتح تقدم السلطان
في المسجد الأقصى ببسط العراص وإخلائها لأهل الإخلاص وتنظيفها من الأدناس وتقديم في إجابة
من الأرجاس وقد كان سبق أمره من سبقاء الفرنج بهدم ما هناك من أبنية الكفر وإبراز المحراب الذي ثم
وإعادته موضعه إلى الموضع الكريم وقد كان للداوية بنواحيه دار قد دخلوه فيها وخلطوه بأبنيتها
واتخذوا أبنية حجابا ستر إجلالا للإغلال وجابتنا هريا للغلال وأمر في العاجل بكشف قناعه
ورفع الوضيع من أوضاعه ونقل ما وضع من أنقاضه ثم نقل ما أعتور ذلك الجوهر النفيس من أعراضه
حتى ظهر موضع المنبر والمحراب واستظهر بإزالة ما قد أفيد أنه من الحجاب واجتمع الخلق في ذلك الأسبوع
على تعريق ذلك الهدم المجموع وتعاونوا بجثي كشفوه وطمعوه ومرسوه وفرشوه وكان قد أمر بتجداد
منبر في تلك الأيام فخرطوه وركبوه ولما أصبحنا يوم الجمعة وجدنا العلماء من أحد والحلم من أحد والخواص
قد وردوا ملئنا جوه من نواحيه وهناك فضلاء بلغاء وعلماء أتقياء وكل منهم قد سوى خطبة الخطبة
وأمل الفوز بفضيلة تلك الرتبة وأعد لذلك المقام مقالات ونشط بشقشقة فصاحته من قدم
حصافته عقالا حتى إذا حصل الدلج وبعض العرض على الساعي حضر السلطان للصلاة في قبة الصخرة
مادية على أساريع أسارير وجوه بالأثر واشتملت تلك للعراص والصحون واستغرب للفرج
بما أسر الله العيون وآذن الله أن يعفى له الديون وتفك الرهون وحلت القلوب
وخشعت الأصوات وحسنت الظنون عين السلطان القاضي محيي الدين أبا المعالي محمد بن علي القرشي

الدين

الزكي ابن الزكي للخطبة وفرع تلك الرتبة فصعد وشعد وحمد وأحمد وأدى المعاني الشريفة الفاظه
ونبه الأفاضي والأداني ألفاظه وحلا المسامع وجلب المدامع وأتى بالخطبتين على الوجه المشروع
والنهج المتبوع والشرط الموضوع وذكر في الفتح البكر ما افتض به أبكار الاستعدادات
بأبدع البراعات وأبرع العبارات وصلح بالصدق ونطق بالحق وفاز بالسبق وحاز الفضيلة
عن فضلاء الغرب والشرق فهو لنشر المعاني أهم خطيب له بنشر المعاني أصح طيب فإن قس في
عكاظه من قياس ألفاظه وابن سحبان من سحبانه وابن نباته من نباته ولو عاشا لافتقرا إلى فقره
واختفرا أعراضهما عند جوهره ودعا لأمير المؤمنين ثم لسلطان المسلمين ثم نزل وقام إماما
أكمل بصلاة الفرض وأرضى بسنة دعواته والطمأنينة في ركعاته وسجداته أهل السماء والأرض
وسر السلطان بصيبه ورفعه وامتلاء صدره حبورا منه بجلاء بصره وسمعه فقد أخذت
بالإبصار أشعة أنوار الخطبة في سواد الأهبة وعظمت أخطار المهابة في خواطر المحبة
وكلت سوابر الزلفى إلى الله والقربة ثم رتب السلطان بعده خطبا استنزهنا منه اللحج والكلمات
ويستفر بلا ريبة لأداء الصلوات ولما قضيت الصلوة تلك الجمعة نصب سرير الوعظ لتقي
تلك الأمة المجتمعة وتقدم السلطان إلى زين الدين الواعظ ليفرع الذرى ويبقع بعظاته الصغير
والكبير وحضر المجلس براى منه ومسمع وكان أبو مجلس محلى وأشرف جمع ومجمع خشع ودمع
واشهد وأشهق وطلع بعبارته الحلوة العبرات وشار العقل بمعقول الإشارات وبشر
البشر بشارة الشارات وذكر الفتح وبكارته والقدس وطهارته والدين وحبارته والكفر
وخسارته والغدر وإعانته والطهر وإبانته والصخرة وصراخها والروعة وإفراخها
والنار وشراطها والقيامة وأشراطها والرحمة وبابها من باب الرحمة والجنة وحبائل هذه
الرحمة وما أعد الله لهذه الطائفة وما أنزل من الأمن على القلوب الخائفة ووصف بلاغته
بما لا يبلغ إليه نطق الألسنة الواصفة ووصف الجهاد وفرائضه وفضائله والخير ودلائله
والنجح ووسائله والشرع ومسائله والدين وعوائله وإحسان السلطان وفواضله والبحر
وساحله والدين وحقه والكفر وباطله وكان يوما داجيا وسوما داعيا **فصل**
في إيراد ما خطب به محيي الدين رحمه الله قال العماد وخطب القاضي محيي الدين ابن زكي الدين
أربع خطب في أربع جمع كلها من آيات وأودعها من بلاغة عيبة أقشابه وذكرت الخطبة
الأولى وبدأ الفصاحة فيها بطول افتتاحها بهذه الآيات فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله

رب العالمين

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل
الظلمات والنور ثم وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الآية الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب
قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض الحمد لله فاطر
السموات والارض والخطبة الحمد لله معز الاسلام بنصره ومذل الشرك بقهره ومصرف الامور
بامره ومديم النعم بشكره ومستدرج الكافرين بمكره الذي قدر الايام دولا بعدله وجعل العاقبة
للمتقين بفضله وافاء على عباده من ظله واظهر دينه على الدين كله القاهر فوق عباده فلا يمانع
والظاهر على خليقته فلا ينازع والآمر بما يشاء فلا يراجع والحاكم بما يريد فلا يدافع احمده
على اظفاره واظهاره واعزازه لاوليائه ونصره لانصاره وتطهيره بيته المقدس من ادناس
الشرك واوضاره حمد من استشعر الحمد باطن سره وظاهر جهاره واشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد شهادة من طهر بالتوحيد
قلبه وارضى به ربه واشهد ان محمدا عبده ورسوله رافع الشك وداحض الشرك وراحض الافك
الذي اسرى به من المسجد الحرام الى هذا المسجد الاقصى وعرج به منه الى السماوات العلى الى سدرة
المنتهى عندها جنة المأوى ما زاغ البصر وما طغى صلى الله عليه وعلى خليفته ابي بكر الصديق السابق
الى الايمان وعلى امير المومنين عمر ابن الخطاب اول من رفع عن هذا البيت شعار الصلبان وعلى امير
المومنين عثمان بن عفان ذي النورين جامع القران وعلى امير المومنين علي ابن ابي طالب مزلزل
الشرك ومكسر الاوثان وعلى آله واصحابه والتابعين لهم باحسان ايها الناس ابشروا
برضوان الله الذي هو الغاية القصوى والدرجة العليا لما يسره الله على ايديكم من استرداد
هذه الضالة من الامة الضالة وردها الى مقرها من الاسلام بعد ابتذالها في ايدي المشركين قريبا
من مائة عام وتطهير هذا البيت الذي اذن الله ان يرفع ويذكر فيه اسمه واماطة الشرك عن
طرقه بعد ان امتد عليها رواقه واستقر فيها رسمه ورفع قواعده بالتوحيد فانه بني عليه
وبالتقوى فانه اسس على التقوى من خلفه ومن بين يديه فهو موطن ابيكم ابراهيم ومعراج نبيكم
محمد عليه السلام وقبلتكم التي كنتم تصلون اليها في ابتداء الاسلام وهو مقر الانبيا ومقصد
الاوليا ومقر الرسل ومهبط الوحي ومنزل تنزل الامر والنهي وهو في ارض المحشر وصعيد
المنشر وهو في الارض المقدسة التي ذكرها الله في كتابه المبين وهو المسجد الذي صلى فيه رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالملائكة المقربين وهو البلد الذي بعث الله اليه عبده ورسوله وكلمته التي

القاها

القاها الى مريم وروحه عيسى الذي شرفه الله برسالته وكرمه بنبوته ولم يزحزحه عن رتبة
عبوديته فقال تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله وقال لقد كفر الذين قالوا ان الله هو
المسيح بن مريم وهو اول القبلتين وثاني المسجدين وثالث الحرمين لا تشد الرحال بعد المسجدين الا
اليه ولا تعقد الخناصر بعد الموطنين الا عليه ولولا انكم ممن اختاره الله من عباده واصطفاه من
سكان بلاده لما خصكم بهذه الفضيلة التي لا يجاريكم فيها مجار ولا يباريكم في شرفها مبار
فطوبى لكم من جيش ظهرت على ايديكم المعجزات النبوية والوقعات البدرية والعزمات الصديقية
والفتوح العمرية والجيوش العثمانية والفتكات العلوية جددتم للاسلام ايام القادسية
والوقعات اليرموكية والمنازلات الخيبرية والهجمات الخالدية فجزاكم الله عن نبيه محمد صلى الله عليه
وسلم افضل الجزا وشكر لكم ما بذلتموه من مهجكم في مقارعة الاعدا وتقبل ما تقربتم به اليه
من مهراق الدما واثابكم الجنة فهي دار السعدا فاقدروا رحمكم الله هذه النعمة حق قدرها
وقوموا لله بواجب شكرها فله النعمة عليكم بتخصيصكم بهذه النعمة وترشيحكم لهذه
الخدمة فهذا هو الفتح الذي فتحت له ابواب السما وتبلجت بانواره وجوه الظلما وابتهج به الملا ئكة
المقربون وقرت به عينا الانبيا المرسلون فماذا عليكم من النعمة بان جعلكم الجيش الذي يفتح
عليه البيت المقدس في آخر الزمان والجند الذي تقوم بسيوفهم بعد فترة من النبوة اعلام الايمان
فيوشك ان يكون التهاني به بين اهل الخضرا اكثر من التهاني به بين اهل الغبرا اليس هو البيت
الذي ذكره الله في كتابه ونص عليه في خطابه فقال تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد
الحرام الى المسجد الاقصى الآية اليس هو البيت الذي عظمته الملوك واثنت عليه الرسل وتليت
فيه الكتب الاربعة المنزلة من الهكم عز وجل اليس هو البيت الذي امسك الله عز وجل الشمس
على يوشع لاجله ان تغرب وباعد بين خطواتها ليتيسر فتحه ويقرب اليس هو البيت الذي
امر الله موسى ان يامر قومه باستنقاذه فلم يجبه الا رجلان وغضب عليهم لاجله فالقاهم
في التيه عقوبة للعصيان فاحمدوا الله الذي امضى عزائمكم لما نكلت عنه بنو اسرائيل
وقد فضلكم على العالمين ووفقكم لما خذل به من كان قبلكم من الامم الماضين وجمع لاجله
كلمتكم وكانت شتى واغناكم بما امضته كان وقد عن سوف وحتى فليهنكم ان الله قد
ذكركم به فيمن عنده وجعلكم بعد ان كنتم جنودا لاهويتكم جنده وشكركم الملائكة
المنزلون على ما اهديتم الى هذا البيت من طيب التوحيد ونشر التقديس والتحميد وما اماطتم

عن طرقهم فيه من اذى الشرك والتثليث والاعتقاد الفاجر الخبيث فالآن يستغفر لكم املاك السموات
ويصلي عليكم الصلوات المباركات فاحفظوا رحمكم الله هذه الموهبة فيكم واحرسوا هذه النعمة
عندكم بتقوى الله التي من تمسك بها سلم ومن اعتصم بعروتها نجا وعصم واحذروا من اتباع الهوى
وموافقة الردى ورجوع القهقرى والنكول عن العدا وخذوا في انتهاز الفرصة وازالة ما بقي من
الغصة وجاهدوا في الله حق جهاده وبيعوا عباد الله انفسكم في رضاه اذ جعلكم من عباده
واياكم ان يستزلكم الشيطان وان يتداخلكم الطغيان فيخيل لكم ان هذا النصر بسيوفكم الحداد
وبخيولكم الجياد وبجلادكم في مواطن الجهاد لا والله ما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم
واحذروا عباد الله بعد ان شرفكم بهذا الفتح الجليل والمنح الجزيل وخصكم بهذا الفتح المبين
واعلق ايديكم بحبله المتين ان تقترفوا كبيرا من مناهيه وان تاتوا عظيما من معاصيه فتكونوا بحبله
كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا والذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان
فكان من الغاوين والجهاد الجهاد فهو من افضل عباداتكم واشرف عاداتكم انصروا الله ينصركم اذكروا
ايام الله يذكركم اشكروا الله يزدكم ويشكركم جدوا في حسم الدا وقطع شافة الاعدا وتطهير
بقية الارض التي اغضبت الله ورسوله واقطعوا فروع الكفر واجتثوا اصوله فقد نادت
الايام بالثارات الاسلامية والملة المحمدية الله اكبر فتح الله ونصر غلب الله وقهر اذل الله من كفر
واعلموا رحمكم الله ان هذه فرصة فانتهزوها وفريسة فناجزوها ومهمة فاخرجوا لها هممكم وابرزوها
وسيروا اليها سرايا عزماتكم وجهزوها فالامور باواخرها والمكاسب بذخائرها فقد اظفركم
الله بهذا العدو المخذول وهم مثلكم او يزيدون فكيف وقد اضحى في قبالة الواحد منهم منكم عشرون
وقد قال الله تعالى ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين اعاننا الله واياكم على اتباع اوامره
والازدجار بزواجره وايدنا معشر المسلمين بنصر من عنده ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم
فمن ذا الذي ينصركم من بعده • وتمام الخطبة والخطبة الثانية قريب مما جرت به العادة
وقال بعد دعائه للخليفة اللهم وادم سلطان عبدك الخاضع لهيبتك الشاكر لنعمتك
المعترف بموهبتك سيفك القاطع وشهابك اللامع والمحامي عن دينك المدافع والذاب عن حرمك
الممانع السيد الاجل الملك الناصر جامع كلمة الايمان وقامع عبدة الصلبان صلاح الدنيا والدين
سلطان الاسلام والمسلمين مطهر البيت المقدس ابي المظفر يوسف بن ايوب محيي دولة امير المؤمنين
اللهم عم بدولته البسيطة واجعل ملائكتك براياته محيطة واحسن عن الدين الحنيفي جزاءه واشكر

عن

عن الملة المحمدية عزمه ومضاءه اللهم ابق للاسلام مهجته ووق للايمان حوزته وانشر في المشارق
والمغارب دعوته اللهم فكما فتحت على يديه البيت المقدس بعد ان ظنت الظنون وابتلي المؤمنون
فافتح على يديه اداني الارض واقاصيها وملكه صياصي الكفرة ونواصيها فلا تلقاه منهم كتيبة
الا مزقها ولا جماعة الا فرقها ولا طائفة بعد طائفة الا الحقها بمن سبقها اللهم اشكر عن محمد صلى
الله عليه وسلم سعيه وانفذ في المشارق والمغارب امره ونهيه اللهم واصلح به اوساط البلاد
واطرافها وارجاء الممالك واكنافها اللهم ذلل به معاطس الكفار وارغم به انوف الفجار النجار
وانشر ذوائب ملكه على الامصار وابثث سرايا جنوده في سبل الاقطار اللهم ثبت الملك فيه
وفي عقبه الى يوم الدين واحفظه في بنيه وبني ابيه الملوك الميامين واشدد عضده ببقائهم
واقض باعزاز اوليائه واوليائهم اللهم كما اجريت على يديه في الاسلام هذه الحسنة التي تبقى على
الايام وتتخلد على مر الشهور والاعوام فارزقه الملك الابدي الذي لا ينفد في دار المتقين
واجب دعاءه في قوله رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا
ترضاه وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين ثم دعا بما جرت به العادة **فصل**
في المنبر لما عاد المحل القدس امر بتعمير المحراب وترخيمه وتكميل حسنه وتتميمه ووضع
منبر سمي في اول يوم قضي به الفرض واحتيج بعد ذلك الى منبر حسن رائق بحسنه لائق وبجماله شائق
وبكماله فائق فذكر السلطان المنبر الذي انشاه نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله للبيت المقدس قبل فتحه
بنيف وعشرين سنة واودعه لديه من ذخائر عند الله حسنة فامر ان يكتب الى حلب ويطلب ويحمل وعلى
على امره وامتثل فجاء كالروض النضير والوشي الحبير عديم النظير وكان من حديث احداثه
لما الهم الله نور الدين رحمه الله لانشراح خاطره اليه واستعانته وقد اوقع في روعه من النور الفائض
من ينبوع ضلوعه ان البيت المقدس بعده سيفتح وان صدور المسلمين الحرجة الاحلة ستشرح وهو من
اولياء الله الملهمين وعباده المحدثين المكرمين وكان بحلب نجار يعرف بالاختريني من ضيعة تعرف
باخترين لم يلف له في براعته وصنعته قرين فامره نور الدين بعمل منبر لبيت الله المقدس
وقال له اجتهد ان تاتي به على النعت المهندم والنحت المهندس بجمع الصناع واحسن الابداع
واتمه في سنين واستغرق بجو احسانه المحسنين والناس يقولون هذا امر مستحيل وحكم ما له دليل
وذكر جميل واجر جزيل لو كان اليه سبيل وهيهات ان يعود القدس الى الاسلام وينقضي الاصباح
فيه على الاظلام فان الفرنج مستولون مستعلون ويكثرون على الايام ولا يقلعون اما انا صفونا

على اكثر اعمال حوران وقابلوا بالكفر الايمان وقد عجز ملوك الاسلام الى اليوم فما اصعب واتعب
دفع القوم وتقول من له قوة اليقين وعرف ان الله كافل بنصره الذين اصبروا فلتشرحن هذا الامر بنا وهو فلتشرن
كما قال الله تعالى ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملا ولم يزل لنور الدين في قلبه من الدين نور والتقوى
مثواه للمتقين مما نور ازهد العباد واعبد الزهاد ومن الاوليا الابرار والاتقيا الاخيار وقد نظر
بنور الفراسة ان الفتح قريب وان الله لدعائه ولو بعد فانه مجيب ويزيده قوة عزمه حبا وتمسك
بحبال الحياة الربانية مدا فقد طهره الله من العيب واطلعه على سر الغيب ونزهه من الريب لنقا الجيب له
وشملت الاسلام بعده بركته وختمت بافتتاح ملك صلاح الدين مملكته وهو الذي رباه ولباه
واحبه وحباه وهو الذي سن الفتح وسنى النجح واتفق ان جامع حلب في الايام النورية احترق
فاحتيج الى منبر فيصنع لذلك المنبر وحسن المنظر وتولى حسن النجار عمل المحراب على الرقم وشابه المحراب
المنبر في الوسم ومن راى محراب حلب الان شاهد منه على مثال المنبر القدسي الاحسان ولما فتح القدس
تقدم السلطان بحمله وصح بدوم محراب الاقصى اجتماع شمله وظهر سر الكرامة في عود الاسلام بالاسلامية
وناصرت الالسن بالدعاء لنور الدين بالرحمة ولصلاح الدين بالنصرة والنعمة ٠ وقال العماد
في موضع آخر من كتاب البرق وكان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله في عهده عرف
بنور فراسته فتح البيت المقدس من بعده فامر في حلب باتخاذ منبر للقدس تعب النجارون والصناع
والمهندسون فيه سنين وابدعوا في تركيبه الاحكام والتزيين وانفقوا في ابداع محاسنه وابدا مزاينه
الوفا وكان لتزييد النظر فيه على الايام الوفا وبقي ذلك المنبر بجامع حلب منصوبا سيفا في صوان
الحفظ مغروبا حتى امر السلطان في هذا الوقت بالوفا بالنذر النوري ونقل المنبر الى موضعه القدسي
فعرفت بذلك كرامات نور الدين التي اشرق سناها بعده بسنين وكان من المحسنين الذين قال
الله فيهم والله يحب المحسنين ٠ قلت وهذا الذي نسبه الى نور الدين رحمه الله من انه كرامة
من كراماته ابقى محله ومنزلته من الدين والبس بالعبد من مثل ذلك وكان رحمه الله قد بدت له مخايل
ذلك مما يسر له من فتح البلاد الشامية والمصرية وقهر العدو وبين يديه مرارا وكان في القدس في همته
من اول الحكم ان لم يحصل له مباشرة فقد حصل له تسببا فان الفاتحين له رحمهم الله على اسسه بنوا لهم من
الملك والتدبير وهم امراوه واتباعه واجناده واشياعهم فحمل ان يكون مع الله وقف على ما ذكره
ابو الحكم ابن برجان الاندلسي في تفسيره فانه اخبر عن فتح القدس في السنة التي فتح فيها وعمر نور الدين
اذ ذاك احدى عشرة سنة وقد رايتنا انا ذلك في كتابه ذكر في اول سورة الروم ان البيت المقدس

استولت

استولت الروم عليه عام سبع وثمانين وخمسمائة واشار انهم يبقى بايديهم الى تمام خمسمائة وثلاث
وثمانين سنة قال ونحن في عام اثنين وعشرين وخمسمائة ٠ فلم يستبعد نور الدين رحمه الله لما
وقف عليه ان يمتد عمره فتهيا اسبابه حتى منبر الخطابة فيه تقربا الى الله تعالى بما يسديه من طاعته
وتحفه وهو الذي ذكره ابو الحكم الاندلسي في تفسيره من عجائب ما اتفق لهذه الامة المرحومة
وقد تكلم عليه شيخنا ابو الحسن علي بن محمد في تفسيره الاول قال وقد وقع في تفسير ابي الحكم
الاندلسي في سورة الروم اخبار عن فتح المقدس وانه ينزع من ايدي النصارى في سنة ثلاث وثمانين
وخمسمائة قال وقال لي بعض الفقهاء انه استخرج ذلك من فاتحة السورة قال فاخذت السورة
وكشفت عن ذلك فلم اره اخذ ذلك من الحروف وانما اخذه فيما زعم من قوله تعالى غلبت الروم
في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين فبنى الامر على التاريخ كما يفعل المنجمون
ثم ذكر انهم يغلبون في سنة كذا ويغلبون في وقت كذا على ما تقتضيه دوائر التقدير قال وهذه
نجامة وافقت اصابة ان صح انه قال قبل وقوعه وكان في كتابه قبل حدوثه وليس ذلك ماخوذ
من الحروف ولا هو من قبيل الكرامات ايضا فان الكرامات لا تكتسب بحساب ولا تفتقر الى
تاريخ ولذلك لم يوافق الصواب لما ادار الحساب على القراءة الاخرى الشاذة التي هي بفتح الغين
من غلبت الروم وموضح ذلك انه قال في سورة القدر لو علم الوقت الذي انزل فيه القرآن لعلم
الوقت الذي يرفع فيه

فصل قال العماد واما الصخرة المقدسة فان الفرنج كانوا
بنوا عليها كنيسة واعادوا رسومها القديمة دريسة وستروها بالابنية وعرجوا اوضاعها
بزعم التسوية وكسوها صورا هي اشنع من التعرية وملؤها تصاريف التصاوير ونبتوا في رخيمها
اشباه الخنازير وجعلوا المذبح لها مدبحا ولم يتركوا فيها للايدي المتبركة ولا للعيون المدركة
ملمسا ولا مطمحا وقد زينوها بالصور والتماثيل وعينوا فيها مواضع الرهبان ومحط الانجيل
وكملوا فيها اسباب التعظيم والتبجيل وافردوا فيها لموضع القدم قبة صغيرة مذهبة باعمدة الرخام
منصبة وقالوا انها محل قدم المسيح وهو مقام التسبيح والتقديس وكانت فيها صور الانعام مثبتة
في الرخام والصخرة المقصودة المزورة بما عليها من الابنية مستورة وبتلك الكنيسة المعمورة مغمورة
فامر السلطان بكشف نقابها ورفع حجابها وحسر لثامها وقشر رخامها ومحو صورها ورحض وضر
نقض ابنيتها ونقل حجرها وابرازها للزائرين واظهارها للناظرين فبانت من السين وبانت للعين
وجليت القبل وقديت بالمقل وعادت كما كانت في الزمن القديم وشوهدت حين شوهدت

بحسنها الكريم وما كان يظهر منها قبل الفتح الا قطعة من تحتها قد اساء الكفر في نحتها وظهرت
الآن احسن ظهور وسفرت اسمن سفور واسرجت القناديل من فوقها نورا على نور وعملت عليها حظيرة
من شبابيك حديد والاعتناء بها الى الآن كل يوم في مزيد قال وكان الفرنج قد قطعوا من
الصخرة قطعا وحملوا منها الى قسطنطينية ونقلوا منها الى صقلية وقيل باعوها بوزنها ذهبا
واتخذوا ذلك مكسبا ولما ظهرت مواضعها وقطعت القلوب لما رأت مقاطعها فهي الآن مبرزة للعيون
بجدتها باقية على الايام بعزها مصونة للاسلام في حدها وحرزها ٭ وقال في البرق ولما
طهرت الصخرة وجلاها وقد اعتنت بها النوائب جرز داود عن ضميرها من زاهل الدهر سرا
مرموزا فان الفرنج نقلوا الى الادهم قطعا وادعوا فيها بدعا حتى قيل انها بيعت بوزنها ذهبا واقصى
الامر بها ان يكون حجرها منتهبا فغطاها بعض ملوكهم اشفاقا عليها لئلا تمتد يد ضنيم اليها وابقت
حزوزها في العلم حزازات وسار حديث حادثتها في الآفاق بروايات واجازات وتولاها بعد
ذلك الفقيه ضياء الدين عيسى فصانها بشبابيك من حديد وثبت اركانها بكل تشديد ٭ وقال
في الفتح ورتب السلطان في قبة الصخرة اماما حسنا ووقف عليه دارا وارضا وبستانا وحمل اليها
والى محراب المسجد الاقصى مصاحف وختمات وربعات معظمات لا تزال بين ايدي الزائرين على
كراسيها مرفوعة وعلى اسرتها موضوعة ورتب لهذه القبة خاصة وللبيت المقدس عامة قومة
من العارفين العاكفين القائمين بالعبادة الموافقين لما ابيح لبليتها وقد حضرت الجموع وزهرت
الشموع وبان الخشوع ودان الخضوع ودرت من المتقين الدموع وافتعرت من العارفين الضلوع
وهناك كل ولي بعبادته ووامل ربه وكل اشعث اغبر لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره وهناك
كل من يحيي الليل ويقومه ويتمو بالحق ويسومه وهناك كل من يختم القرآن ويرتله ويطرد الشيطان
ويبطله ومن عرفته المعرفة الاسحار ومن الفتنة لتهجد الاوراد والاذكار وما اسعد نهارها
حين يستقبل الملائكة زوارها ويلحق الشمس انوارها ويحمل القلوب اليها اسرارها قال وتنافس ملوك
بني ايوب فيما يوثرونه بها من الآثار الحسنة وفيما يجمع لهم ود القلوب وشكر الالسنة فانهم الامن
اجمل واحسن وفعل الكرم وحل وبين وحلى وزين واتى العادل ابو بكر بكل صنع بكر وتقي الدين عمر
بكل عمر وغمر ومن جملة افعاله المشكورة ومكرماته المشهورة انه حضر يوما في قبة الصخرة ومعه
من احمال الورد احمال ولاحل الصدقة والرفد اموال واستبق صده هذه الحلة الفضيلة التي اتكرها
وتولى بيده كنس تلك الساحات والعراص ثم غسلها بالماء مرارا حتى تطهرت ثم اتبع الماء بماء الورد صبا

حتى

حتى تعطرت وكذلك طهر حيطانها وغسل جدرانها ثم اتى بمجامر الطيب مبخرة وتضوعت ثم فرق
ذلك المال فيها على ذوي الاستحقاق وافتخر بان فاق الكرام بالانفاق ٭ وحباه الملك الافضل
نور الدين علي بكل نور جلي وكرم ملي وبسط بها البسط الصنيعة وفرش فيها البسط الرفيعة وسياتي
ذكر ما اعتمده من بناء اسوار القدس وحفر خنادقه واعجز بها اعجب من سوابق معروفه ولواحقه
واما الملك العزيز عثمان فانه لما عاد الى مصر ترك خزانة سلاحه بالقدس كلها ولم يرتعد حصولها بها نقلها
وكانت احمالا باموال وانقالا لاحمال وذخائر وافية وعددا وافية وكان من جملة ما شرط على الفرنج
ان يتركوا لنا خيلهم وعددهم فتوفر بذلك عدد البلد واستغنى به عما يتصل من المدد ٭ قال واما
محراب داود عليه السلام خارج المسجد الاقصى فانه في حصن عند باب المدينة منيع وموضع عال رفيع
وهو الحصن الذي يقيم بها الوالي فرتب السلطان له اماما ومؤذنين وقواما وهو مثابة الصالحين ومزار
الغادين والرائحين فاحياه وجدده ونهج لقاصديه جدده وامر بعمارة جميع المساجد وصون المشاهد
وانجاح المقاصد واصفاء الموارد للقاصد والوارد وكان موضع هذه القلعة دار داود وسليمان
عليهما السلام وكان يسامر فيها الانام وكان الملك العادل نازلا في كنيسة صهيون واجناده على
بابها مخيمون وفاوض السلطان جلساءه من العلماء والابرار والاتقياء الاخيار في مدرسة للفقهاء
الشافعية ورباطا للصلحاء الصوفية فعين للمدرسة الكنيسة المعروفة بصندحنة عند باب اسباط
وعين دار البطرك وهي بقرب كنيسة قمامة للرباط ووقف عليهما وقوفا واسدى بذلك الى الطائفتين
معروفا وارتاد ايضا مدارس للطوائف ليضيفها الى ما اولاهن العوارف **فصل** قال في ذكر
وشرع الفرنج في اخلاء البيوت وبيع ما ذخروه من الاثاث والقوت واهملوا حتى باعوا بارخص
الاثمان وكانوا خرجوا منها شبيها بالمجان لاستبيان تعذر لنقل ثقله وصعب عليه وكان كما قال الله تعالى
كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك واورثناها
قوما آخرين فباعوا اما انهبنا على البيع اخراجه رخيصا وانفوا المرتجد من تركه محيصا وعلقوا
على ما في الدور من الماعون والمدحور واما الصناديق والاخشاب والرخام وما يجري مجراها مما
يوفر منه الانواع والاقسام فانها بقيت بحالها من وكر ولم يتبين بل تلك الاكثر ملوكهم وكانت قمامة
وهي كنيستهم العظمى ومتعبدهم الذي يجمعون بها الدين والدنيا معروشة بالبسط الرفاع مكسوة
بالستور النسيج المروح من سائر الانواع والذي يذكرون انه قبر عيسى عليه السلام محلى بصفائح الفضة
والعين وموضوعات الذهب واللجين مصفح بالفضة مثقل من نفائس الحلي بالاوقار فاعان البطرك

منه عاطلا وتركه طللا ماثلا فقيل للسلطان هولاء انما اخذوا الامان على اموالهم فما بال هذا المال وهو بالوقف يحملونه في اثقالهم فقال نحن لا يعرفون هذا التاويل ونسبون الينا لما حرمناه التحليل ونقولوا انهم لم يحفظوا العهد ولم يلحظوا العقد ونحن نجريهم على ظاهر الامان ونعزيهم بذكر محاسن الايمان وكانت المهلة انه من عجز بعد اربعين يوما عن اداء ما عليه من القطيعه ضرب عليه الرق بحكم الشريطة ووفق الربيعه فتولى اسم الرق بعد خروج خاص القدس وبقي منهم من ضرب عليه الرق زهاء خمسة عشر الفا في الحبس مفرقهم السلطان وساهمهم البلاد وحصل منهم سبايا نسوان وصبيان وذلك بعد ان وفى ابن بارزان بالضمان وادى ثلاثين الف دينار واخرج من ذكر انه فقد بحسب الامكان وكانوا يقدرون انه عشر الفا واعتقد انهم سوق فقير وبقي بعد اداء ما علم ذكرناه كثير واما النصارى الشاكنون بالقدس فانهم بذلوا مع القطيعه الجزية ليسكنوا ولا يزعجوا ويؤمنوا ولا يخرجوا وقروا بوساطة العقيد واقر من قسوس النصارى اربعة قولهم لقمامه واعفاهم ولم يكلفهم الغرامه واقام بمدينة القدس واعمالها منهم الوف فتسروا وعمروا وغرسوا وملكهم منها مجاز وقطوف وكانت امراء الفرنج ومقدميهم مجاورة للصخره وعندها باب الرحمه مقبره وقباب معمره فعفيت اثارها ودرست اوضارها

وقال في الفتح وامر السلطان باغلاق كنيسة قمامه وحرم على النصارى زيارتها ولا المامه وتفاوض الناس عنده فيها فمنهم من اشار بهدم ابنيتها وتعفية اثارها وتعمية منارها وقالوا اذا هدمت ونبش القبر وعفيت وحرثت ارضها ودمر طولها وعرضها انقطعت عنها امداد الزوار وانحسمت عن قصدها مواد الطماع اهل النار ومهما استمرت العمارة واستمرت الزيارة وقال اكثر الناس لا فايدة في هدمها وهدها فان متعبدهم موضع الصليب والقبر لا ما شاهد من البنا ولا ينقطع عنها قصد اجناس النصرانيه ولو نسفت ارضها في السما ولما فتح امير المومنين عمر رضي الله عنه القدس في صدر الاسلام اقرهم على هذا المكان ولم يامرهم بهدم البنيان قال واقام السلطان على القدس حتى تسلم ما قرب منها من حصون واستباح كل ما للكفر بها من مصون ثم عمد الى ما جمعه ففرقه واخرجه في ذوي الاستحقاق وانفقه فاكثر واعده على يديه واسكر وما فضه بفضله فقال كيف امنع الحق مستحقيه وهو الذي اعطيه هو الذي اتقيه واذا قبله مني المستحق فالمنة له علي فيه فانه يخلصني من الامانه ويطلقني من وثاقها فان الذي في يدي وديعة احفظها لذوي استحقاقها وقيل له لو ذخرت هذا المال للمال فقال الى قوي من الله قل نجح الامال وجمع الاسرى المطلقين وكانوا الوفا من المسلمين فكساهم واساهم وانساهم واذهب باسهم فانطلق كل منهم الى وطنه

ووطنه ناجيا من ضره وضيره

وقال في البرق سمعت الملك العادل يوما في اثناء حديثه في باديه وهو يجري ذكر افراط السلطان في اياديه يقول اني توليت استيفاء قطيعة القدس وانفذت له ليلة سبعين الف دينار فجاني خازنه بكره وقال نريد اليوم ما نخرجه في الانفاق فما عندنا ما كان في الاستيفاق فسعدت له بثلاثين الف دينار اخرى في الحال ففرقتها على رجال الرجاء بذل النوال

فصل قال العماد وللحكيم ابي الفضل قصايد قد سيات طوال كثيرة الفوايد

قلت وقد وقفت على بعضها وقدم قبل ذلك ان قال من اول ما ولي الملك الناصر الامر في مصر اعلم انه مويد بعنايته من الله سبحانه فامتدحته في سنة خمس وستين بقصيدة تنيف على ماية بيت منها في البشاره

لسطعن علم لم يحوه ملك ابا المظفر حط حطه الاول دليل ذلك اراك افترنت بالحزم والعزم لم يحصل على الاول

قال وامتدحته سنة سبع وستين عند قفوله من غزاة غزة بقصيدة منها

ابا المظفر فاهيا حيط منتخب احرى الزمان له من كاد ينتسب ذهبت فيما سبى الاملاك منكدرا اعلما عملك نعم ما به كدر

وطبت نفسا عن الدنيا وزخرفها وحسن تقدم حيث الهول والخطر

ومنها

قد ساد اسكندر اهل الزمان معا في عشرين وامتدت له الحيل وفي البلاد والاقطار اجمعها طوع له وملوك الارض والملل

قال وامتدحته في سنة ثمان وستين بقصيدة تنيف ايضا على ماية بيت منها في البشاير

ارى الراية الصفرا ترمى اعطافها تاني اصفر بالاعداء للهادم فيسبى فلسطينا وتحي حرانا وتملك من روما ارض الاعاجم

وتعنوا لها الاملاك شرقا ومغربا بذا حكمت حذاق اهل الملاحم

قال وبعثت اليه في غزة سنة اثنين وثمانين وهو على حمص بقصيدة هنا له فيها بالعافية منها

فيا ملكا سيف للدين عبره وهنا عمد الاسلام فاشتد لها دعما فشوم ونو الشرك في الشام طاير فنفس خاجيه باقصى القوى قصما خصصت بتمكين فعم العدى ردي فانهم ياجوج افرع بها ردما اذا اصفرت من ال الاصفر ساحة القدس ضاهنا فتح امر كما قد المسجد الاقصى وهتك العلى وعزمتك القصوى ودمسك الاصما فما هو الا ان تهم وقد انفتح كما

فاض الخصم الذي طما

وان انت لم ترد الفرنج بوقعة فمن ذا الذي يقوى لعينا بها هدما فكل حين يكر الدهر فرصة ولا كل حال الممكن يقتضي عنما

وليس كفتح القدس منه فادر وما ان يلقاها سوى يوسف حزما

قال وانشات قصيدة اخرى في سنة اثنين وثمانين وحضرت بها بين يديه منها

الله اكبر ارض القدس قد صفرت من ال الاصفر اذ حين به جانوا اسباط يوسف من مصر اتوا ولهم من عنده بهم سلوى ولمنا

لهم فلسطين ان يخرج عداتهم عنها ولا اعدت يص وحرصان حتى بنيت رباح القدس مفرجا وبصعد الصحرة العران
واستقبل الناس المحراب بعين وقدتم من وعد فتح وامكان وجاز بعض بنيه البحر يحفل من عاوانه الروم والصقلاب
حتى يوحد اهل الركن عاطبة ويرهب الغول الالون رهبان ولان ايوب في الافرنج ملحمه دلت عليها اساطير وحسبان

ومن احق بملك الارض من ملك كانه ملك في الخلق حيان

ثم قال وأما القصيدة الفخية الناصرية فاولها

في باطن الغيب ما لا تدرك الفكر وذو البصيرة في الاحداث يعتبر ما الذي ملك الافرنج في فرص ان القواضب والعسالة السمر
والاسنان الدوبية الناموا كانهم تبايا جوح اذا استحروا والنفس مولعة عجبا بسيرتها وفي المقادير ما تلى به البشر
يا وقعة التل ما انبعث من عجب محافل الدهر من جمعها اشر ويا ضحى السبت للغوم قد تبنوا نهودوا ام تكاسر الطعن قد كسروا
ويا ضريح شعيب ما لهم حتموا الكدين ام لعوارجنا بما كفروا واحطوا بحطين ملا كافيا عجبا في ساعة زال الملك والقدر
اهوى اليهم صلاح الدين معترسا وهو الغضنفر اعدى طغره الظفر الى عليهم فصاروا وسط كفته كربط يحوا ما الغابض الذكر
واتحر الله للسلطان موعده وقدره في كعود دينه النظر وعاين الملك الابرنس في دمه ما ان حينا

وحينا وهو يعتذر

داي مليكا ملوك الارض تتبعه والنجم يحلاه والشمس والقمر اذا بدا بهر الاعيان هيبته ويختفى وهو في الاذهان مشتهر
تقدم الخيل في اخرى الزمان على صدور على من قبلنا صدروا اما رايتم فتوح القادسية في اكناف نوبته تحلى وهو عشر
والكفر مرتعش والطغيان منتخب والكفر يطمس والايمان مزدهر هذا الملك الذي يرى النبي به في فتنة النبي للاسلام ينتصر
انسى ملاحم ذي القرنين واعرض له الرواة بما لم تجنه اثرا عين اسكندر بالخضر وهو له عين من الله يستغني به الحضر
وصنع ذي العرش ابداع بلا سبب فلا تقل كيف هذا الكاذب الخطر فيا بشاياه بحلي في دمشق اذا ملك الفرنج مع الاملاك محتضر
ازاه زعماء الساحلين معا مصفدين بحبل القهر قد اسروا يتلوهم صلبوت منكسا

وحوله كل قسيس له ذنب

وحين ذا الذا طير صحيفته بفتح عكا التي شدت بها الثغر بعر واساطيلنا منها مسلطة وبعد الروم والصقلاب والخزر
من ذا يشول الغل القدس منفتح اليك بل يعقوب له السفر ابو المظفر يونها يحل سقا من باب عكا الى طرسوس ينتشر
بين مرجع من بعطار ما وله مع المجوس حروب قد جها شعر وبعض ابنائه للقدس منتدب وبعضهم رومة الكبرى له وطر
ان يجز الارض الكسرة في جمع سوائل الاجسام لا وزر والوا اطلت مدحا فقد قلت كما بدات فالصب المحبوب يذكر

وأما القصايد القدسيات التي له منها الثانية التي تقدم ذكرها
ومنها القدسية الكبرى عدد هابايه واثنان وعشرون بيتا اولها

قصايد

تصاريف دهر اعربت لمن اهتدى وبسطه امر اعجبت من تمردا لفتح سرعه الفدس مرعبا وفي صرعة الفرنج معتبرا
انوا الجبال ابرمت لا سار دنا فسقنا بهم فيها قطينا مجددا وساموا عجارا تسربا عوا الثنا فنعا لهم بالرخص جم اهل — الثنا
وحروا جيوشا كالسيول على الصوى فضاق عنا في البطاح مبددا وقالوا ملوك الارض طوع قياد تا

اذا الكل منهم في القيود مقيدا

وقد قطع الكند العراق موفقا فاودع سحبا وسط حلو موصدا وافسم ان يسقى برجله خيله فما وردا الاردن الا مصفدا
فكم وابو جهلان يعقبه خصمه وكم سابق عجلان فهقر مقعدا الى الكند من اشبان محي قمامة فكان يقضي ملكه قبل — ومشهدا
ما عقد الرايات الا محللا ولا حل الرايات الا معقدا ووقعه يوم التل اذ قصته جبابرة الافرنج حرى
عليهم من البلوى ترادف دولة ومن دل ما ان نفسه فيفتيدا ترى المنبر الديوي يلقى سلاحه وينشاق ما بين السبايا — ملهمًا
يباعون اسرايا تراح اجل تشكه عصفور من الريح جردا فيلفى نصارى حلوق في ما ثم شربوها الا لحج وشهدا
الى السلطان صدق ونذره دم القادم الابرنس فاقتيد ارشدا وباشره بالقتل وسط خبايه وعاينه

الكند المليل فارعدا

وصافت بنفس القومص الارض هاربا فادركه الموت المفاجي مكمدا وما طرق الاسماع من عهد آدم كملحمة التل التي ملت — العدا
اتوا وادنا ما زال يعفى خابيا ويصبح يعفى الدار طائفه الهدى بحمص اصحاب ليله وبيته داره وذا فيه شعيب
ارى الله فيه معجز النصر مخلصا لامر صلاح الدين في الناس مجتلا واعدى جنود الرعب يردي عداته ويلمح المثلين — مجتلا

ومن عجب جنوب الفرنج مقاتل تشبهم جيوش لبس فيها من ارتدا

وللرشيد بن بدر النابلسي

هذا الذي كانت الاملاك تنتظر وليوف لله اقوام بما نذروا فمثل ذا الفتح لا والله ما حكيت في سالف الدهر اخبار — ولا اشير
حين به خان هتك المشركين فاليه طبت العشايا سنه والبكر الآن قرت جنوب في مضاجعها ونام من لم يزل حلفا له السهر
يا بهجة القدس اذ اضحى به علم الاسلام من بعد طي وهو منتشر يا نور مسجد الاقصى وقد رفعت بعد الصليب به الاثار والسور
ستار ما بين ناقوس بداله وبين ذي منطق يصدع له الحجر الله اكبر صوت يقشعر له سم الذرى ويكاد الارض ينفطر
يا مالك الارض مهتدها فما احد سوال من قائم للمهد ينتظر يا احمر هذا الطراز الساحلي شر ا

الا تقلوا به املاك الصقر

انحي سور الاصفر الاركان موعظة فيها لاعدايك الايات والنذر صاروا حديثا وكانوا قبل حادثة على الورى تيها — البدو والحضر
سلبتم دولة الدنيا وعيشتها حتى لقد صحت من وقديم شعر هذا الذي سلب الافرنج دولتهم وملكهم يا ملوك الارض فاعتبروا
تراكما احتطا بها الخوف مد ما به نائما ولا رنغ اهلوها ولا ادعروا ولم اوح باسماء البلاد فقد استهبت والقايل المنطق — بختنصر

يغنيك مجمل قولي عن مفصله في لفظه البحر تحته الدرر

وهي طويلة وله من قصيدة اخرى

ايلم بدار الناصر الملك الذي في كفه للجود سبعة ابحر واذا امررت بملكه وفتوحه فاسمع بما يروى عن الاسكندر
واذا ابصرت عساكره وجيوشه فاحث التراب على ذوائب قيصر كرهت على كسرى لعدلك وله قصرت بها بنيانها تطاول قيصر

وللشهاب فتيان الشاغوري من قصيدة

اهدى صلاح الدين للاسلام اذا اردى وسل الكفر مالم يكفر دب الملاحم لم يورخ مثلها العلماء قدما في قديم الاعصر
خلعت عليه خلعة الملك التي زينت بهاء بالطراز الاحمر وامانه صفرا يورد وشي حرائم عبيع آل الاصفر
لم لم تدن سوس الملوك له وقد ملك السواحل في ثلاثة اشهر واستنقذ البيت المقدس عنوة من كل ذي نجس بكل مطهر
واريتهم للشيء العجاب بالبيت المقدس مثل يوم المحشر ورددت دين الله بعد قطوبه بالمسجد الاقصى بوجه مسفر
واعدت ابداه قبلك فاتحا عمر وانت شريكه في المتجر حتى جمعت بعقر الاسلام بين الصخرة العظمى وبين المشعر
فلصخرة البيت المقدس كعبة الحجر المفضل عند افضل معشر وكانه انسان عين صورة ملك اسوده بمعنى انور

فصل في حصار صور وفتح هونين وغير ذلك قال العماد ثم ان السلطان مازال متقيما بظاهر القدس يحوي الآمال ويفرق الاموال حتى وردت كتب سيف الدين علي بن احمد المشطوب وكان بباب السلطان بصيدا وبيروت وهما مجاورتان لصور فكتب يحرض السلطان على حصار صور فرحل السلطان عن القدس يوم الجمعة الخامس والعشرين من شعبان واخذ صوب عكا وسبقه اليها الافضل وتقي الدين وودع السلطان ولده العزيز ورده الى مصر وكان آخر عهده به واستصحب السلطان اخاه العادل فوصلا الى عكا مستهل رمضان فاصلح من شانها ثم رحل فنزل على صور يوم الجمعة تاسع رمضان وخيم بازاء السور بعيدا منه على النهر ومعظم البلد في البحر وهي مدينة حصينة متوسطة في البحر كانها سفينة وكان المركيس الذي بصور قد حفر لها خندقا من البحر الى البحر وبنى سورا اشبره واحكم في التعمير تدبيره واستظهر بكثرة العدد والعدد واعتمد في مستغل السلطان بفتح البيت المقدس واقام السلطان بتلك المنزلة على صور ثلاثة عشر يوما حتى تلاحقت الامداد وحضرت العدد وآلات الجهاد ورتبت المنجنيقات فنقل السلطان مضاربه الى تل قريب من السور يشرف منه ثم حاصرهم وقبل كل من الملوك بجانب يكفيه منهم الافضل والعادل وتقي الدين فحاصروهم وضايقوهم ووصل في تلك الايام من حلب الملك الظاهر غازي ولد السلطان بعسكر الحلبي فاستظهر السلطان به واستدعى الاصطول المصري وكان بعكا عشرة شواني وكان للفرنج في البحر مراكب وحراريق وفيها رماة الجروخ والزنبوركات

يكون

يرمون من دون البحر فلما جاء اسطول السلطان استطال عليها وابعدها فاحاط بهم المسلمون وقاتلوهم برا وبحرا مستهم في احلى ظفر واهنا ورد وصدر اذ ملك الفرنج خمسة من شواني المسلمين واسروا من فيها ومنها عبد السلام المغربي ومتوليه بدران الفارسي والقى جماعة انفسهم في البحر فمن ناج وهالك وذلك انهم سهروا الليلة بازاء مينا صور الى السحر ثم عليهم النوم فما انتبهوا الا والفرنج قد ركبتهم وتملكتهم فاصبح المسلمون وقد عمهوا وانا هم من الامر ما لم يعلموا وبعث السلطان الى المراكب الباقية ان تسير الى بيروت وخاف عليها لقلتها ان يستولي عليها عبدة الطاغوت فجاء منها سبيني من جبيل والباقون طردوا الى الفرنج ودامهم فالقوا انفسهم في الماء وخرجوا الى البر على وجوههم ثم ان الفرنج بعد هذا طمعت فخرجت يوما وقت العصر مستعدة للقتال فالتقاهم المسلمون فكانت الدائرة على الكافرين واسر مقدم كبير لهم وظن انه المركيس فحمله السلطان الى ولده الظاهر فحفظه فضرب عنقه وكان الليل قد دخل فلما اصبحوا اسفر لهم ان المركيس بعد في الحياة فطال حصاره حتى ضجر كثير من امراء المسلمين الى ان نهدوا وامام المنايا العوم من تعثر الفتح عليهم فاشاروا على السلطان بالرحيل لئلا يفنى الرجال وتفنى الاموال وكان البرد قد اشتد عليهم وكان راي السلطان والاعيان من الامراء كالعقيب عيسى وحسام الدين طمان وعز الدين جرديك المسابقة الى الفتح لئلا يضيع ما تقدم من الاعمال وانفاق الاموال وقال السلطان قد هدمنا السور وما دنا الامور فاصبروا وانفحوا وصابروا وانفحوا ولا تعجلوا فاظهروا الموافقة وفي نفسهم ما فيها فلم يصدقوا القتال وتعللوا بان الرجال جرحى وفي العلوفات قلة فلم يسع السلطان بعد ذلك الا الرحيل فامر بنقل الاثقال فحمل بعضها الى صيدا وبيروت واحرق الباقي لئلا يناله العدو ورحل في آخر شوال وهو اول يوم من كانون الاول وسار تقي الدين الى دمشق في طريق هونين واستصحب معه عساكر الشرق وديار بكر والموصل والجزيرة وسنجار وماردين ورحل السلطان الى عكا فوصلها في ثلاث مراحل لانه سلك طريق الناقورة وهي طريق ضيقة مطلة على البحر بها يضرب المثل لا يعبرها الاحمل حمل فعبرت بها الاثقال والاحمال في اسبوع وكان عيني يوم رحيله من صور امراء تعيبون عليها الى ان يعبروا عقود التل وخيم السلطان عند التل وسار العادل الى مصر والظاهر الى حلب وبدر الدين ادرم الياروقي الى بلاده قال وفي يوم رحيل السلطان من صور جاءه خبر سيف الدين محمود اخي عز الدين جاولي انه استشهد في عقد ولاة حصن كوكب هشته الفرنج ليلا وذلك انه كان قد بقي على السلطان بعد ما فتح من بلاد العدو من جملة عمل طبرية والعدو حصنا صفد وكوكب وكان في صفد جمع الداوية وفي كوكب جمع الاسبتارية والحاج

السلطان في فتحها الى المطاوله فوكل بصعد جماعة يعرفون بالناصريه مقدمهم مسعود الصلتي
ووكل بكوكب هذا الامير سيف الدين محمودًا فاقام في حصن عفربلا وهو قريب من حصن كوكب
وبعض على المعتمد منه المطعم والمشرب وضيق عليهم المذهب الى ان دخل الشتاء فاختلت الحراسه
واعتلت السياسه فلما كان ليله آخر شوال وكانت ليله بارده ماطره حرس اصحاب سيف الدين
حتى ضجروا وغلبهم النعاس فما استيقظوا الا وفرنج كوكب عليهم بادكه فدافعوا عن انفسهم حتى
استشهدوا واخذوا الفرنج جنيه المسلمين ودخلوا بها كوكب وكان هذا الامير محمود ذا دين متين
ومكان من النسك مكين وهو يسهر اكثر ليله متهجدا وقد جعل منزله مسجدا يجمع بين التهجد
والجهاد وكان كثير الاجتهاد فاغتم السلطان مصابه وزاده المال الى مابه وتقدم الى صارم الدين
قايماز النجمي ان يرابط كوكب في خمسمايه فارس ففعل ولم يزل بها الى ان فتحت كما سياتي ❊ قال
وفتحت هونين والسلطان محاصر صور وكان لما فتح تبنين قد اشتغل عليه هونين فوكل بها من رابطها
وضايقوا حتى طلبوا الامان وجا خبرها الى السلطان وهو على صور فنفذ الامير بدر الدين دلدرم
فتسلمها وخرج الفرنج منها آمنين سالمين وكان قد بقي ايضا من عمل صيدا قلعه اي الحسن
وشقيف ارنون واقام السلطان بظاهر عكا ناظرا في امور رعيته ثم دخلها وسكن بالقلعه
وسكن الافضل برج الداويه وولى عكا عز الدين جرديك ووقف دار الاستبار نصفين
نصفا على الفقها ونصفا على الصوفيه ووقف دار الاسقف بيمارستان ووقف على كل من
ذلك كفايته واظهر به عنايته وسلم جميع ذلك الى قاضيها جمال الدين ابن الشيخ ابي النجيب
وهو في ذلك مصيب ❊ فصل في ورود رسل النواحي من الآفاق وقدوم وقدوم الرسول
الطايب من العراق ❊ قال العماد ووردت رسل الآفاق من الروم وخراسان والعراق
وكلهم يهني السلطان بما افرده الله به من الفضيله وافرده عليه من نجح الوسيله وهو فتح القدس الذي
درج على حسرته القرون الاولى وتقاصرت عنه ايديهم المتطاوله وتمكنت منه يده الطولى فما منهم
الا من يعترف بيمنه ويعترف بمزيته ويقر بحكم التنزيل له ويثني على حكمه ويخطب صداقته ويتعرف
بالوفاء والوفاق ويتباعد عن النفاق والشقاق فمن جملتهم رسول صاحب الري ورسول المستولي على
ممالك همذان واذربيجان واران فما من يوم يمضي وشهر ينقضي الا ويصل منهم رسول ويشغل به شغول
وذكر العماد في البرق انه وصل الى السلطان وهو بعكا رسول الاتابك مظفر الدين قزل ارسلان
وهو عثمان بن اتابك ايلدكز المستولي على بلاد العجم بعد اخيه البهلوان ثم ذكر نحرته في كرمه

شيئا كثيرا ثم قال وهذا كله لا يكون في غير سلطاننا ولا كان السلطان هيبة الملوك ظاهر
المحفل والموكب قد خصه الله بالصدر الارحب والنصر الاغلب عزمه الى الجهاد مصروف وحلفه
بالمعروف معروف وهمه بالسماح مشغوف ما اصبحه بالسيف من البلاد وهبه لمن يضرب معه بالسيف
في الجهاد وللخالق تقواه وللمخلوقين جدواه وانما يريد للآخره دنياه فلا جرم ختم الله بالحسنى عقباه
قال ولم يكن في الملوك السالفه امضى منه عزما واحدى فضلا واعم جدوى واكمل جهدا في الجهاد
واملك حلما في الجلاد فانه باشر بنفسه الحرب ومارس الضرب وقذف بالحق حتى حققه
على الباطل فادمغه ولا حد ولا عد لما في سبيل الله من نفايس النفوس والاموال انفقه ومن اول
هذا العام الى منتهاه لم يخف لورده لذ ولم ينصب من وروده عل ولم يقر له جنب بل لقي في قضي
الغيظ والقربض الحر وعض البرد بحر وجهه الكريم وقضى حق الدين موفيا لصدق عزامه حق الغريم
ودل ما تم من النصر يوم حطين وفتح القدس وتسلم بلاد الساحل انما سني لتشهير شيعة في فصل الصيف
وشهور واستظهار لظهور الاسلام وشد ظهوره ❊ ثم انشد الفاضل في وصف اسيافه
ما اصبان على الدوام دوامي هي في النصر عزة الاسلام في يمين السلطان الفاجر دهاها اشبهتها صواعق في غمام
سر الهام كالحروف فما اشبه هدي الاسياف بالاقلام في محاريب حربه البيض صلت وركوع الظبي بسجود الهام
وذكر من كلامه في الوسطيون الاصدقا ما ادخل نسكم الاكحول المردد في الاجفان برد اليها
ما ذهب من النور والغمض وكالنسيم من الاغصان يعطف بعضها على بعض ❊ قال العماد ووصل
اخي تاج الدين ابو بكر حامد من دار الخلافه برسالة في العتب على احداث نقلت واحاديث تقلت ووشايا
اثرت وسعايات في السلطان شعثت وذلك في شوال ونحن على حصار صور وسبب ذلك انه لما
تم الفتح الاكبر وخص وعم النجح الاظهر وقطع دابر المشركين وحط اثقال المسلمين اوزارها بدار الكفر
بحطين امر السلطان ان يشا كتب البشاير الى الآفاق وتقديم البشرى به الى العراق فقلت هذا فتح
كريم ومنح من الله عظيم فلا ينبغي ان يكون مبشر دار الخلافه بما انزله الله لنا من الرحمة والرافه
الا من هو عندنا اجل واحلى واعلم واعلى واجمع لفنون الفضايل واعرف باداء الرسايل فلا يرفع
العظيم الا بالعظيم الرفيع فان الرفيع يتضع برفقه عن ان يه الوضيع فقال هذه نصره مبتكرة وموهبة
مستيسره ندرت وبدرت فيحسن ان يعجل بها مبشرا ويوخر للاجلال كما ذكرت سفيرا وكان في الخدمه شاب
بغدادي من الاجناد قد هاجر للاستشهاد ويوجد بعد وصوله وينبه بعد خموله فسال في البشاره
الى بغداد وزعم انه يداوم اليها الاعداد وشفع له جماعة من الاكابر حتى خص باشرف البشاير فقلت

هذا لا عمل له وقع ولا يصل اليه نفع والواجب ان يسير في مثل هذا الخطر خطيرة فهذه النصرة الكبرى
كبيرة ثم سار المندوب وشغلت عن ارسال سواه الفتوح والحروب والمافتح البيت المقدس ارسل بشارته
بحايب ونفذ بها كتاب ووصل البشير الجندي فحرموه وما وقروه فانه كان عندهم بعض منظوره تلك العين
وحسوه بما يلقونه من الرقه والعين ونعم على السلطان ارسال مثله ونسج المندوب بكلام اخذ عليه وبدرت
منه احاديث نسبت اليه وقال في سكره وحالة نكره ما اعرض عن ذكره لجميل ومره وشكره ونكره
وطرا لكلامه اصلا ولفظه منا وصلا وانهيت الى العرض الاشرف مقالاته وعلمت جهالاته وحكي
في السلطان باسناله وطرق باهواه ما انكروه من مقال المذكور وضلاله ووجد الاعداء حينئذ
الى الشعاية طريقا وطلبوا الشمل استسعاده بالحلم تفريقا واختلفوا اضاليل ولفقوا اباطيل
وقالوا هذا يزعم انه تغلب الدوله وتغلب الصوله وانه يعتني بالملك الناصر بعد الامام الناصر ويدل
بما له من القوة والعساكر فاشفق الديوان العزيز على السلطان من هذه وبرز الامر المطاع بارسال
اخي وانفاذه وقالوا هذا تاج الدين اخو العماد يتكفل لنا في كشف سر الامر بالمراد فان اخاه بعثاك
مطلع على الاسرار وهو منتظم في سلك اولياء الابرار وعول عليه الديوان في السفاره ورد معه
جواب البشاره وكتب له تذكره بموجبات مقاصد العتب ومكدرات موارد القرب والمخاطبه
فيها وان كانت حسنه والمعاتبه معشقها للعواطف الاماميه لينه فسار الاخ الى دمشق
وكان قد عاد المندوب راديا عاديا جاحدا للنعمه شاكيا وقالوا اخو العماد قد وصل بكل عتب وغضب
ولغط قط ومعه الملامات المولمات فقلت له اسكت واصمت وقلت للسلطان سمعا وطاعة لامر
الديوان وان اظهار سر العتب لك من غاية الاحسان فقال نعم ما قلت ولما قرب اخي اصبحت لقدومه
انتحى فامر السلطان الامراء على مراتبهم باستقباله وتقدم بحلاله فدخل باجلاله وبلقاه الملوك الحاضرون
العادل والمعظم والافضل والظاهر ثم ركب بلقاه بنفسه وحصه من ترهبه بانسه ولم يزل حتى
اراه مواضع الحصار ومصارع الكفار ثم نزل وانزله بالقرب ثم حضر عنده وقد اخلا مجلسه لي وله
وجلس فادى الامانه في مشافهته ووجه في مواجهته واحضر التذكره وقد جمعت المعرفه والنكره
مقرانها عليه وكان في الكتب غلطه عدت من الكاتب غلطه وحيلت سقطه وجليت سخطه وقال ان
الامام اجل ان يامر بهذه الالفاظ الغلاظ والانجاع الفلاظ فما اكثر ابداع هذه المعاني في ارقها
لفظا وادقها واوفاها فضلا واوفقها ومعاذ الله ان يحبط عملي ويهبط املي وامتعض وارتمض ثم اعرض
عما عرض ورجع الى الاستعطاف وانجع بارق الاستسعاف وقال انما المحلة الاعدا ومدابه المتحاملون

فما عرف مني الا الاعتراف بالمعارفة وذكر السلطان اياديه السالفة في الفتوحات واماتة الدعوة العبيدية
بمصر واليمن وازالة الادعيا واباده الاعدا وفتح البيت المقدس والوفا والعنا الذي انكره ونبه على موضع
الخطا فيه وذكر بهذا من عهد الامام المستضيء والآن كل ما يسرني به امير المومنين من النعمة فانه يجيء الذي هو
اسمى واشرف وارفع واعرف وما عزمي الا استكمال الفتوح لامير المومنين وقطع دابر المنافقين والمشركين
ثم ندب مع اخي من سار في خدمته لزيارة القدس ثم ودعه واودعه من سماحه كل ما في النفس وظهرت بعد
ذلك بالقبول آثار الرضى ومضى بما مضى وكان جماعة من الملوك والامراء كالعادل ومظفر الدين قد نحوا
لما قيل في حقه وارادوا ان يغضبوه فما غضب بل غاض غيظه نضب وبلغني ذلك بصدر رحيب ولفظ
مصيب ❛ فلت ووقفت على كتاب كتبه الصاحب قوام الدين ابن زبادة من الديوان العزيز
ببغداد الى السلطان صلاح الدين وكان قوام الدين يومئذ استاذ الدار العزيزه يقول فيه لولا مكان
صلاح الدين من الخدمه والنح به والمنافسه فيه لما جوهر بالعتاب ولا رفع دونه هذا الحجاب
بل كان يترك بعد الامر على اخلاله ويدمل الجرح على اعتلاله وقد ذكرت الاسباب التي اخذها الديوان
العزيز عليه واستغرب وقوعها من كماله ليرعيها سمعه الكريم ويستوري فيها رايه الاصيل وينصف
في استماعها والاجابة عليها غير جانح على الجدال ولا مؤتم بالمراء المدحوين عقلا وشرعا بل يحمل قوله
هذا على سبيل المماحصه والاستصلاح وصدق النيه في رد التنائي والاصلاح فان اعياد الدواء المعد
لانهم فيه الطبيب المجتلب للعافيه ثم ذكر من تلك الامور ان من اسفي من العراق بسبب من الاسباب لجا
الى صلاح الدين فوجد عنده الاقبال عليه وكان الادب يوجب ابعاد من ابعد عنه وتقريب من قرب اليه
ثم قال فان مما اضحك ثغر الاستعبار مما انتهى عن العوام واشباه الانعام وطغاة الشام من الخوض في المدا
والانتهاء في التشنيع الى اختلاف كل قول كاذب ❛ ومنها ما جرى من تشريف الاسلام بالحجاز
من ازعاج الحجاج وازعاج ملك الحجاج والاقدام على مناسك الله وشعائره وانفاذ سعير الفتنة فيها ونوايره
واحياء السيره القاسطه واحياء بدع القرامطه ما يقشعر منه كل طبع ومجه كل سمع فكيف جاز لصلاح الدين
ان يرجع عن اخيه فيما يعوض سوابقه واواخيه ❛ ومنها ما قضى الناس منه العجب ومرق منه الحزم
والادب وهو ما اوجب التلقب بالتلقب الذي استاثر به امير المومنين ثم قال وقد ساوق زمان الدوله
العباسية ثبتها الله خوارج دوخوا البلاد وامعنوا في العناد وجاسوا خلال الديار واصافوا المثال
واستضاموا الممالك وامعنوا من الشقاق اشق المهالك فما انتهى احد منهم فيما احقب وارتكب الى
المشاركه في اللقب ومن الحكم الداعيه في وجيز الكلام الذي يصلح للمولى على العبد حرام ❛ ومنها

مكاتبة كل طرف نواحي اعمال الديوان من مواطن التركمان والاكراد ومراسلتهم ومهاداتهم وقرع اسماعهم بما يعود
باستئصال اقدامهم وفل عزائمهم وهم لا يعرفون الا انهم رعية للعراق وخول للديوان من يوم الطاعة خالفا
عن سالف ثم قال في آخر الكتاب وهذا كله لا اقوله انكارا لجلائل مقامات صلاح الدين ومشاهير مواقف
جهاده في سبيل الله وانه ادام الله علوه رجل وقته وسيف دولته والمربي على من سلف من صنائع الدولة
وعلى من ياتي من بعده وهو الولي المخلص الذي عهد قوفا واستكفي فكفى وطب فشفى فكيف يجوز له بسعادة
ان يهجر مساعيه الغر المحجلة ويخرج من مكاتبة المكرمة المجلة ويبطل حقوقه الثابتة المنخلة ثم قال
نعم علم من نظر في التواريخ والآثار وتصفح بصيرته في التبصر والاعتبار ان هذا البيت المعظم ما زال
يرفع الاقدار الخاملة فيسرون عليه بطرا فيعار الله له منتصرا ويعقبه عليهم اطعادا وطغوا كآل طولون
وآل سامان وآل بويه وآل سلجوق وغيرنا من ذلك كثير الامر الذي زلزلوه فثبت ومن الذي حصدوه فنبت
واي بار اوقدوه فما خبت ثم قال في آخره اللهم هل بلغت وللراي الصلاحي علوه ان شا الله تعالى وذكر
ابن القادسي ان البشري الذي ارسله صلاح الدين بالبشارة يعرف بالرشيد ابن البوشنجي قال وكان صبيا
كبير الاد مادمشم امي ح دوب بعداد ثم توجه الى الشام هاربا من الفقر فحين وصل الى بغداد رسولا قامت
القيامة بمراسلته وكتب الى صلاح الدين بالانكار عليه وقيل له ما كان في اصحابك امير من هذا اسعف الى
الديوان فما عند صلاح الدين ووصلت كتبه بالاعذار وقبل عذره واما ابن البوشنجي فانه حين وصوله الى
الشام اكثر الكلام عند صلاح الدين فانكر ذلك عليه فلما مضى الاسبوع جاته نشابة ذبحته فصل
في باقي حوادث سنة ثلاث وثمانين فيها قتل الامير شمس الدين ابن المقدم وهو محمد بن عبد الملك يوم عرفة
قال العماد وكان السلطان لما فرغ من فتح القدس ودنا موسم الحج قال الموفقون يحرم من المسجد الاقصى الى
المسجد الحرام ويعود بالحج مع ادراك فضيلة فتح القدس في هذا العام فالحج والجهاد ركنا الاسلام فاجتمع
جمع جم من اهل ديار بكر والجزيرة والشام وسارهم الامير شمس الدين ابن المقدم شيخ امراء الاسلام الكرام
مودعا السلطان على كره من مفارقته واستمهله للحج في السنة الاخرى على مرافقته فقال ما معناه ان العمر قد فرغ
والامر قد بلغ والشيب قد انذر والعرض قد اعذر ما اغتنم فرصة الامكان قبل ان يبعد زمني والسعادة بتفوده
والشهادة برده حتى وصل الى عرفات وماء والاوقاف وشاع وصوله وذاع قبوله وضربت طبوله ونشرت
سبوله وحال التحويله وضربت خيامه وخفقت اعلامه فلما اصبحوا انكروا على العادة نقاراته ونعرت
بوفاته فغاظ ذلك امير الحج العراقي فركب اليه في احزابه واوقع به وباصحابه واسلم جراحه ونهابه
وجرى حكم الله الذي كان يضرب الطبل وكذا استابه وقتل جماعة من حاج الشام وجرحوا وهتكت استارهم

وانفضوا ونقل امير الحاج طاشتكين شمس الدين ابن المقدم الى خيمته وهو مجروح وفيه روح وحمل نفسه
يا بني فقضى ودفن بالمعلى وتم ذلك بقضاء الله وقدره في تقلب حوادث الدهر وغيره واذاع امير الحاج ما اجترح
وكيف لم تراقب الله واحل حرمه وكيف عدا على الحاج العايذ بالله وسفك دمه فكتب محضرا على ما اجرحه
بعذره فيما اجترحه والزم اعيان الحاج من ساير البلاد بوضع خطوطهم على ما عينه من المراد فكتبوا مكرهين
غير مشتهين وكان يعتذر انه انكر عليه ضرب الطبل فابى فلما انتهت تلك الحالة الى الخليفة انكرها انكارا
شديدا ونسبها الى طيش طاشتكين ولم يجد له رايا شديدا فلا جرم انضع منه قدره وانقض له وزره
ووهى امره وذخرها له حتى نكبه بها بعد سنين وحبسه واطال حبسه ثم عفا عنه بعد مدة مديدة وشدة
شديدة وولاه حرب بلاد خوزستان وخراجها وولي امارة الحاج غيره ولما وصل الى السلطان خبر استشهاد
ابن المقدم وجماعته لامه على ترك الحزم واضاعته فاحتسبه عند الله غازيا شهيدا ساعيا الى الجنة سعيدا
واقام ابنه عز الدين ابراهيم في بلاد مقامه واقر عليه انعامه قال محمد بن القادسي في تاريخه ونقلته
من خطه اراد امير الحاج بالشام وهو ابن المقدم ان يرفع علما على الجبل بالموقف فمنعه امير الحاج طاشتكين
وجرت بينهما مراجعات افضت الى الخصومة بين حاج العراق وحاج الشام فنهب البعض للبعض وجرت
جراحات وخرج ابن المقدم ولم يعبر العادة في ذلك وافاض الناس ومات ابن المقدم بمنى في اليوم الثاني ودفن
الجانبين بمكة فاخبروا بما جرى من اصحاب ابن المقدم وقد شهد الشهود بذلك من الحاج ثم جرى ذلك بجامع القصر
الشريف قال وفي ثاني شوال من هذه السنة توفي ابو الفتح محمد بن عبيد الله سبط ابن التعاويذي
الشاعر وكان كاتبا بديوان المقاطعات وخدم شيئا من الرؤسا واضر في آخر عمره ومولده عاشر رجب
سنة تسع عشرة وخمسمائة قال وفي خامس رمضان توفي الفقيه الحنبلي ابو الفتح نصر بن فتيان بن
مطر المعروف بابن المني وكان فقيها زاهدا صالحا عالما مولده سنة احدى وخمسمائة وتفقه عليه جماعة من ائمة الحنابلة
كالحافظ عبد الغني بن عبد الواحد بن سرور واخيه ابراهيم والموفق عبد الله بن احمد بن محمد بن قدامة ومحمد بن خلف
ابن راجح والناصح عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب وعبد الرزاق بن عبد القادر الجيلي وغيرهم

ثم دخلت سنة اربع وثمانين قال العماد فخرج السلطان من عكا فنزل على كوكب
في العشر الاوسط من المحرم فحاصرها وصابرها اياما فلم يتمكن منها لمنعتها وحصانتها ورآها تحتاج الى طول مصابرة
ومرابطة ولم يكن معه جميع امرائه واوليائه وانما كان في خواصه فوكل بها قايماز النجمي ووكل بصفد طغرك
الاميندار كل واحد منهما في جمع من عسكره وسير الى الكرك والشوبك سعد الدين كمشبه الاسدي وكانت هذه الحصون الاربع
ضيقة المسالك صعبة المدارك قال ثم ان السلطان اشتغل بلقاء الرسل الواصلين ومن جملتهم رسول صاحب آمد

قطب الدين سكمان بن نور الدين قرا ارسلان وكانوا خائفين على آمد ان يسترجعها منهم السلطان
لانها كانت لهم من مواهبه كما سبق فاستوثقوا بالوصلة باحد بنات العادل وكان العادل قد وكل
اخاه السلطان في ذلك لما سار الى الديار المصرية وقدم رسولهم في ذلك فتمت الوصلة بينهما ، واول
من وصل الى السلطان بكوكب اختيار الدين حسن بن غفراس مدبر دولة قليج ارسلان الروم وكان
هذا الرسول مغرى بلبس الحلي والديباج والوشي وفي يديه زنود وخواتيم مرصعة بزينة ثقيلة بجواهر
ويواقيت ثمينة وفي عقودها درة ثمينة وفي يده عود من العسجد وكل عدته مرصعة بالجوهر وكان اذا شاهده
السلطان يتبسم ويعامله بحلمه وقال هذا سافر بنظاره لينظر ويدبر اره لينظر ، وقال القاضي ابن شداد
لما دخلت سنه اربع وثمانين راى السلطان الاشتغال باخذ هذه الحصون الباقية التي لهم مما يضعف قلوب
من في صور ويهي امرها به فاشتغل بذلك ونزل رحمه الله على كوكب في اوايل المحرم وكان سبب بدايته
بكوكب انه كان قد جعل حولها جماعة يحفظونها من ان يدخل اليهم ميرة او جماعة فخرج الفرنج ليلًا واخذوا
غرتهم وكبسوهم بعفربلا وقتلوا اكثرهم وكان من الامراء يعرف بسيف الدين اخي جاولي واخذوا اسلحتهم
فسار رحمه الله من عكا ونزل عليها بمن معه من خواصه بعكا فانه كان قد اعطى العساكر دستورًا
ولقي في طريقه شدة من الثلج والبرد حملت السلطان مع ذلك الحمية على النزول عليها واقام يقاتلها مدة
قال وفي تلك المنزلة وصلت الى خدمته فاني كنت قد حججت سنة ثلاث وثمانين وكان معه ابن المقدم
وخرج يوم عرفة على عرفة بخلف جرى بينه وبين امير الحاج طاشتكين على ضرب الكوس والدبدبة فان
امير الحاج نهاه عن ذلك فلم ينته ابن المقدم وكان من اكابر امراء الشام وكان كثير الخير كثير الغزاة
فقدر الله انه جرح بعرفة يوم عرفة ثم حمل الى منى مجروحًا ومات بمنى يوم الخميس يوم عيد الله الاكبر
وصلي عليه في مسجد الخيف في بقية ذلك اليوم ودفن بالمعلا وهو من اتم السعادات وبلغ ذلك السلطان
قدس الله روحه فشق عليه قال ثم اتفق لي العود من الحج على الشام لقصد القدس وزيارته والجمع بين
زيارة النبي صلى الله عليه وسلم وزيارة ابيه ابراهيم عليه السلام فوصلت الى دمشق ثم خرجت الى القدس
فبلغه خبر وصولي فظن اني وصلت من عند صاحب الموصل في حديث فاستحضرني عنده
وبالغ في الاكرام والاحترام ولما ودعته ذاهبًا الى القدس خرج الي بعض خواصه وابلغني
تقدمه الي بان اعود الى خدمته عند العود من القدس وظننت انه يوصيني بمهم الى الموصل
وانصرفنا الى القدس الربيع يوم رحيله عن كوكب ورحل بعد ايام لانه علم ان هذا الحصن لا يوخذ الا
بجمع العساكر عليه وكان حصنًا قويًا وفيه رجال شداد من بقايا السيف ومنيع عطيه فرحل الى دمشق
وكان

وكان دخوله اليها في سادس ربيع الاول وفي ذلك اليوم اتفق دخولي الى دمشق قاصدًا من القدس
فاقام رحمه الله في دمشق خمسة ايام وكان قد غاب عنها ستة عشر شهرًا قال وفي اليوم الخامس بلغه
خبر الفرنج انهم قد قصدوا جبلة واغتالوها فخرج من عجلته ساعة بلوغ الخبر وكان قد سير الى
العساكر يستدعيها من سائر الجوانب وسار يطلب جبيل فلما عرف الفرنج بخروجه كفوا عن ذلك
وكان بلغه وصول عماد الدين وعسكر الموصل ومظفر الدين الى حلب قاصدين الحلقة للغزاة
فسار نحو حصن الاكراد في طلب الساحل للغزاة ولما كان مستهل ربيع الاخر نزل على تل قبالة
حصن الاكراد ثم سير الى الملك الظاهر ولده والملك المظفر بان يجتمعا وينزلا تيزين قبالة انطاكية
يحفظا ذلك الجانب ففعلا وسارت عساكر الروم حتى اجتمعت بخدمة السلطان في هذه المنزلة
ووصلت اليه رحمة الله عليه في هذه المنزلة وانه كان قد سير الى دمشق يقول الحقنا نحو حمص
فخرجت على عزم المسير الى الموصل متجهزًا لذلك فوصلت اليه امتثالًا لامره فلما حضرت عنده فرح
بي واكرمني وكنت قد جمعت له كتابًا في الجهاد بدمشق مدة مقامي بها جمع احكامه وآدابه
فقدمته بين يديه فاعجبه وكان يلازم مطالعته وما زلت اطلب دستورًا في كل وقت وهو يدافعني
عن ذلك ويستدعيني للحضور في خدمته في كل وقت ويطلعني على السنة الحاضرين ناوع على ودكه
اباي الجميل واقام في منزلته تلك شهر ربيع الاخر اجمع وصعدت انا به الى حصن الاكراد وحاصره
يومًا يحسبه به فما راى الوقت يحتمل حصاره واجتمعت العساكر من الجوانب واغار على بلد طرابلس
في هذا الشهر دفعتين ودخل البلاد مغيرًا ومختبرًا المنزل من العساكر وتعويدًا للعساكر بالغنايم
ثم نادى في الناس في اواخر الشهر انا داخلون الى الساحل وهو قليل الازواد وهو محيط بنا في بلاده
من سائر الجوانب فاحملوا ازواد شهر ثم سير الي مع الفقيه عيسى وكشف لي انه ليس في عزمه ان يمكنني من
العود الى بلادي وكان الله تعالى قد اوقع في قلبي محبته منذ رايته وحب الجهاد فاجبته الى ذلك
وخدمته من تاريخ مستهل جمادى الاول وهو يوم دخوله الساحل الاعلى وجميع ما حكيته من قبل
انما هو روايتي عمن اثق به ممن شاهده ومن هذا التاريخ ما اسطر الا ما شاهدته او اخبرني
به من اثق به خبرًا يقارب العيان والله الموفق **فصل** قال العماد كان جماعة من اهل
الحزم واولي العزم قد اشاروا على السلطان لما فتح عكا بتخريبها وتعفية آثارها وان يبنى المرابطون
المحامون مكانها فلا يامن عود الفرنج اليها وتملكها وان يبنى قلعة الفيتون فكاد يجيب فقيل له
هذه مدينة كبيرة وعمارة كثيرة واشير عليه بتبقيتها وان يعمر ويحصن ويولى امر عمارتها وتدبيرها الامير

بهاء الدين قراقوش وهو الذي أدار السور على مصر والقاهرة فاستدعاه من مصر وأمره أن يستنيب
في ملك العمارة فقدم عليه وهو بكوكب وفوض إليه عمارة عكا فشرع في تجديد سورها وتعلية أبراجها
وكان قدم من مصر ومعه أسارى العمل وأبقاره والآلة ودوابه وأبقاره. قال: ولما رتب السلطان
الأمور بكوكب رحل مستهل ربيع الأول ودخل دمشق في سادسه وكان العسكر الغائب على
مواعد المعاودة في الربيع وأنه يجتمع على حمص بالجميع وكان طريق السلطان على بحيرة طبرية من شرقيها
وتجنب عقبة فيق لاستصعاب رقيها ولما دخل السلطان دمشق تلقاه الناس أحسن لقاء وقد كانوا
متعطشين إلى رؤيته متشوقين إلى طلعته لأنه غاب عنهم سنة وشهرين وخمسة أيام وكسر فيها
الكفر ونصر الإسلام وفتح الأرض المقدسة وأشباهها من البلاد التي كانت بأوضار الكفر محتسبة
فأصبحت بالإيمان مونسة فلما استقر قراره أمر بإنشاء الكتب لاستدعاء الأجناد من الجهات
للجهاد من سائر البلاد فابتدأ بالجلوس في دار العدل وحضرته القضاة والعلماء أهل الفضل وكان
السلطان قد ولى دمشق بدر الدين مودود المعروف بالشحنة وهو أخو عز الدين فرخشاه لأمه وفوض إليه في
هذه الأيام ولاية الديوان وكان مع الصفي ابن القابض فبقيت معه الخزانة وحدها وكان السلطان قد
بنى للسلطان دارا مطلة على الشرف بالقلعة وأنفق عليها أموالا كثيرة وبالغ في عمرها وتحسينها وظن
أنها تقع من السلطان بمكان فما أعارها طرفه ولا استحسنها وكانت من جملة ذنوبه عند السلطان
التي أوجبت عزله عن الديوان وقال ما نصنع بالدار من يتوقع الموت وما خلقنا إلا للعبادة والسعي
للسعادة وما جئنا دمشق لنقيم وما نروم أن نريم. قال: ثم تقدم بالغزاة مبتدئا بزيارة القاضي
الفاضل وكان مقيما بجوسق ابن الفراش بالشرف الأعلى في بستانه فاستضاء برأيه
فيما يريد فعله وكان لا يأتي أمرا إلا من بابه ثم ودعه ورحل. **قلت: وما أحسن**
ما قال ابن الذروي في الآراء الفاضلية من قصيدة مدحه بها

لرأيك هذا النصر للدين ينتمي فلا ينتحله كل عضب ولهذم وإن كان منه الأسنة والظبى مساعد فالفضل للمتقدم
تشير على الإسلام منك غرائب لها حزم طب واحترام منجم وتحميه ألفاظ لديك كأنها قواطع
بتر أو نوافذ أسهم

الأحد افتح بشرى لواه وقلت يحمل الله باحل الكني وغص وقد رام الإمام مناجيا لمولاي فخر المسلمين وسلم

فصل في دخول السلطان رحمه الله الساحل الآخر وفتح ما يسر الله تعالى من بلاده. قال
العماد: ورحل السلطان وسلك في جبل يبوس بين الجبال الذاهبة على البقاع وأتى بعلبك وخيم

لمخ

بمرج عدوس ثم رحل إلى بيسان اللبوة ثم أتى الزراعة ووصل الخبر بوصول عماد الدين صاحب سنجار في
جموعه وجنوده ونزوله على قدس من عمل حمص على نهر العاصي ولما تراءى موكبه لموكب السلطان تقابل القمران
ثم تقارن النيران واجتمع السعدان وسعد الجمعان وخيم السلطان عند مخيمه وسأله أن يزوره السلطان
بموكبه فأجاب دعوته ثم رتب السلطان يوما لحضوره عنده وتهاديا وتصافيا وكان أيام المشمش
وقد وصل من دمشق فأفرح قدومه وطلعت في أبراج الأطباق نجومه كأنها أكر من التبر مصوغة
أو بالورس مصبوغة صفر كأنها ثمار الرايات الناصرية حلا منظرا وذوقا ولو نظم جوهره لكان
طوقا كأنما خرط من الصندل وخلط بالمندل وجني من الثلج والعسل وتصاحب هو والسلطان
في الركوب والجلوس والتناجي بما في النفوس وتكررت المشاورة في الموضع الذي يبتدأ بقصده
واتفقوا على عرقا وعكار والنزول بعرقة وأنها إذا ملكت ملك طرابلس فأقاموا بقدس إلى
آخر الشهر حتى اجتمعت الجموع ووصلت قبائل العربان ثم سار السلطان أول ربيع الآخر وخيم بقرب
حصن الأكراد على البقيعة ثم شن الإغارة على نواحي الحصن وصافيتا والعريمة وتلك الحصون
فاستخرج ما فيها من المخزون وفتح حصن يحمور وشامة الدهور ولم تزل الإغارات والغنائم
وهم في تلك المنزلة إلى آخر الشهر فوصل قاضي جبلة منصور بن نبيل وجماعة معه فأشار على السلطان
بقصدها وتكفل بفتحها وفتح اللاذقية وتلك الحصون والمعاقل الشمالية وكانت تلك البلاد قد
شملها إليه ابرنس انطاكية وعول عليه فيها وقال إن الاشتغال بطرابلس مع احترازها يذهب الزمان
ويفوت الإمكان والمسلمون بجبلة محمولون على التسليم مؤملون أن تتبدل بشقائهم منك بالنعيم
فأصغى السلطان إلى قوله وأصغى له ورد طوله وكان قد وصل إليه مقدمو أجل نهرا فوفر
لهم رواتبهم وأجرى فندبوا إلى أتباعهم وكتبوا إلى أشياعهم. **فصل** في فتح انطرطوس
قال العماد: وأجمع السلطان على فتح الساحل بتلك العساكر والجحافل فرحل يوم الجمعة
رابع جمادى الأولى مغربا في آجام موحشة وآكام معطشة وحزون وسهول وشعاب وتلول
حتى خرجنا إلى ساحة الساحل ونزلنا بها وسرنا الساحل الشاحل في ثلاث مراحل حتى وصلنا
إلى انطرطوس سادس الشهر فأحدقنا بها من البحر إلى البحر فأخلى الفرنج البلد وما أحوجوا
إلى الحصر واجتمعوا في برجين عظيمين هما لانطرطوس كالقلعتين ونقلوا إليهما من الأموال
ما قدروا عليه فحصر مظفر الدين كوكبوري أحد البرجين حتى أنزلهم بالأمان ثم نقله من أساسه
وألقاه على أم رأسه وعمل دمارا ودمى في البحر أحجاره وملك جميع ما فيه وامتنع البرج

الآخر وفيه الداوية وشوكتهم ومقدمهم الذي أسر يوم حطين وأطلق لما سلم ما اشترط عليه من
البلاد ثم اجتمع بأصحابه في هذا البرج وقوله بالآن الحصر فامتنع فتحه فاشتغل المسلمون بعقبه
البلد وإخلائه وقال القاضي ابن شداد دخل السلطان الساحل على تعبيته لقاء العدو
ورتب الأطلاب وسارت الميمنة أولا ومقدمها عماد الدين زنكي والقلب في الوسط والميسرة في الأخير
ومقدمها مظفر الدين ابن زين الدين وسار الثقل في وسط العسكر حتى أتى المنزل فبتنا تلك الليلة
في بلاد العدو ثم رحل في صبيحة السبت ونزل على العريمة فلم ينازلها ولم يعرض لها ولكن أقام عليها
بقية يومه ورحل يوم الأحد ووصل إلى انطرسوس فوقف قبالتها ينظر إليها وكان في عزمه
الاجتياز إلى جبلة فاستهان بأمرها فسير من رد الميمنة وأمرها بالنزول على جانب البحر وأمر
الميسرة بالنزول على البحر من الجانب الآخر فما استتم نصب الخيم حتى صعد الناس السور وغنم العسكر
جميع من بها وما بها وخرج الناس والأسرى بأيديهم وأموالهم وترك الغلمان نصب الخيم واشتغلوا
بالنهب والكسب ووفى بقوله رحمه الله فإنه كان قد عرض عليه الغداء فقال نتغدى بانطرسوس
إن شاء الله تعالى ووصل إلى خيمته فرحا مسرورا وحضرنا عنده للهناء بما جرى ومد الطعام
وحضر الناس وأكلوا على عادتهم ورتب على البرجين الباقيين الحصار فسلم أحدهما إلى مظفر الدين
فما زال يحاصره حتى أخربه وأخذ من كان فيه وأمر السلطان بإخراب سور البلد وقسمه على الأمراء
وكان البرج الآخر حصينا منيعا مبنيا بالحجر النحيت وقد اجتمع من كان فيها من الخيالة والمقاتلة
فيه وخندقه فيه الماء وفيه جروخ كثيرة تجرح الناس عن بعد فرأى السلطان تأخيره والاشتغال
بما هو أهم منه فاشتغل في خراب السور حتى أتى عليه وخرب البيعة وهي بيعة عظيمة عندهم يحجون
إليها من أقطار بلادهم وأمر بوضع النار في البلد فاحترق جميعه والأصوات مرتفعة بالتهليل
والتكبير وأقام عليها يخربها إلى رابع عشر الشهر وسار يريد جبلة وعرض له ولده الظاهر في أثناء
طريق جبلة ومعه العساكر التي كانت تبرين **فصل** في فتح جبلة وغيرها قال ابن شداد
وكان وصول السلطان إلى جبلة يوم الجمعة ثامن عشر الشهر وما استتم نزول العسكر حتى أخذ البلد
وكان فيه مسلمون مقيمون فيه وقاض يحكم بينهم وكان قد عمل على البلد فلم يمتنع وبقيت القلعة ممتنعة
ونزل العسكر محدقا بالبلد وقد دخله المسلمون واشتغل بقتال القلعة معولين فما لا تتم عددا
لمن كان فيها وسلمت بالأمان يوم السبت تاسع عشر المحرم وأقام عليها إلى الثالث والعشرين وسار
منها يطلب اللاذقية وقال العماد بعد فتح انطرسوس وصل إلينا رحا[illegible] فرحل السلطان يوم

الاحد

الأحد رابع عشر الشهر ونزل على مرقية وقد أخلاها سكانها فخيم فيها أهل الإسلام وطاب لهم فيها المقام
وكان الطريق بينها وبين جبلة على الساحل ضيقة المسالك صعبة المراحل وهناك للفرنج الإسبتار حصن
يقال له المرقب ما يوصل إليه ولا يطرق الأعداء له وأسطول طاغية صقلية لإنجاده مقام على الفرنج في الساحل
جعل أسطوله يشتمل من الشواني على ستين قطعة تحسب كل واحدة منها قلعة أو بلدة وقدم عليها طاغية يقال
له المرغريط موصل وماض ولا يمنع ما في فرنج الساحل بما دفعوا به إذا شاء ويصحو وأمنه فإنه كان في عشرين
رجل مما جوزت إليه مير وكلف كثيرة فصار إلى صور ثم رجع إلى طرابلس وتردد في البحر وتلدد للمنع
واضطرب لشهره حتى ظهر له رأي ولا يرى له مظهرا فلما سمع بعبور عساكر المسلمين على الساحل إلى جبلة جاء
بالشواني وصفها على موازاة الطريق ومسايرة المضيق وفيها الرماة فأمر السلطان بنقل الجفاني
إلى هناك وتصفيفها وكبر ستايرها واحتبس الرماة من ورائها فما زال الأمر على ذلك والرماة ترمي
وتصمي وعامة المسلمين في سلوك ذلك المضيق حتى خفت الأثقال وعبرت الأحمال وخلص المسلمون
من ذلك الشق بغير مشقة وجازوا على مدينة يقال لها بلنياس وقد أجلى عنها الناس فخيم
المسلمون بها ثم أصبحوا على الرحيل فاعترضهم نهر عريض عميق ما فيه طريق وهو مطرد من الجبل إلى
البحر وفيه قنطرة واحدة فسلكها السلطان بالجحفل ومضى بنا إلى الجبل وأبعد حتى عبر من فوق
رأس العين وأحاطت العساكر بالنهر من الجانبين وتزاحمت الأثقال على القنطرة فما خلصوا إلى
الليلة الآخرة ونزل السلطان قبل وصول الأثقال على بلدة وهي بلدة كاسمها بلدة [illegible] من
غربي النهر على شاطئ البحر وجانبها الآخر بخندق يلتقي فيه البحران وقد أخلاها أيضا
أهلها وتفرق شملها وأصبح السلطان يوم الجمعة ثامن عشر جمادى الأولى على جبلة فتسلمها في الوقت
وذلك أن قاضيها كان قد سبق ودخلها وقرر بالنجح للمسلمين أملها فلما وصلوا أعلى الأعلام
الناصرية على سورها وخلص المسلمون بها من ساكنة الكفر وتحصن الفرنج بحصنها واحتجوا
بقلعتها فما زال قاضي جبلة يخوفهم ويرعبهم حتى استنزلهم بشرط أنه يسير بهم إلى أن يخرجوا من
أنطاكية رهائن جبلة من المسلمين فضبط عنده جماعة من رؤوس الفرنج والمقدمين حتى أعاد صاحب أنطاكية
الرهائن التي عنده ففكت بها رهائنه وتولى قاضي جبلة الأمر فاستخرج ذخائر الكفر ودفائنه واستنطقهم
من كل سلاح وعدة وخيل وقوة وجاء مقدموا الجبل سامعين مطيعين وفي الجبل على مستطرق حماه حصن
يعرف بكر أبيل وكان أهل الجبل استعادوه من الفرنج منذ سنين فتسلمه السلطان أيضا منهم ثم سلم جبلة
إلى سابق الدين عثمان صاحب شيزر وجعل قاضي جبلة وشرفه وحبس عليه ملكا وقفيا ووقفه

ونزهه في املاك ابايه وحكمه في ولاية حكمه وقضا به **فصل في فتح اللاذقية** قال ابن شداد
وهو بلد مليح خفيف على القلب غير مسور وله ميناء مشهور وله قلعتان متصلتان على تل يشرف على
البلد فنزل السلطان رحمه الله عليه يوم الخميس رابع عشري جمادى الاولى وحفظ البلد واخذ العسكر
منازلهم مستديرين على القلعتين من جميع نواحيها الا من ناحية البلد واشتد القتال وعظم الزحف
وارتفعت الاصوات وقوي الضجيج الى آخر النهار واخذ البلد دون القلعتين وغنم الناس منه غنيمة عظيمة
فانه كان بلد التجار وفرق بين الناس الليل ونجومه واصبح يوم الجمعة معاً للاجتهاد في اخذ النقوب
من شمالي القلاع وتمكن فيها النقب حتى بلغ طوله على ما حكي لي ستين ذراعا وعرضه اربع اذرع
واشتد الزحف عليه حتى صعد الناس الجبل وقاربوا السور وتواصل القتال حتى صاروا يتحاذفون
بحجارة اليد فلما راى عدو الله ما حل به من الصغار والبوار استغاثوا بطلب الامان وطلبوا قاضي
جبلة يدخل اليهم ليقرر لهم قاعدة الامان فاجيبوا الى ذلك وكان رحمه الله متى طلب منه الامان
لا يبخل به فعاد الناس الى خيامهم وقد اخذ منهم التعب فباتوا الى صبيحة السبت ودخل قاضي
جبلة اليهم واستقر الحال معهم على انهم يطلقون بنفوسهم وذراريهم ونسائهم واموالهم خلا الغلال
والذخاير والآت السلاح والدواب واطلق لهم دواب يركبونها الى مامنهم ورقي عليها العلم الاسلامي
المنصور في عشيه يوم السبت واقمنا عليه يوم الاحد سابع عشري جمادى الاولى **قال** العماد
ورحل السلطان الى اللاذقية يوم الاربعا الثالث والعشرين من جمادى الاولى فاخذناها في القرب وصبحناها
يوم الخميس وقد لاذ اهلها بقلاعها وهي ثلاث قلاع متلاصقات على طول التل متناسقات كانهن
على راس راسخ وذروة اشم شامخ فسهل الله لنا فرعها وشرعنا نستاصل اصلها وفرعها
فقطعنا السور الباهري ونصبوا على السور عشية يوم الجمعة فلما اصبحوا صعد اليهم قاضي جبلة
واخذ لهم بالامان وتسلمت تلك القلاع بما فيها من عدد وذخاير واسلحة وخيل ودواب كثيرة وامنوا
في انفسهم واموالهم وانصرفوا بنسائهم ورجالهم واطفالهم وحملوا من اثقالهم ودخل جماعة منهم
في عقد الذمة وسكنوا محل العصمة واستقل الباقون الى انطاكية وولي السلطان بها مملوكه
سنقر الخلاطي وركب السلطان الى البلد وطافه وهز الى احسانه اعطافه ولما صعدنا احنافه
ورانيه بلدة واسعة الابنية جامعة الابنية متناسبة المعاني متناسقة المغاني في كل ارجائها
رخام كل قطر بنيان لكنها مخربة وازقتها مرخمة وعقودها محكمة ومساكنها ممهدة مهندسة
وسقوفها عالية وعطوفها دانية واسواقها قاصية وافاقها مضية وارجاؤها فسيحة واهويتها

صحيحة

صحيحة لكن العسكر شعث عمارتها واذهب نضارتها ووقع بعدة من الامرا الرخام على الرخام
ونقلوا منه احمالا الى منازلهم بالشام فشوهوا وجوه الاماكن ومحوا سنا المحاسن وفي ظاهر
اللاذقية كنيسة عظيمة نفيسة قديمة بأجزاء الاجزاع مرصعة وبالوان الرخام مجزعة واجناس
تصاويرها متنوعة واصول تماثيلها متفرعة وهي متوازنة الزوايا متوازنة البنايا قد تحيرت بها
اشباح الاشباه وصورت فيها امواج الامواه وزينت لاخوان الشيطان وعبيت لعبدة الصلبان
ولما دخلها الناس اخرجوا رخامها وشوهوا اعلامها وحسروا لثامها وكسروا اجرامها واهدوا
الا تحقيد اساسها وافاضوا عليها لباس ابلاسها وحكموا فيها الغي باقلاسها وامعرت واقفرت
وخربت وتربت ثم لما طابت النفوس وتجلى عن البلد بمنحه البوس عاد الى هذه الكنيسة الايمان المانوس
وهي متنوعة مشعثة متمسكة باركانها وقواعدها متشبثة قال ولقد كثر اسفي على
تلك العمارات كيف زالت وعلى تلك الحالات الحاليات كيف حالت ولكنها دار شرور رجي
بانها عادت للاسلام مرابع وللشموس مطالع فلو بقيت بحليتها وحالتها بعدما تبدلت رشدها
من ضلالتها لتناسقت وراقت وكما افاقت فاقت ورغب في اعطاء الجزية سكان البلد من
النصارى والارمن حبا للوطن ولما اراد السلطان الرحيل دخل المدينة ودار في سككها
السكنة ودار خلال ديارها وحرق اسواقها في ساير اقطارها ووقف على البحر للنظر الى مواتيها
وشوابيها وافاصيها وادانيها وشكر الله على تمكينه من تملكها وتخصيصه بملكها وفي
كتاب عمادي الى سيف الاسلام باليمن عن السلطان قال وهذه اللاذقية مدينة واسعة وخطة
جامعة معاقلها الازام واعلامها لا تسنام وهي احسن بلاد الساحل واحصنها وازيدها اعمالا
وصيانتها وازينها وما في البحر مثل مينائها ولا للمراكب الواردة اليها مثل مرساها وسيجنه كان فيكها
اهل الجحيم وطالما مكثت بالكفر دار بوس وعادت بالاسلام دار نعيم **قال** وكانت شواني صقلية
قد قابلت في البحر اللاذقية طمعا في امتناعها فلما حانت حين نازلها وقصدت تحملها اخذ قد كبت من
تخرج من اهلها احنقا عليهم كيف سلموا البلد وسمحوا بسبلها وكان في ذلك مقتضيا لبقاء شانيها بالجزية
تؤديها ولما وقف السلطان على شاطئ البحر بعثا كبيرهم طلب مقدم تلك الشواني لامانه ليصعد ويشاهد
سلطانه فامنه فصعد وعفر وكفر وتروى ساعة وتفكر وقال ما معناه انت سلطان عظيم وملك
رحيم وقد شاع عدلك وذاع فضلك ونحن سلطانك وظهر احسانك فلو مننت على هذه الطايفة
الساحلية الخايفة لملكت قيادها اذا اعدت اليها بلادها وصاروا لك عبيدا واطاعوك قريبا وبعيدا

والاجال برورا. الجاري في عدد الامواج امواج بعد امواج وسار اليك ملوك ذوي الاقاليم من
ساير الممالك والاقاليم وهولاء اهون منهم فانزلهم واصنع عنهم فقال السلطان قد امرنا الله بتمهيد
الارض ونحن قايمون في طاعته بالفرض وعلينا الاجتهاد في الجهاد وهو الذي يقدرنا على فتح البلاد
ولو اجتمع اهل الارض ذات الطول والعرض لتوكلنا على الله في اللقا ولم نبال باعداد الاعدا
فصلى على وجهه وركب بكريه ولم يعز خطابه عن خطبه **فصل** في فتح صهيون وغيرها
قال ابن شداد رحل السلطان عن اللاذقية ظهيرة الاحد السابع والعشرين من جمادى الاولى
طالب صهيون فنزل عليها يوم الثلاثا التاسع والعشرين واستدار العسكر بها من جميع نواحيها
بكرة الاربعا ونصب عليها ستة مجانيق وهي قلعة حصينة منيعة هي في طرف جبل خنادقها اودية
هايلة واسعة عميقة وليس لها خندق محفور الا من جانب واحد مقدار طوله ستون ذراعا ولا
يبلغ وهو نقر في حجر ولها ثلاثة اسوار سوران ربضها وسور دون القلة وسور القلة وكان
في قلتها علم طويل منصوب حين اقبل العسكر الاسلامي شاهدوه وقد وقع فاستبشر بذلك المسلمون
وعلموا انه النصر والفتح واشتد القتال عليها من ساير الجوانب فضربها منجنيق ولده الملك الظاهر
وكان نصبه قبالة قرنة من سورها قاطع الوادي وكان صايب الحجر فلم يزل يضربها حتى هدم
من السور قطعة عظيمة يمكن الصاعد في السور من الترقي اليه منها ولما كان بكرة الجمعة ثاني جمادى
الآخرة عزم السلطان على الزحف وركب وتقدم وتواترت المجنيقات بالضرب وارتفعت
الاصوات وعظم الضجيج بالتكبير والتهليل وما كان الا ساعة حتى رقي المسلمون على اسوار
الربض واشتد الزحف وعظم الامر وهجم المسلمون الربض ولقد كنت اشاهد الناس وهم ياخذون
القدور وقد استوى فيها الطعام فياكلونها وهم يقاتلون القلعة وانضم من كان في الربض الى
القلعة بما امكنهم ان يحملوه من اموالهم ونهب الباقي واستدار المقاتلة حول اسوار القلعة فلما
عاينوا الهلاك استغاثوا بطلب الامان فامنهم السلطان على ان يسلموا بانفسهم واموالهم ويوخذ
من الرجل منهم عشرة دنانير ومن المراة خمسة دنانير ومن الصغير ديناران فسلمت القلعة واقام
السلطان حتى تسلم عدة قلاع كالعيذو وبلاطنس وغيرهما من القلاع والحصون تسلمها النواب
فانها كانت تتعلق بصهيون • **وقال** العماد كان الطريق الى صهيون في اوديه شعاب
ومنافذ صعاب واوعاث واوعار واعقاد واغوار واقطعنا تلك الطرق في يومين ووصلنا
ليلة الثلاثا ليلة الاثنين وخيمنا على صهيون يوم الثلاثا وهي قلعة على ذروة جبل بين واديين

عميقين

عميقين يلتفان عليها ويدوران حواليها والجانب الجبلي مقطوع منه بخندق عميق وسور وثيق
نما اليه لسوى القضاء والقدر من طريق والقلعة ذات اسوار خمسة كانها خمس هضاب ممتلية بذباب
شعاب واشد غضاب واحاط العسكر بها يوم الاربعا من نواحيها الاربع وهي ممتنعة مليئا بالركن
الامنع والسمو الامتع ونقل السلطان خيمته الى جانب الجبل وامام الملك الظاهر غازي صاحب حلب
منجنيقين ورمى بهما من جانب الوادي الى ردى الاعادي طرفين وكان له في فتح هذه القلعة
الجد العالي والجد المتوالي فانه انضاف بنا قبل الوصول اليها جمله من طريق حماه وقد استصحب
الكماة الحماة وسعة الرجال الحلبية والمنجنيقية الجرخية والجاندارية والخراسانية واستصحب
الحجارين والحدادين والنجارين فاظهر على صهيون اليد البيضا واراب في قضا العضايل واضا
وكان نازلا على جانب الوادي مقابل الحصن وشرع الحداد في الاعضاض واصبحنا يوم الخميس
وللجلاميد وقوع وللسور سجود وركوع وما زالت المجانيق من جانبه وحاشا ترمي والحنايا بانها
من المنايا تصمي حتى فل وجرح اكثر مقاتلة الحصن وهاز بهادت فيه من الوهن واصبحنا يوم
الجمعه ثاني جمدى الاخرة وبحر الحرب في امواجه الزاخرة وبطرق اصحابنا من قرنة خفيت
عليهم من الخندق لم يحكم عمارتها كان الله اعماهم عنها حتى سلك الحيف اليهم منها فتعلقوا في الصخور
وتسلقوا في السور وملكوا عليهم ثلاثة اسوار واحتووا على كل ما فيها من ذخاير وغلال
ودواب وابقار وازدحم الفرنج في القلة وتغادوا من الخوف الامن القلة وصاحوا الامان
وبدلوا الاذعان ونادوا وامكنونا من السلامة وتسلموا المكان فما اموا على المال والنفس
حتى قررنا عليهم مثل قطيعة القدس واغلق دونهم الابواب وسير اليهم النواب وما استقر
خروجهم حتى استخرج منهم القرار وجبي الدرهم والدينار وعم الصغار الكبار والصغار
وتولى ذلك شجاع الدين طغرل الجاندار ثم سلم حصن صهيون بجميع اعماله وساير ما حواه من
ذخاير واموال الى الامير ناصر الدين منكورس بن خمارتكين صاحب بوقبيس فاحكمه وحصنه
وحفظه وحشده وتسلم يوم السبت قلعة العيذو ويوم الاحد قلعة الجماهرين ويوم
الاثنين حصن بلاطنس وبدا يا كل حصن من قبله وسلكه في سلك الفتوح ونظمه قال وفتح
صهيون حصل الامن على اللاذقية وقوي الامل في فتح انطاكية فانه قفل محكم على بابها وثبت
قوي من اسبابها فعنى الرياح ووضح المنهاج **فصل** في فتح بكاس والشغر وسرما نيه
قال ابن شداد ثم رحل السلطان وسرنا حتى اتينا بكاس وهي قلعة حصينة على جانب العاصي

ولها نهر يخرج من تحتها وكان النزول بتلك المنزلة على شاطئ العاصي يوم الثلاثا سادس جمادى
الآخرة وصعد السلطان جريدة الى القلعة وهي على جبل مطل على العاصي فاحدق بها من كل
جانب وقاتلها قتالاً شديداً بالمنجنيقات والزحف المضايق الى يوم الجمعة ايضاً تاسع جمادى
الآخرة ويسر الله فتحها عنوة واسر من فيها بعد قتل من قتل منهم وغنم جميع ما كان فيها وكان لها
قليعة تسمى الشغر قريباً منها يعبر اليها منها بجسر وهي في غاية المنعة ليس اليها طريق فسلطت عليها
المنجنيقات من الجوانب وراوا انهم لا ناصر لهم فطلبوا الامان وذلك في يوم الثلاثا الثالث عشر
وسالوا ان يؤخروا ثلثة ايام لاستيذان من بانطاكية فيسر الله فتحها فاذن في ذلك وكان تمام
فتحها وصعود العلم السلطاني على قلتها يوم الجمعة سادس عشر ثم عاد السلطان الى الثقل وسير
ولده الظاهر الى قلعة تسمى سرمانيه يوم السبت سابع عشره فقاتلها قتالاً شديداً وضايقها مضايقة
عظيمة وتسلمها ايضاً يوم الجمعة الثالث عشرين الشهر المذكور فاتفق فتوحات ان حل من حلب الى
سرمانيه في ايام الجمع وهي علامة قبول دعاء خطباء المسلمين وسعادة السلطان حيث يسر له الفتوح
في اليوم الذي تضاعف فيه ثواب الحسنات قال وهذا من نوادر الفتوحات في الجمع المتوالية
لم يتفق مثلها في تاريخ ❍ **وقال** العماد سار السلطان ثاني يوم فتح صهيون على سمت الفرشية
ونزل على العاصي في طاعة الله على نزل كشفها ان فتسلم حصن بكاس يوم الجمعة تاسع الشهر وحول
خيمة حنيفة الى الجبل لحصار قلعة الشغر وهي قلة شامخة من اعلى القلل مطلة على وادٍ عميق وكان
الكفار قد احلوا بكاس من الرعب واحتموا بقلعة الشغر وهي عالية حصينة منيعة لا تصل المجانيق
اليها فاستصعب السلطان اخذها وخاف من طول الامر فبينا هو متفكر في ذلك والفرنج قد داخلهم
الرعب فارسلوا في طلب الامان واستمهلوا ثلثة ايام فكر المسلمون وفرحوا واصبحوا يوم الجمعة
والشغر شاغر والكفر صاغر فتسلمها المسلمون وتصرفوا فيها وفيما حوته من ذخاير وعدد ودواب
وانعام وانعم السلطان بها وبقلعة بكاس وتلك الاعمال على عز الدين قليج وكان هذا قليج قد سلم
كفرد بين وهو معقل حصين نكبة الارمن في ذلك الصقع وبذل في استخلاصه الوسع فولاه السلطان
تلك الحصون وخلطه بالتزام المصون وعاد الى المخيم يوم السبت وهو حسن السمت كريم النعت
قال وكان الملك الظاهر عند اشتغالنا بفتح قلعة الشغر قد نزل على سرمانيه مضايقاً لها بالحصر
فتسلمها يوم الجمعة الثالث عشري الشهر وذلك بعد قطيعة قررها وقبضها ولما اخرجهم منها دخلها
فابطل رونقها وعطلها وهدم بنيانها وهتك اركانها وما برح حتى سواها بالارض وخلطوا طولها بالعرض

قال

قال وهذه ست مدن وقلاع فتحت في ست جمع تباع جبلة واللاذقية وصهيون وبكاس
والشغر وسرمانيه واطلق بها الاسرى والنعايم العاليه فقد كان في هذه المعاقل من اسارى المسلمين
عدة ولولا فتحها لما زال عنهم تلك الشدة وهذا اقليم جبلة واللاذقية هو عين انطاكية التي فقئت
وبحرها الذي عنه جليت ولم يبق لانطاكية من الحصون سوى ثلاثة القصير وبغراس ودربساك
وقد اصبحت معدوقة الاطراف قد قطعت ايديها وارجلها من خلاف **فصل** في فتح حصن
برزيه **قال** ابن شداد ثم سار السلطان جريدة الى قلعة برزيه وهي قلعة حصينة في غاية القوة
والمنعة على سن جبل شاهق تضرب بها المثل في جميع بلاد الفرنج والمسلمين يحيط بها اودية من ساير
جوانبها ودرع علو قلعتها فكان خمسمائة ذراع وسبعا وسبعين ذراعاً ثم خرد عزمه على حصارها
بعد رويتها واستدعى الثقل من المنزل الذي تحتها وفي بكرة الاحد الخامس والعشرين من جمادى الآخرة صعد
السلطان جريدة مع المقاتلة والمنجنيقات والآت الحصار الى الجبل فاحدق بالقلعة من ساير نواحيها
وركب القتال عليها من كل جانب وضرب اسوارها بالمنجنيقات المتواترة الضرب ليلاً ونهاراً
وقاتلها حتى كان يوم الثلاثا السابع والعشرين فقسم العسكر ثلاثة اقسام ورتب كل قسم يقاتل
شطراً من النهار ثم يستريح ويتسلم القتال الآخر بحيث لا يفتر القتال عنها اصلاً وكان صاحب النوبة
الاولى عماد الدين صاحب سنجار فقاتلها قتالاً شديداً حتى استوفى نوبته وضرس الناس من
القتال وتراجعوا عنه وتسلم النوبة الثانية السلطان بنفسه وركب وتحرك خطوات على
وصاح في الناس فحملوا عليها حملة الرجل الواحد وصاحوا صيحة الرجل الواحد وقصدوا
السور من كل جانب فلم يكن الا بعض ساعة حتى رقي الناس في الاسوار وهجموا القلعة واخذت
عنوة واستغاثوا بالامان وقد علمت الايدي منهم فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا ونهب جميع
ما فيها واسر جميع من كان بها وقد كان اوى اليها خلق عظيم وكانت من قلاعهم المذكورة
وكان يوماً عظيماً وعاد الناس الى خيامهم غانمين وعاد السلطان الى الثقل واحضر بين يديه صاحب
القلعة وكان رجلاً كبيراً منهم وكان هو ومن اخذ من اهله سبعة عشر نفساً فمن عليهم السلطان
ورق لهم وانفذهم الى صاحب انطاكية استمالة له فانهم كانوا يتعلقون به ومن اهله ❍ **وقال**
العماد وصعد السلطان قلعة برزيه وانها بحصن افاميه ناجمة وله مناصفة مقاسمة وان المسلمين
من جوارها في جور وفي جور بعيد كور وصفوا علوها فركب اليها واشرف عليها فالفاها كما
وصفوها وبالغوا فيها وما انصفوها فنصب عليها المجانيق فوقعت احجارها دونها ولم تحرك

جبها

سكونها وكيف تنهد الخنساء بصخره والعنقاء بصفره وحجر الجبل بحجر ومدار الفلك بمدر
فلما راى السلطان ذلك قوي رايه على ان يفرق العسكر ثلاث فرق ويتناوبون على قتالهم زحفًا
ليتعبوهم ويضجروهم فانهم عدد محصور وهم قليل يفنى عدتهم ويقل عددهم ففعل ذلك وكانت
النوبة الاولى لصاحب سنجار والثانية للسلطان وخواصه ثم اشتدت الثالثة بالثانية
وعادت رجال النوبة الاولى وناصرت انصار الله على القتال لا تنثني الى النصر واحمدوا عاقبة
الصبر في الحصر وطلب العدو الامان وارسلوا الى السلطان وكانوا اصحابنا خالطوهم وباشطوهم
واختلطوا بهم وهناك جماعة من رماة العسكر شاعوا للناس ان السلطان يومنهم فرجع
العالم عنهم ولم ينالوا منهم فلما رد السلطان رسولهم ولم يومنهم ساق اولئك السبايا ما
قدامهم كما يسوقون اغنامهم وخانوا اخوانهم ورأوا مواحدتها بهم وتفرقوا ابا السبي ايدي سبا
وسافروا بها من العسكر الى البلاد وباعوها في سوق الكساد وتسلم السلطان حصن برزيه
ظهر يوم الثلاثاء السابع والعشرين من جمادى الآخرة وولاه الامير عز الدين ابراهيم بن الامير شمس الدين
محمد بن المقدم وهو صاحب حصن افامية مناظر برزيه وهو على الثغر وما بين الحصنين بحيرة بحر
الجانبين وصيادوها المسلمون بافامية فخلص للاسلام الثغر وسكن الدهر ال وكانت
صاحبة برزيه اخت زوجة الابرنس صاحب انطاكية وقد سبيت وخبيت فما زال يطلبها حتى
اظهروها واحضروها وزوجها وابنة لها وجماعة من اصحابها وصهرها وكانت امراة ابرنس
انطاكية تعرف بدام شبيل في موالاة السلطان عينًا له على العدو تهاديه وتناصحه وتطلعه على
اسرارهم والسلطان يكرمها لذلك ويهدي اليها انفس الهدايا فلما فتح حصن برزيه وحصل في
اسره من الجماعة واعرف بهم ايدي المسلمين تتبعهم السلطان وخلصهم من الاسر وانعم عليهم وجهزهم
وسيرهم الى انطاكية لاجل امراة الابرنس فشكرته على ذلك وادامت مودتها ونفعها للمسلمين
وفي بعض كتب البشاير العماديه آخرها فتحنا حصن برزيه الذي ضربت به الامثال
ولا مرتقى في ذروة منيفة الآمال وقد اخذناه بالسيف عنوة وفتحناه ضحوة فيالها ضحوة ليوم
الثلاثاء اطلعت على اهل التثليث والهى الله المؤمنين عن ذكر الفتوح القديمة بحديث هذا الفتح
الحديث ولو وكلنا الله الى اجتهادنا في الفتح لتعذر ولكنه سبحانه تسهل وتيسر ، ومن
كتاب فاضلي الى السلطان وصلت كتب البشارة بفتح حصن برزيه وهو الذي يضرب به الامثال
ونضرب عنه الآمال ونكاد نخرج اذا افادت ايدي انامل ازمة الخيال وكاد يدوم ساكنيه من

خطرات

خطرات الاوجال من خطوات الآجال وكان للكفر درعًا حصينة طالما كانت تهزا بالنصال
وقطعت المنية عند اهل الاسلام ودعوا ان يفتح الله جميعه بسيفه الا الد الخصام وقد كان الناس يعدون ن
مواهبه ما لا يحصى فقد لحقت بها فتوحاته فهي ايضًا لا تحصر فرحبًا بفتوح يقول عاينها
الحمد لله وخاطرها الله اكبر وما بقي الموك يستبطي خبر انطاكية بعد الفتح الا ضن فلا ادرها
وقد ولدت لكوسته ديهما ولبصره فولادها ولم يزل في نعم الله مثلها نعمة كريمة وحبيبة ولم تعرف
بعدها اللزم من نسبه ولا كونه الا انا نرجع في معرفة قدرها والاخلاص شكرها الى ما يرضيه الله شكرا
ممن نجاه الله من اهوال يوم القيامة وادخلهم دار المقامة بانهم قالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن
الحمد لله الذي صدقنا وعده الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كان آخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين ورضي ما كان منهم
ورضي عنهم واثنى عليهم بانهم اختتموا به وافتتحوا وقد شوابه وسبحوا ونعلنه بموازين اعمالهم فرجحت وجوه
ونحن نقول الحمد لله على بهجة الدنيا بمولانا ونصرتها وعلى عزة الملة به ونصرتها وعلى بهجة العاوبه ومسرتها
وعلى غنى الايدي به وميسرتها وعلى دوعة قلوب الاعداء به وحسرتها وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وفتوح مولانا
من تلك النعم وان قصرنا في شكرها فما نقصر في ذكرها وان عجزنا عن حصرها فما نعجز عن المعرفة بفضل قدرها
وتلك النعم بحمد الله منتظمة العقود مطردة السعود متوافية الرسل عامرة السبل خارقة العوائد فارعة المنابر
بالمساعد كادت العيون قبل وقوعها تلحظها وكادت المنابر لما يدرس من كتبها تحفظها فانشرح صدر
من حضرها فيستمعه ذو صدر الا انشرح وما سال الناس هل فتح الملك الناصر وانما يقال اي اسم البلد
الذي فتح من عند مولانا الحان ومن عندنا اللسان وعلينا الحمد وعلينا الحمد فهي فتوح كثمرات الجنة لا
مقطوعة ولا ممنوعة وانما الها المبرورة الى الله تعالى مرفوعة ومن قصيدة للشهاب فتيان
الشاغوري وقد تقدم بعضها لما ملكت حصون انطاكية بين القليب وحربه من مطهر
اديت كل مكبر بموحد متواضع فكبر ثليث وردت الى برزيه عرشك التي بدت بعدا عن مطلب لا يقصر لمصور
متناوله بايديها من نازح في الافق ذي مثل بروج مسير فالهند للصور فهي احسن صوره في هيكل الزبرجد
ما سور صور عاصم منه وهل سور المعاصم عاصم لسور

فصل في فتح حصن دربساك ، قال ابن شداد ثم سار السلطان حتى اتى جسر الحديد واقام
عليه اياما وسار حتى نزل على دربساك يوم الجمعة ثامن شهر رجب وهي قلعة منيعة قريبة من انطاكية
فيسر الله فتحها فنزل عليها وقاتلها قتالا شديدا بالمنجنيقات وضايقها مضايقة عظيمة واخذ النقب
تحت برج منها وتمكن النقب منه حتى وقع وهجوم بالرجال والمقاتلة ووقف في النقب رجال يحمونها

عن تصعد فيها قال ولقد شاهدتهم وكلما قتل منهم رجل قام غيره مقامه وهم قيام عوض الجدار
مكشوفين واستدل الامر حتى طلبوا الامان واشترطوا مراجعة انطاكيه وكانت الغاية ان ينزلوا بانفسهم
وشباب ابدانهم لا غير ورقي عليها العلم الاسلامي يوم الجمعة ايضا ثاني عشري رجب واعطاها علم الدين
سنجر بن حيدر وسار عنها من الغد بكرة السبت ، وقال العماد ثم عبرنا نهر العاصي الى شرقيه
عند شقيف دركوش وهو ثغر الغزاة للاسلام منيع فجزناه وخيمنا على جسر الحديد اياما حتى استكمل
العسكر راحته وتكامل ونحن بقرب انطاكيه وقد صوبنا اليها عزائمنا الناكبة ثم قلنا فدامها حصون
وحماها بجانبها مصون فاذا ذهبت معاقلها جاتنا عوالیها فنزلنا على دربساك وهو حصن للداويه
قد اعتصموا بعصمته وامتنعوا بمنعته فنصبنا عليه المجانيقات فما زالوا بحالد ون ويجلدون الى ان صار
بهم الحاق وتسلق النقابون الى الباسورة وهدوا بالنقب بدنا ودسعوا للزحف بحا فطلبوا الامان
وقدوا انفسهم بالوف فاستوا على انهم يخرجون بعوانهم وشباب ابدانهم ويدعون كل ما في الحصن من خيل وعدة
وذخيرة وغلة واثاث وقماش وذهب وفضة واجلوا ثلاثة ايام ثم اخرجوا من ديارهم وتسلم السلطان الحصن
يوم الجمعة الثاني والعشرين من رجب ، وفي بعض الكتب العماديه المكاتبه مبشرة بالفتح الاهبا
والنصر الاسنى وهو فتح دربساك الذي لم يكن لانطاكيه الا به الامتساك وقد خص الآن جناحها وفل
سلاحها وحتوفرجها وبطل افراحها وخرجت باخراج حصونها من ولايتها ارواحها وقد بقيت غرضا
للعسكر وعرضا بالاخوهر وسنخا بغير زرع وصدا غير مشروخ والكفر مفجوع بالعشق والبلد والاهل والولد
ونحن لا راحة لنا الا في هذا التعب ولا ارب لنا غير هذا الارب ولا اجتهاد لنا الا في الجهاد ولا مغرى لنا
غير الغزاة وما نرجو من الله الا انجاز العدات في جميع العداة اصبحنا يوم الثلاثاء وقد شاء صباح
الخليلين وبان صباح الموحدين وانبنا اما انهم الا ان يفيدوا نفوسهم وينزعوا من الحرب لبوسهم
ويخلعوا ابانهم ويلبسوا بؤسهم ويحوا اسباب ابدانهم وقد ادوا خمسة الآف دينار من اثمانهم ٥
فصل في فتح بغراس ، قال ابن شداد وهي ايضا قلعة منيعة اقرب الى انطاكيه من
دربساك وكانت كثيرة العدة والرجال فنزل العسكر في مرج لها واحدق العسكر بها جريدة مع انا احتجنا
في تلك المنزله الى يزك يحفظ من جانب انطاكيه لئلا يخرج منها من يهاجم العسكر وضرب يزك الاسلام
على باب انطاكيه بحيث لا يشذ عنه من يخرج منها قال وكنا ممن كان في اليزك في بعض الايام لرويته البلد
وزيارة حبيب النجار المدفون فيه عليه السلام ولم يزل يقاتل بغراس مقاتله شديدة حتى طلبوا الامان
على استيذان انطاكيه ورقي العلم السلطاني عليها في ثاني شعبان ، وقال العماد لما فتح دربساك

لم يبق لنا الا همة بغراس وقد شارف رجا اكثر الناس في فتحه الياس وهو حصن حصين ومكان
مكين هو للداويه وحار رضياعها وعاب شبابها وهو بقرب انطاكيه حصارها وحصاره سواء وللداء
دوابه دوا فنزل العسكر بين انطاكيه وبينه يتغاضون منهما للدين دينه ويسنون الغارات ويسنون
الكابات ولا يبرحون راكبين بازاء انطاكيه صغارا يرمون لها ولاهلها فتحا وحتفا ويبنون على سبيل
اليزك ويدعون العدى الى التحرك وليس بينهما الا النهر فصعد السلطان جريدة الى الجبل وامر بنصب
المجانيق حولها على تلك القلل ونقل اليها احواض الماء وروايا وبث في النواحي سراياه وفرق
على الجمع عطاياه واقمنا عليه اسبوعا تجري لنا من كل منجنيق مرمى الحجارة ينبوعا ونحن نفكر
فيما يكون ومتى تتم الحركة ويتم السكون وهذا امر يطول وتعب لا يزول اذا راينا باب الحصن
قد فتح وخرج من اخذ الامان لاهله وسلم الحصن بما فيه من الاموال وقد ذخائر من الغلة بما عيناه
عشر الف غرارة وسلمها السلطان مع دربساك الى صاحب علم الدين سليمان بن جندر وكتبت
عليه جميع ما في القلعتين من الموجود من المكيل والموزون والمعدود وكانت الغلة بانطاكيه غالية
السعر فقلت كان من تولى القلعة وقد باع الغلة وشفى من فقدها الغلة ثم اشار بتخريبها وهدمها
ولم يلتزم بحكمها وقال انها واها عزر وحفظها على المسلمين ضرر وخطر وجاء الامر لما حسبنه بعد
سنين وعاد اخلاها بمعرة المؤمنين وانه اظهر ذلك للوقت انه اخلاها وانه للتخريب خلاها فجاء
اليها مقدم الارمن ابن لاون فدخلها واثبت عمارته وكملها وذلك في سنة سبع وثمانين وهذان
الحصنان دربساك وبغراس كانا لانطاكيه جناحين ولطاغية الكفر سلاحين فتم للسلطان
فتح هذه الحصون المذكورة مع ابراج ومغارات وسعفان كثيرة حتى خلص ذلك الاقليم وتم
الفتح العظيم وعادت الكنائس مساجد والبيع معابد والصوامع جوامع والمذابح لعبدة الصلبان
مصارع **فصل** في عقد الهدنة مع صاحب انطاكيه وعود السلطان ، قال العماد كان السلطان
قد عزم على قصد انطاكيه فرأى سيم الاجناد لا سيما الغرباء قد ضعفت ونياتهم في الجهاد قد فترت
وتشوقوا الى بلادهم والراحة من جهادهم وكان صاحب انطاكيه قد اشرف على الهلاك وعلم انه ان قصد يطلب
غلب فتقدم اخار وجهه رسولا الى السلطان يسئله الهدنة على انه يطلق من عنده من اسارى المسلمين
وهم جمع كثير فعقدها معهم مدة ثمانية اشهر من تشرين الاول الى ايار ويكون انقضاء الهدنة
قبل ادراك الغلة وارتحصادها فيستريح فيها الاجناد ويعودون بعدها الى فرض الجهاد فتم دار الهدنة
وتوجه شمس الدولة بن منقذ لتخليص الاسرى وانقاذهم منهم ، قال ابن شداد وفي بقية ذلك اليوم

يعني يوم فتح بغراس وهو ثاني شعبان عاد السلطان الى المخيم الاكبر وراسله اهل انطاكيه في
طلب الصلح فصالحهم لشدة ضجر العسكر وقوة قلق عماد الدين صاحب سنجار في طلب الدستور وعقد
الصلح بينها وبين اهل انطاكيه لا غير على ان يطلقوا جميع اسارى المسلمين الذين عندهم وكان الى
سبعة اشهر فان جاءهم من ينصرهم والا سلموا البلد الى السلطان ثم رحل عنه يطلب دمشق وسأله
ولده الظاهر صاحب حلب ان يجتاز به فاجابه فدخلها حادي عشر شعبان فاقام بقلعتها ثلاثة
ايام ثم سار الى دمشق فاعترضه ابن اخيه تقي الدين واصعده الى قلعة حماه وبات بها ليلة واحدة
فاعطاه جبله واللاذقيه وسار الى بعلبك واقام بمرجها يوما ودخل حمامها ثم اتى دمشق واقام
بها حتى دخل شهر رمضان وما كان يرى تبطيل وقته عن الجهاد مهما امكنه وكان قد بقي له من القلاع
القريبه من حوران التي يخاف عليها من جانبها صفد وكوكب فراى ان يشغل الزمان بفتح المكانين
في الصوم ٥ قال العماد ودع السلطان عماد الدين صاحب سنجار والعساكر الغربيه واتحفهم
بالتحف النفيسه وازاح علل العبور على ازاح ووصل الى حلب وقد خرج كل من بها للتلقي مستبشرين
بالاقبال المضاعف المترقي وشاهدنا من النظارة عيونا للمحاسن ناظره ووجوها ناضره وقلوبا
حاضره والسنا شاكره وايديا في بسطها الى الله للابتهال بالدعاء متظاهره فاقام بقلعتها
اياما يسيره والغى ولده الظاهر قد سار فيها احسن سيره ثم سار منها على طريق المعره وقصد
زيارة الشيخ الزاهد ابي زكريا المغربي عند مشهد عمر بن عبد العزيز رحمه الله فتبرك برؤيه
الميت والحي ثم وصل الى حماه فنزل بقلعتها ومعه امير المدينه النبويه على ساكنها الصلوة والسلام
وهو عز الدين ابو فليته القسم ابن المهنا وكان في جميع الغزوات للسلطان مصاحبا وعلى معاضدة
مواظبا وما حضر معنا على بلد وحصن الا افتتحناه وكان السلطان يتيمن بحضرته ويتبرك بشيبته
وكان يحب السلطان جالسا ويلتطف عليه جانبا وكانت قلعة حماه ذات تل منبسط فلما تولاها
تقي الدين رفع تلها وعمق خندقها وحصنها فطلع السلطان تلك الليله الى القلعه وسر بما راى
من الحصانه والرفعه ووقف الملك المظفر تقي الدين في الخدمه على رسمه واصبح السلطان راحلا
ولم يلم بحمص وجاء الى بعلبك على طريق الزراعه واللبوه ووصل الى دمشق قبل رمضان واشير على
السلطان بان يريح عسكره فقد احمد في عامه موارده ومصادره واربح في سبيل الله متجره فقال ان
العمر قصير والاجل غير مامون وللفرص اوقات وللدهر افات وقد بقيت بيد الكفر هذه الحصون
وان لم نبادر الى اخذ هذه الحصون لا سيما صفد وكوكب فانهما للداويه والاسبتاريه في وسط البلاد والثغور

الاسلاميه بها واهبة الشداد مخرج وتشتو عندها وتقصد قصدهما فاذا فتحناهما خلصت
هذه البلاد وصعبت الاوراد فقال فما ابث السلطان ولا نكث ولا نقض عهد عزمه على الغزاة
ولا نكث وقال لا نبطل الغزوة ولا نعطل هذه السنوه **فصل** في فتح الكرك وحصونه
قال العماد ووردت البشرى بفتح الدرك في تسليم حصن الكرك وذلك انا في مدة غيبتنا في بلاد
انطاكيه لم نعدم من محاصرتها المضايقه الناكيه وكان الملك العادل اخو السلطان معنيا بتعنين
في العساكر محترزا على البلاد من غايلة العدو الكافر اقامه السلطان هنالك عند توجهه الى البلاد
الشماليه لقصد جبله واللاذقيه فاقام سبتين مقويا للامراء المرتبين في الحصون حافظا على الدهماء
محركه في الامور عادة السكون وكان صهره سعد الدين كمشبا بالكرك موكلا وباهله متكلا
على علو ذروته ونفى داوه معضلا وامره مشكلا حتى فنيت ازوادهم ونفدت موادهم وسئموا من نجدة
نائبهم واحلت عليهم مصايبهم ومتاعبهم فتوسلوا الى الملك العادل وابدوا له ضراعة السايل
فما زالت الرسائل تتردد والاقتراحات تتجدد والقوم يلينون والعادل يشتد حتى دخلوا الى الحكم
وخرجوا على السلم وسلموا الحصن وحصلوا بالسلامه وحصلوا بالامنه عن ذلهم عند فوتهم من الملامه
وتسلم سعد الدين بعدها الحصون التي تقربها كالشوبك وهرمز والوعيره والسلع وقال ابن شداد
وفي اثناء شهر رمضان سلمت الكرك من جانب صاحبها وخلصوه بها من الاسر وقد كان اسر في وقعه
حطين المباركه ٥ وكتب العماد في بعض البشاير بتسلم حصن الكرك وهو الحصن الذي كان طاغيته يحدث
نفسه بقصد الحجاز وقد نصب اشراكه اشراكه منه على طرق الاحتياز فاد فناه عام اول كاس الحمام وملكنا
حصنه الذي كان يعتصم به في هذا العام واضطر الكفر في اسلامه الى الاسلام وتم بحل هذا البيت امن
البيت الحرام ٥ وكتب الفاضل الى السلطان شجاعه ادام الله سلطان مولانا الملك الناصر وتبته
وتقبل عمله بقبول حسن وانبته واخذ عدوه قايلا او بيته وارغم انفه بسيفه وكبته حرفه الملوك
هذه وارده على يد فلان خطيب عيذاب ولما نابه المنزل منها وقل عليه المرتفق فيها وسمع بهذه الفتوحات
التي طبق الارض ذكرها ووجب على اهلها شكرها وحصل الى حرب على ابن اجنعه هاجر من هجير عيذاب
وملحها سارئا في لبلة امل كلها صباح فلا سال عن صبحها وقد رغب في خطابة الكرك وهو خطيب
وتوسل بالمملوك في هذا الملتمس وهو قريب وتوعر من مصر الى الشام ومن عيذاب الى الكرك وهو عجيب
والفقر سابق عنيف والمذكور ابل ضعيف ولطف الله تعالى بالخلق بوجود مولانا لطيف ودايه
على ان شاء الله تعالى **فصل** في فتح صفد قال ابن شداد ثم سار في اوايل رمضان من دمشق

بريد صفد ولم ملتفت الى مفارقة الاهل والاولاد والوطن في هذا الشهر الذي يسافر الانسان
ان كان ليجتمع فيه باهله فاتاها وهي قلعة منيعة قد اكتنفتها اودية من سائر جوانبها فاحدق
العسكر بها ونصب عليها المجانيق وكانت الامطار شديدة والوحول عظيمة ولم يمنعه ذلك من جده
ولقد كنت ليلة في خدمته وقد عين مواضع خمسة مجانيق حتى تنصب فقال لا ننام في تلك الليلة حتى
تنصب الخمسة وسلم كل منجنيق الى قوم ورسله يتواترون اليهم يخبرونه ويعرفهم كيف يصنعون حتى اتاه
الصباح وقد فرغت المجنيقات ولم يبق الا تركيب خنازيرها فرويت له الحديث المشهور في الصحاح وبشرته
بمقتضاه وهو قوله صلى الله عليه وسلم عينان لا تمسهما النار عين باتت تحرس في سبيل الله وعين بكت من خشية
الله قال ولم يزل القتال متواصلا بالنوب مع الصبر حتى سلمت بالامان في رابع عشر شوال قال
العماد لما خرج السلطان من دمشق صحبه الفاضل وجعل طريقه على مرج برغوث وعبر مخاضة الاحزان
وجاء الى صفد وقد لان من فيها من الفرنج وزادهم بعد منزلة عليها في العشر الاوسط من رمضان فضايقها
ونصب المجانيق الى ان تسلمها منهم في ثامن شوال بالامان وراح الى صور وقد كانوا عدموا القوت ووجدوا
الموت الموقوت وعلموا انهم ان لم يخرج صفد من ايديهم دخلت ارجلهم في الاصفاد فتبرموا من الحداد
والجلاد وانها كانت في عين الاسلام قذى لا يتوقع منها على الايام الا مضرة واذى فسهل الله صعبها واوطا
هضبها وكشف عن البلاد كربها وقذف في قلوب اهلها رعبها فخرجوا مذعنين واستسلموا آملين وتبرؤوا
من حصنهم وتولوا بعدوانهم ووهنهم واحضروا رهائنهم للاشتمال في بذل متاعهم وندموا على ما كان
من امتناعهم قال واجتمع الفرنج بصور ونحن نصابر حصن صفد وقالوا متى فتحت صفد فان كوكب
لا تمتنع والسلامة من حفظها تنقطع والراي ان نجرد لها نجدة فلعلها تثبت الى ان نوافيها من البحر ملوكنا
فسيروا مائتي رجل فتفرقوا في تلك الاودية يكمنون في الشعاب والهضاب واتفق ان اميرا من اصحابنا
خرج متصيدا فوقع احدهم في قنصه وحصل طائر منهم في قفصه فاستغرب وجوده في ذلك المكان
فهدده وتوعده واقامه للعذاب واقعده حتى دل على مكر دبابة فاحتوا الاصارم الدين قايماز النجمي واجاد
وقد ركبوا اليهم في آكام ذلك الشعب ووهاده فتلقطهم من كل غار ووجار ولم يبق احد من اولئك الضلال
الا تبع قرارها اسيرا ونحن على صفد للحصار حتى وصل صاحب قايماز بالاسارى مقرنين في الاصفاد مقودين
في الاقياد وكان فيهم مقدمين من الاسبتار وقد استيقنا من السلطان ما كان يبقي على احد
من الاسبتارية والداوية فاحضرا عند السلطان للمنية فانطقهما الله بما فيه حياتهما ونجاهما مما فيه
نجاتهما وقالا عند حضورهما ما نظن انا نعدم ما شاهدنا ذلك لحقنا سوء ومعرفتنا انا نفاسيك ... فقال

الى مقاتلهما وامر باعتقالهما فان تلك الكلمة حركت منه الكرم وحقنت منهما الدم وفتح الله علينا
صفد ثامن شوال حين فرغنا من صوم ستة منه بعد صوم رمضان وجمعنا بين فضيلتي الصوم والجهاد
وسلمت قلعة صفد الى شجاع الدين طغرل الجاندار واستبشرنا بانعكاس ما احكمه الكفار **فصل**
في فتح حصن كوكب **قال** ابن شداد ثم سار رحمه الله يريد كوكب فنزل على سطح الجبل
وجر العسكر واحدق بالقلعة وضايقها بالكلية بحيث لحظه موضعا يجاوزه نشاب العدو
وبنى له حائطا من حجر وطين يستتر وراءه والنشاب يتجاوزه ولا يقدر احد يقف على باب خيمته
الا ان يكون ملبسا وكانت الامطار متواترة والوحول بحيث تمنع الماشي والراكب الا بمشقة عظيمة
وعانى شدائد واهوالا من شدة الرياح وتراكم الامطار وكون العدو متسلطا عليهم بعلو مكانه
وجرح وقتل جماعة ولم يزل دأبه مركب الجد رحمه الله حتى تمكن النقب من سورها ولما احس العدو المخذو ل
بالنقب وقد تمكن من السور علم انه ماخوذ فطلب الامان فامنهم وتسلمها في منتصف ذي القعدة ونزل
الى الغور الى الثقل وكان قد انزل الثقل من شدة الوحل والريح في سطح الجبل **قال** العماد وجئنا
الى كوكب ووجدناها في مناط الكوكب كانها وكر العنقاء ومنزل العواء قد نزلتها كلاب عاوية
وبرعت بها ذئاب عاوية وقالوا الوثقى منا واحد لحفظت الاسبتار وخلصته الى الابد من العار
ولا بد من عود الفرنج الى هذه الديار فيشتد للانتظار ثم وصف القتال بالرمي والمنجنيق والنقب
والتعليق والحفر والتعميق والحصر والتضييق ثم قال وكان الوقت صعبا والغيث سكبا وتكاثر ت
السيول وتكاثفت الوحول ودامت الديم لدموعها مريقة وبقيت الخيم في الطين غريقة وكنا
في شغل شاغل من تقلع الاوتاد وتوتد الاقدام ووهاء الاطناب ووقوع الخيام وقد عادت
الخيام مناخل الانداء والانوار معرومة لوجود الانواء وما الترب مفقود مع سيول الماء والروا جل
في الطين باركة وللعلف تاركة والطرق زلقة لزقة وهي مع سعتها ضيقة فنقل السلطان
خيمته الى قرب المكان ليقرب وجوه الامكان وبني له من الحجارة ما صار له كالستارة ونزلت الاثقا ل
والخيم الى اسفل التل بالغور واقام السلطان على محاصرة الحصن ومصابرته ونحن نركب اليه من الخيام
بكرة وعشية للسلام وتنفيذ المهام حتى بلغ الرجال اماكن النقوب وتمكن لهم المطلوب فشرع الكفرة
في التذلل وسلموا الحصن بالامان وعرضه على جماعة فلم يقبل ولا نية احد سوى قايماز النجمي على كره
منه وذلك في منتصف ذي القعدة ونزل السلطان الى المخيم بالغور ومن كتاب فاضلي الى سيف
الاسلام باليمن عن السلطان مما تجدد بحضرتنا فتح كوكب وهي كرسي الاسبتارية ودار كفرهم

ومستقر صاحب امرهم وموضع سلاحهم وذخرهم وكان يجمع الطرق قاعدا وللملتقى السبيل راصدا
فتعلقت بعضه بلاد الفتح واستوطنت وسلكت طرقها وامنت وعمرت بلادها وسكنت ولم يبق
في هذا الجانب الا صور ولولا ان البحر يحلها والمراكب ترددها لكان قياديما قد امكن وجاحبها قد اذعن
وما هم بحمد الله في حصن يحميهم بل في سجن يحويهم بل هم اسارى وان كانوا اطلقا واموات وان كانوا
احيا والله تعالى فلا يعجل عليهم انما نعد لهم عدا وكان نزولنا على كوكب بعد ان فتحنا صفد بلد الداوية
وفتحنا الكرك وحصونه والمجلس السامي اعلم بما كان على الاسلام من مؤونته المثقلة وقضيته المشكلة
وعلته المعضلة والله تعالى المشكور على ما طوى من كلمة الكفر ونشر من كلمة الاسلام فان بلاد الشام
اليوم لا تسمع فيها لغوا ولا تاثيما الا قيلا سلاما سلاما فادخلوها بسلام وكان نزولنا على كوكب
والشتا في كوكبه وقد طلع من الانوا في موكبه والثلوج تنشر على الجبال ملاءها والاودية قد عجت
بمائها وفاضت عند امتلائها فشمخت انوفها سيولا وخرقت الارض وبلغت الجبال طولا والاوحال
اعتقلت الطرقات ومشى المطلق فيها مشية الاسير في الحلقات فتجشمنا العناء ورجال العسكر
وكابدنا العدو والزمان وقد نحر الخط المكابر وعلم الله النية فاعاننا بفعلها وضمن الاعانة
فاعان على حملها ونزلنا من رؤوس الجبال منازل كان الاستقرار عليها اصعب من نقلها ثم قال
والان فالمجلس السامي يعلم ان الفرنج لا يسلون عما فتحنا ولا يصبرون على ما جرحنا وانهم لعنهم الله
امم لا تحصى وجيوش لا تستقصى ويد الله فوق ايديهم وسيجعل الله بعد عسر يسرا وما هم الا كلاب قد تعاوت
وشياطين قد تغاوت وان لم يقذفوا من كل جانب استاسدوا واستكلبوا وكانوا للباطل
الداحض ابصر منا للحق الناهض وكتب المستخدمين بالاسكندرية وصاحب قسطنطينية
والثغور المغربية ينذرون بان العدو قد اجمع امرا وحاول نكرا وغضبوا زادهم الله غضبا
واوقدوا نارا للحرب جعلها الله عليهم حطبا وسلوا سيوفا للبغي لا يبعد ان يكونوا اغمادها وتواعدت
جموع صلبانهم اخلف الله ميعادها وامامنا والله يدفع ما نطيق وما لا نطيق والبيت يوعب ان تثبت
قلوبنا اذا كادت تزيغ قلوب فريق ونحن الان نستجذب اخانا وندعوه الى ما اليه دعينا ونؤمل
من الله ان يضربنا دنيا ودينا وان عزمنا اسعفنا سريعا ونجعلكم جميعا وندخره الذي كان لمثله مجموعا
وان لبينا دعوة اما ان نطيع بها ربه لانها دعوته واما ان ننصر بها نبيه صلى الله عليه وسلم فانها
شريعته واما ان نغتنم بها اخاه فانها شدة الاسلام لا شدته هنا وان كان المجلس قد قعد عنا
ولم يعدنا في مرض الايام فلا يقعد عنا في مرض الاسلام فالبدار البدار فان لم يكن الشام له بداد

فاليمن له بداد والجنة الجنة فانها لا تنال الا بانفاد الحرب على اهل العناد والهمة الهمة
فان التجار لا تلقى الا بالتجار والملوك الكبار لا تقف في وجوهها الا الملوك الكبار
وفي هذه السنة نزل على انطاكيه ونازل ولد المظفر تقي الدين طرابلس ونفذ الركاب
الملكي العادلي بمصر لانها مذكورة عند العدو وانها اطرف وان للطلب على مصر والشام تفرق
ولا غنى عن ان يكون المجلس السامي مجرا في بلاد الساحل ترجمانا وتجرد سيفا يكون على
ما فتحنا قفلا ولما لم يفتح مفتاحا وما ندعي العظيم الا العظيم وللموقف الصبر الكريم الا الكريم
هذا والاقدار جارية ومشيه الله ماضية فان يشا ينصرنا على العدد المضعف بالعدد الاضعف
فانا لا نرتاب بان الله تعالى ما فتح هذه الفتوح ليغلقها ولا جمع علينا هذه الامة ليفرقها وانما
نؤثر ان يشاهد سيدنا اولئك في مبدا تمامه مواقف الصبر ومطالع النصر ولا يؤثر ان ينقضي عمره
في قتال غير الكافر ونزال غير الكفو المناظر وانما هي سفرة فاصبر ونزحه واحده فاذا
هو قد بيض الصحيفة والوجه والذكر للحضر وللشاهد ولا اذا سيتشعرون لفراقه عما
قد عاشوا اما عاشوا ولا يجرون ان ظلمهم مع عمهم عما ۵۵ وله اليه من كتاب اخر
وكانه يعتذر اعتذاره عن الحضور المولى على حسب احتياره ان سار فتلك منة ونور وفادة
الجليل ونحن ونفع الولي وضر العدو الذي اضر وان قام فالعذر الذي فعله واشفاق
السلطان عن نصره الذي رده عن وجهه والراي الذي ردده فلا يكن في صدره من الامر
حرج ولا يخف استقصار عزمه ان ركد او خرج لمكانه مكانه من القلب ووده وده وله
من الشان جمله وهو سيف للاسلام ان ضرب حسن او صان في غمد لا زال المولى منوها باسمه
ومرفها في جسمه ومجردا سيف عزمه وسعيدا الحكم الموفق فلا خرج التوفيق عن حكمه
ومن كتاب عمادي في الديوان بفتح الكرك والشوبك وصفد وكوكب بقول
فيه والان فقد خلص جميع مملكة القدس وحدها في سلك مصر من العريش وعلى صوب الحجاز من
الكرك والشوبك ويشتمل على البلاد الساحلية الى منتهى اعمال بيروت ولم يبق من هذه المملكة
الا صور وفتح ايضا جميع اقليم انطاكية ومعاقلها التي للفرنج والارمن وحلها من اقصى اعمال جبله
واللاذقية الى بلد ابن لاون وبقيت انطاكية بمفردها والقصير من حصونها ولم يبق من البلاد التي لم
تفتح اعمالها ولم تخل عما كانت عليه حالها سوى طرابلس فانها لم يفتح منها الا مدينة جبيل وقد بحثت عليها
المهلة الذليل ومعاقلها باقيه وليس لها من عذاب الله الواقع واقيه والخادم الان على التوجه اليها

وعزم النزول عليها وانه قد رتب الجانب الغربي والبلد القدسي وبحر الغور من حد جبيل الى عسقلان
بالرجال والالات والعدد والعدد المتواصل المدد ورتب فيها ولده الافضل عليا لحمايتها وحفظ
ولايتها وقلد العزيز عثمان ولاية مصر ومملكة اقاليمها ليهذب احوالها ويقومها فصل في باقي
حوادث هذه السنة قال العماد ولما فرغ السلطان من فتح القلاع ونزل الى الوادي من التلاع
جدد للاجل الفاضل عزم مصر فركب السلطان معه للوداع ثم تحول الى صحراء بيسان واقام بها الى مستهل
ذي الحجة ثم رحل يوم الجمعة مستهل الشهر ومعه اخوه العادل وسلك طريق الغور الى القدس ووصله
يوم الجمعة من الشهر وهو يوم التروية وصلى الجمعة في قبة الصخرة وعيد بها يوم الاحد الاضحى وسار يوم
الاثنين الى عسقلان للنظر في مهامها ونظم اسباب احكامها ثم اذن للعادل في العود الى مصر لمشاملة
ولده العزيز ووعده واعطاه الكرك واخذ منه عسقلان وقال ابن شداد ورحل الى سمت عكا بعسكر موفقا
في مورده ومصدره فما عبر ببلد الا قوي عدده وكثر عدده وانفصل العماد عن خدمته الى دمشق عند
رحيله من بيسان لعارض مرض سلبه الامكان وما زال منفصلا عنه الى ان وصل السلطان دمشق بعد
شهرين مستهل صفر من السنة الجديدة وفي هذه السنة في الثالث والعشرين من رمضان توفي الامير
مجد الدين مؤيد الدولة اسامة بن مرشد بن علي بن منقذ وكان مولده بشيزر سنة ثمان وثمانين واربعمائة
فبلغ عمره ستا وتسعين سنة وفيها في الثامن والعشرين من جمادى الاولى توفي الحافظ ابو بكر محمد بن موسى
ابن عثمان بن حازم الحازمي الهمداني ببغداد صاحب التصانيف على صغر سنه كالعجالة والناسخ وغيرهما
ومولده سنة ثمان او تسع واربعين وخمسمائة رحمهما الله قال العماد ووصل كتاب من مصر ونحن على
حصار صفد ان اثني عشر رجلا اعلنوا بشعار اهل القصر ودخلوا من باب زويلة الى قرب الصياقلة
يجذبون السيوف لاعادة الدولة الزاهقة ونصرة الدعوة الباطلة وهم ينادون يا آل علي وفي زعمهم انهم
يقبلون بالصولة ويعلون للناس لباس الدولة ويخالون انهم اذا ثاروا اثاروا واذا داروا اداروا
فما اكترث بهم مكترث ولا انبعث اليهم منبعث فلما تحققوا انهم لا مجيب لهم ولا داع تفرقوا الى الدروب
واضمحلوا وكانوا اعتقدوا على الوفا فانحلوا ثم اخذوا ووقذوا واعتقلوا ولم يستبعدوا ولما علم
السلطان بنبا الامر عراه الهم وتضجر من غلا بابدين وبنو دمصر وقال الذي نخجل منهم هنا وهم
بطردهم وردعهم وكان قد وفد الى الباب السلطاني جماعة من اولاد الوزرا المصريين والامرا المقدمين
ومن اهل المعروف المعروفين ووافق ذلك دخول الفاضل اليه فاخبره بالخبر فقال له يجب ان نشكر الله
على هذه النعمة فقد عرفت عصابة طاغية عن عينك ووافقه بياتهم لبيتك البيت لم يلبث دعوتهم احد ولم يكن من

ورآيهم

ورآيهم مدد فطلب بعضنا ولد عمرك لك عند الله انشا فقال السلطان كان الملوك قبلي تخافهم وتقهر ب
منهم الرعية وتتوقع منهم البلية والآن قد تكاثروا علينا وتوافدوا الينا حتى اضجرونا واملونا
ونفرونا فادركنا او نزلنا نعاوذوا بالقصص وساورونا بالقصص فقال له انت اولى بشكر
الله على هذه العارفة كان قصر صاحب القصر واشياعه وخدامه واتباعه وامرائه وخواصه
وذوي استخلاصه وحاشيته والزامه كل من كان يربع الخلق في رياض انعامه وكان له الشام في كل بلد وال
وصاحب له على اهله نعم ومواهب وملوك يلوذ بهم الاقارب والاجانب واليوم انت سلطان الجميع
وقد رد الله الامان في تلك الصنائع كلها اليك الا من حسن الصنيع وقد اجتمع اولئك المتفرقون
في بابك ووفدوا الى جنابك فلا يجدون بعد الله الا وجودك فاكرم وفودك فاعتز وردف بالدموع
عيناه وما السماح بداه واقسم انه من عاش لا يرد قاصدا ولا يصد وافدا ويتقدم في الحال بقضاء حقوق
الوافدين وانجاح آمال القاصدين وكتب الي السلطان في هذا المعنى ابو الفتح سبط التعاويذي
فلا يضجرك ازدحام الوفود لديك وكثرة ما انبذل وقد قل في اهله المنعمون وقد كثر اليائس المرمل
فانك في زمن ليس فيه جواد سواك ولا مفضل وما فيه غيرك من سماح ولا فيه الا من يسال
وقرات رقعة بخط الفاضل المملوك ينهي وصول الكتاب الجويني وقد كاد يهلك من لهب الحر
والمشقة في السهر وكيف يكون حال ابن السبعين مع المرض اللازم والقولنج الدائم ومحاقة الاعضا
وضعف القوة واستشعار انقطاع الرزق الذي هو نظير انقطاع العمر وما اظن ان الله اجرى على
يد المولى ولا فرح عدوا له بان ينقطع رزق مثل هذا البقية الحسنة والضيف الراحل والاديب
الفاضل في ايام مولانا التي هي تاريخ الكرم ومواسم النعم وفي اخريها وما احب ان يعلم المولى ان
ارزاق ارباب العمايم في دولته اقطاعا وادرارا يتجاوز مائتي الف دينار ادرها الله وربما كانت
تلتمائة الف دينار وربما كانت بالخط الفلاحي وقفت على رقعة القاضي الفاضل وما انقطع لاجل
رزق ان شا الله بل هي صلات تجري مثله الغريم المنكسر يرضى لبدا المال ذا وعلى الجملة ما تقدمت
بقطع احد والورقة قد علمت فيها الكتب فيها الذي لهما ولغيرهما ان شا الله تعالى كان في آخر الرقعة
ذكر الجمال الحنفي كانه كان له حاجة الجويني رحمهم الله ثم دخلت سنة خمس وثمانين
قال العماد والسلطان في عكا نافذ الامر نابه القدر واحكم امرها وكشف ضرها واستحضر جماعة
من مصر يحمي بهم الثغر فما انفصل حتى وصلوا واتبعوا امره وامتثلوا وتقدم الى بهاء الدين قراقوش باتمام
العمارات وولى حسام الدين بشاره وعول عليه في الولاية والحفظ والحماية وقال ابن شداد اقام بعكا معظم

المجد يصلح احوالها ورتب فيها بهاء الدين قراقوش والبنا وامره بعمارة السور والاطناب فيه ومعه
حسام الدين بشارة وسار يريد دمشق فدخلها مستهل صفر قال العماد وولي ملوكه فارس الدين
كشتغدي شهرزور واعمالها وكان قد تزوج باخت عز الدين حسن بن يعقوب بن قفجاق فولاه
ذلك لقرب الولاية القفجاقية من الشهرزورية وقصد حصول المناصرة عند المضاهرة قال وحكم
السلطان بدر الدين مودود في ولاية دمشق وجدد له منشورًا بانشائي وفيه وقد قلدناه امر
دمشق واعمالها وجهاتها والجزى والزكوات وكل ما يجري في الديوان وما يبتاع للخزانة
وولاية المرج والغوطة وما يضاف اليها من الاعمال وولاية الجبل ووادي بردى وسوس وتولي
البحيرات وحفظ الطرقات ثم رحل السلطان الى طبرية فالحقها بمعدلته العمرية ثم وصل واقام
بدمشق بقية صفر ووجه الدين به قد سفر وعز من آمن وذل من كفر وبدا لحضور دار العدل وحكم
بالشرع المطهر ووصل في ثاني عشر صفر رسول الديوان ضياء الدين عبد الوهاب بن سكينة والوزير
يومئذ مؤيد الدين ابو جعفر بن ... بامر للخطبة لولي العهد عدة الدين ابي نصر محمد بن الناصر فاستقبله
السلطان واولاده وامراؤه واجناده وخطب له بذلك يوم الجمعة ثالث عشر صفر خطيب دمشق
ضياء الدين ابو القسم عبد الملك بن زيد الدولعي فلما انقضت الخطبة وعاد الرسول سير السلطان
معه رسوله ضياء الدين القسم بن يحيى الشهرزوري وسيرت معه الهدايا والتحف السنايا واسارى
الفرنج الفوارس وقدمها النفايس وتاج ملكهم السكب والملبوس والطيب والصليب وهو
الذي كان فوق قبة الصخرة المقدسة ليدل على تطهير ما كان هناك من الاسباب المدنسة وشاد
الضياء ان رسولهم ورسول السلطان ودخلا بغداد واسارى الفرنج على هيئتها يوم قراعها راكبة
حصنها في طوارقها وبأرماحها وادراعها قد نكست بنودها وانعست انوفها وهيئت على هيئة
فنوحها حتوفها قلت وقال ابن القادسي قدم ابن الشهرزوري ومعه صليب الصلبوت
الذي يعظمه النصارى فدفن تحت عتبة باب النوبي الشريف ... منه شي قليل وكان من نحاس وقد
طلي بالذهب فجعل يداس بالارجل ويبصق الناس عليه وذلك في سادس عشر ربيع الآخر كذا
قال صليب الصلبوت وقد نص العماد في البرق على انه الصليب الذي كان فوق الصخرة وهذا
غير ذلك والله اعلم ثم ان الخليفة الناصر اعتقل ابنه هذا بعد مدة في سنة احدى وستمايه
واراده على خلع نفسه من ولاية العهد ففعل واشهد على نفسه بذلك ثم قضى الله سبحانه ان
اعاد اليه ولاية العهد في اواخر عمره فخطب له بذلك ونقش اسمه على الدينار والدرهم الى ان

توفي

الناصر سنة اثنتين وعشرين وتولي بعده فاقام نحو تسعة اشهر ولقب الظاهر ثم توفي وولي ابنه
المستنصر المنسوب اليه المدرسة ببغداد ثم توفي سنة اربعين وولي ابنه المستعصم بالله وهو الخليفة
الآن والله المستعان **فصل** في فتح شقيف ارنون قال ابن شداد وهو موضع
حصين قريب من بانياس خرج السلطان من دمشق بعد صلوة الجمعة في الثالث من ربيع الاول
وسار حتى نزل في مرج فلوس ورحل من الغد يوم السبت في مرج برغوث فاقام به والعساكر
تتابع الى الحادي عشره ورحل الى بانياس ومنها الى مرج عيون فخيم به وهو قريب من شقيف ارنون ن
بحيث يركب كل يوم ويشارفه ويعود والعساكر تجتمع وتطلبه من كل صوب فلما قمنا اياما نرى
كل يوم من يشارف الشقيف والعساكر الاسلامية في كل يوم تصبح متزايدة العدد والعدد وصاحب
الشقيف يرى ما يحل معه علم السلطان فراى ان اصلاح حاله معه قد امن طريقا الى سلامته فنزل
بنفسه وما احسسنا به الا وهو قايم على باب خيمة السلطان فاذن له فدخل فاحترمه واكرمه
وكان من كبار الفرنج وعقلائها وكان يعرف العربية وعنده اطلاع على شيء من التواريخ والا حاشية ١٤
قال وبلغني انه كان عنده مسلم يقرا له ويفهمه وكان عنده تأن فحضر بين يدي السلطان
واكل معه الطعام ثم خلا به وذكر انه مملوكه وتحت طاعته وانه يسلم المكان اليه من غير تعب
واشترط ان يعطى موضعا يسكنه بدمشق فان بعد ذلك لا يقدر على مساكنة الفرنج واقطاعا بدمشق
يقوم به وباهله وانه يمكن من الاقامة بموضعه وهو يتردد الى الخدمة ثلاثة اشهر من تاريخ اليوم
الذي كان فيه حتى يتمكن من تخليص اهله وجماعته من صور وياخذ مغل هذه السنة فاجيب الى
ذلك كله واقام يتردد الى خدمة السلطان في كل وقت ويناظرنا في دينه ونناظره في بطلانه
وكان حسن المحاورة متادبا في كلامه ثم استماض بين الناس ان صاحب شقيف فعل ما فعله
من المهلة غيلة لا انه صادق في ذلك وانما قصد به تدفيع الزمان وظهرت لذلك مخايل
كثيرة من الخوض في تحصيل الميرة واتفاق الابواب فراى السلطان ان يصعد الى سطح الجبل
ليقرب الى المكان ويمنع من دخول نجدة وميرة اليه واظهر ان سبب ذلك شدة حمو الزمان والقذار
من وخم المرج فنزل صاحبه وسأل ان يمهل تمام السنة فماطله السلطان وما آيسه وقال يتفكر
في ذلك ويجمع الجماعة وناخذ رايهم ثم وكل به من حيث لا يشعر الى ان كان من امره ما سنذكره
قال وفي اثناء ربيع الاول وصل الخبر بتسليم الشوبك وكان قد اقام السلطان عليه جمعا
عظيما يحاصرونه مدة سنة حتى فرغ زادهم وسلموه بالامان وقال العماد وكان

الشقيف في يد صاحب صيدا ارناط وقد اكمل شيء في حفظه الاحتياط فنزل الى خدمة السلطان
وسال ان يمهل ثلاثة اشهر يتمكن فيها من نقل من بصور من اهله واظهر انه محترز من علم المركيس
بحاله فلا يسلم من جهله وحسن فيسلم الموضع بما فيه ويدخل في طاعة السلطان ويراهنه ويحكمه
على اقطاع يعينه وعن جناب اهل دينه يتلطفه فاكرمه وقربه وقضى اربه واجابه الى ما سأله وقبل منه
عذرا ما ابداه بذله واقنع بقوله ولم ياخذ رهينه ووجد اليه سكونا وسكينه فشرط ارناط
في ازالة حصنه وازالة وهنه وترميم مستهدمه وتوفير غلاله وتدبير احواله وتحري غره من
محفظه وفي سنه من تيقظه وكان يبتاع من عسكرنا الميره ويكثر فيه الذخيره وقد اضمر الغدر
وطرا له النصر والسلطان حسن الظن به يحمل صدق الواشي به على كذبه وكان انتهاء المده يوم الاحد
ثامن عشر جمادى الآخره واقام السلطان بالمرج ينتظر انسلاخ الهدنه وتسليم الحصن ويخاف ان فارقه
ان يجي امداد الفرنج اليه وكان مستقرا ايضا من جانب انطاكيه لانتهاء اشهر هدنتها فكتب الى تقي الدين
بالمقام في تلك الخطه وسير به الملك الفقيه عيسى ولم يستدع الاصحاب امن قطب الدين ابن قزل
ارسلان نجا في امداده واعداده ولازم السلطان فلما قرب انتهاء مدة الشقيف احضره السلطان
فتضرع وقال ان قومي الى الآن لم يخلصوا من صور وقد بعثت فاتمم وسال ان يكون المهله سنه
فعرف السلطان من فحوى الخطاب امارات الارتياب فكلمه بايناس وما رده بياس فارخى طوله وارجا
امله وامر السلطان بتحويل الخيم الى ظهر الجبل ليقرب من الحصن وقد بقي من الهدنه يومان فصور صاحب
الحصن فقيل له نقيم عندنا في كنف الامان فبكى وتالم من ضبطه وانكشفت سريرته الغادره فامر بحمله
الى الشقيف حتى يسلمه ووكل به وحفظ من حيث لا يعلم وقيل لعله يحن ولا يجنح الى المغالطه ويسلم
ثم قيل له قد بقي يومان من المده نقيم حتى ينتهي وتسلم لجاء في ضرورة وضراعه وقال سمعا وطاعه
وكان له ملق وملق وفي لسانه ذلق وما عنده من كل ما يعرف منه فرق وقال انا اقدر الى نواب في التسليم
وهو قد تقدم اليهم بالوصيه والتعليم فاظهروا عصيانه وقالوا نبقي مكانه فقيد وحمل الى قلعه
بانياس وبطل الرجا فيه وبان الياس ثم استحضر في سادس رجب وهدده وتوعده فلما لم يفد
خطابه ولم يجد عذابه سيره الى دمشق وسجنه ورتب عنده من الامرا بملازمة حصن الحصن في الصيف
والشتا الى ان تسلمه بعد سنه على السلم واطلق صاحبه واجرى عليه حكم الحلم **فصل** وفي
مدة مقام السلطان بمرج عيون لمحاصرة شقيف ارنون اجتمعت الفرنج وجرت لهم مع المسلمين
وقايع • قال ابن شداد كان السلطان قد اشترط على نفسه حين تسلم عسقلان انه ان امر الملك

من بها بتسليمها اطلقه فامرهم بتسليمها وتسلمها وطالبه الملك باطلاقه فاطلقه ووفا بالشرط
ونحن على حصن الاكراد اطلقه من انطرطوس واشترط عليه ان لا يشهر في وجهه سيفا ابدا
وانه يكون مملوكه وطليقه فنكث لعنه الله وجمع الجموع واتى صور وطلب الدخول اليها فختم
في بابها راجع المركيس الذي كان بها في ذلك وكان المركيس اللعين رجلا عظيما ذا راي وباس
شديد وصرامة عظيمة فقال له اني نايب الملوك الذين وراء البحر وما اذنوا لي في تسليمها اليك
وطال بينهما المراجعه واستقرت القاعدة بينهما على ان يتفقوا جميعا على المسلمين وجمع العساكر
التي بصور وغيرها من الفرنجيه على المسلمين وعسكروا على باب صور ولما كان يوم الاثنين سابع
عشر جمادى الاولى بلغ السلطان من جانب اليزك ان الفرنج قد قطعوا الجسر الفاصل بين ارض صور
وارض صيدا وهي الارض التي عزموا عليها فركب السلطان بعسكره نحو اليزك فوصل وقد انفصلت
الوقعه وذلك ان الفرنج عبر منهم جماعة الجسر فنهض اليهم يزك الاسلام وكانوا في عدة وقوة
فقاتلوهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا وجرحوا اضعاف ما قتلوا ورموا في النهر جماعة فغرقوا
ولم يقتل من المسلمين الا مملوك للسلطان يعرف بايبك الاخرش وكان شجاعا باسلا مجربا للحرب
ممارسا فتقنطر به فرسه فلجا الى صخرة فقاتل بالنشاب حتى فني ثم بالسيف حتى قتل جماعة
ثم تكاثروا عليه فقتلوه • وفي يوم الاربعا تاسع عشر جمادى الاولى ركب السلطان يشرف
على القوم على عادته فتبع العسكر خلق كثير من الرجالة والغزاة والسوقية غرض رحمه الله في
ردهم فلم يفعلوا وخاف عليهم فان المكان كان حرجا ليس للراجل فيه ملجأ ثم هجم الرجالة الى الجسر
وناوشوا العدو وعبر منهم جماعة اليهم وجرى بينهم قتال شديد واجتمع لهم من الفرنج خلق عظيم
وهم لا يشعرون وكشفوهم بحيث علموا انه ليس وراءهم كمين فحملوا عليهم حملة واحدة على غرة من
السلطان فانه كان بعيدا منهم ولم يكن معه عسكر فانه لم يخرج للقتال وانما ركب مستشرفا عليهم
على العاده في كل يوم ولما بان له الوقعه وظهر له غبارها بعث اليهم من كان معه ليردوهم
فوجدوا الامر قد فرط والفرنج قد تكاثروا حتى خاف منهم السريه التي بعثها السلطان وظفروا
بالرجالة ظفرا عظيما واسروا جماعة وعدة من قتل من الرجالة في ذلك اليوم وكان عدد الشهداء
مائة وثمانين نفرا وقتل من الفرنج ايضا عدة عظيمه وغرق ايضا منهم عدة وكان ممن قتل منهم
مقدم الالمانيه وكان عندهم عظيما محترما واستشهد في ذلك اليوم من المعروفين من
المسلمين الامير غازي بن سعد الدين مسعود الصارو وكان شابا حسنا شجاعا واحتسبه

والاه في سبيل الله ولم تقطر من عينه عليه دمعة على ما ذكره جماعة لازموه قال وهذه الوقعة
لم يتفق للفرنج مثلها في هذه الوقايع التي حضرتها وشاهدتها ولم ينالوا من المسلمين مثل هذه
الوقعة في هذه الوقعة في هذه المدة ولما راي السلطان ما حل بالمسلمين من هذه الوقعة البادرة
جمع اصحابه وشاورهم وقرر معهم انه يهجم على الفرنج ويعبر على الجسر ويقاتلهم ويستاصل ساقتهم
وكان الفرنج قد رحلوا عن صور ونزلوا قرب الجسر وبين الجسر وصور مقدار فرسخ وزايد على فرسخ
فلما صمم العزم على ذلك رحل الفرنج عايدين الى صور ملتجين الى صورها فراي رحمه الله ان يسير
الى عكا ليحفظ ما بقي من سورها ويحث على الباقي فراح على سبين ولم يرجع على مرج عيون فمضى
الى عكا فرتب احوالها وعاد الى العسكر بمرج عيون منتظرا امهلة صاحب الشقيف ولما كان
يوم السبت سادس جمادي الاخرة بلغه ان جماعة من رجالة العدو ينبسطون ويصلون الى
جبل بين يحطبون في طلب من رجالة المسلمين وما جرى عليهم امر عظيم فراي ان يقرر واعد كمين
يرتبه لهم وبلغه ان يخرج وراهم ايضا خيل يحفظهم فعمل كمينا يصلح للقاء العدو ثم انفذ
الى عسكر يبين ان يخرجوا في نفر يسير عابرين على تلك الرجالة وان خيل العدو اذا نهضهم ينهزمون
الى جهة عينها لهم وان يكون ذلك صبيحة الاثنين ثامن جمادي الاخرة وارسل الى عسكر عكا
يسير حتى يكون وراء عسكر العدو حتى ان تحركوا في نصرة اصحابهم قصدوا خيمهم وركب
هو وحمله الى الجهة التي عينها لهزيمة عسكر يبين حتى قطع تبنين ودبر العسكر بها نية الطلاب
واستخرج من كل طلب عشرين فارسا وامرهم ان يتراوا للعدو حتى يظهروا اليهم ويناوشوهم
ويهربوا من ايديهم حتى يصلوا الى الكمين ففعلوا ذلك فظهر لهم من الفرنج معظم عسكرهم
يقدمهم الملك لعنه الله وجرى بينهم وبين هذه المرتبة اليسيرة قتال شديد والزمت المرتبة
القتال وانفوا من الانهزام من ايديهم وحملتهم الحمية على مخالفة السلطان وانضل الحرب بالسلطان
في اواخر الامر وقد هجم الليل وبعث بعوثا كثيرة فعاد الفرنج ناكصين على اعقابهم وقتل من
الفرنج عشرة انفس ومن المسلمين ستة اثنان من الترك واربعة من العرب منهم الامير زامل
وكان شابا تاما حسن الشباب يتقدم عشيرته وكان سبب قتله انه تقطرت به فرسه ففداه
ابن عمه بفرسه فتقطرت به ايضا واسر هو وثلاثة من اهله فلما ابصر الفرنج مدد العسكر فلوهم
خشية الاستنجاد وجرح خلق كثير من الطائفتين وخيل كثيرة قال ومن نوادر هذه الوقعة
ان مملوكا من مماليك السلطان يقال له ايبك الحزي اتخراج حتى وقع بين القتلى وجراحاته

تشخب دما وبات ليلة اجمع على تلك الحال الى صبيحة يوم الثلاثا فتفقده اصحابه فلم يجدوه فعرفوا
السلطان فقدمه فانفذ من يكشف عن حاله فوجدوه بين القتلى فحملوه الى المخيم وعافاه الله وعاد
السلطان الى المخيم يوم الاربعا تاسع الشهر فرحا مسرورا • قال العماد اجتمع من كان سلم
من الفرنج وجاؤا على ملكهم الذي خلص من الاسر والواحد في جمع حارج عن الحصر وقد تواصلت
الينا امداد البحر فترنبا المتاد واعربنا من هذا العار وجاء من كان بطرابلس وخيموا على صور
واتفقوا على انهم يقصدوا البلد اسلاميا من الساحل ويقيمون عليه والمراكب مدهم من صور بالمدد
والعدد ثم جاء الخبر انهم على قصد صيدا للحصر وقد خرجوا على عبور الجسر ووقعت عليهم اليزكية
فردوهم ووقع في الاسر من شجعانهم سبعة فحملوا الى سجن دمشق ثم ذكر قتلهم للغزاة المطوعة
على الجسر وقال لم يصب الكفار من المسلمين ما اصيبوا غير هذه الكرة واذاقونا بعد ان حلا لنا
حلا الفتوحات مرارة هذه المرة فانقطنا الله من رقدة العزة واخذ الناس جدهم وقالوا
بهذا وعد الله حيث قال يقتلون ويقتلون وعباده هم الذين يبتغون امره ويقتلون
ثم ذكر وقعة الكمين وكان مع المسلمين اربعة من امراء العرب فحملوا كما رسم السلطان على
عزم الطراد ليقصدوا الكمين وسلكوا اسفل الوادي وانما الطريق اعلاه ولاخبرة لهم بتلك
الارض فعرف الفرنج انهم ضايعون فطاردوهم وردوهم الى المضيق واعتنق العرب من الهزيمة
فاستشهدوا وكان معهم مملوك السلطان يقال له ايبك الشاعي فاعتزل الى صخرة واحتمى بها وكث
كانته ورماهم بنشابها وهم لا يقدرون على الاقتحام اليه بالخيل فرموه بالزنبورك حتى كثرت
فيه الجراحات وظنوا انه قد مات ووصل الخبر الى المسلمين فادركوهم ووقفوا على الشهداء وهم
وجاءوا الى ايبك فوجدوا فيه الروح فنقلوه الى الخيام وهم يظنون انه الخلاص له من الحمام
وكان في اجله باقية فمن الله عليه بالعافية فصل في نزول الفرنج خذلهم الله تعالى على
عكا • قال القاضي بن شداد ثم بلغنا بعد ذلك ان الفرنج بصور ومن كان مع الملك قد ساروا
نحو النواقير يريدون جهة عكا وان بعضهم نزل باسكندرية وجرى بينهم وبين رجالة المسلمين
مناوشة وقتل منهم المسلمون نفرا واسروا واقاموا هنالك ولما بلغ السلطان حركتهم الى تلك الجهة
عظم عليه ولم ير المبادرة خوفا من ان يكون قصدهم ترحيله عن الشقيف لا قصد المكان فاقام مستكشفا
للحال الى يوم الاحد ثاني عشر رجب فوصل قاصدا اخبر ان الفرنج ذلك اليوم رحلوا ونزلوا على نصبة
ووصلوا اليهم الى الدر فعظم ذلك عنده وكتب الى سائر ارباب الاطراف بالمسير اليه

وهم

وتقدم الى الثقل ان سار بالليل واصبح هو يوم الاثنين حادي عشر رجب سائرا الى عكا على طريق
طبرية اذ لم يكن ثم طريق يسع العسكر الا هو وسير جماعة على طريق تبنين حتى يشرفون العدو ويواصلون
باخباره وسار حتى اتينا الحوله منتصف النهار ونزل بها ساعة ثم رحل وسار طول الليل حتى اتى
موضعا يقال له منية صبيحة الثلاثا وفيه بلغنا نزول الفرنج على عكا وسير صاحب الشقيف الى
دمشق بعد الاهانة الشديدة على سوء صنعه واشتد حنقه عليه بسبب تضييع ثلاثة اشهر عليه وعلى
عسكره لم يعملوا فيها شيا وسار السلطان جريدة من المنية حتى اجتمع ببقية العسكر الذي كان ابقاه
في طريق تبنين بمرج صفورية فانه كان واعدهم اليه وتقدم الى الثقل ان يلحقه الى مرج صفورية
ولم يزل حتى شارف العدو من الخروبة وبعث بعض العسكر فدخل عكا على غرة من العدو وتقوية لمن
فيها ولم يزل يبعث اليها بعثا بعد بعث حتى حصل فيها خلق كثير وسار من الخروبة الى تل كيسان
في اوايل مرج عكا فنزل عليه وامر الناس ان ينزلوا على التعبية وكان آخر الميسرة على طرف النهر الحلو
وآخر الميمنة متقارب تل العياضية واحتاط العسكر الاسلامي بالعدو واخذوا عليهم الطرق من
الجوانب وتلاحقت العساكر الاسلامية واجتمعت ورتب اليزك الدائم وحصر العدو في خيامه بحيث
لا يخرج منهم احد الا يجرح او يقتل وكان عسكر العدو على شطر من عكا وخيمة ملكهم على تل المصلبين قريبا
من باب البلد وكان عدد راكبهم الفي فارس وعدد راجلهم ثلاثين الفا قال وما رايت من نقصهم عن
ذلك ورايت من حزرهم بزيادة على ذلك ومددهم من البحر لا ينقطع وجرى بينهم وبين اليزك مقاتلات
عظيمة متواترة والمسلمون يتهافتون في قتالهم والسلطان يمنعهم من ذلك الى وقته والبعوث من عساكر
المسلمين تتواصل والملوك والامراء من الاقطار تتتابع ووصل تقي الدين من حماه ومظفر الدين ابن زين الدين
وفي اثناء هذه الحال توفي الحاج الحسام سنقر الخلاطي بانسهال شديد وكان شجاعا دينا فاسف
المسلمون عليه ولما استفحل امر الفرنج استداروا بعكا بحيث منعوا من الدخول والخروج منها وذلك
سلخ رجب عظم على السلطان وضاق صدره وبادرت همته العالية في فتح الطريق الى عكا لتستمر
السابلة اليها بالميرة والنجدة فذاكرهم مستهل شعبان وضايقهم مضايقة شديدة وكانت الحملة
بعد صلوة الجمعة وانتشر عسكر العدو الى ان ملكوا التلول وكانت ميسرة عسكرهم الى البحر الحلو واخذة
الى البحر وميمنتهم قبالة القلعة الوسطى التي بعكا واتصلت الحرب الى ان حال بين الفئتين هجوم الليل
وبات الناس على حالهم من الجانبين شاكين في السلاح تحرس كل طايفة نفسها من الاخرى واصبحوا
ثاني شعبان يوم السبت على القتال وانفذ السلطان طايفة من شجعان المسلمين الى البحر من شمالي عكا

ولم يكن هناك للعدو خيم لكن عسكره كان قد امتد جريدة شمالي عكا الى البحر فحمل شجعان المسلمين على
عسكر الفرنج الواقف شمالي عكا فانكسروا بين ايديهم كسرة عظيمة وقتلوا منهم جمعا كثيرا
والتجا السالمون منهم الى خيامهم وهجم المسلمون خلفهم الى اوايل خيامهم ووقف اليزك الاسلامي
مانعا من ان يخرج من عسكرهم خارج او يدخل اليه داخل وانفتح الطريق الى عكا من باب القلعة
المسماة بقلعة الملك الى باب قراقوش الذي جدده وصار الطريق مهيعا فيه السوقي ومعه الحوائج
ويمر به الرجل الواحد والمراة واليزك بين الطريق وبين العدو ودخل السلطان في ذلك اليوم الى عكا ورقي
على السور ونظر الى عسكر العدو وتراجع الناس عن القتال بعد صلوة الظهر لسقي الدواب واخذ الراحة
ولم يعودوا الى القتال واصبحوا يوم الاحد فراى بعض الامرا تاخير القتال الى ان يدخل الراجل كله
الى عكا ويخرجوا من العسكر المقيم بها من ابواب البلد على العدو من ورايه ويركب العساكر من خارج من
سائر الجوانب ويحملوا حملة الرجل الواحد والسلطان رحمه الله تعالى هذه الامور كلها بنفسه ويباشرها
ببدنه لا يتخلف عن مقام من هذه المقامات وهو من شدة حرصه ووفور همته كالوالدة الثكلى ولقد اخبرني
بعض اطبائه انه بقي من يوم الجمعة الى يوم الاحد لم يتناول من الغذا الا شيا يسيرا لفرط اهتمامه وفعلوا
ما كان عزموا عليه واشتدت منعة العدو وحمى نفسه في خيامه ولم يزل سوق الحرب قائمة تبلغ النفوس
بالنفائس ويمطر سماء حربها الرؤوس من كل رئيس ومترائس حتى كان يوم الجمعة ثامن شعبان عزم العدو على
الخروج بجموعهم فخرج راجلهم وفارسهم وامتدوا على التلول وساروا الهوينا غير مفرطين في نفوسهم ولا
خارجين من راجلهم والرجالة حولهم كالسور المبني يتلو بعضهم بعضا حتى قاربوا خيام اليزك فصاح
السلطان بالعساكر الاسلامية فركبوا باجمعهم وحملوا حملة الرجل الواحد فعاد العدو ناكصا على عقبيه
والسيف يعمل فيهم فالسالم منهم جريح والعاطب طريح يشتدون هزيمة يعثر جريحهم بقتيلهم ولا يلوي
الجماعة منهم على قتيلهم حتى لحقوا بخيامهم من سلم منهم وانكفوا عن القتال اياما وكان قصاراهم ان يحفظوا
نفوسهم ويحرسوا رؤوسهم واستمر فتح طريق عكا والناس يترددون اليها قال وكنت ممن دخل في
السور ودام القتال بين الفئتين متصلا الليل مع النهار حتى كان الحادي عشر من شعبان وراي السلطان
توسيع الدائرة عليهم لعلهم يخرجون الى مصارعهم فنقل الثقل الى تل العياضية وهو تل قبالة تل المصلبين
مشرف على عكا وخيام العدو وفي هذه المنزلة توفي حسام الدين طمان وكان من شجعان المسلمين ودفن في سطح
هذا التل وصليت عليه مع جماعة من الفقها ليلة نصف شعبان وبلغ السلطان ان جماعة العدو يخرجون
للاحتشاش من طرف النهر فما ينبت عليه فكمن لهم جماعة من العرب وقصد العرب لخفتهم على خيلهم فهجموا

عليهم وقتلوا منهم خلقًا عظيمًا وأسروا جماعة واحضروا روسا على بين يديه وذلك يوم السبت
رابع عشر شعبان وفي عشية ذلك اليوم وقع بين العدو وبين اهل البلد حرب عظيم قتل فيها جمع عظيم
من الطايفتين وطال الامر بين الفئتين وما خلوا يوم عن قتل وجرح وسبي ونهب وانس البعض بالبعض
حتى ان الطايفتين كانا يتحدثان ويتركان القتال وربما غنى البعض ورقص البعض لطول المعاشرة
ثم يرجعون الى القتال بعد ساعة وسئموا يومًا فقالوا الى كم يقاتل الكبار وليس للصغار حظ نريد
ان يصطرع صبيان صبي منا وصبي منكم فاخرج صبيان من البلد الى صبيان من الفرنج فوثب احد الصبيين
المسلمين الى احد الصبيين الكافرين فاحتضنه وضرب به الارض واخذه اسيرًا فاشتراه منهم بعض الفرنج
بدينارين وقالوا هو اسيرك حقًا فاخذ الدينارين واطلقه قال ووصل مركب فيه خيل فهرب منها فرس
ووقع في البحر وما زال يسبح وهم حوله يردونه حتى دخل مينا عكا واخذه المسلمون قلت وذكر العماد
كل هذه الوقايع والنوادر في كتابه بالفاظه المسجوعة قال وكان من راي السلطان ان يسايرهم في الطريق
ويوافقهم عند المضيق ويقطعهم عن الوصول ويدفعهم عن النزول فانهم اذا نزلوا اصعب نزالهم واتعب
قتالهم ووالوا تعني امراه بل تمضي على اسهل الطرق فسار الثقل من الليل على طريق الملاحة وسرنا على جب
يوسف الى المنية وصبحنا عصر يوم الثلاثا والسلطان نازل بارض كفركنا ونزل يوم الاربعا على خيل الخروبة
ونزل الفرنج على عكا من البحر الى البحر محيطين بها للحصر وضرب الملك العتيق خيمه على تل المصلبين وربطت
مراكبهم بشاطي البحر وكانت كالاجام المؤتشبة ثم عبا السلطان جيشه ونزل بمرج عكا على تل كيسان وصرنا
محاصرين للمحاصرين قد احطنا بالعدو وهو بالمدينة محيط واستنبطناه وهو مستبسط واحدقنا
باولئك الكفرة احاطة النار باهلها واوسعنا الطرق من ورايهم في وعرها وسهلها وربينا بالربيت
والمواقير رجالًا لا يصدونهم عن سبلها ودمنا نصدمهم ونصدهم ونوجدهم البحر ونفقدهم واستدار
الفرنج بعكا كالدايرة بالمركز وزادوا في جانبنا في التحرس والتحرز وذلك في اخر رجب لانسلاخه
والاسلام ينادينا باستصراخه واصبح السلطان يوم الجمعة مستهل شعبان وانتقت الاراء على ان
يكون اللقاء وقت الصلوة عند ارتفاع الدعوات على المنابر الاسلامية فاحاط العسكر الاسلامي بجوانبهم
فكدر عليهم صفو مشاربهم فعلق منا مصادمهم ويثبتهم في مواضعهم واقفون وعلى مصافهم عاكفون
وفي مواطنهم ثابتون كالبنيان المرصوص ما فيه خلل وكالحلقة المفرغة ما اليها مدخل وكالسور المحيط
ما عليه مسلق وكالجبل الاشم ما فيه مسلك فرجعنا اليهم فلم يبرحوا وقربنا منهم فلم يتزحزحوا وحملنا
عليهم فاحدوا الضرب ولم يطرقوا وكلما قتل واحد وقف اخر مقامه حتى دخل الليل وحجز وحلوا من

العدو

العدو من جانب البحر شمالي عكا فانهزم الفرنج الى تل المصلبة نحو القبة وثبتوا عند الوثبة وانفتح لنا
طريق عكا فدخلها الرجال وحملت اليها الغلال والفرنج قد رهبوا ولو قدروا الهرب لهربوا واصحابنا
راوا ان انفتاح باب البلد غنيمة فتوقفوا عند تمام الهزيمة ولو انهم استمروا لنالوا العدو وبتروا فان
للصدمة الاولى في الروع روعة فبلغ العدو ريقه ووجد الى الكلب طريقه ووقفوا كالسور من وراء
الجنويات والزراق والقنطاريات وضربوا الجروح وفوقوها وجمعوا العدو على الرجال فرقوها
وكانوا في عدد الرمل ومدد النمل وهم كل يوم في ازدياد والبحر يمدهم بالامداد وشرعوا في حفر
الخنادق وسد المضايق ونصب الطوارق والسلطان ساهر للمسلمين في ليلهم قايم بامرهم في نهارهم
ومن كتاب فاضلي في بعض الوقعات فاستدارت بهم رحا الجاليشية تقذف شيا كا
بشهابها وهوى بها اوكاد فيهم طير نشابها وحصدهم من القنا والشباب ثمر الرد امتشاقها
وقد ارتفع الاسلام الى درجات شيد كرامها وانخفض الكفر الى دركات سيمر ذكرها
فالنصر جا فوق امله وكتاب البشارة قد استهد قبله فقد وقفنا بلطف الله تعالى فيما ابانا فيما اهبت
الخواطر لمعاني المثار واعدت الفاظ البشرى المهداة الى كافة البشر من الاستبشار وان الفرنج محصو دون
والنازل المحصور كالمركب المكسور والنصر قد اعد لعسكر الاسلام والكفر جار ومجذور

فصل في المصاف الاعظم على عكا وهي الوقعة الكبرى التي بدات بالسوى وختمت بالحسنى

قال القاضي ابن شداد ولما كان يوم الاربعا الحادي والعشرين من شعبان تحركت عساكر الفرنج
حركة لم يكن لهم مثلها عادة فارسهم وراجلهم وكبيرهم وصغيرهم واصطفوا خارج خيمهم قلبا
وميمنة وميسرة وفي القلب الملك وبين يديه الانجيل محمول مستور بثوب اطلس مغطى يمسك اربعة
انفس اربعة اطرافه وهم يسيرون بين يدي الملك وامتدت الميمنة مقابل ميسرة المسلمين من اولها
الى اخرها وامتدت ميسرة العدو في مقابلة ميمنتنا الى اخرها وملكوا روس التلال وكان طرف
ميمنتهم الى النهر وطرف ميسرتهم الى البحر وامر السلطان الجاووش ان ينادي في الناس يا للاسلام
وعساكر الموحدين فركب الناس وقد باعوا انفسهم بالجنة وامتدت الميمنة الى البحر كل قوم
يركبون ويقفون بين يدي خيامهم والميسرة الى النهر كذلك ايضا وكان السلطان قد انزل الناس
في الخيم ميمنة وميسرة وقلبًا تعبية الحرب حتى اذا وقعت صيحة لا يحتاجون الى تجديد ترتيب
وكان هو في القلب وفي ميمنة القلب ولده الافضل ثم ولده الظافر ثم عسكر المواصلة يقدمهم
ظهير الدين ابن البلنكري ثم عسكر ديار بكر في خدمة قطب الدين صاحب الحصن ثم حسام الدين عمر

ابن لاجين صاحب نابلس ثم قايماز النجمي وجموع عظيمة متصلين بطرف الميمنة وكان في طرفها الملك المظفر
تقي الدين بجحفله وعسكره وهو مطل على البحر وكان مما يلي القلب شرف الدين علي بن احمد المشطوب
من كبار ملوك الاكراد ومقدميهم والامير مجلي وجماعة المهرانية والهكارية ومجاهد الدين يرنقش
مقدم عسكر سنجار وجماعة من المماليك ثم مظفر الدين بن زين الدين بجحفله وعسكره واواخر الميسرة
كان المماليك الاسدية كسيف الدين يازكوج ورسلان بغا وجماعة الاسدية الذين يضرب بهم المثل
وفي مقدمة القلب الفقيه عيسى وجمعه هذا والسلطان رحمه الله يطوف على الاطلاب بنفسه يحثهم
على القتال ويدعوهم الى النزال في نصر دين الله ولم يزل القوم يتقدمون والمسلمون يتقوون
حتى علا النهار ومضى منه اربع ساعات وعند ذلك تحركت ميسرة العدو على ميمنة المسلمين واخرج
لهم تقي الدين الجاليش وجرى بينهم قلبات كثيرة وتكاثروا على تقي الدين وكان في طرف الميمنة
على البحر فتراجع عنهم شيا اطماعا لهم لعلهم يبعدون عن اصحابهم فينال منهم غرضا فلما راه السلطان
قد تاخر ظن به ضعفا وامده باطلاب عدة من القلب حتى قوي جانبه وتراجعت ميسرة العدو
واجتمعت على تل مشرف على البحر ولما راى الذين في مقابلة القلب ضعف القلب ومن خرج منه
من الاطلاب داخلهم الطمع وتحركوا نحو ميمنة القلب وحملوا حملة الرجل الواحد راجلهم وفارسهم
قال ولقد رايت الرجالة يسيرون سير الخيالة ولا يسبقونها وهم يسيرون خببا وجاءت الحملة
على الديار بكرية كما شاء الله تعالى وكان بهم غفلة عن الحرب فتحركوا بين يدي العدو وانكسروا
كسرة عظيمة وسرى الامر حتى انكسر معظم الميمنة واتبع العدو المنهزمين الى العياضية فانهم
استداروا حول التل وصعد طائفة من العدو الى خيم السلطان فقتلوا الطشت دار كان هناك
وفي ذلك اليوم استشهد اسمعيل المكبس وابن رواحة واما الميسرة فانها ثبتت فان الحملة لم تصادفها
واما السلطان رحمه الله تعالى فانه اخذ يطوف على الاطلاب ينهضهم ويعدهم الوعود الجميلة
ويحثهم على الجهاد وينادي فيهم يا للاسلام ولم يبق معه الا خمسة انفس وهو يطوف ويخرق الصفوف
واوى الى تحت التل الذي كان عليه الخيام واما المنهزمون من العسكر فانهم بلغت هزيمتهم الى الاقحوانة
فاقطع جسر طبرية وتم منهم قوم الى دمشق واما المتبعون لهم فانهم اتبعوهم الى العياضية فلما
راوهم قد صعدوا الجبل رجعوا عنهم وجاءوا عائدين الى عسكرهم فلقيهم جماعة من الغلمان
والخربندية والساسة منهزمين على بغال الحمل فقتلوا منهم جماعة ثم جاءوا على راس السوق فقتلوا
جماعة وقتل منهم جماعة فان السوق كان فيه خلق عظيم ولهم سلاح واما الذين صعدوا

الخيام

الخيام السلطانية فانهم لم يلتفتوا منها شيئا اصلا سوى انهم قتلوا من ذكرناه وهم بلا نفر
ثم راوا ميسرة الاسلام ثابتة فعلموا ان الكسرة لم تتم فعادوا منحدرين من التل يطلبون عسكرهم
واما السلطان فانه كان واقفا تحت التل ومعه نفر يسير وهو يجمع الناس ليعودوا الى الحملة
على العدو فلما راى الفرنج نازلين من على التل ارادوا القائهم فامرهم بالصبر الى ان يولوا ظهورهم
واشتدوا يطلبون اصحابهم فصاح في الناس فحملوا عليهم وطرحوا منهم واشتد الطمع فيهم
وتكاثر الناس وراءهم حتى لحقوا اصحابهم والطرد وراءهم فلما راوهم منهزمين والمسلمون وراءهم
في عدد كثير ظنوا ان من حمل منهم قد قتل وانه انما نجا منهم هذا النفر فقط وان الهزيمة قد عادت
عليهم فاشتدوا في الهرب والهزيمة وتحركت الميسرة عليهم وعاد الملك المظفر بجحفله من الميمنة وتحا
بالرجال وتداعت وتراجع الناس من كل جانب وكذب الله الشيطان ونصر الايمان وظل
الناس في قتل وطرح وضرب وجرح الى ان اتصل المهزومون السالمون الى عسكر العدو فهجم المسلمون
عليهم في الخيام فخرج منهم اطلاب كانوا اعدوها خشية من هذا الامر مستريحة فردوا ابا سليمان
وكان التعب قد اخذ من الناس والخوف والعرق قد الجمهم فتراجع الناس عنهم صلوة العصر
يخوضون في القتلى ودمائهم فرحين مسرورين وعاد السلطان وجلسوا في خدمته يتذاكرون
من فقد منهم وكان مقدار من فقد منهم من الغلمان والمجهولين مائة وخمسين نفرا ومن المعروفين من
استشهد في ذلك اليوم ظهير الدين اخو الفقيه عيسى رحمه الله تعالى ولقد رايته وهو جالس
يضحك والناس يعزونه وهو ينكر عليهم ويقول هذا يوم الهناء لا يوم العزاء وكان قد وقع
هو من فرسه رحمه الله واركبته وقتل عليه جماعة من اقاربه وقتل في ذلك اليوم الامير مجلي بعد
ابن مروان وزاد العماد والحاجب خليل الهكاري ثم والقاضي هذا الذي قتل من المسلمين
واما العدو فالمحزور لم يحزر فيما يزيد على سبعة الاف نفر ورايتهم وقد حملوا الى شاطي النهر ليلقوا فيه
ص فحزرتهم بدون سبعة الاف ولما تم على المسلمين من الهزيمة ما تم راى الغلمان خلو الخيام عن من يعترض
عليهم فان العسكر انقسم الى منهزمين ومقاتلين ولم يبق في الخيم احد وراوا الكسرة قد وقعت
وظنوا انها تتم وان العدو ينهب جميع ما في الخيم فوضعوا ايديهم في الخيم ونهبوا جميع ما كان فيها
وذهب من الناس اموال عظيمة وكان ذلك اعظم من الكسرة وقعا فلما عاد السلطان الى الخيم راى
ما قدم على الناس من نهب الاموال والهزيمة سارع في الكتب والرسل في رد المنهزمين وتتبع
من شذ من العسكر والرسل تتابع في هذا المعنى حتى بلغت عسكر فيق فردوهم واخبروهم بالكسرة للمسلمين

وامر بجمع الاقمشه من ايدي الغلمان وجمع الاقمشه في خيمته حتى جللت الخيل والجمال وهو جالس
ونحن حوله وهو يقوم الى ان كل من عرف شيا وحلف عليه يسلم اليه وهو يتلقى هذه الاحوال
بقلب صلب وصدر رحيب ووجه منبسط وراي مستقيم واحتساب لله تعالى وقوة عزم في
نصرة دينه واما العدو المخذول فانه عاد الى خيمه وقد قتلت شجعانه وفقدت ملوكهم وطرحت
مقدموهم وامر السلطان ان تخرج من عكا عجل يسحبون القتلى منهم الى طرف النهر ليلقوا فيه قال
ولقد حكى لي بعض من ولي امر العجل انه اخذ خيطا وانه كلما اخذ قتيلا عقد عقدة فبلغ عدد
قتلى الميسره اربعة الاف ومايه ونيف وبقي قتلى الميمنه وقتلى القلب لم يعدهم فانهم ولي امرهم غيره
وبقي من العدو بعد ذلك من حمى نفسه في خيمهم لم يكترثوا بجحافل المسلمين وعساكرهم وتشذب
من عسكر المسلمين خلق كثير بسبب الهزيمه فانه ما رجع منها الا رجل معروف خاف على نفسه والباقون
ذهبوا في خط اشبيليه واخذ السلطان في جمع الاموال المنهوبه واعادتها الى اصحابها واقام
المنادين في العسكر ومن لها بالوعيد والتهديد وهو يتولى تفريقها بنفسه بين يديه واجتمع
من الامتعه عدد كبير في خيمته حتى ان الجالس في احد الطرفين لا يرى الجالس في الطرف الآخر
واقام من ينادي على من ضاع منه شي لحضر الخلق وصار من عرف شيا واعطى علامة حلف عليه واخذه
من الخيل والجمال الى الهميان والجوهر ولقي من ذلك مشقة عظيمه ولا يرى ذلك الا نعمة من
الله تعالى فيشكر عليها ويتسابق ببذل العقول لها ولقد حضرت يوم تفرقة الامتعه على اربابها فرايت
سوقا للعدل قايمة لم ير في الدنيا اعظم منها وكان ذلك في يوم الجمعه الثالث والعشرين من شعبان
قال ومنذ انقضاء هذه الوقعه وسكون ثائرها امر السلطان بالنقل حتى يرجع الى موضع يقال
له الخروبه خشية على العسكر من روائح القتلى واثار الوقعه من الوخم وهو موضع قريب من مكان
الوقعه الا انه ابعد عنها من المكان الذي كان نازلا فيه بقليل وضرب له خيمة عند التل وامر الثقل
ان يكون مقيما في المكان الذي كان نازلا فيه واستحضر الامرا وارباب المشوره في سلخ النهار ثم امر
بهم بالاصغاء الى كلامه وكنت من جملة الحاضرين ثم قال بسم الله والحمد لله والصلوة على رسول الله
اعلموا ان هذا عدو الله وعدونا قد نزل في بلادنا وقد وطي ارض الاسلام وقد لاحت لوايح النصرة
عليه ان شا الله تعالى وقد بقي في هذا الجمع اليسير ولا بد من الاهتمام بقلعه والله قد وجب علينا
ذلك وانتم تعلمون ان هذه عساكرنا ليس ورانا عسكر ننتظرها سوى الملك العادل وهو واصل وهذا
العدو ان بقي وطال امره الى ان ينفتح البحر جاه مدد عظيم والراي كل الراي عندي مناجزته فليخبرنا كل منكم

ما عنده في ذلك وكان ذلك في ثاني عشر تشرين يعني الثاني من الشهور الشمسيه فاختلفت اراوهم على ان المصلحه
تاخر العسكر الى الخروبه وان يبقى اياما حتى يستجم من حمل السلاح وترجع نفوسهم اليهم فقد اخذ منهم
التعب واستولى على نفوسهم الضجر وتكليفهم امرا على خلاف ما تحمله القوى لا يومن غايلته والناس
لهم خمسون يوما تحت السلاح وفوق الخيل وقد ضجرت من عرك اللجم وعند حظ من الراحه ترجع نفوسها
اليها ويصل الملك العادل ويشاركنا في الراي والعمل ونستعيد من شذ من العساكر ونجمع الرجاله
ليقفوا في مقابلة الرجاله وكان السلطان رحمه الله قد شاخ مزاجه فدعاه من كثرة ما حمل على نفسه
وعاناه من التعب بحمل السلاح والفكر في تلك الايام فوقع له انفا لوم وراوا مصلحة ما قام يصلح مزاجه
وتجمع العساكر الى عاشر رمضان قال وكان لما بلغه خبر العدو وقصده عكا جمع الامرا واصحاب
الراي ... وشاورهم فيما نصنع وكان رايه رحمه الله ان قال المصلحه مناجزة القوم ومنعهم
من النزول على البلد والا ان نزلوا جعلوا الرجاله سورا لهم وحفروا الخنادق وصعب علينا
الوصول اليهم وخيف على البلد منهم وكان اشارة الجماعه انهم اذا نزلوا واجتمعت العساكر
قلعناهم في يوم واحد وكان الامر كما قال والله لقد سمعت منه هذا القول وشاهدت الفعل
كما قال قال ولما التقى العسكران عبا السلطان ميمنته وميسرته وطلب من الله نصرته وهو يمر بالصفوف
ويامر بالوقوف ويحض على حط الايدي ويحث على الجلاد والجلد قال وكنت في جماعة من اهل الفضل
وقد ركبنا في ذلك اليوم ووقفنا على التل نشاهد الوقعه ونحن في الغزاة ابتهالة فراينا
العسكر موليا والمنهزم عما تركه من خيامه ورحله متخليا فوصلنا الى طبريه فمن وصل وجدنا
نزلها فدخل فسقنا الى جسر الصنبره ونزلنا على شرفه وكل من ذاهل عن شجعه ورتبه ومن
المنهزمين من بلغ عقبة فيق وهو غير مفيق ومنهم من وصل الى دمشق وهو غير معوج على طريق
ووصل جماعة من الفرنج الى خيمة السلطان وجالوا حوله ثم راوا انقطاع اشياعهم عنهم فانحدروا
عن التل واستقبلهم اصحابنا فركبوا اكتافهم وحكموا في قفاهم اسيافهم وكان ممن ثبت من عسكرنا
...ار والاسديه ما زالوا ولا زال الوابل وصلوا وواصلوا وحملت عليهم ميمنة الفرنج فكانما رمت
الرماح بالجبال وعاد من الميمنه مثل تقي الدين ومايماز النجمي والخادم ... ومن يجب من ابطال
المجاهدين فلم يفلت منهم الا عدد الاعداد ولم ينج من الالوف الا الاحاد ومن بينهم زها خمسة الاف
فارس منهم مقدم الداويه الذي كنا اطلقناه وذكر انهم في مائة الف وعشرين الفا حين سالناه ثم ضربنا
عنقه وقال لي الفقيه عشرة الف قال العادل من العجب ان الذين شهدوا لم يبلغوا الفا قد ... وانا الف وانا اسمه

قوةً من بعد ضعفٍ وكان الواحد يقول قتلت من الملاعين ثلاثين وأربعين وتركتهم مصرعين
وكان السلطان من الثابتين في تلك الحركة الكاسين لأهل الصولة وقد بقي وحده عند تولّي
المسلمين ولا شك أن الله أنزل عليه سكينة المؤمنين حكى بعضهم قال كنت منهزمًا من فارس
مبرّح قد لزّ بعنقه حصانه وهو لصلبي شانه فأيست من المقام أرطات على طعنته فالتفت فإذا
هو وحصانه كلاهما ملقى وما بالقرب أحد فعرفنا أنه نصر إلهي وصنع ربّاني قال وعاد السلطان
إلى مضاربه وأمر بمواراة الشهداء ومن جملتهم الفقيه أبو علي بن رواحة وكان غزير الفضل قد
أكمل الشجاعة والرجاحة وهو شاعر مفلق وفقيه محقق من ولد عبد الله بن رواحة الصحابي
الأنصاري في الشهادة والشعر معرق فطرفه الأعلى يوم مؤتة مع جعفر الطيار وطرفه الأدنى
يوم عكا في لقاء الكفار قال في البرق وكان السلطان قد أنعم عليه في حلب بمزرعة وكتبت
توقيعه وأراد الله توقيعه إذ قرب إلى الآخرة طريقه وحملت توقيعه إلى السلطان تلك الليلة ليعلم
فيه علمه ويراجعه في معناه فسكت وما تكلم وكان ساعة الوقعة راكبًا معنا ثم قال وهو يُنشد
يطول فخص في حميته يتودع فلما علم بأن دفاعنا ساق ودّانا فقطع عمره قبل أن نقطع الوادي
وكان قال لنا لما أصبح رأيت رجلًا يحلق المنام فقلنا هذا من أضغاث الأحلام فنقله الله بعد
ساعة إلى دار السلام قلت وليس هو من أولاد ابن رواحة الصحابي ذاك لم يعقب وإنما في أجداده
من اسمه رواحة وقد بيّناه في التاريخ والله أعلم قال ومنهم إسماعيل الصوفي الأرموي المكبّس وشيخ
من الحاشية من بيت الطشت وغلام في الخزانة أمين على البيت وآخرون صدقوا عند الله فجازاهم
السعادة ومنحهم الشهادة وهؤلاء سوى من وقع في الوقعة وذهب قبل الرجعة واجتمع السلطان
وذوو الآراء على أنه يصبح القوم فيُعقدوا العسكر فإذا هو قد غاب لما ثار من الأمر وراب
وذلك أن غلمان العسكرية والأوباش ظنوا أن تلك الملعونين هزيمة فنهبوا الأثقال وعدوا بما عنيه
من عاد إلى رحله وجده منهوبًا مسلوبًا وكان في خزانته فزع من أنا حطب فلقي خطوبًا وأصبحنا وإذا
العسكر مفترق والثابت قلق والآمن فرق والغني معدم والجري متندم فمنّا خلف تمام ذهب من
ماله ذاهب وهذا المنطلب للطرف ما بقي له فتعذّر ذلك العزم وتأخر ذلك الحزم واستعش العرب في
تلك الملة واسلوا من تلك الشدة وحبا بهم في الحرّ الحلف من عدم وبنتنا هلم وشكونا نتن
رائحة تلك الجيف فحملت على العجل إلى النهر لتسرب من صديدها أهل الكفر فحمل أكثر من خمسة آلاف
حتى حملنا إلى النهر قبل يوم الجمعة وأشير على السلطان بالانتقال إلى الخروبة عند خيم الأثقال المعروفة

فساد الهوا رابع رمضان وأمر أهل عكا بإغلاق أبوابها وإحكام أسبابها فوجد الفرنج بذلك
الفرج وشرعوا في حفر خندق على معسكرهم حوالي عكا من البحر إلى البحر وأخرجوا ما كان في مراكبهم
من آلات الحصر وفي كل يوم تأتيهم البركة بحبرهم ويما ظهر من آثارهم والحدب في تعميق الخندق وتميم
خنفرهم وكان من قضاء الله أنا أغفلناهم وأهملناهم بل أمهلناهم حتى عمقوا الحفور وعفوا من بدا
السور وكانوا يخندقون ويعفون ويعملون في تراب الحفر حولهم سورًا فعاد مخيمهم بلدًا مستورًا
محوطًا مملوءًا بالستاير وممنوعًا من الطير الطاير وبنوه وأنشؤوه وستروه وترسوه ودبّوا عليه جالًا
ولم يتركوا إليه لواغل مجالًا وتركوا فيه أبوابًا وفروجًا ليظهروا منها إذا أرادوا خروجًا
ولما فرغوا من هذا الأمر اشتغلوا بالحصر وانقطعت الطرق على المسلمين إلى عكا وبان ضعف رأي
الانتقال فإنه بعد ما أضحك أبكى وجاء كتاب من الفاضل إلى العماد جوابًا من كتابه المخبر فيه
بوقعة عكا يقول فيه وعرفت ما جرى على قضيته فسبحان الله تعالى فإن من عجائب قدرته سلامة
سيدنا على ضعف حركته والأمر كان عظيمًا والمدافع أعظم والسلامة كانت غريبة إلا أن نقول
ولكن الله سلّم والسلطان أعزه الله تعالى إذا سلم فالناس قد سلموا وإذا وجد وقد عدم
الناس كلهم فقد وجدوا وبما عدموا وكل جوهرة بالإضافة إليه عرض وهو جوهر الخليفة ما
عنه بكل جوهر عوض ومن كتاب له إلى السلطان أوله ثم أنزل الله سكينته على رسوله
وعلى المؤمنين الآية وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ورد الكتاب بخط مولانا بن معترك
حربه ويوم جهاده قبل أن تضع الحرب أوزارها وهرع الناس إلى المجلس العادلي والعزيزي
يسمعون الأخبار ويستوضحون من وجوهها الأنوار ويسألون كيف كانت عاقبة الله الحسنة وعافيته
أهل النار ويشكرون الله على سلامة أديانهم وأبدانهم وسلامة سلطانهم وبالأراك ما بلام
سلطانهم ونصرة كلمة إيمانهم ودلايل الخير لا تخفى وما بعد الكتب وما يلحق فإنها منها حرفا
وصور الناس الأمر الذي وقاهم الله شره وكفاهم أمره

فصل في باقي حوادث هذه
السنة بمرج عكا وغيره قال العماد في يوم الاثنين ثالث رمضان أخذ أصحابنا بعكا مركبًا
للفرنج إلى صور مقلعًا محتويًا على ثلاثين رجلًا وامرأة واحدة ورزمة من الحرير وجاءت حظوة
حلوة وغنيمة صفوة وقد كان أنكر نشاطهم وانقبض انبساطهم فلما ظفروا بالمركب انتعشوا
وصاروا يخرجون ويقتلون ويجرحون ويمسون على القتال ويصبحون ويدوم الفرح على تلك
الحركة فإنها أفضت بهم إلى الهلكة فإنهم ما داموا أبضين في علي يد الصبر فأبضين تعدد

الوصول اليهم والدخول عليهم وفي بعض الكتب الى بعض الاطراف والمرجو من الله سبحانه تحريك
همم المومنين في تسكين ثايرهم وتخريب عامرهم وما دام البحر يمدهم والبلاد تصدهم فلا البلاد بهم
دايم ومرض القلوب بادوايهم ملازم فاين حمية المسلمين ونخوة اهل الدين وغيرة اهل اليقين
وما نعتقد عجبا من بطايف المشركين وقعود المسلمين فلا ملبي منهم لمناد ولا منعطف لمناد فانظروا
الى الفرنج اي مورد وردوا واي حشد حشدوا واي ضالة نشدوا واية نجدة نجدوا واية اموال
غرموها وانفقوها وجدات جمعوها وتوزعوها فيما بينهم وفرقوها ولم يبق ملك في بلادهم
وجزايرهم ولا عظيم ولا كبير من كبرايهم وعظمايهم الا جارى جاره في مضمار الانجاد وبارى نظيره
في الجد والاجتهاد واستقلوا في صون ملتهم بذل المهج والارواح وامدوا اجناسهم الانجاس بانواع
السلاح مع الكفاح وما فعلوا ولا بذلوا ما بذلوا الا لمجرد الحمية لمن تعبدهم والنخوة لمعتقدهم
وليس احد من الفرنج يستشعر ان الساحل اذا ملك ورفع فيه حجاب عزتهم وهتك يخرج يد عن يده
ويمد يده الى بلده والمسلمون بخلاف ذلك قد وهنوا وفشلوا وغفلوا وكسلوا ولزموا الحيرة وعدموا
الغيرة ولو انثنى والعياذ بالله للاسلام عنان او خبا سنا او ناد سنان لما وجد في شرق البلاد وغربها
وبعد الافاق وقربها من لدين الله يغار ومن لنصرة الحق على الباطل يختار وهذا اوان رفض
التواني واستدعا الحمية من الاقاصي والاداني على انا بحمد الله لنصره راجون وله باخلاص السر
وبر الاخلاص مناجون والمشركون باذن الله هالكون والمومنون امنون ناجون ٭ قال
العماد وكان السلطان قد كتب الى مصر يستدعي تاخير العادل في رجاله فقدم عليه منتصف شوال
وكتب ايضا في طلب الاسطول المصري فقدمت خمسون قطعة من حسام الدين لولو منتصف
القعدة فجاءت بحاة على مراكب الفرنج وبغتتها وجمعتها وبددتها وكسبتها وسلبتها وظفر بطستين
كبيرين بما فيهما من اموالهم ورجالهم وغلالهم ٭ قال وهذا لولو قد اشتهرت بالكفر نكاياته
وشكرت في العدو نكاياته وقد تفرد بغزوات لم يشاركه فيها احد وهو الذي رد الفرنج عن
بحر الحجاز ووقعهم على طرق الحجاز ولم يترك منهم عينا تطرف ولم يبق لهم دليلا يعرف وغزواته
مشهورة ونكاياته مذكورة واموال مبذولة واجابته بعقد الاتفاق في سبيل الله محلولة قال
ونقل السلطان الى البلد في المراكب جماعة من الامرا باجنادهم وعددهم وازوادهم واستظهر البلد
ايضا برجال الاسطول وكانوا زهاء عشرة الاف هذا ورجالة المسلمين يتطرقون اليهم ليلا ويدعونهم
من القتل والاسر والنزقة ويلا حتى كان رجالنا يحشمون بالحشيش في اجراف الانهار فاذا صادفوا

فارسا او واردا الما فاجوه بالقتل والاسار قال ولما عرف صاحب الموصل ما شرع فيه السلطان من
تكسر العدو وتقوية الجند بكل ما امكنه من اسباب الباس والشدة سير من احمال النفط الابيض من عنده
وجوده ما وجد ومن التراس والرماح من كل جنس احكمه واقومه واجوده وكتبنا في شكره
وصل السلاح وتم للاسلام من فتوح الكفر الاقتراح فان الحروب المتطاولة المداة على جميع العدد
ومن المحال ان العدة تغني وما تفنى العداة وسموا على الحصاد كانها النبات فالنجدة هم والكفر الى
الردى يردهم ٭ ومن كتاب الى الديوان قد مضت ثلاثة اشهر شهرتها التوحيد على التثليث
ثلاثة وسط الكفر جناحه وقل من الفرنج وعدم في الوقعات التي دعت والروعات التي وقعت
اكثر من عشرين الف مقاتل من فارس وراجل ورامح ونابل فما اثر ذلك في بعضهم ولا ارثا لا باد
حرصهم وليس هذا العدو بواحد يجمع فيه التدبير ويأتي عليه التدمير وانما هو كل من وراء البحر
وجميع من في ديار الكفر فانه لم يبق لهم مدينة ولا بلد ولا جزيرة ولا خطة صغيرة ولا كبيرة
الا جهزت مراكبها وانهضت كتائبها وتحرك ساكنها وبرز كامنها وثار ثايرها وسار سايرها
وطار طايرها ونفضت خزاينها وانفضت معادنها وحملت ذخايرها وبذلت اخايرها وسلبت كناين
كنايسها واخرجت دفاين بغاتها وخرج بصلبانها اساقفها وبطاركها وغصت بالامواج
فجاجها ومسالكها ونصبت للصليب السليب وتعصبت للمصاب المصيب ونادوا في نواديهم
بان البلاد بلادهم وان اخوانهم بالقدس اباد هم الاسلام واباد هم وانه من خرج من بيته مهاجرا
لحرب الاسلام وهبت له ذنوبه وذهبت عنه عيوبه ومن عجز عن السفر سفر بعدته وثروته من قدر
تحاوه الابس الحديد بعد ان كانوا لابسين الحداد وتواصلت منهم الامداد قال ووصلت
في مركب مليح امراة فرنجية مستحسنة اجتمعن من الجزاير واتخذن للجراير واغترين لاستعفاف الغربا
وقصدن بحرو حبس سبيل انفسهن لاشقيا وانهن لا يمتنعن من العزبان ورأين انهن لا يتقربن
بافضل من هذا القربان وزعمن ان هذه قربة ما فوقها قربة لاسيما فيما اجتمع فيه غربة قال
واتوا من عسكرنا من المماليك الاغبيا والمداير الجهلا جماعة حملهم الهوى واتبعوا من غوى
فمنهم من رضي للذة بالذلة ومنهم من ندم على الزلة فتحيل في النقلة فان يد من لا يمنعه لا تمتد وامس
الهارب اليهم لانهامه تشتد وباب الهوى عليه يستد وما عند الفرنج على العزبا اذا امكنت منها العزب
حرج وما اذكاها عند القسوس اذا كان للعزبان المصفين من فرجها فرج قال ووصلت
ايضا في البحر امراة كبيرة القدر وافرة الوفر وفي جملتها خمسمائة فارس بخيولهم واتباعهم وغلمانهم

واشياعهم وهي كافلة بكل ما تحتاجون اليه من المؤونة رانية بما تسقفه منهم على المعونة وهم يركبون
بركابها ويحملون بحملاتها ويسون لوثباتها وفي الفرنج نساء فوارس لهن دروع وقوانس وكن في زي
الرجال ويبرزن في حومة القتال ويعملن عمل ارباب الحجى وهن ربات الحجال وكل هذا يعتقدن
انه عبادة ويخلن انهن يعقدن به سعادة ويجعلنه لهن عادة فسبحان الذي اضلهن عن نهج الهدى
اذلهن وفي يوم الوقعة قلعت منهن نسوة لهن بالفرسان اسوة وفيهن مع لينهن قسوة وليس لهن سوى
السوابغ كسوة فما عرفن حتى سلبن وعرين ومنهن عدة سبين واشترين واما العجائز فقد امتلات بهن
المراكز وهن يشددن تارة ويرخين ويحرضن وينخين ويقلن ان الصليب لا يرضى الا بالاباء وانه لا بقاء
الا بالفناء وان قبر معبودهم تحت استيلاء الاعداء فانظر الى الاتفاق في الضلال بين الرجال منهم والنساء
قال وفي آخر هذه السنة ندب السلطان الرسل الى الاقطار والامصار للاستنفار والاستنصار
وبث الكتب وكتب بالبث وحث الرسل وراسل بالحث وسرح عدنان النجاب الى سيف الاسلام
باليمن وشرح في الكتاب اليه ما جرى من حوادث الزمن ووصف له جلية الحال وطلب منه الاعانة
بالمال وكوتب مظفر الدين قزل ارسلان بهمذان بما دنا منه عزمه ودان وحكم على كل ملك بمحبة
الايمان وهدي الى محجة الاحسان ووصل الى السلطان رسول من ناحية الامير ركن الدين طغرل بن ارسلان
بن طغرل بن محمد بن ملكشاه وهو آخر السلاطين السلجوقية يتظلم من عمه قزل ارسلان ويطلب من السلطان
اعانته فاعتذر السلطان بما هو عليه من شغل الجهاد مع الكفار وارسل رسولا الى الشفاعة بينه
وبين عمه جمال الدين ابا الفتح اسماعيل بن محمد بن عبيد كونه بسبب العماد وكتب الى صاحب اربل والى
حسن بن قفجاق ونائبه بشهرزور بالتوفر على خدمته والارتياد لمصلحته واشياعه ومعونته قال
وفي هذه السنة توفي الامير حسام الدين سنقر الخلاطي احد مماليك السلطان واخلصهم وقد قدمته
سيئا مماليكه وكان وفاته ليلة الاثنين السابع والعشرين من رجب قال وفي ثاني عشر شعبان توفي
الامير حسام الدين طمان صاحب الرقة وهو من المجاهدين المجتهدين والاتقياء المتهجدين ولما حضرته
الوفاة تأسف من موته على فراشه وطلب حصانه بركبه شهيدا سعيدا الى معاده من معاشه
قال وفي تاسع عشر شعبان توفي الامير عز الدين موشك بن جلدك وهو ابن خال السلطان وهو
من اكابر اقاربه ومتقدمي كتائبه وكان للقرآن حافظا وعلى الاحسان محافظا ولقضاء حقوق
الناس ملاحظا ولم يزل السلطان في هذه الغزوات ملازما وعلى قمع جمع الكفر عازما ولما
اشتد به مرضه استأذن في الدخول الى دمشق فانتهى بها ودفن بجبل قاسيون قال وفي

حادي

حادي عشر رمضان توفي بدمشق القاضي شرف الدين ابن ابي عصرون ومولده في اوائل سنة اثنين
وتسعين واربعمائة فبلغ عمره ثلاثا وتسعين سنة ونصف واضر قبل وفاته مدة عشر سنين
ودفن بالمدرسة التي انشاها بدمشق وقبالة داره بينهما عرض الطريق وكان شيخ المذهب وقد
ختمت به الفتيا واوحشت غيبته الدين والدنيا قال وفي تاسع ذي القعدة توفي الامير الفقيه
ضياء الدين عيسى الهكاري في العسكر بمنزلة الخروبة وكان صاحب اسد الدين شيركوه ومضى
معه الى مصر حين ملكها ثم اختص بالسلطان بعده وتولى حله وعقده ودرت بواسطته وشفاعته
للناس ارزاق ونقل الى القدس فدفن بظاهره ولقد كان من الاعيان ومن اهل الجد في نصرة
الايمان فنقله الله الى الجنان قال وفي هذه السنة اقطع السلطان مملوكه مجاهد الدين
ايار ولاية شهرزور واعمالها وولي جمال الدين ابن المحسن نقابة الاشراف بدمشق قال وفي عاشر
جمادى الاولى منها كان مولد ناصر الدين محمد بن الملك العزيز عثمان الذي اجتمع عليه اصحابه بعد
وفاة ابيه في محرم سنة خمس وتسعين وورد بذلك الى السلطان من كتاب كريم فاضل من
مصر نسخته المملوك يقبل الارض بين يدي مولانا الملك الناصر دام رشاده وارشاده
وزاد سعده واسعاده وكثر اولياؤه وعبيده واعداده واشتد باعضاده فيهم اعتضاده
وانمى الله عدده حتى يقال هذا آدم الملوك وهذه اولاده وينهي ان الله وله الحمد رزق الملك
العزيز عز نصره ولدا مباركا عليا ذكرا سويا برا زكيا نقيا نقيا من ذرية كريمة بعضها
من بعض ومن بيت شريف كادت ولاته يكونون ولاة في السماء ومماليكه يكونون ملوكا في الارض
وكان مقدمه الميمون في يوم الاحد وهو من الجمعة اول العدد وبه وبآله يعز الله اهل الجمعة
ويذل اهل الاحد ثم ذكرنا في الكتاب فصل في ورود خبر خروج ملك الالمان
قال القاضي ابن شداد ولما دخل شهر رمضان من سنة خمس وثمانين وصل من حلب كتب من ولده
الظاهر يخبر فيها انه قد صح ان ملك الالمان خرج الى القسطنطينية في عدة عظيمة قيل مائتا الف
وقيل مائتان وستون الفا يريد البلاد الاسلامية فاشتد ذلك على السلطان وعظم عليه ورأى استنفار
الناس للجهاد واعلام خليفة الوقت بهذه الحادثة فاستندبني لذلك وامرني بالمسير الى صاحب
سنجار وصاحب الموصل وصاحب اربل واستدعائهم الى الجهاد بانفسهم وعساكرهم وامرني
بالمسير الى بغداد فسرت حادي عشر رمضان ويسر الله تعالى الوصول في الجماعة وابلاغ الرسالة
اليهم فاجابوا الى ذلك بعوثهم وسير صاحب الموصل علاء الدين ابنه المعظم بعسكره ووعد الديوان

بكل حيل وعدت اليه خامس ربيع الاول سنة ست وثمانين وسبقت العساكر واخبرته باجابتهم
وتاهبهم للمسير فسر بذلك • وقال العماد في كتاب الفتح ونما الخبر بوصول ملك الالمان الى
قسطنطينية في ملمايه الف مقاتل على قصد العبور الى بلاد الاسلام وقطع بلد الروم والارمن الى الشام
وفيهم ستون الف فارس مدرع ومعهم ملوك وكنود وكل شيطان لربه كنود وكتب صاحب قلعة
الروم مقدم الارمن وهو في قلعته على الفرات ومن اهل الدين في المامن يبدي نصحا واشفاقا وخوفا
على البلاد واحتراقا ويقطع ان الواصلين في كثرة وان الناهضين لطريقهم في عزة وارق في كتابه
وارعد وابرق في خطابه وانجد ولا شك انه الحبيبة المخبر ما ابل وملاه اهل ملته قايل ولما وصل
هذا النبا وقيل انه عظيم وورد هذا الخبر وقيل انه اليم كاد الناس يضطربون على انهم يصدقون
ويكذبون ومن طرق كل حيل من الراى يحدبون وقلنا ان وضح هذا الخطر وصح هذا الخبر فالمسلمون
يفيئون لنا ولا يقعدون ويغضبون لله ولا يرضون انهم لا يقعدون على ان الله تعالى ناصرنا
ومؤازرنا ومظاهرنا وحققنا باظهار القوة لمن استوحش لنا نبس وثبتنا بالارسال الى بلاد الروم
عيونا وجواسيس وبدينا رسل الاستنصار وبعثنا كتب الاستنفار الى جميع الامصار والاقطار
وقلنا ما هذه المرة الاخرى لا يسبغها الاكل راي وما هذه الكرة الا مثل كل كرة ولا يحضرها الا كل
كبش كمي • قال وعول السلطان على ارسال القاضي بهاء الدين ابن شداد يوسف بن رافع بن تميم
ليكون كتابه الى الديوان العزيز مع رسول كريم وقال العماد احتاج اوصى وان يوفي القول ويستقصي
وحصل له الى كل طرف في طريقه رسالة واودعه اليه مقالة فسار ووصل الى حلب والقاضي ضياء الدين
ابن الشهرزوري رسول السلطان ببغداد قد عاد وذكر انه قد بلغ المراد فما هذا الرسول الرابع
ووصل وهو مغتاظ وتغير علي وتسبب ابعاد القاضي بهاء الدين الى ان اجتمع بالسلطان وندمه على ما
قدمه واعلمه وعلمه وقال له الشغل قد فرغ والقصد قد بلغ وقرر مع السلطان امرا وعاد على النجب
الى بغداد وصادف بها القاضي بهاء الدين بن شداد فلم يسفر امر سفارته عن سداد وقبل جواب ما ابتدأ
فيه مع ضياء الدين وسدده فيما نجزه • وقال في كتاب البرق وصل الخبر بخروج ملك الالمان من بلاده
في مائتي الف دارع وفي راجل في حسب رجل الدنيا في عدد رمل اللوى واقام بحشرهم القيامة واستثارهم
لثار كنيستهم بالقدس قمامة وساروا في شهور حتى وصلوا قسطنطينية وكان ملك الروم يكتب
الينا باخبارهم ويتباهى بحثهم عن بلادهم ويقول انا لا امكنهم من العبور فلما جاوا المراد قدر على منعهم فصد
منهم الا زواد وحرمهم الاسعاد وعبروا الخليج وقد كثروا امدادهم وقلت ازوادهم ولما وصلوا الى

حدود

حدود بلاد الاسلام وسالوا في الاودية والاجام والوهاد والاكام تسلمهم ركبان الاوج وتراكم الثلوج
وشتاء الكلاب في كلب الشتاء واعتادوا الى اكل الدواب واحراق عددهم لاعواز الاحطاب وعدموا
العلف وما وجدوا الكلف وناهل الزلال اجاسن وهم بالبلاد جاهلون ومن البلاء ناهلون
لا يستطيعون في يوم من فرسخا وقد اذهب الله عنهم البركة وصعب عليهم الحركة وخرج الامر عن حسابهم
وهم كل يوم في نقص ابنيتهم وعدوابهم وكانوا يدفنون من اعلامهم النفيسة وعددهم الكريمة الرسيسة
ما يعجزون عن نقله ولا يحتملون بثقله فاتخذوا الاسرارها من اصلاع تلك الشعاب وصدور تلك
الهضاب والوهاد ضماير لا تبوح بها ابدا ولا يطلع على مكنونها ومدفونها احد هذا وبحرهم
عباب الموج هائل الفوج فلما خاضوا هذا شهرا وكانهم زجروا بموج سعيرا بحرهم هذا ووقد نقص
شطرهم وانقطع ظهرهم لكنهم عرضوا في ثلاثين الف مدرع مدجج مقنع ذلك وقد داكثر الحلم
وترجل معظم ابطالهم باطلهم وسياتي ذكرنا في اخبارهم قلت ومن قصيدة للحكيم ابي الفضل الجلياني رينى
يا منقذ القدس من ايدي جبابرة قد اقسموا ادراع الدرب تدخله فاكذبوا اكدتهم في وصفهم وصدق الوعد ما نويا محوله
اما اتاك ابن ايوب اشتغل عما تعنى الزمان واهاليه تجمله تماح الوزح وقد حاروا الفكرة فاستنفروا كل نهر تغلغله
لما اتى القدس قالوا كيف نتركها والدرب في حفره فيه تمثله فكم مليك لهم شق البحار سرى
لينصروا القبر والاقدار تخذله
وكم ترحل منهم فيلق تغلا الى الجوامع العاه ترحله استفرغوا الامل والعدوي مرقهم واستكثروا المال والهيجا تغلله
هم الفراش لهيب الحرب تصرعه وكلما جاء صدما حل مقتله سيف امام فلسطين ما حطف البحار الغداه صيقله
لم فداعدوا وكم قد حل جمعهم من غير ضرب ولا طعن بذيله وانما اسم صلاح الدين يكرر في جيش العدو فتسبيهم تحلله
ثم دخلت سنة ست وثمانين قال العماد رحمه الله والسلطان مقيم بعسكره
في الخروبة في خيامه المضروبة على الحالة المحبوبة وعنده العادل والافضل والمظفر وعكا محصورة وبعضت
هذه السنة على مرابطة المحاصرين لعكا وانفق في اوايل هذه السنة وقبلها انصراف العساكر العربية الى بلادها
البعيدة والغريبة لهجوم الشتاء وتوالي الانداء والانواء وحالت الوحول عن الركوب والنزول وكانت
نوب اليزك مترتبة والاحوال مهذبة وربما ركب السلطان يوما للقنص الى الزراة ثم يعود لانها دفوضه
الغراء ثم وقعت وقعة الرمل وذلك انه ركب يوما في صفر متصيدا وطابه قرب الغيض وابعد في النزلة والبركة
الى الرمل وساحل البحر فخرج الفرنج في وقت العصر في عدد ايدخل في الحصر وتابع اصحابنا بهم
فرجعوا اليهم وحملوا عليهم وطردوا اعليهم الى خيامهم ولحدوا عليهم من خلفهم وامامهم ولهم في

كل دفعة من العدو قلايع وللافرنج في كل كرة على الرمل مصارع حتى فني النشاب وبقي الانتشاب
وشاع بدا الاصحاب باستدعا النشاب والفرنج لا يعجزهم الا الرماة ولا يهتكهم الا الاصما فلما انسوا الحلو
الحجاب تجاسروا على الدنو عن تلك الشعاب وحملوا حملة واحدة ردوا بها اصحابنا الى النهر وكاد يعثر
بهم يد القهر صدمت من العادلية في وجوه القوم صف من رصوص البنيان واستشهد جماعة من الشجعان
وذلك انهم لما ردوا الفرنج قلعوا فرسانا وصرعوا اقرانا فنزلوا العدو قرعهم لسلب السهم فتمت بهم الحملة في
الاوبة واعجلتهم عن الركبة والوثبة واظلم الليل وافترق الجمعان وكثر الثناء اسفا على من فقد ومنهم
الحاجب ايغش المجدي • قال ومن عجايب هذه الوقعة ان مملوكا للسلطان يقال له سراسنقر
عثر به جواده فقبض من راسه شعره ليجذبه وسل اخر سيفه ليضربه فضرب يده وقابض شعره
فسيبه واستند سراسنقر بعدوهم خلفه فلم يدركوه وعاد السلطان من الصيد وقد انفصل الامر
قال وفي يوم الاحد خامس عشر ربيع الاول تسلم سعفا دون بالامان وكان الحصار قد
استمر عليه حتى فني زاده وصاحبه ارناط في الاسر فسلمه بخلاصه وصار الى صور قال واغتنم السلطان
هيجان البحر وحصور مراكب الاصطول من مصر فجاز العوى عكا فستر الغلاف والعوان ليهلك في
المراكب وملاها بالذخاير والاسلحة والكماة فلما سكن البحر عادت مراكب الفرنج الى مراسيها ودبت
عقاربها وافاعيها وشدت من اكنافها في مواتيها وانقطع خبر البلد وامتنع عليه دخول الرد فما ندب
العوام بالسباحة وحملهم وتخاطرون لتعسهم مع احتياطهم ويحملون كتبا وطيورا ويعودون
بكتب وطيور ويكتب اليهم ويكتبون الينا على اجنحة الحمام بالترجمة المصطلح عليها وكان في العسكر
من يتخذ حماما يطوف على خيمته وينزل في منزلته وعمل لها برجا من خشب وهوادي من قصب ويدرجها
في الطيران من البعد وكنا نعول على هذا الولوع الا ينفع حتى جات نوبة عكا فسعت وشفت الطبل ونفعت
واتت بالكتب بشاير جمة وكنا نطلبها منه مع الليل والنهار حتى قل وجودها لكثرة الارسال ولقد عطب
عوامون فما ارتدع الباقون فمنهم من سلم مرارا من القوم فاجترا وانس بالعوم فصل في
قدوم الملوك وحريق الابراج • قال العماد ولما انقضى الشتا وانفتح البحر وحان زمان القتال
جاءت العساكر الاسلامية من البلاد فكان اول من وصل الملك المجاهد اسد الدين شيركوه صاحب حمص والرحبة
وسابق الدين عثمان صاحب شيزر وعز الدين ابراهيم بن المقدم ووفد بعدهم جموع من الاجناد وحشود
من العرب والتركمان فرحل السلطان وتقدم وعزم على طلب العدو وصمم ونزل على تل كيسان يوم الاربعا
ثامن عشر ربيع الاول وتعبى عسكره فكان تقي الدين في آخر الميمنة والعادل في آخر الميسرة والافضل في

اول ميمنة القلب واخوه الظافر في اول الميمنة على الجنب ثم وصل الظاهر في عساكر حلب وعماد الدين
محمود بن بهرام الارتقي صاحب دارا وغيرهم من الملوك والمقاتلين ووصل رسول الخليفة يوم الاثنين سادس
عشر ربيع الاول وهو الشريف فخر الدين نقيب مشهد باب التبن ببغداد ووصل معه حملان من النفط
الطيار وحملان من القنا الخطار وتوقيع بعشرين الف دينار يقترض على الديوان العزيز من التجار وخمسة
من الزراقين النفاطين المتقنين صناعة الاحراق بالنار فاعتد السلطان بكلما حضره واخلص الدعاء
للديوان العزيز وشكره غير انه ابدى رد التوقيع وقال كلما معي من نعمة امير المومنين ولو اعرف
اموال هذه البلاد الى الجهاد لكانت محمولة الى الديوان واركب الرسول معه مرارا واراه مبادي
النزال ومعارك القتال حتى يشهد بما شاهد وسيتبين له المجتهد والمجاهد واقام طويلا ثم استاذن
في العود فرجع وقال القاضي ابن شداد قبل السلطان كل ما وصل مع الرسول واستعفى من الرقعة
والتثقيل بها قال وفي ذلك اليوم بلغ السلطان ان العدو قد زحفوا على البلد وضايقوه فركب
اليهم ليشغلهم بالقتال عن البلد فقاتلهم قتالا شديدا الى الليل وخاف السلطان ان يهجم العدو
البلد فانتقل الى تلك الجبل في خامس عشري ربيع الاول للقرب قال وفي صبيحة هذا اليوم وصل
من البلد عوام معه كتب يتضمن انه قد طم العدو بعض الخندق وقد قوي عزم العدو على منازلة البلد
ومضايقته فجدد السلطان الكتب الى العساكر والحث على الوصول وفي سحر ليلة الجمعة سابع عشري ربيع الاو ل
وصل ولده الظاهر وفي آخر ذلك اليوم وصل مظفر الدين وكان السلطان رحمه الله ما تقدم عليه عسكر
الا ويعرضهم ويسير بهم الى العدو وينزل بهم في خيمته ويمدهم الطعام وينعم عليهم بما يطيب به قلو بهم
اذا كانوا اجانب ثم تضرب خيامهم حيث يامر وينزلون بها مكرمين قال وكان العدو قد اصطنع
ثلاثة ابرجة من خشب وحديد والبسها الجلود المسقاة بالخل على ما ذكر بحيث لا تنفذ فيها النيران
وكانت هذه الابراج كانها الجبال نشاهدها من مواضعنا عالية على الاسوار وهي مركبة على عجل يسع الوا حد
منها من المقاتلة ما يزيد على خمسمائة نفر على ما قيل ويتسع سطحه لان ينصب عليه منجنيق وكان ذلك قد
عمل في قلوب المسلمين واودعها من الخوف على البلد ما لا يمكن شرحه وايس الناس من البلد بالكلية
وتقطعت قلوب المقاتلة فيه وكان قد فرغ عملها ولم يبق الا جرها الى قرب السور وكان السلطان
رحمه الله قد اعمل فكره في احراقها واهلاكها وجمع الصناع من الزراقين والنفاطين وباحثهم
في الاجتهاد في احراقها ووعدهم عليه بالاموال الطايلة والعطايا الجزيلة وضاقت حيلهم عن ذلك
وكان من جملة من حضر شاب نحاس دمشقي وذكر ان له صناعة في احراقها وانه ان مكن من الدخول الى عكا وحصل

له الادوية التي يعرفها احرقها فحصل له جميع ما طلبه ودخل الى عكا وطبخ تلك الادوية مع النفط
في قدور من النحاس حتى صار الجميع كانه جمرة نار ثم ضرب البرج الواحد يوم وصول الملك الظاهر
بقدر فاشتعل من ساعته ووقته وصار كالجبل العظيم من النار طالعة ذوائبه نحو السما فاستغاث
المسلمون بالتهليل والتكبير وعلاهم الفرح حتى كادت عقولهم تذهب فبينا الناس ينظرون ويعجبون
اذ رمى البرج الثاني بالقدر الثاني والثالث بالثالثة فاحترقا كالاول وركب السلطان والعساكر
وسار اليهم وانتظر ان يخرجوا فيناجزهم عملا بقوله صلى الله عليه وسلم من فتح له باب خير فلينتهزه
فلم يظهر العدو من خيامهم وحال بين الطائفتين الليل واستمر ركوب السلطان اليهم في كل يوم
وطلب نزالهم وقتالهم وهم لا يخرجون من خيامهم لعلمهم بتباشير النصر والظفر بهم والعساكر الاسلامية
تتواتر وتتواصل فوصل في الثاني والعشرين من ربيع الاخر عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي صاحب
سنجار وهو ابن اخي نور الدين وصهره زوج ابنته فلقيه السلطان بالاحترام والتعظيم ورتب له
العسكر في لقائه وسار به حتى وقفه على العدو وعاد معه الى الخيمة وانزله عنده وكان صنع له طعاما
لائقا بذلك اليوم فحضر هو وجميع اصحابه وقدم له من التحف واللطائف ما لا يقدر عليه غيره وكان
قد اكرمه بحيث طرح له طراحة مستقلة الى جانبه وبسط له ثوبا اطلس عند دخوله وضربت
خيمته على طرف الميسرة على جانب النهر وفي سابع جمادى الاولى وصل ابن اخيه صاحب الجزيرة معز الدين سنجر شاه
ابن سيف الدين غازي بن مودود بن زنكي فلقيه السلطان وانزله الى جانب عمه عماد الدين وفي تاسع جمادى
الاولى وصل ابن صاحب الموصل وهو علاء الدين خرم شاه بن عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي
نائبا عن ابيه ففرح السلطان به فرحا شديدا ولقاه عن بعد هو واهله واستحسن ادبه واستنجبه
وانزله عنده في الخيمة وكارمه مكارمة عظيمة وقدم له تحفا حسنة وامر بضرب خيمته بين ولديه
الافضل والظاهر وفي اواخر الشهر وصل صاحب اربل زين الدين يوسف بن زين الدين علي فاكرمه
السلطان وانزله عند اخيه مظفر الدين يعني في الميسرة وذكر العماد قدوم هؤلاء الملوك بمعنى ما تقدم
قال وكان الفرنج مذ نزلوا على عكا صمموا على الاقامة والحصر وشرعوا في بناء الابراج العظام العالية
ونقلوا في البحر الاتها واخشابها الكافية واقطاع الحديد وبنوا ثلاثة ابراج عالية في ثلاثة مواضع
من اقطار البلد وتعبوا فيها سبعة اشهر فلم يفرغوا منها الا في ربيع الاول فعلت كانها تلاع الاطواد
قد ملئت طبقاتها بعدد واعداد وكل برج لابد له في اركانه من اربع اسطوانات عاليات غلاظ جافيات
طول كل واحدة خمسون ذراعا للتشرف على ارتفاع سور البلد وبسطوها على دوائر العجل ثم كسوها بعد الحديد

والوثوق الشديد بجلود البقر والسلوخ وكل يوم يقربونها ولو ذراعا على حسب التيسير وتسييرها
وسقوها بالخل والخمر وكشفوا من جوانبها الثلاثة سور البلد وشرعوا في طم الخندق وجاء
عوام من عكا فاخبر السلطان فركب بالعسكر ولازمهم من الجمعة الى الجمعة يقاتلهم صباحا ومساء ليشغلهم
فافترقوا قسمين فريق للقتال وفريق اخر مع الابراج فاشفى البلد وبقي له دنو ضعيف ورميت
الابراج بكل قارورة نفط فما اثرت ولم تشعر يوم السبت الثامن والعشرين من ربيع الاول بالابراج
الا وقد اشتعلت والتهبت ووقعت وكانت اية من قدرة الله ظهرت وذلك انه كان بعكا شاب
من اهل دمشق يعرف بعلي بن عريف النحاسين وكان ابدا يجمع الات الزراقين مولعا بتحصيل عقاقيرها
متتبعا وكل من عرفه عذله وينكر عليه وكان قد الف منها مقادير وقدورا وملا بغيظ من اهل
تلك الصناعة صدورا ولم يكن النفط من صناعته ولكن الله وفقه لسعادته فلما كان يوم
حريقها جاء الى الامير قراقوش وهو مغتاظ واخلافه مطاط غلاظ ثم قال ائذن لي في نصب
المنجنيق لاحرق البرج والله ولي التوفيق فزجره ورده ونهاه ونهره وقال صناع هذا الشغل
قد حاروا وجاروا وبعدما اجتهدوا اعاروا فقال الناس دعه وشانه وما يدريك ان الله وفقه وانا
فرمى ابن العريف الى البرج الاول قدر نفط خالية من نار حتى عرف انه سقاه ورواه ثم رماه بقدر
محرقة واردفها باخرى مرهقة فتسلطت النار على طبقاتها فاضرم على اهل السعير سعيرا
وكان يوما على الكافرين عسيرا ثم احرق الثاني والثالث فاجتمع عليه الاصحاب يفدونه ومن
اولياء الله يعدونه وحملوه بعد ذلك الى السلطان فلم يقبل عطاء وقال عملته لله ولا اريد
به من سواه جزاء وقيل احترق في البرج الاول سبعون فارسا بعددها فحبطت اعمالهم وخابت
امالهم وخرج رجالنا من البلد فنظفوا الخندق وسدوا الثغر واظهروا العذر ونظروا الغدر
وجاءوا الى مواضع الابراج واستخرجوا الحديد من مكامنها ونبشوا الرماد عن الزرديات التي اشتبكت
وكشفوا عن السنابك التي تهتكت فاخذوا ما وجدوا وحصلوا على ما نشدوا اهـ قال وكان
السلطان قد كتب بالاستنجاد من شواني الاسطول والاسراع به في الوصول فوصل الخبر بوصوله
يوم الخميس ثامن الشهر فاستظهر به الاسطول الاول الذي بالثغر فركب السلطان بجميع كتائبه واحاط
بالكفر من جميع جوانبه واشتغل الفرنج عما عادتهم في البحر فجدوا في الامر وجهزوا اسطولا
بعدد الرجال وعدد القتال وخرج ليتلقى الاسطول الواصل ودانوا الحرب بالباطل وجاءت
شواني المسلمين فطحنت وطحنت واخذت مركبا للعدو برجاله واخذوا لنا قطعة وزالت

الحرب وقرعه وقرعه وصرعه حتى دخل الليل فحاجز الفريقان وتفرق الاسطول وكانت
المقتلة في الكفر شديدة والسطوة مبيدة وقال القاضي ابن شداد ولما كان ظهيرة يوم وصول
علاء الدين ابن صاحب الموصل ظهرت في البحر قلوع كثيرة وكان رحمه الله في نظرة الاسطول من مصر
فانه كان قد امر بتعميره ووصوله فعلم انه هو فركب والناس في خدمته وتعبا تعبية القتال
وقصد مضايقة العدو ليشغله عن قصد الاسطول ولما علم العدو بالاسطول استعد له وعمر اسطولا
لقتاله وليمنعه من دخول عكا ولما خرج اسطول العدو واشتد السلطان في قتالهم من خارج وسار
الناس على جانب البحر تقوية للاسطول وايناسا له ولرجاله والتقى الاسطولان في البحر والعسكران
في البر واضطرمت نار الحرب واستعرت وباع كل فريق روحه بما اختاره الاخروية وجرى قتال
شديد اسفر عن نصرة الاسطول الاسلامي واخذ منه شيني وقتل من به ونهب جميع من فيه وظفر من
العدو بمركب ايضا كان واصلا من قسطنطينية ودخل الاسطول المنصور الى عكا وكان قد صحبه
مراكب من الساحل فيها ميرة وذخاير وطابت قلوب اهل البلد بذلك وانشرحت صدورهم فان
الضائقة كانت قد اخذت منهم واتصل القتال بين العسكرين من خارج البلد الى ان فصل بينهما الليل
وعاد كل فريق الى ناحيته وقتل من عدو الله وجرح في ذلك اليوم خلق عظيم فانهم قاتلوا في ثلاثة
مواضع فان اهل البلد اشتدوا في قتالهم ليشغلوهم عن الاسطول ايضا والاسطولان متقابلان
والعسكران متقابلان وكان النصر بحمد الله للمسلمين قال العماد وقتلنا منهم مدة مقامنا على
عكا مستين اكثر من مائة الف ودرنا بهم بكل خندق وكلما بادوا في البر زادوا في البحر وكم حشروا
فحزروا وقتلوا واسروا وهزموا وكسروا وخلفهم خلف ويقوم مقام مائتهم الف وقد
افنينا انفسهم واموالهم وقطعنا ارزاقهم ووصلنا آجالهم فصل فيما كان من
امر ملك الالمان قال القاضي ابن شداد تواصلت الاخبار بوصول ملك الالمان الى بلاد
قليج ارسلان وانه نهض للقائه جمع عظيم من التركمان وقصدوا منعه من عبور النهر وانه اعجزهم
لكثرة خلقه وعدم مقدم لهم يجمع كلمتهم وكان قليج ارسلان يظهر مشاقته وهو في الباطن قد اضمر
وفاقه ثم لما عبر الى البلاد اظهر ما كان اضمره ووافقه واعطاه رهاين يثق بها على انه ينفذ معه من يوصله
الى بلاد ابن لاون وانه يعطيه ادلاء يدلونه وعراهم في الطريق جوع عظيم واعوزهم الزاد وقلت
بهم الظهر حتى انهم القوا بعض اقمشتهم ولقد بلغنا والله اعلم انهم جمعوا عددا كثيرة من زرديات
وخوذ وآلات وسلاح عجزوا عن حملها وحفروا لها بيدرا واحدا واضرموا فيها النار لتتلف
ولا

ولا ينتفع بها احد وانها بقيت بعد ذلك رابية من حديد وساروا على هذه الحال حتى وصلوا الى
طرسوس فاقاموا على نهر ليعبروه وان ملكهم الملعون عن له ان يسبح فيه وكان ماء شديد البرد
وكان ذلك عقيب ما ناله من التعب وانه عرض له بسبب ذلك مرض عظيم اشتد به الى ان قتله
ولما راى ما حل به اوصى الى ابنه الذي كان في صحبته ولما مات اجمعوا رايهم على انهم سلقوه في خل
وجمعوا عظامه في كيس حتى يحملوه الى القدس الشريف ويدفنوه فيه وترتب ابنه مكانه على خلف من اصحابه
فان ولده الاكبر كان خلفه في بلاده وكان جماعة من اصحابه يميلون اليه واستقر قدم ولده
الحاضر في تقدمه في العسكر ولما احس لاون بما جرى عليهم من الخلل وما حل بهم من الجوع
والموت والضعف بسبب موت ملكهم ما راى ان يلقي نفسه بينهم فانه لا يعلم كيف يكون الامر
وهم فرنج وهو ارمني فاعتصم عنهم في بعض قلاعه المنيعة ولقد وصل الى السلطان كتاب من الكا
وهو مقدم الارمن وهو صاحب قلعة الروم التي على طرف الفرات ومعنى هذا الاسم الخليفة
ونسخة الكتاب كتاب الداعي المخلص الكاغيكوش مما اطالع به مولانا ومالكنا السلطان الملك
الناصر جامع كلمة الايمان رافع علم العدل والاحسان صلاح الدنيا والدين سلطان الاسلام
والمسلمين من امر ملك الالمان وما جرى له عند ظهوره وذلك انه اول ما خرج من دياره دخل
بلاد الهنكر غصبا ثم دخل ارض مقدم الروم وفتح البلاد ونهبها واحوج ملك الروم الى ان
اطاعه واخذ رهاينه ولده واخاه واربعين نفرا من خلصائه واخذ منه خمسين قنطارا من ذهب
وخمسين قنطارا فضة وثياب اطلس مبلغا عظيما واغتصب المراكب وعدى بها الى هذا الجانب
وصحبته الرهاين الى ان دخل حدود بلاد الملك قليج ارسلان وبقي ثلاثة ايام سايرا وتركمان
الاوج يلقونه بالاغنام والابقار والخيل والبضايع فتداخلهم الطمع وجمعوا من جميع البلاد
ووقع القتال بين التركمان وبينهم وضايقوه ثلاثة وثلاثين يوما وهو ساير ولما قرب من قونية
جمع قطب الدين ولد قليج ارسلان العساكر وقصده وضرب معه مصافا عظيما فظفر به ملك
الالمان وكسره كسرة عظيمة وسار حتى اشرف على قونية فخرج اليه جموع عظيمة من المسلمين
فردهم مكسورين وهجم قونية بالسيف وقتل منها عالما عظيما من المسلمين والفرس واقام بها
خمسة ايام فطلب قليج ارسلان منه الامان فامنه الملك واستقر بينهم قاعدة اكيدة واخذ
منه الملك رهاين عشرين من اكابر دولته واشار على الملك ان يجعل طريقه على طرسوس والمصيصة
ففعل وقبل وصوله الى هذه البلاد نفذ كتابه ورسوله يشرح حاله وان قصده وما لقيه في طريقه

غنيكوش

ورد الرهبان

وانه لا بد من مجاوزة هذه الديار احيانا او كرها فاقتضى الحال انفاد الملوك خام وصحبته ما شا الله
ومعه من الخواص جماعة للقاء الملك في جواب كتابه وكانت الوصية معهم ان يحرفوه عن بلاد قليج ارسلان
ان امكن فلما اجتمعوا بالملك الكبير واعادوا عليه الجواب وعرفوه الاحوال ابى الانحراف
ثم كثر عليه العساكر والجوع ونزل على شط بعض الانهر واكل خبزا ونام ساعة وانتبه فنافت نفسه الى
الاستحمام في الماء البارد ففعل ذلك وخرج وكان من امر الله انه تحرك عليه مرض عظيم من الماء
البارد فمكث ايامًا قلايل ومات واما لاون فكان سايرًا ليلتقي الملك فلما جرى هذا المجرى
هرب الرسل من العسكر وتقدموا اليه واخبروه بالحال فدخل في بعض حصونه واحتمى هناك
واما ابن الملك فكان ابوه منذ توجّه لقصد هذه الديار نصب ولده الذي معه عوضه وناطرت
نواعره وبلغه هرب رسل لاون فانفذوا استعطفهم واحضرهم وقال ان ابي كان شيخًا كبيرًا
وانما قصد هذه الديار لاجل حج بيت المقدس وانا الذي دبّرت الملك وعانيت المشاق في هذه
الطريق فمن اطاعني والا بدأت بقصد دياره واستعطف لاون واقتضى الحال الاجتماع به ضرورة
وفي الجملة هم في عدد كثير ولقد عرض عسكره فكان في اثنين واربعين الفًا مخفف واما الرجالة
فلا يحصى عددهم هم اجناس متفاوتة وخلق غريبة وهم على قصد عظيم وجدّ في امرهم وسياسة هايلة
حتى ان من جنى منهم جناية ليس له جزاء الا ان يذبح مثل الشاة ولقد بلغهم عن بعض اكابرهم انه جنى
على غلام له وجاوز الحد في ضربه فاجتمعت القسوس للحكم فاقتضى الحال والحكم العام ذبحه وشفع
الى الملك منهم خلق عظيم فلم يلتفت الى ذلك وذبحه وقد حرّموا الملاذ على انفسهم حتى ان من بلغهم
عنه بلوغ لذة هجروه وعزروه وكل ذلك كان حزنًا على بيت المقدس ولقد صح عن جميع منهم انهم
هجروا الثياب مدة طويلة وحرّموها على انفسهم ولم يلبسوا الا الحديد حتى انكر عليهم الاكابر ذلك
وهم من الصبر على الذل والشقاء والتعب في حال عظيم وقال العماد لما قاربوا البلاد عزّ الدين
قليج ارسلان نهض اليهم ابنه قطب الدين ملك شاه فوقع بينهم الحرب ثم اندفع عنهم الى مدينة قونية
فساقوا وراه ودخلوها وحرقوا اسواقها ونزلوها فسيّروا الى السلطان قليج ارسلان انا لم
نصل لاخذ بلادك وانما نزلنا لثار بيت المقدس وبعثوا اليه هدايا وطلبوا الهدنة فهادنهم فتقووا
من تلك البلاد بما ارادوا من العدد والازواد وبعث قليج ارسلان وابنه يعتذرون الى السلطان
من تمكينهم من العبور وانهم غلبوا على ذلك ثم ان الالمانية طلبوا من قليج ارسلان انفاد جماعة من الامرا
معهم يمنعهم من لصوص التركمان حتى يصلوا الى بلاد الارمن فنفذ معهم خمسة وعشرين ووافق ذلك

عرض

عرض قطب الدين وانه كان كارهًا لجماعة من المقدمين فقدمهم اليهم بان يكونوا في صحبة ملك الالمان
فحملهم على الخطر واوقعهم في الغرر وورطهم في الضرر فانهم ما قدروا في الطريق على دفع كل سارق
وقد شعثهم اللصوص حتى وصلوا الى بلاد الارمن وفيهم لاون بن اصطفانة بن لاون فاخذوا
اولئك الرهاين وقيدوهم وجعلوهم في الاسر وجردوهم فمنهم من خلص بعد حين بالحيل ومنهم
من بقي ماسورًا حتى اتاه اليقين ووصل مقدم الارمن الى خدمته ودخل في طاعته وهدا هم لقصده
واقام لهم بالضيافات والعلوفات وذلك في طرسوس فتمكنوا انها ليبحوا العفون فعن لملك الالمان
ان يسبح في النهر لاماطة ما به من الضرر فعرض له مرض سلك به في سفر وقيل انه عبر جوعة النهر ادرجوا
والتطم الموج بهم وانجوا وطلبهو موضعًا يعبر فيه وجده وسعه من بعده فنزل على مخاضة ذات مخافة
الخالون هجمها من آفة تحدى اليها واجتراء عليها فحذبته سورة الماء الى شجرة شجت راسه وحبس انفاسه
واخرجوه وبقيه على الخروج وعزم على الدروج فتسلم مالك ملك الالمان بالمد وحمله الى جهنم وجلس
ابنه مكانه واتبع شانه واستتبع رجاله وفرسانه قيل عرض في نيف واربعين الف كمي وانقطع عنه
ابن لاون واختلف عليه اصحاب اخيه ميلًا منهم الى ابيه وساروا على سمت انطاكية في فرق تحارب
كانهم من المرض قد نبشوا من اجداث واكثرهم حمله عصا وركاب حمير وكل بالارض التي يسلكها غير خبير
فتبرم بهم صاحب انطاكية وثقلت عليه وطاتهم المفاجية وحسن لهم طريق بلاد حلب فلم يروا لهم في
ذلك الارب وطلب منه الملك قلعة انطاكية لينقل اليها ماله وخزاينه واثقاله فاخلاها له وسلمها
اليه طمعًا في ماله واموال رجاله وكان على ما حدسه فانه لم يعد اليها واستولى الابرنس بانطاكية عليها
وجاءت فرقة منهم ليلًا الى حصن بغراس وظنوا انه في ايدي اجناسهم الاجانس ففتح والى القلعة الباب
واخرج الاصحاب وتسلم تلك الاموال باحمالها والصناديق باقفالها واسر منهم وقتل كثيرًا وخرج
بعد ذلك اهل حلب وجدها الى طرقهم ووقوا من فرقهم والتقطوهم من الحجر والغياض وكان الواحد
يساسر بلاثة ولا يرى من رفقايهم اغاثة فهانت الالمانية بعد تلك المهابة في الاعين وباعوهم في الحصون
بالثمن الابخس ولما تكامل وصول الالمانيين الى انطاكية سلكوا الى طريق طرابلس جبلة واللاذقية فخرج عليهم
رجالها فقتلوا منهم واسروا وانما وصلوا الى طرابلس لا في جحف ولم يصف بمن جا مع الملك غير الف
وجاوا الى النازلين على عكا فعرفوا في نحسهم وجدوا في وجههم ثم هلك على عكا بعد العضاضة وانقضاء
شهر تاريخ ماى عشر ذي الحجة سنة ست وثمانين وقال في البرق وحبس الملك عن السير على الطريق
لما الفيت حموقهم في طرقاتهم من التعويق فركب في البحر في عدد يسير الى ان زيد على الالف برعب قلب وقصود

بلد ودع الف واختلط مع الفرنج على عكا فسقط اسمه وسقط حكمه وهلك بعد قليل ولم يحط بسمع عليل
وقال القاضي بن شداد مرض ولد ملك الالمان الذي قام مقامه مرضا عظيما واقام بموضع يسمى
البنات من بلاد لافون واقام معه خمسة وعشرون فارسا واربعون داويا وجهز عسكره نحو انطاكية حتى
يقطعون الطريق ورتبهم ثلاث فرق لكثرتهم ثم ان الفرقة الاولى اجتازت تحت قلعة بغراس ومقدمها
كند عظيم عندهم وان عسكر بغراس مع قلته اخذ منهم مائتي رجل نهبا وقهرا وكتبوا يخبرون عنهم بالضعف
العظيم والمرض الشديد وقلة الخيل والظهر والعدد والالات ولما اتصل هذا الخبر بالنواب في البلاد
الشامية انفذوا اليهم عسكرا يكشفون اخبارهم فوقع العسكر على جمع عظيم قد خرجوا لطلب العلوفة
فاغاروا عليهم وقتلوا واسروا زهاء خمسماية نفس ولقد حضرت من اخبر السلطان عنهم ويقول هم عدد
كثير لكنهم ضعفا قليلو الخيل والعدة واكثر ثقلهم على حمير وخيل ضعيفة قال ولقد وقفت على جسر
يعبرون عليه لاعتبرهم فعبر منهم جمع عظيم ما وجدت مع واحد منهم طارقة ولا رمحا الا النادر فسألتهم
عن ذلك فقالوا اقمنا بمرج وخم اياما وقلت ازوادنا واحطابنا فاوقدنا معظم عددنا ومات منا خلق
عظيم واحتجنا الى الخيل فذبحناها واكلناها ومات الكند الذي وصل الى انطاكية وطمع لافون فيهم حتى
عزم على اخذ مال الملك لمرضه وضعفه وقلة جمعه الذي تاخر معه ولم تزل اخبارهم تتواتر بالضعف
والمرض قال ولما تحقق السلطان وصول ملك الالمان الى بلاد لافون وقربه من البلاد الاسلامية
جمع امراء دولته وارباب الاراء وشاورهم فيما يصنع فاتفق الراي على ان العسكر يسير بعضه الى البلاد
المتاخمة لطريق عسكر العدو الواصل وان يقيم هو رحمه الله على منازلة العدو بباقي العسكر المنصور
وكان اول من سار صاحب منبج ناصر الدين بن تقي الدين ثم عز الدين بن المقدم صاحب كفرطاب وبارين
وغيرهما ثم مجد الدين صاحب بعلبك ثم سابق الدين صاحب شيزر ثم الياروقية من جملة عسكر حلب
وسار الى دمشق ولده الافضل لمرض عرض له وكذا بدر الدين شحنة دمشق ثم سار الملك الظاهر الى حلب
لايالة الطريق وكشف الاخبار وحفظ ما يليه من البلاد وسار بعده الملك المظفر لحفظ ما يليه من البلاد
وتدبير امر العدو المخذول ولما سارت هذه العساكر خفت الميمنة فان معظم من سار منها فامر السلطان
الملك العادل فانتقل الى منزلة تقي الدين في طرف الميمنة وكان عماد الدين زنكي في طرف الميسرة ووقع
في العسكر مرض عظيم فمرض مظفر الدين بن زين الدين صاحب حران وشفي ومرض بعده الملك الظافر
ولد السلطان وشفي ومرض خلق كثير من الاكابر وغيرهم الا ان المرض كان سليما بحمد الله تعالى وكان
المرض عند العدو اعظم واكثر وكان عندهم موتان عظيم واقام السلطان مصابرا على ذلك مرابطا

للعدو

للعدو وقال العماد وتقدم السلطان بهدم سور طبرية وهدم يافا وارسوف وقيسارية
وهدم سور صيدا وجبيل ونقل اهلهما الى بيروت وفي بعض الكتب السلطانية فقد عرفنا خبر
العدو المشؤوم الواصل من جانب الروم وهذا اوان تحرك ذوي الحمية ونهوض اهل الهمم الابية العلية فان
القوم في كثرة مسنون في طريق العزة والسيل اذا وصل الى الجبل الراسي وقف والليل اذا بلغ الى
الصبح المسفر انكشف فاين المؤدون فرض الجهاد المتعين واين المهتدون في نهج الرشاد المبين واين
المسلمون وحاشى ان يكونوا للاسلام مسلمين واين المتدينون في الدين معاذ الله ان لا يكونوا في نصرته
مع الموت متقدمين ولولا البعيد لهذا العدو الرائض لاطلقت اعنة النهضة الى العدو الناهض
ولابد من لقائه قبل بلوغ الجمعين واراه الملاعين وجوه حتفهم من العين ومن كتاب فاضلي
الى بغداد ومن خبر الفرنج انهم الان على عكا يمدهم البحر براكبه اكثر مما يمدهم امواجه ويخرج للمسلمين
امر من عجاجه واجاجه وقد تعاضدت ملوك الكفر على ان ينهضوا اليهم من كل فرقة طائفة ويرسلوا
اليهم من كل سلاح شوكة فاذا قتل المسلمون واحدا في البر بعثوا الفا عوضه في البحر فالزرع اكثر من
الحصاد والثمرة ابقى من الجداد وهذا العدو المقاتل فانه الله قد زاد عليه من الحاذور وما سبيه ويستجن
من الخيوبات بحصون حصينة فصار مصحرا وممتنعا حاسرا ومنازعا مواصلا ومقطعا وعددهم الجم
قد تكاثر القتل ودقابهم الغلب فقد قطعت النصل لشدة ما قطعها النصل واصحابنا قد اوت فيهم
المدة الطويلة والكلف الثقيلة في استطاعتهم لا طاعتهم وفي احوالهم لا شجاعتهم وكل من يعرفهم
نيا شد الله فيهم المناشدة النبوية في الصحب ليلة بدر اللهم ان تهلك هذه العصابة ويخلص الدعا
ويرجو على يد سيدنا امير المؤمنين الاجابة وقد حرم باباتهم لعنه الله عليهم كل مباح واستخرج منهم كل
مذخور واغلق دونهم الكنائس ولبس والبسهم الحداد وتحكم عليهم ان لا يزالوا كذلك او يستخلصوا
المقبرة فيا عصبة محمد عليه السلام اخلفه في امته بما تطمئن به مضاجعه ووفه الحق فينا فالمسلمون عندك
ودائعه وما مثل الخادم نفسه في هذا القول الا كالهاتف ووقف بالعقبات صارخا وقبل ترابها خاشعا
وناجاها بالقول صادعا ولو رفعت عنه العوائق لهاجر وشافه طبيب الاسلام بل مسيحه بالداء الذي
خامر ولو امتد عدو الاسلام ان يقول قولا اخر لساني ولولا ان في التصريح ما يعود على العداة
بالتجريح لقال ما يبكي العيون وينكي القلوب ولكنه صابر محتسب منتظر لنصر الله من بعد ما لم يرعه
بما يجب ربانيه لا املك الا نفسي وها هي في سبيلك مبذوله واخي وقد هاجر اليك هجرة يرجو ملتقى
وولدي وقد بذلت لعدوك صفحات وجوههم وهان على محبوبك مكروهي فيهم وبكر وهمم ونقف

عند هذا الحد ولله الامر من قبل ومن بعد **فصل** في الوقعة العادلية على عكا ظهر يوم الاربعا
العشرين من جمادى الآخرة **قال** القاضي ابن شداد علم عدو الله ان العساكر قد تفرقت في اطراف
البلاد وان الميمنة قد خفت لان معظم من سار كان منها بحكم قرب بلادهم من طريق العدو فاجمعوا
رايهم واتفقت كلمتهم على انهم يخرجون بغتة ويهجمون على طرف الميمنة محاذاة فخرجوا واستغفلوا
طرف الميمنة وفيها مخيم العادل فلما نظر الناس بهم صاح صائحهم وخرجوا من خيامهم كالاسود
من اجامها وركب السلطان ونادى مناديه يا للاسلام وكان رحمه الله هو اول راكب ولقد رايته
وقد ركب من خيمته وحوله نفر يسير من خواصه والناس لم يستتم ركوبهم وهو كالفاقدة ولدها
الثاكلة واحدها ثم ضرب الكوس فاجابته كوسات الامرا من اماكنها وركب الناس وشارع الفرنج
في قصد الميمنة حتى وصلوا الى المخيم العادلي قبل استتمام ركوب العساكر ودخلوا في وطاقه وامتدت
ايديهم في السوق واطراف المخيم بالنهب والغارة وقيل وصلوا الى خيمة الخاص واخذوا من
شرابخاناته شيئا وركب العادل واستركب من يليه من الميمنة كالطواشي قايماز النجمي وعز الدين
جرديك النوري ومن يجري مجراه ووقف وقوف مخادع يوغل بهم طمعهم في المخيم واشتغلوا
بالنهب وكان كما ظن فانه عاثت ايديهم في الخيام والاقمشة والفواكه والطعام فلما علم اشتغالهم
بذلك صاح الناس وحمل بنفسه وتقدمه ولده الكبير شمس الدين مودود وحمل جملة من كان يليه
من الميمنة واتصل الامر بجميع الميمنة حتى وصل الصايح الى عسكر الموصل وهجموا على العدو هجمة واحدة
هجمة الاسود على فرايسها وامكنهم الله منهم ووقعت الكسرة فعادوا يشتدون نحو خيامهم مادين
وعلى اعقابهم ناكصين وسيف الله يعمل فيهم وصاح صايح الناس يا ابطال الموحدين هذا عدو الله
قد امكن الله منه وقد داخله الطمع حتى تخطى خيامكم بغتة فبادر الى اجابته حلقته وخاصته
ثم عسكر الموصل يقدمهم علاء الدين ولد عز الدين ثم عسكر مصر يقدمهم سنقر الحلبي وتتابعت
العساكر وتجاوبت الابطال وقامت سوق البحر [?] فلم يكن ساعة حتى راينا القوم صرعى كانهم اعجاز
نخل خاوية وانهزموا منهزمين من خيام العادل الى خيامهم اولهم في الخيم الاسلامية واخرهم
في خيم العدو صرعى على التلول والوهاد وكان مقدار ما امتد فيه القتلى من المخيمين فرسخا ودعا [?]
زاد على ذلك ولم ينج من القوم الا النادر **قال** ولقد خضت في تلك الدما بدابتي واجتهدت
ان اعدهم فما قدرت على ذلك لكثرتهم وتفرقهم وشاهدت منهم امراتين مقتولتين وحكى
لي من شاهد منهم اربع نسوة مقاتلين واسر منهم اثنان واسر من الرجال في ذلك اليوم نفر يسير

فان

فان السلطان كان امر الناس ان لا يستبقوا احدا هذا كله في الميمنة وبعض القلب واما الميسرة فما
اتصل الصايح بهم الا وقد نجز الامر وقضى القضاء على العدو لبعد المسافتين وكانت هذه الوقعة
فيما بين الظهر والعصر فان العدو ظهر في قايم الظهيرة وانفصلت الحرب بعد العصر وانكسر القوم حتى
دخلت طايفة من المسلمين الى مخيمهم على ما قيل ثم ان السلطان امر الناس بالتراجع ولم يفقد من المسلمين
احد في ذلك اليوم سوى عشرة انفس غير معروفين ولما احس جند الله بعكا بما جرى بين المسلمين وبين
العدو من الوقعة فانهم كانوا يشاهدون الوقعات من اعالي السور خرجوا الى مخيم العدو من البلد
وجرى بينهم مقتلة عظيمة وكانت النصرة والحمد لله للمسلمين بحيث هجموا خيام العدو ونهبوا منها جمعا
من النسوان والاقمشة حتى القدور وفيها الطعام ووصل كتاب من عكا يخبر بذلك واختلف الناس في
عدد القتلى منهم فذكر قوم انهم ثمانية الاف وقال الاخرون سبعة الاف ولم ينقصهم حازر عن خمسة
الاف ولقد شاهدت منهم خمسة صفوف اولها في مخيم العادل واخرها في مخيم العدو ولقد لقيت
انسانا عاقلا جنديا يسعى بين القتلى ويعدهم فقلت له كم عددت فقال الى هاهنا اربعة الاف
ونيفا وستين قتيلا وكان قد عد صفين وهو في الصف الثالث اكثر مما مضى من الصفوف اكثر عددا
من الباقي **قال** وجا من العدو مخابر له عن جلجة [?] ايام بكتاب يتضمن ان جماعة عظيمة من العدو
الشمال خرجوا للنهب باطراف البلاد الاسلامية ونهض العسكر الحلبي اليهم واخذ عليهم الطرق فلم
ينج منهم احد الا من شاء الله **قال** وجا في ليلة ذلك اليوم من اليزك من ذكر ان العدو قد مال الى
جانب السلطان من يصل اليهم فيتسمع منهم حديثا في سوال الصلح لضعف حل بهم ولم يزل العدو من
حينئذ مكسور الجناح مهاض الجانب حتى وصلهم كند يقال له كند هري وسياتي ذكره **وقال**
العماد لما شاع عند الفرنج خبر وصول الالمانية قالوا اذا وصل ملكهم ونكا في المسلمين اكثرنا موسنا
ونطانات منه دوسنا فذكر الوقعة بمعنى ما تقدم الى ان قال ووصل السلطان وشاهد من
ساة الفرنج ما سره وعرف لطف الله وبره ونصره وعاين هناك مصارع الاعدا ومشارع البلا
وكانوا صرعى وشتى في مدى فرسخ على الارض وهم في تسعة صفوف من تلال الرمل الى البحر بالعرض
وكل صف يزيد على الف قتيل وشاع القتل في الفرنج في كل قبيل وكانت النوبة بلا نابيه والعروة
بلا شابيه وقتل منهم دون عشرة الاف ولم يبلغ من استشهد من اتباع العسكر عشرة فاغتنمها تجارة
راجحة وغنيمة مبشرة **قال** ولما عرفت بالموافقة والنصرة الجامعة صدرت لي اربعين كتابا
بالبشارات ما ابلغ المعاني وابدع العبارات وقلت اذا نزل السلطان وجد الكتب حاضرة ولا ادري

البشارة سايره وركبت انا والقاضي بها الدين بن شداد لمشاهدة ما هناك من اشلاء عجي واجساد
قتلى الحجل ما سلبوا واعروا وفروا وقروا وقد بقرت بطونهم وفقيت عيونهم ورايتنا امراة مقتوله لكونها
مقاتله وسمعناها وهي جاثمه بالعبرة مايلة وما زلنا نطوف عليهم ونعبر ونتفكر فيهم ونعتبر
حتى ازيد العشاء بالظلام فعدنا الى الخيام واطلنا الوقوف على تلك الدارسه واستبشرت الوجوه بكل
الوجوه العابسه وحزرناهم بعشرة آلاف قتيل اخر وتكثير بل حزر تقليل وكان الذين حملوا او انهزموا
وقتلوا اقل من الف فقتلوا اضعافا مضاعفه وعدموا من ورائهم مساعدة ومشايعه ومن حكي من
نوادر هذه الوقعه ان فرنجيا عقر فحشا للظهر فعثر به راكب يزدون فعرقب الفرنجي فرسه بسيف
في بين منزل الحلة مثبتا في جدده وقتل ذلك العربي وروي دمه الهندي وحل من وسطه هميان
دينارا فانقلب ربحا ما عد خسارا وامتلات الايدي بالاكساب والاسلاب وحصل من العدد ما
لم يكن في الحساب وبيعت الدبابات دون الاثمان بالرخص الغال وشرع الفرنج في الجلاع والمراسله
وسالوا في الصلح واذن لهم السلطان في الخروج للنظر الى ولئك الصرعى بتلك المروج وهي قد
تورمت وانتنت وجافت وحميت الشمس على جيفها وحافت وصافتها الغشاعم والجوامع وعليها
اطافت نسا وبهم مما سرنا وبقربهم ما اقرنا **فصل** قال العماد وكان الراى بعد هذه النصره
ان نزيد عليهم الكرة تلو المرة بعد مرة الى ان يهلكوا جرة ويبيدوا فلا يبقى لهم جمره فاشتغل
السلطان بما جاءه من المكاتبات بخطر الزمان وعبرهم بعسكر الالمان وجاءت للفرنج نجده من البحر
ومدد اضعاف ما نقص منهم من العدد والعدد فاضحوا كان لم ينكبوا او نشتوا امكانهم ولم يشبوا
ووصل اليهم المعروف بالكندهري ففرق الاموال واستخدم الرجال وانفق في عشرة آلاف راجل
واظهر انه يخرج الى لقاء عسكر الاسلام فتحرك السلطان الى منزلة الخروبه ليوسع عليهم الدايره
ونصب الكند على عكا منجنيقات كثيره واحرقها المسلمون وقتل منهم من الفوارس سبعون
واسر عدة معروفون ثم نصب منجنيقين فاحرقا اول شعبان وكان الكند قد انفق على
احدهما الف وخمس مائة دينار ومن جملة ما وقع في الاسر فارس كبير فما امهلوه حين اخذوه
حتى قتلوه ونبذوه فطلبه منهم الفرنج بالاموال ولم يعرفوا بالحال فاخرجوه اليهم قتيلا فاكثر
الفرنج عليه بعد العويل عويلا فما بقوا يندبونه نوحا ويدعون ثبورا بعدما منهم موجا وحنينا
ووقعت عليهم كآبه قتيلا ضربوا بسعوتهم الارض وحثوا على رؤوسهم التراب ووقعت عليهم بسبب
ذلك خمدة عظيمة وكتموا امره ولم يظهر من كان واستصغر المسلمون بعد ذلك امرهم وهجم عليهم العرب

كل جانب يسرقون وينهبون ويقتلون ويأسرون هنا والكتب متواصله من عكا الينا ومنا اليهم
على اجنحة الطيور وايدي السباح والمراكب اللطاف تخرج ليلا وتدخل سرقة من العدو قال
العماد ووصل من ملك القسطنطينيه كتاب يتضمن استعطافا واستسعافا ويذكر تمكينه من اقامة
الجمعه في جامع المسلمين بقسطنطينيه والخطبه وانه مستمر على المودة راغب في المحبة ويعتذر من
عبور الملك الالماني وانه قد فجع في طريقه بالاماني ونال من المشقة ونقص العدة ما اضعفه
واوهاه وانه لا يصل الى بلادكم فينتفع بنفسه او ينفع ويكون مصرعه هناك او لا يرجع ويتمنى ما به
كاده وانه قد بلغ في اداه اجتهاده ويطلب رسولا يطلب به من السلطان رسولا فاجيب في ذلك
الى مراده ووقع الاعتداد بما ذكره من اعتداده قال القاضي بن شداد كان بين السلطان
وبين ملك قسطنطينيه مراسله ومكاتبه وكان وصل منه رسول الى الباب الكريم السلطاني
بمرج عيون سنة خمس وثمانين في رجب في جواب رسول كان انفذه السلطان بعد تقرير القواعد
واقامة قانون الخطبه في جامع قسطنطينيه فمضى الرسول واقام الخطبه ولقي باحترام عظيم واكرام م
زايد وكان قد انفذ معه في المركب الخطيب والمنبر وجمعا من المؤذنين والقرا وكان يوم دخولهم
الى قسطنطينيه يوما عظيما من ايام الاسلام شاهده جمع كثير من التجار ورقي الخطيب المنبر واجتمع
اليه المسلمون المقيمون بها والتجار واقام الدعوة الاسلامية العباسيه ثم عاد فعاد معه هذا
الرسول يخبر بانتظام الحال في ذلك فاقام مده ولقد شاهدته يبلغ الرساله ومعه ترجمان يترجم
عنه وهو شيخ من احسن ما يفرض ان يكون من صور المشايخ وعليه زيهم الذي يختص بهم ومعه كتاب
وبدكين والكتاب مختوم بذهب وللمامان وصل خبر وفاة ملك قسطنطينيه فانفذ هذا الرسول
في تتمة ذلك ثم وصف القاضي الكتاب وعبر عنه بالفاظه وقد عبر العماد عن معانيه فاغنى ذلك
ثم قال وكان من الالمان انه بعد ان استقر قدمه في انطاكيه اخذها من صاحبها وحكم فيه وكان بين يديه
فيها سعدا وامره فاخذها منه غيله وخديعه واودعها خزائنه وسار منها خامس عشري رجب نحو
عكا في جيوشه وجموعه على طريق اللاذقيه حتى اتى طرابلس وكان قد سار اليه من عسكر الفرنج يلتقيه المركيس
صاحب صور وكان من اعظمهم حيلة واشدهم باسا وهو الاصل في تهييج الجموع وذلك انه صور
القدس في ورقة عظيمة وصور فيه صورة القيامة التي يحجون اليها ويعظمون شانها وفيها قبر المسيح الذي
دفن فيه بعد صلبه بزعمهم وذلك القبر هو اصل حجهم وهو الذي يعتقدون نزول النور عليه في كل
سنة في عيد من اعيادهم فصور القبر وصور عليه فرسا عليه فارس مسلم راكب وقد وطي قبر المسيح وقد

نال الفرنج الغرض على الفور وابدى هذه الصورة ورآء الجرخ في الاسواق والمجامع والقسوس يجلونها
ورؤسهم مكشفه وعليهم المسوح ويتنادون بالويل والثبور والمصور عمل في قلوبهم ما هنا اصل دينهم
فهاج بذلك خلايق لا يحصي عددهم الا الله تعالى وكان من جملتهم ملك الالمان وجنوده فلقيهم
المركيس لكونه اصلاً في استنجادهم الى هذه الواقعه فلما اتصل به قوى قلبه وبصره بالطرق وسلك
به الساحل خوفاً من انه اذا اتى على بلاد حلب وحماه نازلهم المسلمون من كل جانب ومع ذلك لم يسلموا
من شن الغارات عليهم واختلف حزر الناس لهم ولقد وقفت على بعض كتب الجبيرين بالحرب وقد
حرر فارسهم وراجلهم بحثه الآن تعداد كانوا قد خرجوا على ما ذكر ثماني الف فانظر الى صنع الله
مع اعدائه ولما ساروا من اللاذقيه يريدون جبله وجدوا في اعقابهم نيفاً وستين فرساً قد
عطبت وانتزع لحمها ولم يبق منها الا العظام من شدة الجوع وضعف الخيل ولم يزالوا سائرين وايدي
المسلمين تتخطفهم من حولهم نهباً واسراً وقتلاً حتى اتوا اطرابلس فاقام بها حتى استجم عسكره وارسل
الى النازلين على عكا يخبرهم بقدومه فبهجوا من ذلك لان المركيس صاحب صور مشورته وكان الملك
جفري وهو ملك الساحل بالمعسكر هو الذي يرجع اليه في الامور فعلم انه مع قدوم الالماني
لا يبقى له حكم وفي اواخر شعبان نزل الالماني في المراكب هو وعسكره فثارت عليهم ريح اهلكت
منهم ثلاثة مراكب وسار الباقون الى صور ثم وصل الى عكا في نفر يسير في سادس رمضان وكان
لقدومه وقع عظيم عندهم ووصل خبر وصولهم الى طرابلس في ثاني عشر شعبان والسلطان ثابت الجاش
راسخ القدم لا يزعزعه ذلك عن حراسة عكا والحماية لها ومراصدة العسكر النازل بها وشن الغارا
والهجوم عليهم في كل وقت مفوضاً امره الى الله تعالى معتمداً عليه منبسط الوجه لقضاء حوائج
الناس مواصلاً بره من يفد اليه من الفقراء والفقهاء والمشايخ والادباء ولقد كنت اذا بلغني
هذا الخبر اموت حتى اذا دخلت عليه اجد عنده من قوة النفس وشدة الباس ما يشرح صدري
وايقن معه نصر الاسلام واهله **فصل** في ادخال البطس الى عكا قال القاضي
شداد كان رحمه الله قد عمر ببيروت بطشه وعمرها واودعها اربعمايه غراره من القمح ووضع فيها
من الجبن والبصل والغنم وغير ذلك من الميرة وكان الفرنج قد اداروا مراكبهم حول عكا حراسة لها من
ان يدخلها مركب للمسلمين وكان قد اشتدت حاجة من فيها الى الطعام والميرة فركب في بطشه بيروت
جماعة من المسلمين وتزيوا بزي الفرنج حتى حلقوا لحاهم ووضعوا الخنازير على سطح البطشة بحيث ترى
من بعد وعلقوا الصلبان وجاؤوا قاصدي البلد من البعد حتى خالطوا مراكب العدو وخرجوا اليهم واعترضوهم

في الحراقات والشواني وقالوا لهم نراكم قاصدين البلد واعتقدوا انهم منهم فقالوا ولم تكونوا اخذتم
البلد فقالوا لم نأخذ البلد بعد فقالوا نحن نرد القلوع الى العسكر ووراءنا بطشه اخرى في هوائنا فانذروهم
حتى لا يدخلوا البلد وكان وراءهم بطشه فرنجيه قد لقيت معهم في البحر قاصدين العسكر فنظروا فرأوها
فقصدوها لينذروها فاشتدت البطشه الاسلاميه في السير واستقامت لها الريح حتى دخلت ميناء البلد
وسلمت ولله الحمد وكان فرحاً عظيماً فان الحاجة كانت قد اخذت من اهل البلد وكان ذلك في العشر الاواخر
من رجب قال وفي العشر الاوسط من شعبان كتب بهاء الدين قراقوش وهو والي البلد والمقدم على الاسطول
وهو الحاجب لولو يذكران للسلطان انه لم يبق بالبلد ميره الا قدر ما يكفي البلد الى ليلة النصف من شعبان
لا غير فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لخاص ولا عام خشية الشيوع والبلوغ الى العدو ويضعف
به قلوب المسلمين وكان قد كتب الى مصر بتجهيز ثلاث بطس يشحنونه بالاقوات والادام والميرة وجميع
ما يحتاج اليه في الحصار بحيث يكفيهم ذلك طول الشتا فاقلعت البطس الثلاث من الديار المصريه ولججت
في البحر فسوحي الصوتيه بها الريح التي تحملها الى عكا فطابت لهم الريح حتى ساروا ووصلوا الى عكا ليلة النصف
من شعبان وقد فنيت الازواد ولم يبق عندهم ما يطعمون الناس في ذلك اليوم وخرج عليها اسطول
العدو يقاتلها والعساكر الاسلاميه تشاهد ذلك من الساحل والناس في تهليل وتكبير وقد كشف المسلمون
رؤسهم يبتهلون الى الله تعالى في القضاء سلامتها الى البلد والسلطان على الساحل كالوالدة الثكلى
يشاهد القتال ويدعوا الى ربه بنصره وقد علم من شدة القوم ما لم يعلمه غيره وفي قلبه ما في قلبه والله يثبته
ولم يزل القتال يعمل حولها الى البطس من كل جانب والله يدفع عنها والريح تشتد والاصوات قد ارتفعت
من الطائفتين والدعا يخرق الحجب حتى وصلوا بحمد الله سالمين الى ميناء البلد وتلقاهم اهل عكا تلقي
الامطار عن جدب وامتاروا ما فيها وكانت ليلة بليلة وكان دخولها العصر رابع عشر شعبان
وقال العماد كان السلطان قد امر بوالي الاسكندريه بتجهيز بطس كبار وتعميرها من كل ميره وغله
وتسييرها الى عكا فابطأت عن الميقات واضر بالمقيمين بالبلد اعواز الاقوات فافكر فيما يتعجل به
الغرض فكتب الى متولي بيروت عز الدين اسامه بتجهيز بطشه كبيره مملوءه ميره وغله كثيره واركبها
جماعه على زي الفرنج ممسوحي اللحا ممسوحي الحلي واعطاهم صلبانا وحمل بهم رهبانا وكانت هذه البطشه
من الفرنج ماخوذه وهي بساحل بيروت مشدوده فامر السلطان بترميمها وتتميمها فملئت بالشحوم واللحوم
واربعمايه غراره غله واحمال من النشاب والنفط ورتب فيها رجال مسلمون ونصارى من اهل بيروت
وارادوا ان يشتبهوا ببطس العدو في البحر وشدوا زنانير واستصحبوا خنازير وساروا بها في البحر مراكب الفرنج

مختلطين والى محادثتهم ومجاذبتهم منبسطين ولما حاذوا بها عكا صوبوا بها نحوها والريح تسوقها
والفرنج من مراكبها تقول ما هذه طريقها وهي كالسهم النافذ قد سدد فوقها فدخلت الثغر
واخبرا البلد بما صنعته وظهرت رابع عشر شعبان من لجج البحر ثلاث مراكب كانها ثلاث هواضب
سحاب اعلامها كالاعلام طايرة كالسهام ولم تبال بمراكب العدو وخرقتها وقربت منها سفينة فغرقتها
وعبرت وعين الكفر عبرى وامتلاء الثغر بها واثرى فصل قال العماد ووصل ملك
الالمان ورام ان يظهر نجدته وقعا وسدى به نفعا فدنوا في راجل كرجل الدبا رجل اعصف
الوهاد والربى وقربوا من تل العياضية وعليه خيم اليزكية والنوبة فيها للحلقة المنصورة الناصرية
والعصبة الموصلية فثاروا اليهم وداروا عليهم وركب السلطان وتقدم الى تل كيسان ولم يزل
الحرب الى ان جن الظلام وكف الكفر وسلم الاسلام وكانت الدائرة على الكفرة قال القاضي
وقتل منهم وجرح خلق عظيم والسيف يعمل في تقفيتهم وهم هاربون حتى وصل المخيم غروب الشمس من ذلك
اليوم وهو لا يعتقد سلامة نفسه من شدة خوفه وقتل من المسلمين في ذلك اليوم اثنان وجرح
جماعة كثيرة ❧ ومن كتاب الى بغداد قد بلي الاسلام منهم بقوم قد استطابوا الموت واستحبوا
الفوت وفارقوا المحبوبين الاوطان والاوطار وهجروا المالوفين الاهل والديار وركبوا اللجج وهبوا
المهج كل ذلك طاعة لقسيسهم وامتثالا لامر كبيرهم وغيرة لمتعبدهم وحمية لمعتقدهم ولما لكا
على معتقدهم وحرقا على قمامتهم لا يبالون مع شدة الاملاق ما لاقوا ويجدون مع كثرة المشاق سلالا
بل يتساقطون على نيران الظبى تساقط الفراش ويقتحمون الردى متدرعين الصبر متشبثي الجاش حتى
خرجت النساء من بلادهن متبرزات وسرن الى الشام في البحر والبر متجهزات وكانت معهن ملكة
استتبعت خمسماية فارس وراجل ونابل والتزمت بمؤنتهم قصودا في مركبها بقرب
الاسكندرية فاخذت برجالها واراح الله من شر احتفالها ومنهن ملكة وصلت مع ملك الالمان
وذوات المغانم من الفرنج مقنعات دارعات يحملن الى الطعان الطوارق والعنطاريات وقد
وجدت في الوقعات التي جرت عدة منهن بين القتلى وما عرفن حتى سلبن وان الباب الذي لهم برومية
قد حرم عليهم مطاعمهم ومشاربهم وقال من لا يتوجه الى القدس مخلصا فهو عندي محروم لا منكح له ولا
مطعم فلاجل هذا انهم فيتوفرون على الورود ومنها لكون كل يوم منهم الموعود وقال لهم اني واصل في الربيع
جامع على شمل الجميع واذا نهض هذا الملعون فلا يقعد عنه احد ونصل معه باهله وولده كل من يقولان
لله اهل وولد فهذا شرح هؤلاء وتعصبهم في ضلالتهم ويحاجتهم في غوايتهم خلاف اهل الاسلام

فانهم

فانهم يتضجرون ولا يصبرون بل يتعللون ولا يجتمعون ويتسللون ولا يرجعون وانما يقيمون
بدل نفقة واذا حضر واحد ومغلوب غير منفقة ليعلم ان الاسلام من عند الله منصور وان الكفر بالله ده
مخذول مدحور ان يرجع الى قتال البلد ويشتغل بمضايقته واخذ من الالات العجيبة والصنايع
الغريبة ما هال الناظر اليه وخيف على البلد منه فمما احدثه آلة عظيمة تسمى دبابة يدخل تحتها من المقاتلة
خلق عظيم ملبسة بصفايح الحديد ولها من تحتها عجل يحرك بها من داخل وفيها المقاتلة حتى ينطح بها
السور ولها راس عظيم برقبة شديدة من حديد وهي تسمى كبشا ينطح بها السور بشدة عظيمة لانه
يجرها خلق عظيم فتهدمه بتكرار نطحها وآلة اخرى وهي قبو فيه رجال يسحب كذلك الا ان راسها
محدد على مثال السكة التي يحرث بها وراس الكبش مدور وهذا يهدم بثقله وتلك تهدم بحدتها وثقلها وهي
تسمى سنورا ومن الستاير والسلالم الكبار الهايلة واعدوا في البحر بطشة هايلة وصنعوا فيها
برجا بخرطوم اذا ارادوا قلبه على السور انقلب بالحركات ويبقى طريقا الى المكان الذي ينقلب عليه يمشي
عليه المقاتلة وعزموا على تقريبه الى برج الذبان ليأخذوه به قال ونصب العدو على البلد منجنيقات
هايلة حاكمة على السور وتواترت حجارتها حتى اثرت فيه تاثيرا بينا وخيف من غايلته فاخذ سهمان
من سهام الجرخ العظيم واحرق نصلاهما حتى بقيا كالشعلة من النار ثم رميا في المنجنيق الواحد
فعلقا فيه واجتهد العدو في اطفاء النار فلم يقدر على ذلك وهبت ريح شديدة فاشتعل اشتعالا
عظيما واتصلت لهبته بالاخر فاحرقته واشتد نارهما بحيث لم يقدر احد ان يقرب مكانهما ليحتال
في اطفائهما وكان يوما عظيما اشتد فيه فرح المسلمين وغم الكافرين قال ومن نوادر هذه
الوقعة ومحاسنها يعني نوادر ما جرى في القتال على عكا ان عواما مسلما كان يقال له عيسى يدخل
البلد بالكتب والنفقات على وسطه ليلا على غرة من العدو وكان يغوص ويخرج من الجانب الآخر
من مراكب العدو وكان ليلة شد على وسطه ثلاثة اكياس فيها الف دينار وكتبا للعسكر وعام
في البحر فجرى عليه امر اهلكه وابطا خبره عنا وكانت عادته اذا دخل البلد طار طاير عرفنا بوصوله
فابطا الطاير فاستشعرنا هلاكه فلما كان بعد ايام بينا الناس على طرف البحر في البلد واذا
البحر قد قذف اليهم ميتا غريقا فافتقدوه فوجدوه عيسى العوام ووجدوا على وسطه الذهب
وشمع الكتب وكان الذهب نفقة للمجاهدين فما رئي من ادى الامانة في حال حياته وقد رد الله
اليه بعد وفاته الا هذا الرجل وكان ذلك في العشر الاواخر من رجب ايضا وقال العماد
فعدم يعني عيسى ولم يسمع له خبر ولم يظهر له اثر وقطن به الظنون وساءت المنون وكانت

له لا شك عند الله منزله فلم يرد ان يبقي حاله وهي محتمله حمله فوجد في عكا ميتا قد رماه البحر الى ساحلها ورآه الله بما قالوا قد ذهب حق لبعض الظنون بباطلها فصل في احراق ما حوصر به برج الدبان وحريق الكبش قال القاضي وفي الثامن والعشرين من شعبان جهز العدو لعنه الله بطشا استعدوه لمحاصرة برج الدبان وهو برج في وسط البحر مبني على الصخر على باب مينا عكا يحترس منه المينا ويمنع عبرة المراكب الا من قابلة العدو فاراد العدو اخذه ليبقى المينا بحكمه ويمنع من دخول شي من البطش اليه فتنقطع الميرة عن البلد فجعلوا على صواري البطشة برجا وملوه حطبا ونفطا على انهم يسيرون البطشة فاذا قاربت برج الدبان ولاصقته احرقوا البرج الذي على الصاري والصقوه ببرج الدبان ليلقوه على سطحه ويقتل من عليه من المقاتلة ويأخذوه وجعلوا في البطشة وقودا كثيرا حتى يلقى في البرج اذا اشتعلت النار فيه وعبوا بطشة ثانية وملوها حطبا ووقودا على انهم يدفعونها سيلا ان يدخل بين البطش الاسلامية ثم يلهبونها فتحرق البطش الاسلامية ويهلك ما فيها من الميرة وجعلوا في بطشة ثالثة مقاتلة تحت قبو بحيث لا يصل اليهم نشاب ولا شي من الات السلاح حتى اذا احرقوا ما ارادوا احراقه دخلوا تحت القبو فامنوا وحرقوا ما ارادوا احراقه وقدموا البطشة نحو البرج المذكور وكان طمعهم مشتدا حيث كان الهوى مسعدا لهم فلما احرقوا البطشة التي ارادوا ان يحرقوا بها بطش المسلمين والبرج الذي ارادوا ان يحرقوه بمن على البرج فاوقدوا النار وضربوا فيها النفط انعكس الهوا عليهم كما شا الله تعالى واراد واشتعلت البطشة التي كان فيها البرج باسرها واجتهدوا في اطفاها فما قدروا وهلك من كان بها من المقاتلة الا من شا الله ثم احرقت البطشة التي كانت معدة لاحراق بطشنا ووثب اصحابنا عليها فاخذوها اليهم واما البطشة التي فيها القبو فانهم رجعوا وخافوا وهموا بالرجوع واختلفوا واضطربوا اضطرابا عظيما فانقلبت وهلك جميع من فيها لانهم كانوا في قبو لم يستطيعوا الخروج منها وكان ذلك من اعظم ايات الله تعالى وابدع العجائب في نصرة دين الله ولله الحمد وكان يوما مشهودا قال العماد وعند مينا عكا في البحر برج يعرف ببرج الدبان وهو في حراسة المينا عظيم الشان وهو منفرد عن البلد محمي بالرجال والعدد وقصد الفرنج حصاره وقبل مجي ملك الالمان في الثاني والعشرين من شعبان ببطش كان جهزوها ومراكب عظام للالات ابرزوها ومكر مكروه وكيد دبروه واخذ تلك المراكب فقد ركب برج فوق صاريه لا يطاوله طود ولا يساويه وقد حشي جناه بالنفط والحطب وضيق عطبه لشعل العطب حتى اذا قرب من برج الدبان والتصق رمانه اعدى اليه آفاته ورمت فيه النار فاحترق

واحترق

واحترق من الاخشاب والسنا بونابه احترق النفوس ونسفوا الى النار على توا قيع المقاتلة فتباعدوا عنها ولم يقربوا منها واوقدت بطشة الحطب التي من وراها وعادت على الفرنج فالتهبوا وحمي عليهم الحديد فاضطربوا واضربوا وانقلبت بهم السفينة فاحترقوا وغرقوا والناجون منهم فلا نجوا وفروا ولم يغرقوا واحتمى برج الدبان فلم يطر عليه من بعد ما دبان ولم يفتح للعدو في الكيد له باب ومن كتاب الى سيف الاسلام باليمن ومن حديث هذا البرج انه يحيط به البحر من جوانبه وهو قفل مينا الثغر على مراكبه وقد دفعناه واعليناه وبالعدد والرجال قويناه فعمدوا الى اكبر بطشة واتخذوا فيها صقالا كانه سلم وهو في مقدمها مركب متقدم وقد جعلوها بحيث اذا قربت الى البرج ركب راس السلم على شراريفه وصعد الرجال اليه في مجاوبيه وتعبوا في ذلك اياما واستبعوه توثيقا واحكاما حتى اذا التصق بالبرج المصفف به قوارير النفط وتوالت امطار البلايا من الجروخ والمنجنيقات على ذلك الرهط ثم عمل الفرنج برجا ثانيا في اكبر مركب وحشوه بالحطب وعملوا على راس صاريه مكانا يقعد فيه الزراق فقدموه الى برج الدبان وسلطوا على جوانبه النيران فاهب الله من مهب لطفه نكبا نكبت النار عن البرج المحروس وكبت الفرنج على الوجوه والرؤوس قال القاضي وفي ثالث رمضان زحف العدو على البلد في خلق لا يحصى فاهملهم اهل البلد حتى نشبت مخاليب اطماعهم فيه وسحبوا آلاتهم المذكوره حتى قاربوا ان يلصقوها بالسور وحصل منهم في الخندق جماعة عظيمة فاطلعوا عليهم الجروخ والمجانيق والسهام والنيران وصاحوا صيحة الرجل الواحد وفتحوا الابواب وهجموا على العدو من كل جانب وكبسوهم في الخنادق فهربوا ووقع السيف فيمن بقي في الخندق منهم ثم هجموا على كبشهم فالقوا فيه النار والنفط وتمكنوا من حريقه لهرب المقاتلة عنه فاحترق حريقا شنيعا وظهرت له لهبة نحو السما وارتفعت الاصوات بالتكبير والتهليل والشكر وسرت نار الكبش بقوتها الى السفود فاحترق وعلق المسلمون في الكبش الكلاليب الحديد المصنوعة في الاصل فسحبوه وهو يشتعل حتى حصل عندهم في البلد وكان مركبا من الات هايلة عظيمة والقي الما عليه حتى برد حديده بعد ايام وبلغنا من البلد انه وزن ما كان عليه من الحديد فكان مايه قنطار بالشامي والقنطار مائة رطل ولقد انفذ راسه الى السلطان ومثل بين يديه وشاهدته وقلبته وشكله على مثال الشعول الذي يكون لحجر المدار ميل انه يستطح به السور فيهدم ما يلاقيه وكان ذلك من احسن ايام الاسلام ووقع على العدو خذلان عظيم ودفعوا ما سلم من آلاتهم وسكنت حركاتهم التي

ضيعوا فيها نفقاتهم قال العماد استانف الفرنج عمل دبابة هائلة وآلة للعوائل غائلة في دائها شكل عظيم تعالى الكبش وله قرنان في طول رمحين كالعمودين الغليظين وهذه الدبابة في هيئة البرج الكبير وقد سقفوها مع كبشها بأعمدة الحديد والبسوا رأس الكبش بعد الحديد النحاس فلم يبق للنار اليها سبيل ولا للعطب عليها دليل وملؤوها بالكماة والرماة وسحبوها وقربوها وخافت صورة منعجبه وبلي البلد منها بالبلاء وقالوا اما في دفعها حيلة ونصبوا على صوبها مجانيق ورموا بالحجارة الثقيلة ذلك البرج فابعدت رجالها من حواليها ثم رموها بحزم الحطب حتى احرقوا ما بين الفرجين وقذفوها بالنار فبادروا اطفاءها بالخل والخمر وقد تمكنت النار من اضلاعها ثم خسفها المنجنيق ودحرجت بالمعرفة فقطعوا راس الكبش واستخرجوا ما تخلل الرماد من الحديد بالنبش وقد رمى ما نهب من الحديد بمائة قنطار وعلم الفرنج ان اعمالهم حبطت وآمالهم هبطت وكان ذلك في ثالث عشر رمضان وفيه قدم الظاهر صاحب حلب والامجد صاحب بعلبك وسابق الدين عثمان صاحب شيزر وعز الدين ابن المقدم والامير حسام الدين حسين بن باريك وجماعة من الامراء والخواص والمماليك فصل في حوادث اخر متفرقة في هذه السنة قال العماد ووصل الخبر في سادس عشر رمضان من حلب ان صاحب انطاكية اغار على عزة بشرة وسرق قريتا اصحابنا له كمينا ثم خرجوا عليه شمالا ويمينا فقتلوا الكثير من رجاله واملت وباله في وباله قال القاضي خرج عليه نواب الملك الظاهر فقتل من عسكره خمسة وسبعون نفرا واسر منهم خلق عظيم واستعصم بنفسه في موضع يسمى شيخ حتى اندفعوا وسار الى بلده قال وفي اثناء العشر الاوسط الفنت الريح بطشين فيهما رجال وصبيان ونساء وميرة عظيمة وغنم كثيرة قاصدين نحو العدو فغنمها المسلمون وكان العدو قد ظفر ببركوس فيه نفقة ورجال اراد الدخول الى البلد فاخذوه فوقع الظفر بهاتين البطشين ماحيا لذلك وجابرا له قال العماد وفي هذا التاريخ الفت الريح الى الساحل ذنب بطشتين خرجتا من عكا بجماعة من الرجال والصبيان والنساء وفيها امراة محتشمة غنية بحزمه فاخذتا واخذوا واخذت وجد الفرنج في استنقاذها فما استنقذت قال وفي تاسع عشر الشهر رحلنا الى منزلة تعرف بشفرعم وسببه انه كثر المستامنون من الفرنج واخبروا انهم في عزم الخروج الى المرج بالجيش والى الناحية بالرجالة فاستشار السلطان الامراء فقالوا الصواب ان نفسح لهم عن هذه المروج حتى يكون دخولهم اليها يوم الخروج فنصبحهم في اليوم الآخر لا تبعد بهم احداق العساكر فجيبها هناك ورحبت المنازل وعذبت المناهل وعادت معالم ملك المجاهل

ورحلنا

ورحلنا التلال والآكام وذكرنا تلك الاعوام ونزلنا المقام الشامي مستعدين ولاسباب التوقي من الاخطار مستنجدين قال ومرض زين الدين صاحب اربل في شهر رمضان وتوفي في الثامن والعشرين منه قال القاضي وكان استاذن في الرواح ولم يؤذن له فاستاذن في الانتقال الى الناصرة فاذن له فاقام بها اياما مريضا ثم توفي وعنده اخوه مظفر الدين شابهم وحزن الناس عليه لمكان شبابه وغربته قال العماد وكان كريما اريحيا سخيا وكرنا الى مظفر الدين نعزيه في اخيه وطيبنا به الحزن فقلنا نعظه ونسليه فاذا في شغل شاغل عن العزاء منهم بالاحتياط على ما خلفه وتركه من الاشياع والاشياء وهو حال البر في مخيم اخيه المتوفى وقد اشرف على حفظه واوفى وقد قبض على جماعة من امرائه واعتقلهم وعجل عليهم وما اعتقلهم منهم صارم الدين بلداجي متولي خفتيان كان ليتسلم منه المكان وذلك كله حاظر له حصن لحصل له من طاعته امن وخاطب في اسباب ولاية اربل واعمالها وان يستقل بلادها واموالها ورغب في شهرزور واستضافتها الاستنان وحاضرنها واستفاضتها وان ينزل عن حران والرها وسميساط والموزر ويحمل كل ما في يده من الاعمال في الموقف ويخدم بخمسين الف دينار ويحضرها نقدا ويلتزم بها على الميثاق عقدا فاجيبت دعته واصيبت طلبته وعقد لواؤه ونجح رجاؤه واراد سرعة الرحيل فاستمهل يومين وصول الملك المظفر تقي الدين لنزل في منزلته بجنده وصحبه المناصرين فوصل يوم الاحد ثالث شوال واضيف اليه ما استعيد من مظفر الدين من الاعمال وكتب منشور اربل وكتاب الى صاحب الموصل فيه لا شك في احاطة العلم باشتغال زين الدين بالجوار الله ومقر رحمته مجاهدا في سبيله شاكرا النعمه وهو من الشهدا الذين انزل الله تعالى فيهم ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله فما افجع القلوب بمصابه وما انكى في النفوس فقدان شبابه ولقد كانت الهمة متوفرة على ترشيحه واعلاء درجته ولكن الله تعالى استاثر به قبل ظهور حسن الآثار في ابنائه وبلي بدرك البر سرارا واصبح في ضمن البلى من اسراره وهذه اربل من انعام البيت الكريم الاتابكي على البيت الزيني منذ سبعين عاما ما اخلوا العقد انعامهم بها نظاما ولم نزيدوا احكامه الا احكاما وابراما وما رأي ان يخرج هذا الموضع منهم وان تصدق به عنهم والامير الاجل مظفر الدين كبير البيت وحاميه والمقدم في الولاية عصبة وصيته ابيه وقد انتهض لسدد منه اخيه قال وكان الملك مظفر تقي الدين مولينا منذ سنين

اعمال ميافارقين وطلب من عمه تعويض كل ما وراء الفرات اليه والاعتماد فيه عليه فانعم عليه
بذلك فاقام عندنا بالمنزلة المظفرية الى ان يوذن له في المضي الى تلك الولاية وسير نوابه اليها
لاتقاء دكابها على شبه الركابية قال ولما احس العسكر الشرقي بالسنا امده وخلق السامه وضجروا
من الاقامة فاما عماد الدين صاحب سنجار فانه عرف كراهية السلطان افراقه فلم يحز الا على وفاقه
واما صاحب الجزيرة سنجرشاه فانه استطال المقام واباه ودخل يوم عيد الفطر على السلطان
فقبل يده وودعه من غير سابقة الاستيذان فاعصبه انفصاله وساءه ارتحاله وكان تقي الدين واصلا
فلقي صاحب الجزيرة عقبة فاصلا فرده عن طريقه وجد في تعويقه ورجع به الى الرضى وعفا الله عما مضى
وقال القاضي ترددت رسله ورقاعه الى السلطان في طلب الدستور والسلطان يعتذر بان رسل العدو
متكررة في معنى الصلح ولابد ان يحضر العساكر حتى يبني على ما ذا ينفصل الحال من سلم او حرب فلما كان يوم
عيد الفطر دخل على السلطان وهو ملثاث الجسم وقبل يده وخرج وسار من ساعته وتبعه اصحابه فلما بلغ
السلطان كتب اليه انك انت قصدت الالتجاء الينا وراجعتني في ذلك مرارا وطهرت الحقد على نفسك
وبلدك من اهلك فقبلتك واويتك ونصرتك وبسطت يدك في اموال الناس ودمائهم واعراضهم
فتقدت اليك ونهيتك عن ذلك مرارا فلم تنته فاتفق وقوع هذه الواقعة للاسلام فدعوناك فاتيت
بعسكر عرفته وعرفه الناس واقمت هذه المدة وقلت هذا القول وتحركت هذه الحركة وانصرفت
عن غير طيب نفس وعن غير فصل حال مع العدو فانظر لنفسك وابصر من تنتمي اليه غيري واحفظ نفسك
ممن يقصدك فما بقي لي الى جانبك التفات وسلم الكتاب الى نجاب فلحقه قريبا من طبرية فقرا الكتاب
ولم يلتفت وسار فلقيه تقي الدين عند عقبة فيق فاخبره بامره وتعتب على السلطان كيف لم يخلع عليه ولم
ياذن له في الرواح فعرفه تقي الدين انه مضى له عن غير دستور من السلطان فامره بالرجوع وقال انت
صبي ولا تعلم عاقبة هذا الامر فقال لا يمكنني الرجوع فقال ترجع من كل بد من غير اختيارك وكان
تقي الدين شديد الباس يقدم على الامور وليس في عينه من احد شي فلما علم انه قاصد ان لم يرجع رجع معه
وسال السلطان الصفح عنه ففعل وطلب ان يقيم في جوار تقي الدين خشية على نفسه واذ له فاقام في جواره
في الحسن رحابه ، وقال العماد في الفتح وطال على الملك عماد الدين صاحب سنجار المقام وجد في
الاستيذان منه الاهتمام وتعدد ملاكه وتكرر سواله **فكتب اليه السلطان** في الرحيل

، من صالح مثلي من يديه ، فليت شعري ما استفادا ،

فلما قرا هذا الكتاب ما ازاح في العتاب ولا عادى فالح في البر وفي مستهل ذي القعدة اذن لعلاء الدين

حرم

حرمشاه بن صاحب الموصل بالملك السعيد لما تعرس فيه من امارات السعد واقام بعد عمه عماد الدين
وابن عمه معز الدين سنجرشاه وهما صاحبا سنجار والجزيرة وحبوا بالحبا الوافر والعطايا الغزيرة
وما فارقوا الا في السنة الاخرى في ماه الشهر قال وعلت الاسعار عند الفرنج حتى بلغت الغرارة اكثر
من مائة دينار والشعير من الزيادة لديهم في استعار وبلوا بامور صعبة وهرب الينا منهم عصبة
بعد عصبة فاستامنوا الينا لفرط جوعهم ولما شبعوا عندنا لم يرغبوا في رجوعهم فمنهم من اسلم
لحسن اسلامه ومنهم من خدم فوافق استخدامه ومنهم من حن الى الفه فرجع القهقرى الى خلفه

فصل كان القاضي الفاضل رحمه الله تعالى في هذه الاوقات بالديار المصرية يرتب
للسلطان اموره من تجهيز العساكر وتعمير الاسطول وحمل المال ونقل الميرة والسلاح والسلطان يكاتبه في مهماته
وترجع اجوبته باحسن عباراته مشيرا وناصحا ومثنيا وباحثا عن مصالح الاسلام متقصيا فمن بعض
كتبه المملوك ينهي ان الله تعالى لا ينال ما عنده الا بطاعته ولا تفرج الشدايد الا بالرجوع اليه
والامتثال لامره وان المعاصي في كل مكان باذنه والمظالم في كل موضع فاشية وقد طلع الى الله منها
ما لا يتوقع بعده الا ما يستعاذ منه وقد اجرى الله تعالى على يد مولانا من فتح البيت المقدس ما يكون عشية
الله له حجة في رضاه نعوذ بالله ان يكون حجة له في غضبه بلغ المملوك ان كل وارد منه مكاتبة ومخاطبة
بانه على صفة يقشعر منها الاجساد ويتصدع بذكرها الاكباد والمملوك لا يتعرض لتفصيل ما بلغه من ظهور
المنكرات فيه وضيوع المظالم في ضياعه وخراب البلد وعدم العمارة على المرقى لقبة الصخرة
والمسجد الاقصى وبالعقلة عن حرمتها وتفقدها في اشنيته القدس العظيمة الجليلة المتخذ اليوم سقوطها
وافتضاح العدو في العجز عن اعادتها والمرقبة اقرب منا والامر الامنا والتحليل والاشبهه ان
مولانا عز نصره في اشغال شاغلة وامور متشددة وقضايا غير واحدة ولا متعددة ولكن قد ابتلى
الناس فصبروا واضجرتهم الايام فما ضجروا واي عبادة اعظم من عبادته التي قام بها وللناس عنها
قعود وصبر في طلب حسنتها على بارد الحرب والوقت داوي العقود غير ان مولانا اذا ذكر نصيبه من
الاقدام فلا ينسى نصيبه من الحزم ولا يعجل في الامور الخطيرة ولا يقدم بالعدد القليل على العدة الكثيرة
فالمولى اذا ماثل كان واحدا واذا دبر كان بالخلق ولا يطمع بان يقوم به الالف وليذكر المولى نوبة الرملة
التي كان وقوعها من الله سبحانه ادبا لا غضبا وتوفيقا لا اتفاقا ولا يمكن المولى ان يطول بدء الاقبال
بهذا العدو ومنوابه يطول وحسناته تزيل وان في الاسلام بقي وفتوحاته بقية الله تعظم موقعها
والعاقبة للتقوى ولينصرن الله من ينصره والله تعالى يشكر لمولانا جهاده بيده وبرايه وتولده وبخاصه

وبعامة جنده وبالاعداء فى اعدائه كجهاده بصاحب صيدا فى الفرنج فهو جهاد قد ادنى فيه راى
المولى فرح والحديد بالحديد يفلح واليد ما قوتل به العدو سلاحه واسرع جناح طار لقبضة جام
ودولة مولانا كالبحر كرما وظهر عجايب وكالسما سطرا واسنة كواكب ، ومن كتاب آخر المملوك
نقبل الارض بين يدى مولانا الملك الناصر لطف الله بقلبه وحمل عنه وروح سره ووصل الى اخره ونسال
ان يرحمنا الذى رحمنا به فقد بلغت القلوب وقد وقعت فى طرقنا الذنوب وسماعنا شطر من كتب
المولى ما تسند اليه على ان قلب المولى قد طاب وقصد العدو وقد خاب اذ نزد كتب بلون الوقوف عليها
قاطعا للاكباد مقلقا للقلوب ولولا انها جاءت ذكر النطق فى عكا وصل الخبر بانها فى دمياط
ويوم وصل الخبر بانها فى دمياط بحث على انطارحه وجهامنه وكتب البطايق بالاستحثاث والاستعجال
وتجار بيهم من تمادى المقام وما اسفنا اخرجنا ما بحى ما عقبه كان الريح فى بيت ما خرجت منه من ماتين
الجهتين ولها من تاريخ خروجها من الاسكندريه والى تاريخ تسطير هذه الخدمه خمسة عشر يوما والعيون
ممدوده والايدى مرفوعه بان يفرج الله عنا وعنكم بوصولها من سبع فى هذه الايام فما واسى المسلمين
ومن نام مثل عينيه فانه من اخوة المومنين والمملوك سيفيق على النطق فى وقت الدخول حذران
يعترض العدو طريقها فيحول بينها وبين الوصول فيعكس المراد بها ويحدث من المضرة بحرمانها اضعاف
ما يحدث من النعمه بالفرح المترقب واكد هذه الحال فى نفس المملوك وقوفه على كتب اصحابنا من عكا
وقد وقع لهم هذا الوقايع الذى وقع المملوك من خوفهم عليها واستبعادهم دخولها مما المملوك
وكل من يعرف الامر الكامل الصراط بت سلم رب سلم فنسال الله سبحانه ان لا يكلنا الى انفسنا فنعجز ولا الى
الناس فنضيع ومجهود اهل الارض قد انتهى وبقى ما يفعله الله تعالى والخبر منتظر منه والفرج بالفوت
قد سير فى البحر من خمسة عشر يوما والفرج بالنوفد سيتربى فى البر من عشرة ايام والله يا مولانا بحر شى
من هذه الامور الى ان يضرب الوجوه بالشوك ويستجلب الحجارة ويسد الابواب ويمنع الاصوات من الذكا
ويخفى الاعلام من الكتابة ويخضع لمن بلى من الشغل كالخضوع لمن لا يلزمه والله المستعان فليخلص المولى
نيته فى الاستعانه فالاعوان قليل وقد كانوا اذا عدوا قليلا فقد صاروا اقل من القليل ، ومن كتاب
آخر وما تجدد للعدو من الشروع فى الآن الحرب لعكا وما ارجف به من التحديث الفرنجيين الواصلة والبعيده
وامراق العساكر فى هذا الوقت للضرورة والتماس العسكر الرقى الدستور للضجر وحاجة المولى الى الانفاق
بيلا ما لا يسعه التدبير وتضيق عنه الامكان ومطالبه الغنى بالزيادة مع الغنا والضعيف بالرزق والمحتاج
اليه وضياع فرصه بعد فرصه واختلاف راى من المتشاورين من الجماعة وجمود الالسنه بالاداء وكل الايدى

المعونه

المعونه وانفراد المولى بالنقب واشتراك الناس فى الراحه وما ابتلى به المسلمون من مرض
الظهر وه ليكون عذرا فى القعود وكيف المولى على صبه لا يجلب لاصحابنا ضعف النفوس لهذه
الامور وان كانت شدايد وزايدات على العوايد فقد الهم الله مولانا فيها سعة الصدر وحسن التصبر
لشعوره ان الصبر يعقب النصر وحسبته يعقب الاجر ولم يزل الله تعالى ان قوة مولانا اكمل القوى وعروة
عزمه اوثق العرى لما اهله ان يضرمه لا يعرف المملوك غير الله ينصرها وغير مولانا يباشر النصره
ويحضرها فليس الا التجرد للدعاء والتجلد للقضاء فلا بد من قدر مفعول ودعاء مقبول ، ومن الامثال
المعنوية نحن الذين اذا علوا لم يبطروا يوم الهياج وان علوا لم يضجروا ومعاذ الله ان
يفتح علينا البلاد ثم يغلقها وان يسلم على ايدينا القدس ثم ينصره ثم معاذ الله ان يغلب على النصر ثم معاذ
الله ان نغلب على الصبر واذا كان ما يقدم الله الينا المالك قبل المولى لابد منه وهو لقاء الله
سبحانه ولان يلقاه لنا خير من ان يلقاه والحجة علينا فلا يعظم هذه الصفوف على مولانا فيسم صدره
ويملا صدره فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون والله معكم وهذا مما على بكثره وتعطر
نثروه انما اختار الله تعالى به ارباب نيات وذوى قلوب صعبة وحالات فليكن المولى نعم الخلف
لذلك السلف لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة واستدى ازمه فرج والعمران يذهب ثم يحى
والله تعالى يسمع الاذن ما يسر القلب ويصرف عن الاسلام واهله غايلة الكرب ويغفر الله العظيم
فانه ما ابتلى الا بالذنب ، ومن كتاب آخر يا مولاى اعلم ان الله تعالى قد فعل لك ما فعله
لنفسه ودل على لطفه بل كما دل على قدرته على خلق الخلق من غير مادة واقام السماء بغير عمد وكذلك
فعل الله بك خلقك بغير شبيه فى الملوك كرما ودينا وسهل لك من مصر ما الامن غير جهة وحمى
منها بلادا بغير جند وسكن لك فيها رعيه بغير ولات فاشكر الله ولا تحتقر خدعة من تتبع الانفاس
والنوم والراحة اجتهادا فيما يريحك ويخفف عنك ثم لا يريد العوض منك وانما يريده من الله عنك
لا ترجو منك طاعه له والوجه التى وقعت الاشارة اليها خصنا فيها وفى غيرها فما وجدنا اكثر مما
بلغنا اليه يا مولانا الى لك فى مصر الا النقود وعلمنا فى هذه [illegible]
بل لا ما طيل ان الله آخذ بيد الكريم والمعونه بحسب المؤنه فليهن المولى العافيه من الحساب
لسان ما حساب من كنز الذهب والفضه ولم ينفقها فى سبيل الله وحساب من طالبين هكذا
وهكذا فى سبيل الله ، ومن كتاب آخر [illegible] المملوك شاهد الا فقد هنا الضعف
الذى يحيم مولانا فانه يعلوها ويعديه باسماعنا وابصارنا ، ويا معشر الكرام ما بكم من ذى وان اشتغلوا

[illegible]

ومن كتاب آخر انما ابينا من قبل انفسنا ولقد صدقناه لنجعل لنا عواقب صدقنا ولو اطعناه لما
عاقبنا بعقبها ولو فعلنا له ما نفعل بمن امره لفعل لنا ما لا نعقد وعلى من الآيه فلا يستخف اهل
الاعمال ولا يلم الاسنه ولا يموج الادنه ولا يستطر العساكر ان تكثر ولا الاموال ان تعتز ولا فلان
الذي يعتقد عليه ان يقاتل ولا فلان الذي ينتظر ان يشير وكل هذه مشاغل عن الله لبس النهر
مولاي ما ان يكلنا الله اليها والتقريب واللطف منه والعادة الجميلة له ونستغفر الله سبحانه
من دونه يشغلوا لانها تسد طريق دعائنا لكان جواب دعائنا قد ترك وقبض دموع الخاطر شعر
قد يقل وكثر في الطريق على ابي جار الله لمولانا في القضاء السابق واللاحق ، وفي كتاب
آخر وصف فيه الملك العزيز عثمان بن السلطان ثم قال ولو شاهد مولانا اليوم شخصه
الكريم وصورته الجميل ونفسه الطاهره ونظرته المطرفه وصيغته الحسنه وسكون حركاته
الموزونه لخلع عليه فؤاده ووهبه عينه ورقاده ولقد يرد المولى عرصات القيامه وثواب
والده لوجه الله اعظم وثواب جهاده في سبيل الله واني ايما انا صبر عن ذلك الولد الكريم
لكريم واني انا اسلي عن ذلك الملك العظيم لعظيم ، ومن كتاب آخر وعسكرنا لا يشكوا
والحمد لله منه خورا وانما يشكوا منه ضجرا والخيل المسرجه لا بد وان يكون لها جد والاقدار
الالهيه لا تحد وكل ذي ضيق خادم قصده واقف عند حده وانما ذكر المملوك هذا ليرفع
المولى عن خاطره معنت المتقاعسين من رجاله كما يثبت فيه شكر المصادع من ابطاله قال الله تعالى
فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر يا مولانا ليس الله اطلع على قلوب اهل الارض
فلم يول ولم يستصلح ولم يختر ولم ينتقل ولم يستعمل ولم يستخدم في اقامة دينه واعلاء كلمته وتمهيد
سلطانه وحماية شعاره وحفظ قبله موحد به الا انت بهذا وفي الارض من هو للسوء قرابه
ومن له الملكه وراثه ومن له في المال كثره ومن له في العدد ثروه فاقعدهم واقامك
وكثلهم ونشطك وقبضهم وبسطك وحبب الدنيا اليهم وبغضها اليك وصعبها عليهم وهونها
عليك وامسك ايديهم واطلق يدك واغمد سيوفهم وجرد سيفك واشغلهم وانهم عليك
وثبطهم وسيرك ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عده ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم
وقيل اقعدوا مع القاعدين ثم واحرى اهم من الاولى انه لما اجتمعت كلمة الكفر من اقطار الارض
واطراف الدنيا ومغرب الشمس ومنبع البحر فما اخر منهم متأخر واستعد لنا منهم مستعد وبينهم
مستنجد وخرجوا من خزائنهم الخبيثه لا اموال تنفق منهم ولا ملوك تحكم عليهم ولا عصا تقوم بهم

وله

حتف من عجبهم مهطعين الى الداعي سلعين في اثر الناعق وهم من كل حدب ينسلون ومن كل بحر
يقبلون كرنا ... كما قيل ابقاك الله تعالى ...
ولست على هازم لنظيره ولكن الاسلام للشرك هازم ...
هذا وليس لك من المسلمين كافه مقتضى الا بدعوه ولا مجاهد معك الا ببابه ولا خارج معك الا
بهم ولا خارج من يديك الا بالاجره ولا مانع منك الا ابداه يشتري منهم الخطوات شجاع
ودوا الاتباع يدعوهم الى الله وكانما ندعوهم الى نفسك ونسالهم القرض وكانك تكلفهم
النافله ونعرض عليهم الجنه وكانك تريد ان تستاثر بها دونهم والاراء تختلف بحضرتك والمشورات
تنوع بحديثك فقايل لم لا يبتعد عن المنزله واخر لم لا يميل الى المصالحه فتقدم على فوات
ما كان فيه حظ ومشير يستقبل ما يلوح فيه رشد ومشير بالتخلي عن عكا حتى كان قد تركها تعليق
المعامله وما كانها طليعة الجيش ولا مقفل الدار ولا خرزة السلك ان وهت تداعى السلك وانتثر
في يد الملك فالهمك الله قتل الكافه وخلاف الجدل ما لا يقل غضب الجمر والرشك الطامس
... الوهم ولكن مولانا صبيحه وجهه كضوء شهاب القابس المنور
قليل التشكي للمهم يصيبه ، كثير الهوى شتى النوى والمسالك
لا شبهة ان المملوك قد اطال ولكن قد اتسع المجال وما مراده الا ان يشكر الله على ما اعطاه ولديه
ومن عليه وحبيه غرب ممتحن بنعمه ودر منهم عليه شفقه وكم مغبوط بنعمه هي داوه ومرحوم
من بلوى هي دواوه وهو يد المملوك فيه هذا ان لا يشغر لمولانا ابقاه الله وجه عن تشاغله ولا
صدر عن سعه ولا لسان عن حسنه ولا يرى منه ضجره ولا يسمع منه بهره فالشده تذهب وتبقى ذكرها ت
والنعمه تنزح وتبقى اجرها وكان الحين اسماء النعم لمولانا عن بعض ... ثوابها
لما ان ضجروا المملوك ... حاضر ومولانا ابقاه الله وخلد سلطانه وملكه حفظها
شربنا بكاس الفقر يوما وبالغنى ، وما منهما الا سقانا به الدهر
فما زادنا بغيا على ذي قرابة غنانا ولا ازرى باحسابنا الفقر
والمملوك ان يسع مولانا عن نصره على ما يتمه من سعه صدره ما اشتمل به ... من ... نصره
وبالعين كنت معهم وماذا كانت تصنع الايام اما شيئا من مشاهدة الحرب فقد شغله والله
من سماع الاخبار او عن ما يلحقه من ... فقد عرضنا في سعد مولانا ما لا خلف له من العمر
او من نرض جسم تجربه ما كان الطبيب حاضره قد مرضنا اشد المرض لفراقه الا ان المجلس شاهره

ومن كتاب آخر الملوك يوصي المولى الاسلام والاسلام هو قلب المولى فيروحه لا بجلاء ابشغله
وشغله ونوصي المولى بقلوب المسلمين وقلوب المسلمين جسم مولانا ابقاه الله من علم انه لا يوفيه وانت
الحليه استغل قلبه واستطار لبه وضعضع نفسه فحسب مولانا من جهاده نفقد حسبه هو الا بطيه
وبروح خطراته فقد بلغ الملوك من جمله كل نفسه ما يخفى على مولانا الاثم فيه وانما يحتم كل مشقة
للمسلم منه ويخرج من قد مسنا ولا رجوا لكشفه الا من ابتلاه وفي طوفان غمره ولا عاصم اليوم من امر
الله الا من رحم ولنا ذنوب فلذلك سدت طريق دعائنا فنحن اولى بان نلوم انفسنا ولله قد ذا الاصلاح
لنا في دفعه الا ان نقول لا حول ولا قوة الا بالله وقد ارضنا على اهوال قل الله يحكيها ومن كل
كرب وقد جمع العدو لنا وقيل لنا اخشوه فقلنا حسبنا الله ونعم الوكيل سخر ذلك موعود
الانقلاب بنعمة من الله وفضل فما نرجوا الا ذلك الفضل العظيم وليس الا في الاستعانه بالله ذا دلنا
الله في الشدايد الا على الدعاء له وعلى طروق باب كرمه وعلى التضرع اليه فلولا اذ جاءهم باسنا
تضرعوا ولكن قست قلوبهم ونعوذ بالله من القنوط من الرحمة ومن اليأس من الفرج فانه
لا ييأس منه الا مسلوب الرشد مطرود عن الله مقطوع الحظ منه ولا حيله الا ترك الحيله بل وقد من
يبغي اقدامه بلا حيل سبحانه وتعالى ان علم الله من جند مولانا انهم قد بذلوا المجهود فقد عذرهم
فيعود المولى وان علم انهم قد دخروا قوة وقصروا في نصرة الله فيكفيهم مقت الله الملوك
بذكر المولى نصره ويحث صدره ويفضل خلقه وتقواه بربه ومداراة تراجيه وبنزال القلوب
الا الله بصرحته وان كان كبر عليك اعراضهم الاية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى المولى ولى بهذا البيت

٭ لا تطلبن ان تنا ابعث نعمة ٭ وصابر في البلاء محتسب ٭

قبل الجملة ابنك ليس فيه تعب فقال اكرم عادة المولى ولا بد ان ينفذ مشيئة الله في خلقه
ولحكمه فلا يسخط مولانا شيء من قدره فلا يجري العقبى وهو راض ... خير من ان يجري
وهو ساخط موزور فيصطلي بنار الشدة اعاذ لسببها ولا يجد ... الثواب وقد الله حظه منه من
شكايته وحزنه الى الله شكا الى مشتكا واستغاث بقادر ... دعاءه حفيا استجاب الاستجابة
... فلنكن شكوى ... الى ... عنا ولا تقطع الظهور التي لا تشد الا به ولا تضيق صدور
... الامه وما يرد الكرب واطال على الافكار ليل الذي لا اصابه ... الفوت ... الاضعف
ثم ... بريح ... واعطى ... من الفكر ... مولانا ... اشره انه لا يدبر الدهر الا رب الدهر
ولا يسد الامر الا صاحب الامر وانه لا يقبل الهم الا كثرة الفكر ٭ ... ه ... ٭

٭ فقلت الحمد المنعم امره ٭ بوضع اليه ثم قرنوا العين ٭

كل مفرح عجاب اليه الاعدا يصير بعد ابيا تعبدا لمن اسلم اوتبلد اغرس فيه المنبر بعد ان يكلم يا مولانا
هذه الليالي التي دابطت فيها والناس كادهون وسهرت فيها والعيون هاجعه وهذه الايام
التي نادى فيها يا خيل الله اركبي وهذه الساعات التي تروع الشيب في الروس وهذه الغزوات
التي نغض بها الصدور ما يحصل نادما هي نعمه الله عليك وغراسك في الجنة ومجلات حزانك
يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وهي مجوزاتك الصراط وهي مثقلات الميزان وهي درجات
الرضوان فاشكر الله عليها ما شكره على الفتوحات الجليله واعلم ان مثوبة الصبر فوق مثوبة
الشكر ومن ربط جاش امير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله او كان الصبر والشكر
بعيرين بالبيت ايهما ركبت وهذه العزائم شقونا وتركونا لانطع بالعنان وامدت خطاهم ونعوذ
بالله من العثار ثم استعمل الله في القيام بالحق الا خير الخلق وقد عرف ما جرى في سير الاولين
وفي انباء السنين وان الله قال لحرص نبيه صلى الله عليه وسلم ان تهدى هداهم وسلك سبيلهم
ويقتدي باولي العزم منهم وما تغلو الجنه بثمن وما ابتلى الله سبحانه من عباده الا من علم انه يصبر
وامور الدنيا ينسخ بعضها بعضا وقد كان ما لم يكن ويذهب التعب ويبقى الاجر وانما نعطان العين
كالكلم اهم الوصايا ان لا يحمل المولى هما يضعف به جسمه ويضر مزاجه والامة ... وهو
انما لله قاعدته والله يثبت تلك القاعدة الفانيه في نصرة الحق ... من وصايا الزمن
ان نزل بك ما فيه حيله فلا تعجز وان نزل بك ما ليس فيه حيله والعياذ بالله فلا تجزع ورب واقع
في امر لو استغل عن حمل الهم به بالتدبير فيه مع مقدور الله لا يصرف همه وكفي خطبه ومما شاون
الان فتحه الله هذا السلطان هو حول الله او نوه بسلطانه فالملك الملوك بطبعها وقاتل هنا
بايمانه واذا نظر الله الى قلب مولانا فلم يجد فيه ثقة بغيره ولا تعويلا الا على قوته وهنالك
الفرج مستفاده واللطف ميقاته فلا تقنطن من رحمة الله ولا تقل متى نصر الله ولتصبر فانما هو للصبر
بل لمستكثر فالشكر في موضع الصبر اعلى درجات الشكر ولتقل لمن ابتلى ان المعافى والرضى عن الله سبحانه
فان الرضى عن الله هو المنزل الرابع فاما الخيار فانه بلا بد الجميع سبحان من الحق قلوبهم بالسنتهم قل الله
ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ٭ وكتب السلطان الى القاضي الفاضل كتابا من بلاد الفرنج يخبره
عما لاح له من امارات النصر ويقول ما اخاف الا من ذنوبنا ان يأخذنا الله بها فكتب اليه الفاضل
فاما قول المولى انا اخاف ان نوخذ بذنوبنا فالذنوب كانت ثابته قبل هذا المقام ومنه يجب والاسلام

كان مكتوبه ثم عوق عنها بعض العاهات وعقبت فلو مستحفل الشاغل السيف الاجنة الجهاد وكفى
فاتحا لابواب الجنة صون مقارعة الاضداد وبعز الله موقعك وفي سبيل الله مقامك ومنصرفك
نطوي لقدم سعت في مناهجك وطوبى لوجه ملثم لمشاهد عجاجك وطوبى لنفس بين يديك قتلت وقبلت
وان الخواطر تشكر الله فيك عن شكر مالك قد شغلت **فصل** كان بلغني ان السلطان رحمه الله
لما استدام الفرنج على عكا ارسل الى ملك المغرب يستنجده عليهم ليقطع عنه ملاحتهم من جهة البحر
وكنت اطلب حقيقة ذلك وابحث عن شرح الحال فيه فان العماد والقاضي لم يتعرضا له في كتبهما غير
ان العماد ذكر كتابا كتبه القاضي الفاضل الى رسولهم بالمغرب يستنجز منه ما كان ارسل لاجله وسيأتي
في عرضي كان الاطلاع على نفس كتاب الرسالة ومضمونها ثم اراني بعض الشيوخ الصلحاء الثقات بخطه
ما كنت ارومه فنقلته على وجهه **قال** نسخة كتاب كتبه القاضي الفاضل ونقلته من خطه لابن منقذ
يامره فيه بالسفر الى المغرب بامر الملك الناصر صلاح الدين رحمه الله تعالى يستنصر ملك العرب
يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن لما حصر الفرنج خذلهم الله تعالى عكا بعد كسره حطين وفتح بيت المقدس
والكتاب الذي سيره الى العرب والهدية التي حملت باني ذكر ذلك ان شاء الله تعالى
بسم الله الرحمن الرحيم للامير الاجل الاسفهسلار الاصيل العالم المحترم شمس الدين
عز الاسلام جمال الانام تاج الدولة امين الملة صفوة الملوك والسلاطين شرف الامرا مقدم الجيوش
ادام الله توفيقه وبسط رفقه وانجح مقصده واعذب مورده وحرس مغيبه ومشهده واسعد يومه وغده
مستخيرا الله سبحانه ويتوجه كيفما خار الله الى الجهة الاسلامية المغربية حرسها الله حاجبها وقصر
دابها ومراكبها ويستقري في الطريق وفي البلاد من اخبار القوم في احوالهم واداتهم واخلاقهم
وافعالهم وما يعونه من القول برده او حجه ومن اللقاء منبسطه او منقبضه ومن العقود
لمجالسهم محققه او مطوله من الخيابات المهادات بينهم ما صنعته وما موقعه وهل هي السنن الدينيه
او العوائد الملوكيه ولا بلغه الجماعيه ولا مخاطبه الاماميه والكتاب فقد نفذ اليه
فلم يختم ليعلم ما خوطب به والمقصود ان يتبع القصص عليه من اول وصولها الى مصر وما ازلنا
من البدع بها وعطلنا من الالحاد فيها ووضعنا من المظالم عنها واقمنا الجمعة وعقدنا الجماعة
فيها وغزواتنا التي توصلنا الى بلاد الكفار من مصر وكانت تقدمه لملك الشام الاسلامي
باجتماع الكلمة علينا وحبسه لملك الشام الفرنجي بانقياد المسلمين لنا واصفاق الملوك والمجاهدين
في طاعتنا وتحصيل ما جرى لنا مع الفرنج من الغزوات المتقدمة التي جسنا فيها خلال ديارهم

وجعلها الله تعالى مقدمات لما سبق في علمه من اسباب دمارهم وما اعقبها من كسرتنا لهم الكسرة الكبرى
وفتح البيت المقدس وتلك على الاسلام منة الله تعالى العظمى الى غير ذلك من اخذ الثغور وافتتاح
البلاد واثخان القتل فيهم والاسر لهم واستنجاد بغيتهم لفرنج المغرب وخروج تجارهم وكثرتها
وتوثيقها ومنعتها وعنادها وتزوينها ومسارعتها ومبادرتها وانه لا يمضي يوم الا عن قوة تتجدد
ومدة تصل واموال واسعة تخرج ومعونات كثيرة تحمل وان ثغرنا حصره العدو وحصرنا عن العدو
فما تمكن من قتال الثغر ولا تمكن من قتالنا وخندق على نفسه عدة خنادق فما تمكنا من قتاله وقدم
الى الثغر ابرجا احرقها اهله وخرج مرتين الى عسكرنا فكسره العدو الكثير اقله فانه اغتنم اوقاتا لم يكن
العساكر مجموعة وارتاد ساعات لم تكن الاهبة فيها ما اخذوه واقدم على غره استغفلنا فيها نصره الله
لنا وخذلانه لهم وقتل الله العدو القتل الذريع واوقع به الفتك الشنيع واحلنا احدى الكرتين
عن عشرين الف قتيل من الكفار خرجت انفسها الى مصارعها وحملت احسابها في مصاحبها والعدو
وان حصر الثغر فانه محصور ولو ابرز صفحته لكان باذن الله هو المثبور وتدخلنا دخل الثغر من انا
ثلاث مرات واحترقنا مراكبهم وبني الاكثر ودخولها بالميره بحكم السيف لا الظهر وان امر العدو
ومع ذلك قد تطاول وخطبه قد تمادى وحدته تتواصل ومنها ملك الالمان في جموع جماهير محجرين
واتوا الفا طيرها منقطره وان عساكرنا لو استدركها ما استدرك ولولا ق سبقه لها بالدخول
الى انطاكيه لتلف وهلك وتذكر ان الله قصم طاغيه الالمان واخذه اخذة فرعونية بالاغرا
في نهر الدنيا الذي هو طريقه الى الاحراق في نار الاخره وان هذا العدو لو ارسل الله عليه اسطولا
قويا مستعدا ينقطع بحره ويمنع ملكه لاخذنا العدو اما بالجوع والحصر او بروز فاحدثناه بسبب
الله تعالى التي بها النصر فان كانت الاساطيل بالجانب المغربي ميسره والعده منها متوفره والرجال
في اللقاء فارهه وللمسير غير كارهه فالدار الدار والبدار البدار وانت ايها الامير فيها اول من استخار الله
وسار وان كانت دون الاسطول موانع اما من قلة عدة او من شغل هناك يمنعه او مباشرة عدو
اما لحصر منه العوره او قد لاحت فيه الفرصه بالمعونه ما طريقها واجرى ولا سبيلها منسدة ودة
ولا انواعها محصوره تكون تارة بالرجال وتارة بالمال وما رأينا اهلا لخطابنا ولا كفوا للانجاد
ولا محتوفا لدعوتنا ولا مليئا بنصرتنا الا ذلك الجناب فلم نتعدا الا لواجب عليه والى ما هو مستقل به
ومطيق له فقد كانت تتوقع منه همة تعلق في العرب ناره وتستطير في الروم شرارها وتعرس في العدو
القصوى شجرها فنال من في العدوة الدنيا حبنا فلا ترضى همته ان تعين الكفرة الكفر ولا تغيب الاسلام

الاسلام وما اختص بالاستعانة الا لان العدو حاره والكاب لقد زعل الجلد واهل الجنه اولى بقتال
اهل النار ولانه بحر والنجده بحبره ولا عروان حبس النجار وان سيل عن الموكبن بوديا وقراقوش
وذكر ما فعلا في اطراف المغرب بمن معهما من بقايا الرجال الذين بعنهم منا امات الهذال فيعلمهم ان
الموكبن ومن معهما لسوا من وجوه المماليك والامرا ولا من المعدودين في الطواشيه والاولبا وانما
كون سوقها وتبعهما العاف امثالهما والعادة جارية ان العساكر اذا طاب دبولها وكثرت جموعها
خرج منها وانضاف اليها فلا يظهر من يدها ولا نقصها ولا كان زهد ان الموكان ممن اذا غاب احضر
ولا ممن اذا فقد افتقد ولا تقدر في قبلها انه ممن يستطيع كتابه ولا ماى بها توحب شكايه لو شكوى
من جنايه ومعاذ الله ان يامر مفسدا بان يفسد في الارض انا نريد الا الاصلاح ما استطعنا
ان سيل عن النوبه المصريه وما فعل جندها فليعلمهم الامير ان القوم اسلموا الكفار واطمعوهم
في تسليم الديار فاسفى الاسلام على امر شديد وكاد يقترب على الكفر امر بعيد فلم يعاقب الجيش بل
اعيان المفسدين فقوبلوا بما يجب وكانوا دعاة كفر وضلال ومحاربين الله بما سعوا في الارض من
فساد فاما بقيه الجيش وان كان منهم تبع للمذكورين في الرضا فانهم امضيتهم على ان يكونوا اجنادا
ومنهم من اجريت عليه ارزاق تبلغه وشملته امنه تسكنه ٥ واما الهديه المسيره على يد الامير
فتفصيلها يرد في كتاب الامير الاجل الاسفهسلار العالم الكبير مجد الدين سيف الدوله ادام الله
علوه معروفا بالهديه المذكوره ومع قرب الشتا فلم يبق الا الاستخارة والتسمية ومبادرة الوقت قبل
ان يغلق البحر ابواب الاسبه والله يوفق الامير ويسهل سبيله ويهدي دليله ويكلاه بعينه ويمن بعونه
ويجمل رحله ويبلغه اهله ويشرح له صدره وييسر له امره ان شا الله تعالى وكتب في دار وعشرين
من شعبان سنه ست وثمانين وخمسمايه **فصل** في نسخه الكتاب الى ملك المغرب والهديه
العنوان يلاح الى المحل النبوي الطاهر ومستقر حزب الله الطاهر من المغرب اعلا الله به كلمة الايمان
ورفع به منار البر والاحسان ٥ بسم الله الرحمن الرحيم الفقير الى رحمة ربه يوسف بن ايوب
اما بعد فالحمد لله الماضي المشيئة الممضي القضية الرب البرية الحي بالحقيقة الذي استعمل عليها من
استعمر في الارض واغنى من اهلها من ساله القرض واجرى الاجر من اجرى على يديه النافلة والفرض
وادار شمائل المله بدراري الدراري الى بعضها من بعض وصلى الله على سيدنا محمد الذي انزل عليه كتابا فيه
الشفا والتبيان ونبي الاسلام بانيها التي شيدها صاحبها بالبنيان وعلى اله واصحابه الذين اصطفاهم
وطهرهم ونصروه وظاهروا رسوله صلى الله عليه وسلم فنصرهم واطهرهم وعززهم ويسرهم السبيل

ثم السبيل [illegible] الذي فضل على الناس [illegible] الكريم [illegible]
بالابلاغ [illegible] اسوا منا الك [illegible] التحيه الطيبه [illegible]
الواجب الى [illegible] الورد [illegible] على [illegible]
[illegible] واصل الاصا [illegible] الراجح [illegible]
[illegible] الاسلام [illegible] اليقين [illegible]
له النصر [illegible] الكثره [illegible]
[illegible] العز [illegible]
كل ما [illegible] الكتاب [illegible] — وان (margin)
[illegible] الاسباب والاخر [illegible] الاسلام — م (margin)
منه الى القتيل [illegible] وما فتح الله للاسلام من الثغور وما شرح [illegible]
من الروم [illegible] واق [illegible] ذلك [illegible]
[illegible] الحية التي هي [illegible] العرب [illegible] الشمس
وحصل [illegible] الليل [illegible] الليل والنهار
ان في ذلك لعبرة لاولى الابصار [illegible] لم ينقطع
[illegible] الشام [illegible] والامصار [illegible] صغار وثغور — قلاع (margin)
وكان [illegible] الاسلام [illegible] الكفر [illegible] الاسلام [illegible]
الكفر [illegible] وذلك من يد الكفر [illegible]
المؤمن في هذه الدعوه [illegible] الله سبحانه [illegible]
[illegible] الكفر [illegible] الذي اجبر [illegible]
[illegible] وكان [illegible] الله [illegible] كل [illegible]
المسلمين [illegible] الامس وكان [illegible]
[illegible] الكفار [illegible] الكفار [illegible] العرب
في [illegible]
[illegible]
[illegible] — ٩ (margin)

واخذ المرتبة [illegible] ومنهم ملك الالمان خرج من جموع [illegible] الله برتبه
[illegible] ومنهم من ركب ثبج البحر [illegible]
[illegible] الكفر [illegible]
[illegible] الشام [illegible]
[illegible] من حربهم والآجله
[illegible] من الرجال من قبل [illegible]
كل يوم في حصول زيادة [illegible] موقع الحصر [illegible]
[illegible] انهم لا يستطيعون [illegible]

[illegible]

[illegible]

[redacted]

وفيه يقول شاعره

[redacted]

وابن منقذ هنا من أهل بيت أدب وشعر وله علينا وجدته بخط بعض الثقات

نصرم عمري في التغرب والنوى وافنى ارتحالي طارفي وتلادي والخلفني الايام برديتسق واطلاني فرع الخطوب رمادي
واشغلني الحرص الموكل في الورى عن العمل المنجي ليوم معادي فلا اخذ الاخرى تعنيت نيلها ولا انا في الدنيا بلغت مرادي

ولد على لسان بعض غلمانه

ورب تقصير دعاني الى احتمال الرياسة منه العدم افقطب وجهي له كلما نهللت بلا ضاحكا وابتسم

ومن كتاب فاضل الى بعض اخوانه واما الاخبار الغربيه واخلا احانيها وصعف مطلوبها
وطالبها فاذا اجرت الظلما الى الغرب فمحو كما ان الانوار الناصريه قد ساصرت في الشرق فالله سعد
بلاد الدنيا بالانخراط في سلك ملكه وتمكن من من منها حكم عدله ومن كافرها سيف فتكه والله يجريها
الخير عن سنها من في الخير ويكتب سلامه عزمها في طرق النفع ايه الشريم اني وقفت على كتاب فاضلي
السلطان يشعر بان الرسالة المغربيه لم يكن براي الفاضل ولا هو مختار لها صورته الملوك تعبل الارض
بالمقام العالي المولوي السلطاني الناصري جعل الله له في الدنيا والاخره المقام العالي وابقى
دولته التي بها الايام بالحقيقه والايام قبلها بني الليالي وينهي ان الظاهر بان الملوك عند المولى ليس
من اهل الانهام وان لمولانا الحمد اثار لهذه دولته يشهد بها الايام واثار السيوف طاحت ونعيت
اثار الاقدام والرساله المغربيه ليس الملوك مشيرا بتركها ولا كارها السفر رسولها ولا مستبعد مصلحة قربه
الامر منها اكثر على وجهها وقد جرت الهديه المغربيه على ما امر به وكتب الكتاب على ما مثل وفخم الخطاب
والوصف فوق العاده وبما لا يمكن مخاطبة مخلوق باكثر منه وعند وصول الامير نجم الدين من المخيم المنصور
فاوضه الملوك في انه لا يمكن الا التعرض لا التصرح بما وقع له انه لا يبيح الحاجه الا به من لفظ امير
المومنين وان الذين اغاضوا في هذا الحديث واشادوا به مما قالوه تنكد ولا احاطوا به قياسا
ولا عرفوا مكانة المصريين قديما واخر ما كتب في ايام الصالح ابن رزيك وهو وزير سلطان مصر الذي
في اتباع مولانا اليوم ما له مثله من رجمه لعظيم امره وملتزم شكره هذا والصالح يتوقع ان ياخذ ابن
عبد المومن البلاد من يديه بما هو ان هرب مملوكان طريدان منا فليستوليا على اطراف بلاده ويصل
المشار اليه بالامر من مراكش الى القيروان في نسبة اشهر فلقاهم فيكسر مرة ويهاسك اخرى واعلم
الامير نجم الدين بذلك فامسك مقدار عشرة ايام ثم انفذ الامير المذكور على يد ابن الحنش ان الهديه
اشر عليه ان لا يستصحبها وان استصحبها تكون هديه برسم من حواليه وان الكتاب لا ياخذه الا
بتصريح امير المومنين وان السلطان عرض دثم له ذلك والملك العادل ذا متقرب بان لا امير الا به

وانه اذا لقي القوم خاطبهم بهذه التحية عن السلطان ابقاه الله من لسانه فاجابه المملوك بان الخطاب
يكفي وطريق حرنا له ممكن والكتابة بحجة بعيد السلطان عن الانكار ومتى قريت على منبر من منابر الغرب
حصلنا حامعين في مكان الاجماع متابعين من لا ينصره الله ولا شوكة فيه ولا يحل اتباعه من خصين الغالي
منحطين عن العالي سامين عصا المسلمين من بين كلمة المومنين مطيعين لمن لا يحل طاعته مقلدين لمن لا يصح
ولايته تنعقد عقود الاسلام وينفتح باب يحجر موارده عن الاصدار بل يمضي ويستشف الامور وتكشف
الاحوال بان اراذل القوم شوكة وكتابته فعدهم بهذه المخاطبة واجعل كل ما نا خذه ثمنا للوعد بها
خاصة فامتنع وقال انا امضي اشغالي واتوجه الى الاسكندرية وانتظر جواب السلطان عز نصره
وما يعوق وقت والى ان انجام المركب وادنا دار الركاب بسير المملوك السحر فان وافقت فينتم الكو
في الملوك ترجمة يلصقها على ما كتبه وما ترجم الدين يسلم الكتاب على ان ابن الطبس حدثه عنه انه ممتنع من
السفر الا بالمكاتبة بها فاما الذي يترجم به المولى عز نصره فيكون مثل الذي يخطب على المنبر لمولانا
وهو الفقير الى الله تعالى يوسف بن ايوب دام الله عنه مولانا ابا الفقر الى ربه واذا كتب الصالح بن رزيك
البهم من السيد الاجل الملك الصالح فبحق ان يكتب اليه مولانا ابقاه الله الخادم وهذا مبلغ راي المملوك
والمولى لا يدل عنه وقاسم الارزاق يوصلها وان زعم من حرف على يديه وان كان مولانا اعز الله نصره
يقول انه غافل وغايب وما تعرفه الاسلام فيه فلو حضرت وعرفت ما اسمعه الحاديث لحوار ما يكتبه
بعد سنين مما يجلا الله عنا ولا نسمع هذه الشك ولا نسي الظن بالله واذا كاتبنا ان شاء الله احدث
حاليه من يطلب الان مواشانه واذا كان المملوك مستجهلا وغير مستنصح وللضرورة حكمها
والاحوال والمملوك غايب عنها فالمفهوم من الامر للمملوك ان يتولى من الكتابة ترتيب المقاصد وتحرير
الالفاظ وتسديد الخير مما اجراه الله تعالى على يد مولانا عز نصره والماي المطلوب فقد فعل هذا
كله في النسخة وتعيين اللفظة التي يكاتب به المملوك لها شرطها والمملوك وعقبه متحيرون
بالله تعالى ثم بالسلطان عز نصره من تعويضهم لكدر الجوه وتوقع الخوف ومعاداة من لا يخفى عنه
خبره لا تقال به عثرة ويكفي ان المولى لعطه في كتابه الى الملوك ومنها ما هو بخط حضرة سيدنا
الاجل عماد الدين الكاتب الاصفهاني رحمه الله تعالى لما وقف بان بياطرة الخطاب تسامح باللفظة
في المعاتبة فالملوك اولى بها واما استهانة بنفس الملك لا تقاس بنفس المملوك فان كان لابد
فالتيسير بيد والمقصود فيها من زيادة هذا اللفظ ما يحتاج الى التعليم والكتاب الذين يشتغلون
بكتابة النسخ معدودون وعند باب المملوك منهم والكتاب الذين يشتغلون بالتبييض موجودون

فيتوبون

فيتوبون عن المملوك في التبييض والاوكيف فيبتنا رسول يكاتب من مصر بلا خط سلطان وبغير خطر
كتب ولا يهتدي به سائر ويحضر من البغاددة والمغاربة يعلمون ان الكتاب كتب بمصر ويشهدون
بما لم يروه وما لم يعقوه من الخطاب واذا وصل من المولى اذا ما سيابه كتاب مختوم وسئر ولم يعلم
ما فيه انقطع فصول كثير وحدث اراجيف شنيعة ولا يعتقد المولى ان المملوك يعتاظ التبييض فا[illegible]
والاعين شغل الا السلطان واعمالهم واقوالهم ولا للمملوك خوض الا في اوامرهم واحوالهم ولو علم المملوك
ان هذا الذي استعفى بصره بحيث ينفع المولى ابقاه الله لهان عليه لله مضرة بغير منفعته ويعرض لما يدوم
عاقبته او يبقى على الخوف منه وذلك مما لا تقتضيه حسن عقيدة المولى وفصل ذا فيه مقصود المولى ابقاه
الله تعالى عصيل بعضها بين يديه وربما حصل استشاره وامت المكاره فيه وغضت العيون عنه
وبحث الايام عليه طالع المملوك بذلك **فصل** وللقاضي الفاضل رحمه الله تعالى من كتاب اخر
ما يشرح لنا بعض ما تقدم وما لم يذكره من البشير منها قوله كتاب بغداد كتاب بارد غث جامل ما فيه
مقصود لقاصد ولا اصله لعايد ونحن نطلب الذهب الحار فيصرف في حديد بارد ومنها فما خرب
من البلاد الفرنجية المعنونة خراب البلاد في هذا الوقت لا شبهة في تقويته لنفس العدو واضعافه
لانفس المسلمين وكل من يسمعه يجعله من فند يد اليأس ما يقطع رجاه المولى يعلم ان العدو اخذها من
المصريين في تمام ستين سنة وحفظها بالاحصار مرة وبالهدنة اخرى وبالقتال تارات وولاة
مصر لو كان فيهم خير لما عجزوا عنها ونحن قد حملنا عن العدو المؤنة بتخريب البلاد التي كان العدو
يريد ان يحاصرها وينازلها وينصب المنجنيق والبرج عليها ويخاف النجدة ان تصلها وقوة الاسلام
ان تثوب اليها ويتوقع ان يدهمه المصاف قبل النزول عليها فعرفناه انه قادم على من لا يتلع
له الا من يلقي السلاح ولا حفظ البلاد الا من يخربها فقد تكلنا عن اللقا وقد زاد قبل المواجهة
وزدنا زيادة عجيبة وهو ان المنهزم ينهزم بالرجال ونحن نهزم بالبلاد ثم قال ويثوب مولانا على
على ما هو حراستها وحفظها وقوة نصر من لها واهون الاعداء ملك الالمان لا يشك مولانا ان جمعه
لا يفي بعشر قرار من ستين قد فقده وصلت الى الفرنج نجدة من بلاد المجوس في السنة الماضية وانما
الرايد منهم ملك وقد هلك وولي وقد قطع وقليل جيش وقد تكفا الحاد ومنها عند ورود
كتاب السلطان اليه يبشر بعافيته من مرض في شهر رمضان استقرت بشارة عن ان المولى اتاه الفرج
بعد العروج واعتقل عقل الله وصح وقال العافية لمرض تنح وكان فيما في كتابته الاولى من عرف
الوون من الحمد لله رب العالمين ضاران ضعف بعد صيار فيه الخطوط فاما هذا الكتاب المبارك فقد

حسنت فيه النيرية وقويت اليد وطلعت الغرر واهتم البنان بمطلع الهلال الفطري الذي تسميه الشعراء
بالنون **ومنهم من قال** ولاح هلال مثل نون اجادها بذوب النضار الكاتب ابن هلال
وهذا من انواع الفراغ الذي ما اوجبه الملوك الامرية بعافية المولى اذا نهاه الله وادام المعرفة لديها
فالملوك ما يشبهها الملوك الانور الشمس الذي له في كل مكان اثر ولكل عين به نظر فلا اخلا الله الدنيا
من آثاره والعيون من انواره وبعد عافية المولى فقد اسطر الاسلام عافيته به من المرض الذي هو العدو فيجمع
الله تعالى للمولى وللخلق من العاقبتين ويستعدم شكريهم للنعمتين فقد جلا الله بهذا المرض سيف الله
الذي هو المولى وما صقله الا ليصدي به قلوب عداته ومن فوايد هذا المرض ان المولى يستانف العمر
جديدا والعزم جديدا ويستقبل التدبير بنشاط قد حضر واعضاء قد فارقها ما كان بسبب الضجر ومنها
واما تبرم مولانا بكثرة المطالبات منه فلا اخلا الله مولانا من القدرة عليها وهيا له ان الله سبحانه
طالبه بحفظ دينه والنبي صلى الله عليه وسلم يطالبه بحق الخلافة في امته والسلف الصالح من هذه
الامة يطالبونه بمباشرة ما لو حضروه لما زادوا على ما يفعله المولى واهل الحرب يطالبونه بما راحة
عليهم من الذهب والفضة والحديد وبقية الامة يطالبه بالامن في سربهم والاستقامة في كسبهم
والعمارة في سبلهم ونفسه الكريمة يطالبه بالجنة بلغه الله اليها والمعالي الامور اعانه الله عليها
واما عدد ما يراد منه فلا بد ان يعدد ما يسر عليه فهل عدم من الله تعالى نصره فهل استمر به قط
عثره فهل يستبعد وقط عليه كرة هل بان قط الا راجيا هل اصبح الا راضيا الا يعلم ان الله تعالى
خوله من الصلحات ما لم يركفوا له غيره الا يحصى من سبقه من الملوك الى الدنيا فخروا اعما سبق اليه
المولى من الآخرة هل يعرف دابة بما قل غنها في سبيل الله الا داسه هل يعرف ما لا تنفق في سبيل الله
الا ما يهل يسمع في مجلسه الا كتاب الله يتلى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تقرا او ترى به الا
الخيل تعرض والسلاح تقلب لا اقداح الكاسين ولا اصوات المغنيين ولا ردايع الكذابين ولا سعايات
النمامين وعن لو احظ مولانا ابقاه الله على نفسه على تشبيه الملوك مجلس عبد المومن بالمجد فان مجلسه
اولى ان يكون مسجدا من كل مجلس ولا عزوان يعرف المداح كما يعرف الصوان وان يشع كما يشع الطرايد
ولينمز الله من ينصره لعل المولى عز نصره قد يغد الى جانب الشمال جماعة فان صاحب انطاكية خذله
الله عاث وشعث وخلا الخمان بارض فطلب الطغر وجيه لو قرن اهل عكا وكذلك يفعلون
ينفع الله ما هم فيه من جهاد سيدا احتسابا لما سبقهم الى الجنة سابق ولا لحقهم بعد سيمر لاحق فليهن
مولانا موفر ثوابه على كل حال فله ثواب نفسه وثواب من جاهد بسببه فلا اعدم الله كلو واحد به

المتنام جميعهم وما ان لكان عطاياهم بعد ما يرعبهم وشفقا عليهم بنفسه وبولده وبأخرته وبتقدم الى
الاهوال امامهم امرايه ومماليكه وعسكره وحلقته كانه منهم وكان ثم الله من الكتاب ومكان الامام
من المحراب ومكان النواصي من وجوه الصواهل ومكان الاسنة من وجوه العوامل حيثما كان اذا لم نظن نفس
بنفس خيرا واعيرها كان على مكارم الله اذا كانت نفوس الملوك غير هذي وقد اطمانت القلوب الى ان الله
سبحانه قد كشف الغمة وفرجها واطفا نار الحرب التي كان العدو واججها فما يتوقع من كتب مولانا ابقاه
الله الا ان الاسلام قد نسخ ما بسط الكفر ولا يسمع من قصصه الذي هو احسن القصص الا ان يقال
ما قاله شمته على نبينا وعليه السلام قضي الامر واما ملك الالمان فقد علم الله ما اضيف اليه
كما كان الملوك راى في مناصبه على كوكب واعلم مولانا بماله فقال ابقاه الله فقد قلت البشرى
وصورة الرويا ان رسولا جا من السلطان عز نصره الى المملوك فقال اكتب كتابا ببشارة هلاك
الالمان بعلف حتى افكر فقال الرسول اكتب بان الله قد اهلك ملك الالمان مما اضيف اليه والمشهور
ان ملك الالمان خرج في مايتي الف وانه الآن في دون خمسة الف **ومنها** ورد كتاب من المهدية
في الاسكندرية باي رجب بعد ستة عشر يوما من المهدية وذكر من فيه اخبارا وقد طولع بها
فلا نكرر نفسه علم صحتها وهو ان عساكر العرب الاسلامية نازلة على طليطلة وقد افتتحت عدة
حصون كانت وان يوزابا شوهل بالمهدية موثقا بالحديد وقد نقل قراقوش الى صاحب
تونس ميرة الى بلاد الاندلس موضع نزول ابن عبد المومن بالعساكر وان اهل صقلية من المسلمين في
الآن في حرب قايمة بينهم وبين فرنجها ويعتصمون بالجبال في اعمالها وان عسكر الفرنج قد خرج
لانجاد اصحابهم بصقلية والمسلمون بها على توقع ورهبة وجدار وخيفة نصر الله كلمة التوحيد
واهلك كل جبار عنيد وان مراكبهم ازواد للجوبين في خليج المهدية لهان من صاحبها
فباعتها او نودوت منها وانها قاصدة الشام حشا الله قصدها وشهرا وقد شتر اكل
الآن من المجلس العزيزي عصور فلان وفلان وكلهم مجتهد في الخدمة والمعروف الملوك انهم لا يطرقون
الجهة التي يطرقه الملوك من سنة مولانا على ان يعضى في الانفاق ويقدر الاخراج المعلم
ان هذا المرض قد رميا بعدمه وشهر بحر المولى فاهدم غزا لهم سطوة كرهم والبلاد معشية الان
كمهدها في انقطاع اسعارها ووقوف معايشها وكساد اسواقها وانكساد تجارها ولولا تمكن الدراهم
سلفه لاخرج من مصر كما يخرج الدينار واحدث كما لا يوجد الدينار على تعريف الدراهم بعد ان
يصير مستجرا بذهب شغل شاغل واستخراج ثان غير الاول وعسى الله ان ياتي بالفتح او امر من عنده

يحدث للاسلام نصراً عزيزاً وللكفر خذلاناً مريعاً وجيزاً، ومولانا خلد الله ملكه من وراء ضرورة
لا تخفى عن الملوك والممالك من وراء ضرورة لا تخفى عن المولى وصدر المولى بحمد الله واسع وفرج
الله منه قريب وهذه الضائقة لما يريد الله سبحانه وتعالى من حسن توقع الفرج بعدها فقد انفق
المولى مال مصر في فتح الشام وانفق مال الشام في فتح الجزيرة وانفق مال الجميع في فتح الساحل وسيفتح ان
شاء الله تعالى مال القسطنطينية في فتح رومية والملوك كلهم وكلاؤه وامناؤه على خزائنهم الى ان
يسلموها اليه فيشكره الله على ما اخرجه في سبيل الله منها ويمنعهم مما كنزوه من ذهبها وفضتها
ولا يكن في صدر المولى حرج ولا في خلقه فان الله سبحانه لا يضيق رزقا على يد الكريم لا سيما وقد اجرى
عليها ارزاق خلقه، ومنها ما يتضمن وصول رسول ملك الروم بما في صحبته من هدية وما على لسانه من رسالة
وما على يده من كتاب وحضر بين يدي الملك العادل وجرى من المفاوضة ما ذكرته امثال المملكة
بكونه لم يعد رسول ملك الالمان وصاحب صقلية وغيرهم من جيوش الفرنج الى الموافقة على حرب
السلطان واطلاق عزيمتهم وامتنع وشد الدربندات وحفظ عليهم الطرق ووصى ارباب الحصون
بالتيقظ والمنع دونهم وحمل عدم المتمنى موافقته ان البلاد في هذه السنة غالية السعر والمحل
تقتضي ان لا تكون الحركة الا ضرورة وعلى تمكن من الميرة يؤخر الحركة الى السنة الاخرى ثم قال
وهذا ملك الروم خائف من الفرنج على بلده مدافع عن نفسه ان تم له الدفع ادعى انه تسبب وان
لم يتم ادعى انه غلب عن نفسه ومقصده وقد حصل ما اورده من انعام البطركية في مقامه من قبله
واستعمل من ولاية الفرنج الى نوليها الطاغية من اهل ملته شيئا يبسط به عذره ويزعم عند اهل جنسه
يدفع به عن نفسه لاستماع اقامة الخطبة الاسلامية وتقليد المنبر وسحبه في الصلوة واعلاء
الكلمة الاسلامية ارغم الله بها انفه وعجل بسيفها حتفه ومولانا انباه الله يستنشئ الاجوبة
ويجعل الاعتماد على الاسلام فيه غضاضة ولا الى ما فيه للكفر قوة ان ينصركم الله فلا غالب لكم ، ومن
كتاب الحضرة بعد الى الملوك كتاب يذكر وصول رسل الملك العتيق من قبرس اليه يخبره بعصيانه
في الملك المكتهل ومكاشفته بالعداوة والحرب وانه قد كاتب السلطان اعز الله نصره بما لا يمن
نفسه العبودية والطاعة والمظاهرة وان ملك انكلتير والاخبار متواترة بان العتيق ملوي
قبرس ويعوه وقطع الميرة عن الساحل ولا شبهة ان مولانا يقبل من المذكور ويقوي نفسه على هذه
المباينة وان في بعاد له بيضوه الاسلام وشغل بعضهم ببعض وافتراق كلمتهم المجتمعة وقطعا
للميرة عن الشام وانا جانب كبير من جانب البحر وهذا الملك العتيق قد صار لمولانا صديقا وما

سمي العتيق الا لانه صار لمولانا عتيقا ولا اعتبار بحديثنا مع صاحب القسطنطينية وانا نسعى
في قبرس فانا انما وعدناه بالصبر عليها لما كانت بيد عدونا وما اسلمنا اليه ملك الروم قط ولا يمنع
ان يكون صديقا ولا ضرر ان يكون عدوا ولذلك صاحب الغرب والله يعصمك من الناس ووقف
الملوك على كتاب بغداد والمقصود الذي لاجله ندب الرسول ما لم يذكر في الكتاب وهي المعونة
على الجهاد وعرف استدعاء المال الذي على بكتمر ولو كان لنا فراغ لها لما كان النظر الصحيح يقتضيها
لانها مهما بقيت في يد من هو الآن بها فهي في يد المولى ابقاه الله تعالى ومهما خرجت عنه خرجت
عنا وما نقول انه ليس لنا تطلع الى مثلها لا سيما وهي طريق الى غيرها وقد فتح الله للمولى بلاد
هي مع سعتها ضيقة عن ربوتها وللمولى اولاد اكثر الله منهم فما منهم الآن هو متطلع الى الطرف ولنا
اهل فما منهم الآن هو متطلع الى مملكة واما منهم الآن هو متوقع زيادة وما لكنا منهم الآن يريد
ان يوفي الحق عليه في الخلعة ومن سيرة المولى هذا الامر عدم من اصحابه ينفعه فيما يولهم ما سار فيه
وما يلحق ان يسير الامر بهم ما يعجزون عنه ويكون عنوانا لما نعلمه في شك منه من قوة المولى على
ما يريد واشاكه مع القدرة ومن المملوك ان مطلبهم نقد وبطلنا منهم وعد وان كان ولا
بد يشير فلا يسير الامر بقضي الشغل ويسر بدالحفل ، ما يتضمنه الكتاب البغدادي من عزم الخليفة
على الحج في هذه السنة المملوك يستبعده بالاضافة الى الوقت والى العادة اذ آخرهم حجا الرشيد
رحمه الله ويستقربه بالاضافة الى الخليفة وان بان صلح ان يهتم بما اشار اليه ابن الشهرزوري ولا
شك انه قد اتى في الرسالة التي توجه فيها فانا بعثناه للتمول لنا نفقه فالتمسها منا وكتب الفاضل
الى السلطان ينهي انه عرف بسبب رجل وصي من القصر العزي وان المويد يعني ابن السلطان وكان
ينوب عن اخيه العزيز بمصر غائب الطواشي بهاء الدين واستعلم امرهما فذكر ان هذين صحيح وان
احدهما وهو الصبي من جملة ثلاثة او ثلاثين ولدا كانوا اطفالا وقت الحوطة عليهم بالقصر العزي
وقد بلغ هذا وكبر وزاحم عشرين سنة والآخر كان معتقلا في الايوان فحدث له خارج في حلقه
واشفى على الهلاك فامر الطواشي بنقله الى القصر العزي من الايوان وفك حديده ليتداوى في
اوائل سنة ثلاث وثمانين فاستمر مرضه واشتد ضعفه وبقي في القصر العزي الى ان علم انه سحب
فسأله المملوك عن المتحفظ للقصر العزي فذكر اسبا وركان الطواشي اقامهما ورضي امانتهما وانهما
ذكرا ان هذا القصر العزي قد خرب ودثر وكثرت التشليقات عليه وعاودوا اصطبلات فيها جماعة
من الصعيدية والمغاربة والطرق تسعر من هذه الاصطبلات الى من في القصر الآن وانهما كانا

بعبارة بعد اخرى ان المكان غير حسن والاستقبال فيه غير وثيق قال وجمعت اصحاب الارباع وحببت الصبر
ورجوت بترك المسامحة الظفر بهما والنجح دافع عنهما وكتب الفاضل عن السلطان الى العادل وهو بمصر
انهى الينا ان بالديار المصرية وبالحضرة العلية جماعة من الفقهاء قد اعتضدوا بجماعة من ارباب السيوف
وقد بسطوا السنتهم بالمنكر من القول غير المعروف وانشاوا من العصبية ما اطاعوا فيه الهوى العصبية
واحيوا بها ما اماته الله من اهل حمية الجاهلية والله سبحانه يقول وكفى بقوله حجة على من كان سميعا
مطيعا واعتصموا بحبل الله جميعا ولم يزل التعصب للمذاهب علاء القلوب بالشحنا ويسحبها
وقد نهى الله عن المجادلة لاهل الخلاف فكيف باهل الوفاق الا بالتي هي احسنها وما علمنا ان
في ذلك منه بخل ولا مصلحة توجد ولا هداية تعتقد ولا دراية تعقد ونار عداوة توقد وقلما
اثمرت المشاجرة الا اختلافا فالمجلس اعزه الله يوعز بكف الالسنة الخائضة وعقل الاعنة الراكضة
والى منع بلطفه المرضي والا كانت هيئة الرافضة ومن عاد بعد الزاجر بعده عن مستقره فازعج ولسح
لخلعها وتبع السلف من الادب ولتعلم العبد انه يكتب كتابا الى المدرسة فليتكبر فيما كتب والى من كتب

فصل في ذكر خروج الفرنج خذلهم الله بعزم اللقا ووصولهم الى راس الما قال العماد وذلك
في يوم الاثنين حادي عشر شوال بعد ان رتبوا على البلد من لازم القتال مع ملك الالمان وخرج معهم
المركيس والكندهري فاخذوا معهم علوفة اربعة ايام وزادها واستصحبوا الحطب الكثير واجادوها
وكان مخيم اليزك على تل العياضية فركبوا واشعلوا القوم نيران النضال والهبوا من العدو
تلك الليلة على ابار حفرناها عند نزولنا هناك وباتوا يرمونهم ويشتونهم وتصبحهم الاتراك
واصبحوا يوم الثلاثا سائرين الى اللقا ونقل السلطان تلك الليلة الثقل الى ناحية المعيون وقد
انتدب ميمنته الى الجبل صفا وميسرته الى البحر زحفا وعند في ميمنته اولاده الافضل والظاهر
والظافر واخوه العادل في اول الميمنة وتلاه حسام الدين ابن لاجين ثم صارم الدين قايماز النجمي
ثم حسام الدين بشاره ومعه بدر الدين دلدرم الياروقي وهولاء عظماء دولته وكبراء مملكته
ومعهم امم يقدمون حزبون يقدمون وكان في الميمنة ايضا ابن صاحب الموصل عز الدين
جرديك النوري وعلى ميسرته صاحب سنجار وصاحب الجزيرة وتقي الدين وابن المشطوب سيف الدين
ومعظم من الامرا الهكارية والزرزارية والمهرانية وامراء القبائل من الاكراد ورجال
الحلقة المنصورة واقفون في القلب وضرب السلطان خيمة لطيفة بقرب الخروبة على تل مشرف
فيه ... عن يوما لما يجري فيه نهر كبير فسار الفرنج ذلك اليوم ... حتى وصلوا الى

ذكر

راس الما وشاهدوا مواقف الهاجمين الى الهيجا فاعرفوا الى عرى النهر ونزلوا واعتزلوا بالاحتراز
واعتزلوا فانهض السلطان اليهم الجاليشية وانتظر من الله في كسرهم المنية واستداروا بمراكزهم
واحتووا فيهم بالنشوب رشقا وبالدبابيس دقا وبالنصال رضا وبالاسنة وخزا وحصبا وقضوا
فيهم من حق الجهاد سنة وفرضا وكان المراد ان يعبروا فعبروا حتى يلتقاهم ويشردوا فما راموا
مكانهم واصبحوا يوم الاربعا راكبين وعن سبيل اللقا ناكبين ووقفوا على صهوات الخيل الى
ضحوة النهار والراجل محدق بهم كالاسوار واصحابنا قد قربوا منهم حتى كادوا يخالطونهم وارادوا
ان يباسطوهم والسلطان يمد الرماة بالرماة والكماة بالكماة وهم ثابتون نابتون ساكنون
ساكتون ونحن نقول لعلهم يحملون ويغضبون فيجهلون فنتمكن من تفصيل جملتهم وتفريق
جماعتهم واحس العدو بالضعف وانه متورط في الحتف فالجا العجز عن الدفاع الى الاندفاع
وساروا عائدين على هيئة الاجتماع والنهر عن يمينهم والبحر عن يسارهم وقد اتعبوا ان صح منهم الثبات
بانكسارهم واصحابنا حوالهم ومن ورائهم يرشقونهم في دمائهم ويشلونهم ويقتلونهم ويهملونهم
من امداد الحديد ويعلونهم وهم يتحركون في سكون ويتظاهرون في كمون ويدبون في جمود
ويتلببون في خمود وكلما صرع منهم قتيل حملوه وستروه وطموا مدفنه حتى يخفى امرهم ولا يصح لدينا
كسرهم ونزلوا الليلة الخميس على جسر دعوق وقطعوا الجسر حتى يمنعوا عبورنا اليهم وتعوق والى
المسلمون في ذلك اليوم في الجهاد بلاء حسنا وانوا كلما كان فيه متنطعا ومكا وبذل ايار الطويل
هذا اليوم جهده ودل في قتل حدثهم جده وكذلك سيف الدين ايزكوج عام في بحرهم وقام
بامرهم واصبحوا يوم الخميس الى نار الوطيس ووصلوا الى مربضهم ولم يحصلوا على غرضهم ونقص
منهم خلق وعدنا الى الخيام ظافرين ظفر الكرام فرحين بذل الكفر وعز الاسلام وعرف الفرنج
مساق حربهم واخفاق سعيهم فاحترزوا من الحركة الهلكه وما عادوا الى مثل هذه الهلكه
قال القاضي وكانوا قد جعلوا داخلهم سورا لهم يضرب الناس بالزنبورك والنشاب
حتى لا يترك احدا يصل اليهم الا بالنشاب فانه كان يطير عليهم كالجراد وخيالتهم يسيرون في وسطهم
بحيث لم يظهر منهم احد في ذلك اليوم اصلا وعلم العدو مرتفع على عجلة وهو معروف بها وهي
تسحب بالبغال وهم يذبون عن العلم وهو عال جدا كالمنارة خرقته بياض ملمع بحمرة على شكل
الصلبان ولم يزالوا سائرين على هذا الوجه حتى وصلوا وقت الظهيرة الى قبالة جسر دعوق
وقد اخذهم العطش من شدة الحر واخذ منهم التعب واثخنتهم الجراح وكان الثقل يحفظه الحلقه

في ذلك اليوم فانهم اذاقوهم طعم الموت وجرح منهم جماعة كاياز الطويل فانه قام في ذلك
اليوم اعظم مقام يحكى عن الاوايل وجرح جراحات متعدده وهو مستمر على القتال وجرح
سيف الدين يازكوج جراحات متعدده وهو من فرسان الاسلام وشجعانه وله مقامات متعدده
وجرح خلق كثير في ذلك اليوم وعزم السلطان في تلك الليله على كبس بغتتهم في النجم وكتب
الى البلد يعرفهم ذلك حتى يخرجوهم من ذلك الجانب ونحن من هذا الجانب فلم يصل من اهل البلد
كتاب ترجع عن ذلك العزم بسبب تاخر الكتاب فلما اصبحوا كف السلطان الناس عن القتال خشية
ان يعتالوا امان العدو وكان نزع قوت من خيمه ووقف الاطلاب في الجانب الشرقي من النهر تشير قبالة
العدو حتى وصل الى مخيمه وكان لهم فيها اطلاب مستريحه فخرجت على اليزك الاسلامي وحملت
عليهم وانتشب القتال بينهم فقتل من العدو وجرح خلق كثير منهم شخص كبير منهم مقدم عندهم
وكان على حصان عظيم ملبس بالزرد الى حافره وكان عليه لبس لم ير مثله وطلبوه من السلطان
بعد انفصال الحرب فدفع اليهم جسده وطلب راسه فلم يوجد وعاد السلطان الى مخيمه واعيد
الثقل الى مكانه وعاد كل قوم الى منازلهم وكان عماد الدين زنكي غايبا بعسكره مع الثقل لمرض
كان به وبقي عسكره فعاد وعاد اولاد تقي الدين صاحب حماه وتقي الساب من اصحاب السلطان وهو كان سبب
سلامة هذه الطايفه الخارجه كونه لا يقدر على مباشرة الامر بنفسه ولقد رايته رحمه الله وهو
يبكي في حال الحرب كيف لم يقدر على مخالطة القوم ورايته وهو يامر اولاده واحدا بعد واحد
لمباشرة الامر ومخالطة الحرب ولقد سمعت منه وقال يقول ان الوحم قد عظم في مرج عكا بحيث
ان الموت قد كثر في الطايفتين فانشد متمثلا اقتلاني ومالكا واقتلا مالكا معي
يريد بذلك انني قد رضيت بان اتلف انا اذا اتلف اعداء الله وحدث بذلك قوة عظيمه في نفوس
العسكر الاسلامي وكان مرض السلطان هو احد الاسباب الكامله للفرنج على هذه الحركه منضما الى
كثرتهم وشدة الغلا والجدب عليهم فصل في وقعة الكمين وغيرها ودخول البدل الى
عكا قال العماد لما كان يوم الجمعه الثاني والعشرون من شوال انتخب السلطان من اجناده عده وكثرهم
العدد وامرهم ان يكمنوا في سفح تل هو شمالي عكا بعيد من عسكر العدو بقرب المنزلة العادليه الغربيه
عند الساحل فكمنوا تلك الليله فلما اصبح الصباح ركب منهم عده يسيره وساروا نحو الفرنج
وصالوا عليهم واغاروا فاستطلم الفرنج فخرج اليهم زها اربع مائة فارس هكذا قال العماد
في البرق وقال في الفتح مايتا فارس وهكذا قال ابن شداد مايتا فارس طمعوا في المسلمين

فتاخروا قدامهم قليلا قليلا حتى اوصلوهم الى الكمين فخرج عليهم اشد العرين فحملوا وانبروا واستو لوا
عليهم باسرهم فلم ينج منهم ناج ووقع في الاسر مقدمون لكانوا منهم خازن الملك وجماعة من
الافرنسيسية وركب السلطان فرحا بهذه البشارة ووقف على تل كيسان وقدموا فيما اليه
الاسرى والاسلام فترك الاسلاب والخيول لاخذيها وكانت باموال عظيمه فما اعار بها طرفا
ولا تردد امره فيها وطيب واحضر الاسرى وباسطهم واطعمهم وكساهم واذن لهم في ان يسيروا
علما انهم لا حضار ما يريدون احضاره ثم نقلهم الى دمشق للاعتقال وحفظهم بالقيود الثقال
قال القاضي بن شداد ولما هجم الشتا وهاج البحر وامن العدو من ان يخرج بمصاف وان بالغ
في طلب البلد وحصاره من شدة الامطار وتواترها اذن السلطان للعساكر في العود الى بلادها
لياخذوا نصيبا من الراحه فسار عماد الدين صاحب سنجار خامس عشري شوال وعقيبه ابن اخيه
صاحب الجزيره بعد ان افيض عليهما من التشريف والانعام والتحف ما لم ينعم به على غيرهما وسار
عماد الدين صاحب الموصل في اول ذي القعده مشرفا مكرما وسار الظاهر في المحرم سنه
سبع وتقي الدين في صفر منها ولم يبق عند السلطان الا نفر يسير من الامرا والحلقه الخاص قال
واشتغل السلطان بادخال البدل الى عكا وحمل الميره والذخاير واخراج من كان بها من الامرا
لعظم شكايتهم من طول المقام بها ومعاناة التعب والسهر وملازمة القتال ليلا ونهارا وكان
مقدم البدل الداخل من الامرا سيف الدين المشطوب دخل في سادس عشر المحرم سنه سبع وفي ذلك
اليوم خرج المقدم الذي كان بها وهو الامير حسام الدين ابو الهيجا واصحابه ومن كان بها من
الامرا ودخل مع المشطوب خلق من الامرا واعيان من الحلق وتقدم الى كل واحد ان يصحب معه
ميره سنه كامله واستقل العادل بعسكره الى حيفا على شاطي البحر وهو الموضع الذي يحمل منه المرا كب
ويدخل الى البلد واذا خرجت يخرج اليه واقام يحث الناس على الدخول ويحرس الميره والذخاير
لئلا يتطرق اليها من العدو من يتعرضها وكان مما دخل اليها سبع بطس مملوه ميره وذخاير ونفقات
كانت وصلت من مصر وكان دخولها يوم الاثنين ثاني ذي الحجه فانكسر منها مركب على الصخر الذي في
قرب الميناء فانقلب كل من في البلد من المقاتله الى جانب البحر ليلقى البطس واخذ ما فيها ولما علم العدو
انقلاب المقاتله الى جانب البحر اجتمعوا في خلق عظيم وزحفوا على البلد من جانب البر زحفة
عظيمه وقاربوا الاسوار وصعدوا في سلم واحد واندق بهم السلم كما شاء الله تعالى وادركهم
اهل البلد فقتلوا منهم خلقا عظيما وعادوا خاسرين واما البطس وان الموج هجا

عظيمًا وضرب بعضها ببعض على الصخر فهلكت وهلك جميع ما كان فيها وهلك فيها خلق عظيم
قيل كان عددهم ستين نفرًا وكان فيها ميرة عظيمة ولو سلمت لكفت البلد سنة كاملة ودخل على المسلمين
من ذلك وهن عظيم وحرج السلطان لذلك حرجًا شديدًا وكان ذلك اول علائم اخذ البلد قال
العماد لما دخل الشتاء وعصف البحر وهاج الانواء ووقع في سفن الفرنج الكسر انفذوها الى الجزائر
للاحتياط وخافوا عليها من احتياط البحر وقال في الفتح نقل الفرنج سفنهم خوفًا عليها الى صور
فربطوها بها فخلا وجه البحر من مراكبهم وحصل الامن فيه من جانبهم وكان اصحابنا في البلد قد ملوا
فشكوا ضرهم وضجرهم وكان من اعيان الفقهاء جماعة من امير ومقدم وجندي واسطولي وبحري
ومتعيش وتاجر وبطال وغلمان ونواب وعمال وقد تعذر عليهم الخروج فراى السلطان ان
يفسح لهم فيه رفقًا بهم ورأفة وما افكر في ذلك مخافة وآفة واشير على السلطان في تبديل
البدل ووكل العادل بذلك واشتغل بخيمه الى سفح جبل حيفا فاقطع النهر وتقدم بجمع السفن
المعدة واجتمع المنقلون بالساحل على الرمل من تجرامه انتقل وكان الراي ازاحة علة المقيمين
فانهم قد خربوا وضجروا وحرجوا وهم كثير واحد وكانوا في ثروة وكرم ونخوة
ومنهم ابو الهيجاء السمين وله اتباع واشياع وله في شرع السماحة اعتداد بالسلطان واوضاع
ولعله انفق من الذين في تلك السنة خمسين الفًا من الدنانير فلما فسح لهم في الاشغال لاجل الاستبدال
انتشر ذلك الضمر واستشر ذلك النظم ودخل الى عكا من لم يجرب حصارها ولم يخبر منافعها ومضارها
وما ثبت ممن كان معتمًا بها الا الامير بهاء الدين قراقوش ودخل عشرون مقدمًا وامير اشبه المكرهين
عوض ستين واستخدمت الرجال وانفقت الاموال وتعاون الداخلون والخارجون فلاحدر
وقع الوهن وقضي الامر وتكامل للداخلين المطلوب وطاب الزمان وتعذر الامكان بعود مراكب
العدو فلم يتتم البدل ما كان يحتاج اليه من الرجال والاموال فان كل من عين للدخول كرهه
وصار يتوسل في ان يعفى ويبذل في نفسه الفدا لما حقت كلمة الدخول على من تعين له استمهلوا
زمانًا يستعدون فيه للدخول والانتقاد قضاء الله تعالى اسباب الابدال وقوعها

فصل

في باقي حوادث هذه السنة قال العماد وفي سابع ذي الحجة وقعت وقعة عظيمة من سور عكا
فانثلم الثغر وبادر الفرنج اليها فجاء اهل البلد وسدوها بصدورهم وقاتلوا عنها الى ان بنوها
وعادت اقوى مما كانت وفي ثاني ذي الحجة هلك ابن ملك الالمان وكند كبير يقال له كند بنياط
ومرض الكندهري وصار يموت من الفرنج كل يوم المائة عشر والمائتان وحزن الفرنج على ابن ملك

الالمان

الالمان حزنًا عظيمًا واشعلوا نيرانًا هائلة بحيث لم يبق خيمة الا اشتعل فيها النار ان والناس بحيث
في عسكرهم كله نار تتقد وحصل للمسلمين غنائم اخر كثيرة في سرايا سرية واساطيل برضية ومن جملة ذلك
ملوطة مكللة باللؤلؤ مسوطة وبازرار الجوهر مربوطة قيل انها من ثياب ملك الالمان وكان قد استأمن
من الفرنج خلق عظيم اخرجهم الجوع الينا وقالوا للسلطان نحن نخوض البحر في مراكب ونكتسب من العدو
ويكون الكسب بيننا وبين المسلمين فاذن لهم في ذلك واعطاهم بركوسًا وهو المركب الصغير فركبوا
فيه وظفروا بمراكب التجار العدو وبضائعهم … فضة مصبوغة وغير مصبوغة فاسروهم وكسبوهم
واحضروهم بين يدي السلطان فاعطاهم السلطان جميع ما غنموه قال العماد فلما اكرموا بهذه
المكرمة اسروا على البلد المغنمة واسلم منهم شرذمة واحضروا مائدة فضة عظيمة وعليها مكبة مالية
ومعها طبق يماثلها في الوزن ولو وزنت تلك القصبات قاربت قنطارًا فما اعارها السلطان
طرفه احتقارًا قال واستشهد في عكا سبعة من الامراء منهم الامير سوار والتقى في هذه السنة شوانى
المسلمين بشوانى الفرنج في البحر فاحرقت للكفر شوانى برجالها وكان عند العود داخلنا شيني مقلعة
الامير جمال الدين محمد بن ارزكز فاحاطت به مراكب العدو فتواقع ملاحوه الى الماء وسلموه
الى البلاء فقاتل وصبر فعرضوا عليه الامان فقال ما اضع يدي الا في يد مقدمكم ولا اخاطر الخطير الا
مع الخطير فجاء اليه المقدم الكبير وظن انه قد حصل له الاسر فعانقه وتعانقه وقوي عليه وما
فارقه ووقعا في البحر وغرقا وترافقا في الحمام وانفقا وعلى طريق الجنة والنار افترقا واستشهد
ايضًا الامير نصير الحميدي قال وفي تاسع جمادى الاولى قتل القاضي المرتضى بن قريش الكاتب في خيمته
قتله شريك له في … اراده على بيعها وخرج من خيمته فوجد قاضي نابلس فقتله وضربه وما
امهله ومر ليهرب فادرك وضرب بعمود خيمة فهلك واسكنت السلطان اخا المستشهد مكانه
فلم يبلغ في الاحسان مبدأه قال وفي هذه السنة ورد كتاب سيف الاسلام اخي السلطان من اليمن
يذكر استيلاءه على صنعاء واستنابه ولمن ثم من الملوك فيها قال ووصل القاضي الفاضل من مصر الى العسكر
المنصور في ذي الحجة وكان السلطان يتشوف لقدومه وطالت مدة البين لغيبته عنه سنتين على ان امور
الممالك بمصر كانت بحضوره مستتبة وقد جمع الملك العزيز عناية محبة وهيبة وكان السلطان شديد
الوثوق بمكانه دائم الاعتماد والاستناد على احسانه والى اركانه فان استقدمه خاف على ما وراءه
من المهام وان تركه نال وحشة المنفرد بالقضايا والاحكام وكل كاتبه بشرح الاحوال وتستشيره
والنجابون مترددون بالمكاتبات والمخاطبات والاستشارة في المهمات فوصل لما العدس واغاثوا

الامطار ثم وصل في ذي الحجه ورجع العفل واجتمع الشمل واستانس الملك بصاحب تدبيره وانس
ذكره براي مشيره قلت وفي جمادى الاولى من هذه السنه توفي بالموصل قاضي القضاه محيي الدين ابو حامد
محمد بن قاضي القضاه كمال الدين بن الشهرزوري وقد اثنى العماد الكاتب عليه في الخريده ثناء كثيرا

وانشد له اشعارا احسنها في التوحيد

قامت باثبات الصفات ادلة قصمت ظهور ائمة التعطيل وطلائع التنزيه لما اقبلت هزمت ذوي التشبيه والتمثيل
فالحق ما صرنا اليه جميعنا بادلة الاخبار والتنزيل من لم يكن بالشرع مقتديا فقد القاه فرط الجهل في التضليل

وله في مدح الصحابة رضي الله عنهم اجمعين

لا تبغ في هوى الصحابة ارجع الى سقر لا تبلغن المنى ولا تنلن من فضلك الوطر
كيف ينهى عن حب قوم هم السمع والبصر وهم سادة الورى وهم صفوة البشر
فابو بكر المقدم من بعده عمر ثم عثمان بعده وعلي على الاثر ايها الرافضي حسبك فالحق قد ظهر

ثم دخلت سنه سبع وثمانين فعنها وصل الى الفرنج ملك افرنسيس وملك انكلتير
وغيرهما واخذ عكا خبرها الله تعالى قال العماد والعزم في هطلانه والجزم في هيجانه والسلطان
مقيم بمخيمه على شفرعم ولطف الله به فلخص وعم والعادل مخيم قاطع نهر حيفا على الرمل وسفن
البدل الى عكا في البحر منقطعه السبل والفرنج مشمرون على الحصار متحررون من الاضجار ونوب الترك
دائبه ووظائف الجهاد مواظبه ووصل من الديوان العزيز شاك ومعه مكاتبه للملك الافضل وفيها
اكرام واجلال وفضل وافضال وفي ثالث صفر رحل تقي الدين لتسلم البلاد التي اضيفت اليه شرقي
الفرات وكان له بالشام المعرة وحماه وسلميه وجبله واللاذقيه وبالجزيره وديار بكر حران والرها
والموزر وسميساط وضياعها وميا فارقين وحصونها وقلاعها واعمالها وسار على انه يرجع عن
قرب فانطلق وتشوف الى افتتاح ما جاوره من البلاد وسار الى ميا فارقين وكان السلطان بسبب
ما جرى من استيلاء الكفار على عكا بعد قضاء الله الى غيبته فانه ما حزن عساكر ملك البلاد الشرقيه
بخوف معرته وحوز مجاورته وسياتي ذكر وفاته في آخر السنه ووصل كتاب المجاهد اسد الدين شيركوه
انه اغار على عسكر الفرنج بطرابلس فاستاقه ولم يعلق الكفار بكافه واقتطع بخاصته منه اربعمائة
راس بلغ في الطريق منها اربعون وغنم اتغازا وغنما وانفذ للعماد منها بغله وذلك رابع صفر
وفي ليلة هذا اليوم القت الريح مركبا للعدو على الدرب وكان فيه خلق عظيم منهم فغرق بعضهم
واسر بعض وفيهم امرا ان نجيبا وفي ليله اول ربيع الاول خرج اصحابنا من البلد وهجموا على العدو

وقتلوا

وقتلوا منهم مقتله عظيمه واخذوا منهم من خيمهم جمعا عظيما منهم اثنا عشر امراة وفي ثالث
ربيع الاول كان اليزك للحلقه السلطانيه وخرج اليهم من العدو خلق وجرى بينهم وقعه
شنيعه وقتل فيها من العدو جماعه منهم مقدم كبير ولم يفقد من المسلمين الا خادم دوي صغير
عز به في الجملة فرسه يسمى قراقوش وكان شجاعا له وقعات فامر العادل ان يكمن للعسكر
خلف التل الذي كانت فيه الوقعه المعروفه به وسار هو مكمن وراء تل العياضيه ومعه
اولاده الصغار والقاضي الفاضل وبدا الفرنج فلم يخرج منهم احد ووصل في اثناء ذلك
اليوم خمسه واربعون اسيرا من الفرنج اخذوا في بيروت فيهم شيخ كبير هرم ولم يبق في فمه ضرس
ولم يبق فيه قوه الا مقدار ما يتحرك فساله عن مجيئه فقال للحج الى قمامة وبيني وبين بلادي مسيرة اشهر
فرق له واطلقه واعاده الى العدو راكبا على فرس وطلب اولاده الصغار ان ياذن لهم في
قتل اسير فلم ياذن وسئل عن ذلك فقال لئلا يعتادوا من الصغر سفك الدم ويهون عليهم وهم
الآن لا يفرقون بين المسلم والكافر ثم لما اقبل الربيع توافت العساكر وفاء بوعدها فوصلت في
شهر ربيع الاول فاول من قدم الامير علم الدين سليمان بن جندر صاحب قلعتي عزاز وبغراس وهو
شيخ له راي وتجربه وسن له كبيره ومرتبه والملك الامجد صاحب بعلبك وبدر الدين مودود
والي دمشق في رجالهم وابطالهم وفي كل يوم يقدم امير بعد امير والله يتولى التدبير وكان قد
شاع الخبر بان ملوك الفرنج واصلون وهم حاشدون حافلون فوصل ملك افرنسيس ولبث في جمعه
من عند الصليب ثاني عشر ربيع الاول في ست بطس عظام مملوءه بفوارس ذوي اقدام فقلنا ما احمل
الما لاهل النار وما احلبه للدوائر الى الدار وكان عظيما عندهم مكرما ملوكهم يتقادون له بحيث
اذا حضر حكم على الجميع وما زالوا يتوعدونا به حتى قدم وصحبه من بلاده باز عظيم عند هائل الخلق
ابيض اللون نادر الجنس وكان يعزه ويحبه حبا عظيما فطار من يده حتى سقط على سور عكا فاصطاده
اصحابنا وانفذ الى السلطان وبذل الفرنج فيه الف دينار فلم يجابوا **قال** القاضي بن
شداد ولقد رايته وهو يضرب الى البياض مشرق اللون ما رايت بازيا احسن منه قال العماد
وكان مع هذا الملك بازي اشهب كانه عند ارساله نار تلهب ففارقه يوم وصوله بحيث عجز
عن حصوله وكان في ظن الفرنج انه يقدم في جمع جم فلما راوا جمعه قليلا سقط في ايديهم فوعدهم
بالمدد فطفقه قال القاضي وقدم بعده كند فرير وكان مقدما عظيما عندهم مذكورا كان حاضر
حماه وحارم عامل لربله وفي ثاني عشر ربيع الآخر وصل كتاب من اللاذقيه ان جماعه من المستامنين نزلوا

ناجية من جزيرة قبرس في عيدلهم وقد اجتمع جمع كبير في بيعة قريبة من البحر وانهم صلوا معهم صلاة
العيد فلما فرغوا الصلوة ضربوا على كل من كان في البيعة من الرجال والنساء عن آخرهم حتى القسيسين
وحملوهم الى مراكبهم وساروا بهم الى اللاذقية وكان فيهم سبع وعشرون امراةً وكانوا اغلقوا ابواب
الكنيسة عليهم ليامنوا افلاتهم واسروهم باسرهم كسبوا جميع ما في الكنيسة من الامتعة والاعلاق
النفيسة واقتسموها فوصل الى كل واحد على ما قيل اربعة الف درهم من الفضة النقرة كذا في
كتاب القاضي وقال العماد في الفتح حصل لكل واحد منهم على كثرتهم اربع مائة درهم وهم جماعة
من العسكرية على غيظ للعدو فاخذوها وكان عددها مائة وعشرون راساً وركبوا في طلبها باثرهم
بخيلهم ورجلهم في اثرهم فلم يظفروا بطائل ولم يرجعوا بحاصل قال العماد كان عز الدين اسامة
متولي بيروت ولم تكن لمراكب العدو بد من الجواز بها او بقربها واذا عبرت اخذت وان كانت مستبعدة
بحربها مغنم هو ورجاله مغانم خلدت له ادخار الغنى وكثرت في البحر غزواته ووصل ملك
الانكتير الى قبرس في السادس والعشرين من ربيع الآخر واشتغل بها عن الوصول الى عكا حتى
اخذها عنوةً من صاحبها وكانت مقدمات شعبه قد وصلت فاستولى اسامة على جفن فيه مملوءة
رجالاً ونساءً واموالاً وخيلاً وكان في الرنب وهو شمالي عكا طائفة من المسلمين يجهزون السفن
الداخلة الى عكا ويقطعون الطريق على الفرنج قال القاضي وكان للمسلمين لصوص يدخلون الى
خيام العدو فيسرقون منهم حتى الرجال ويخرجون فاخذوا ذات ليلة طفلاً رضيعاً له ثلاثة اشهر
فلما فقدته امه باتت مستغيثة بالويل والثبور في طول تلك الليلة حتى وصل خبرها الى ملوكهم
فقالوا لها انه رحيم القلب وقد اذنا لك في الخروج اليه فاخرجي واطلبيه منه فانه يرده عليك
فخرجت مستغيثة الى اليزك الاسلامي واخبرتهم بواقعتها فاطلقوها وانفذوها الى
السلطان فاتته وهو راكب على تل الخروبة وانا في خدمته وفي خدمته خلق عظيم فبكت بكاءً
شديداً ومرغت وجهها في التراب فسال عن قصتها فاخبروه فرق لها ودمعت عينه وامر
باحضار الرضيع فمضوا فوجدوه قد بيع في السوق فامر بدفع ثمنه الى المشتري واخذه منه ولم يزل
واقفاً رحمة الله عليه حتى احضر الطفل وسلم اليها فاخذته وبكت بكاءً شديداً وضمته الى صدرها
والناس ينظرون اليها ويبكون وانا واقف في جملتهم فارضعته ساعة ثم امر بها فحملت على فرس
والحقت بعسكرهم مع طفلها قال فانظر الى هذه الرحمة الشاملة لجنس الانس اللهم انك خلقته
رحيماً فارحمه رحمة واسعة امين قال وفي ذلك اليوم وصل ظهير الدين ابن البلنكري وكان مقدماً

من

من امراء الموصل وصل مفارقاً لهم طالباً خدمة السلطان **فصل** في مضايقة العدو خذله
الله بعكا يسر الله فتحها واستيلائهم عليها قال العماد لما كان يوم الخميس رابع جمادى الاولى زحف
الفرنج الى عكا ونصبوا عليها سبعة مجانيق ووصلت كتب من عكا الى السلطان بالاستصراخ العظيم
والناس بشغل العدو عنهم فركب السلطان بعسكره وكان هذا دابه ودابهم كلما ناوبوا البلد نابهم
فاذا زحف اليهم رجعوا عن الحصر واذا رجع عنهم عاودوه وكان علامة ما بين السلطان واهل البلد
انه متى زحف الفرنج عليهم دقوا الكوس فيدق كوس السلطان اجابةً لهم واستبعد السلطان منزلته
فتحول الى تل العياضية تاسع جمادى الاولى ووصل ملك الانكلتير بالثاني عشر جمادى الاولى
من قبرس ومعه خمس وعشرون قطعة وهو في جمع شامل وحشد هائل فبلى الثغر منه بغير البلاء
الاول هذا ومجانيق الكفر على الحرب مقيمة وللرمي مديمة وتمكن الفرنج بها من الخندق فدنوا منه
دنو المحنق وشرعوا في هجمه واسرعوا الى طمه وداموا يرمون فيه جثث الاموات وجيف الخار ير
والدواب النافقات حتى صاروا يلقون فيه قتلاهم ويحملون اليه موتاهم واصحابنا في مقاتلتهم
ومقاتلتهم قد انقسموا فريقين وافترقوا قسمين ففريق يلي من الخندق ما يلقى فيه وفريق يقارع العدو
ويلاقيه قال القاضي ولقد بلغ من مضايقتهم البلد ومبالغتهم في طم خندقه انهم كانوا يلقون
فيه موتى دوابهم وكانوا اذا جرح منهم جريح بحيث يوئسه القوة فيه والعشم اهل البلد فاما ما
قسم ينزلون الى الخندق ويقطعون الموتى والدواب التي يلقونها فيه قطعاً ليسهل نقلها وقسم
يحملون ما يقطعه ذلك القسم ويلقونه في البحر وقسم يذبون عنهم ويدافعون حتى يتمكنوا من ذلك
وقسم في المنجنيقات وحراسة الاسوار واخذ منهم التعب والنصب وتواترت شكاياتهم من ذلك
قال وهذا ابتلاء لم يبتل بمثله احد ولا يصبر عليه جلد هذا والسلطان رحمه الله لا ينقطع الزحف
عنهم والمضايقة على خنادقهم بنفسه وخواصه واولاده ليلاً ونهاراً حتى يشغلهم عن البلد
ونصبوا منجنيقاتهم الى برج عين البقر وتواترت عليه احجار المنجنيقات ليلاً ونهاراً حتى
اثرت فيه الاثر البين وكلما ازدادوا في قتال البلد ازداد السلطان في قتالهم وكبس خنادقهم
والهجوم عليهم ودام ذلك حتى وصل ملك الانكلتير قال وفي سادس عشر جمادى وصلت
بطشة من بيروت حاملة عظيمة مشحونة بالآلات والاسلحة والميرة والرجال والابطال المقاتلة
وكان السلطان قد امر بتعبئتها في بيروت وتسييرها ووضع فيها من المقاتلة خلقاً عظيماً حتى
يدخل البلد مراغمة للعدو وكان عدة رجالها المقاتلة ستمائة وخمسين رجلاً فاعترضها الانكلتير

الملعون في عدة شواني قيل انه كان فيها اربعين ملعًا فاحتاطوا بها من جميع جوانبها واشتدوا
في قتالها وجرى القضا بان وقع الهوى فقاتلوها قتالاً شديدًا وقتل من العدو عليها خلق
عظيم واحرقوا على العدو سا ساكيرا فيه خلق عظيم وهلكوا عن آخرهم وتكاثروا على اهل
البطشه وكان معهم رجلاً جيدًا نجابًا محربًا في الحرب اسمه يعقوب من اهل حلب فلما راى
ما رات الغلبة عليهم قال والله لا نقتل الا عن عز ولا نسلم اليهم من هذه البطشه شيا ونزلوا الى
البطشه من جوانبها بالمعاول يهدمونها حتى فتحوا من كل جانب ابوابًا فامتلأت ماءً وغرق
من فيها وما فيها من الآلات والميرة ولم يظفر العدو منها بشي اصلاً وتلقف العدو بعض من كان
فيها واخذوه الى الشواني من البحر وخلصوه من الغرق وسلوا به وانفذوه الى البلد ليخبرهم
بالواقعه وحزن الناس لذلك حزنًا شديدًا والسلطان يتلقى ذلك بيد الاحتساب في سبيل
الله تعالى والصبر على بلائه قال وكان العدو المخذول قد صنع دبابه عظيمه هائلة اربع
طبقات الاولى من الخشب والثانيه من الرصاص والثالثه من الحديد والرابعه من النحاس
وكانت تعلوا على السور ويركب فيها المقاتله فخاف اهل البلد منها خوفًا عظيمًا وحدثتهم نفوسهم
بطلب الامان من العدو وكانوا قد قربوها من السور بحيث لم يبق بينها وبين السور الا مقدار
خمس اذرع على ما شاهدوا واخذ اهل البلد في تواتر ضربها بالنفط ليلاً ونهارًا حتى قدر الله حريقها
واشتعال النار فيها وظهر لها دخان به ارتفع نحو السما واشتدت الاصوات بالتكبير والتهليل
وراى الناس ذلك جبرًا لذلك الوهن ومحوًا لذلك الاثر ونعمة بعد نقمه وانسًا بعد ياس
وكان ذلك في يوم حرق البطشه قال العماد وكان ذلك تشمينًا لتلك العطشه ثم جرى بعد
ذلك عدة وقعات في هذا الشهر وهو جمادى الاولى وهجم المسلمون خيم العدو ونهبوها ووصل
رجل كبير من اهل ملطيه يريد الغزاة موصل والحرب فاتى به فحمل حملة استشهد فيها في ذلك اليوم
ولم تزل الاخبار تتواصل من اهل البلد باستفحال امر العدو والشكوى من ملازمتهم قتالهم ليلاً
ونهارًا وذكروا ما نالهم من التعب العظيم من تواتر الاعمال المختلفه عليهم من حين قدوم الانكلتير
الملعون ثم مرض مرضًا شديدًا اشفى فيه على الهلاك وجرح الافرنسيس ولم يزدهم ذلك الا اضرارًا
وعتوًا وهرب الى السلطان خادمان ذكرا انهما لاخت ملك الانكلتير وانهما كانا يكتمان ايمانهما
فقبلهما السلطان واكرمهما وهرب ايضًا المركيس منهم الى صور وكان قد استشعر منهم ان
يخرجوا ملكها عن يده قال العماد في البرق ولما اعوزت الفرنج الحيل واعجزتهم تفاصيل

تدابيرهم

تدابيرهم والحيل وذلك ان ابرجتهم الخشبية احرقت وستائرهم ودباباتهم وكباشهم ودعثت وعريت
ومزقت قاموا اقدام خيامهم صوبه كالتلال من التراب مستطيلاً ورفعوه كثيبًا مهيلاً ثم نقلوه وحولوه
وكانوا ينقلون وراه ويحولون الى قدامه ترابه ويرفعون الى قرب البلد رقابه وهم من خلفه من النكايات
محجوبون يتسون ويدبون ويدبرون الحرب الزبون والتل المتحول الى البلد قد اعيا على اهل الحيلة لا تعمل
فيه النار ولا يصل الى دفعه الاقتدار حتى صار من المدينة على نصف غلوة سهم ورمى بكل حجر ورجم فما
يزيد في كل يوم الا قربًا وما يجري في كل وقت الا خطبًا وحربًا وكان الاصحاب يخرجون من البلد اليه
ويقاتلون عليه ويطيفون بحول الله حواليه ومن كتاب فاضلي الى الديوان ما قطع الخادم الخدمة
الا انه قد ضجر واشام من المطالعة بخبر هذا العدو الذي قد استفحل امره واستشرى شره فان
الناس ما سمعوا ولا راوا عدوًا حاصر محصورًا عامرًا معمورًا قد تحصن بخنادق تمنع الجائز من الجواز
وتعوق الغرض عن الانتهاز ولا تقصر عدتهم عن خمس الف فارس ومائة الف راجل وقد افناهم
القتل والاسر واكلتهم الحرب وتعطيهم النصر وقد امدهم البحر بالبحار وعمر اهل النار اهل النار
واجتمع في هذه الجموع من الجيوش الغريبة والالسنة الاعجمية من لا يحصر بعدوده ولا يتصور في الدنيا
وجوده **فما احقهم بقول ابي الطيب** تجمع فيه كل لسن وامة فما يفهم الحداث الا التراجم
حتى انه اذا اسر الاسير واستامن المستامن احتيج في فهم لغته الى عدة تراجم ينقل واحد عن واحد ويقول
ثان ما يقول اول وثالث ما يقول ثان لا ان الاصحاب كلوا وملوا وضجروا الى ان ضجروا وتجلدوا الى
ان بلدوا والعساكر التي تصل من المكان البعيد لا تصل الا وقد كل ظهرها وكل وفرها وضاق بالسكان
صدرها ولا يستغني الا بطلب الدستور ونصبه صحر ما نصبر ارا لشعر عند العدو المخذول ولهم قاتلهم
الله تنوع في المكايد فانهم قاتلوا مرة بالابرجة واخرى بالمنجنيقات وردفه بالدبابات وتابعة بالكباش
وآونة بالكواكب ويومًا بالنقب وليلة بالزحافات وطورًا بطم الخنادق وآنا بنصب السلالم ودفعة
بالزحوف في الليل والنهار وحالة في البحر بالمراكب ثم شرعوا فاقاموا وسط خيامهم حائطًا مستطيلاً
يشبه السور من التراب وتلالاً تشبه الابرجة مدورة ورفعوها بالاخشاب وعالوها بالحجارة فلما كملت
اخذوا التراب من ورائها ودموها قدامها وهم يتقدمون قليلاً قليلاً ويدفعونها الا بقدر حتى
صارت منه كنصف غلوة سهم وقد كان الحجر والنار يؤثران في ابرجة الخشب وهذه ابراج وستائر
للرجال والمنجنيقات من العطب لا تؤثر فيها الحجارة الرامية ولا تعمل فيها النار الحامية قال
ووصل في آخر جمادى الاولى من العساكر الاسلامية مجاهد الدين يرنقش مقدم عسكر سنجار وفي ثاني جمادى الآخرة

لبن صاحب الموصل وجماعة من امرا مصر والقاهره كعلم الدين كرجي وسيف الدين سنقر الدووي وغيرهما
من الاسدية والناصرية واما عساكر ديار بكر فانهم تاخروا واعتذروا بالخوف من جوار تقي الدين
وكان قد تعرض للسويدا وغيرها وصعب ذلك على السلطان وقال هذا من عمل الشيطان وفي مثل هذا
الوقت يعرض لنا المغث واي احاف علينا في هذه السنة حيث اشا عند امكان الحسنة فان البلد كان
قد ضعف من فيه ضعفا عظيما وهدمت المنجنيقات من السور مقدار قامة الرجل وكان في هذه النوبة
للبلد مقاربة وزوال فرق واسعاس عره واخبار كثيرة قال القاضي واللصوص يدخلون عليهم
في خيامهم ويسرقون اقمشتهم ونفوسهم وياخذون بان يحبوا الى الواحد وهو نايم ويضعوا على حلقه
السكين ويوقظونه ويقولون له بالاشارة ان تكلمت ذبحناك ويحملونه ويخرجون به الى عسكر
المسلمين وجرى ذلك مرارا كثيرة ثم تكررت الرسايل من الفرنج الى السلطان شغلا للوقت بما لا طايل
عنه منها ان الانكلتير طلب الاجتماع به ثم فتر عنه اياما ثم جاء رسوله وطلب الاستيذان في اهدا
جوارح جاءت من البحر وذكر انها قد ضعفت وتغيرت وطلب ان يحمل لها دجاج وطير تاكله لتقوى
ثم تهدى وفهم انه محتاج الى ذلك لنفسه لانه حديث عهد بمرض ثم بعث اسيرا مغربيا عنده فاطلقه
السلطان ثم ارسل في طلب فاكهة وثلج فارسل اليه ذلك وكان غرضهم من ذلك تفتير العزمات وتضييع
الاوقات على المسلمين وهم مشغولون بالحصر وموالاة الرمي والجد في الزحف حتى تبدلت قوة البلد بالضعف
وتخلخل السور واتصل بالتعب والسهر اهل البلد لقلة عددهم وكثرة الاعمال عليهم حتى ان جماعة منهم
بقوا الليالي عدة لا ينامون اصلا لا ليلا ولا نهارا والعدو عدد كثير يتناوبون في قتالهم واشتد ذلك
عليهم سابع جمادى الآخرة فركب السلطان بالعسكر الاسلامي ورتبهم وتجاهم وزحف على خنادق القوم
حتى دخل فيها العسكر وجرى قتال عظيم وهو كالوالدة الثكلى يحرك فرسه من طلب الى طلب ويحث
الناس على الجهاد وينادي بنفسه يا للاسلام وعيناه قد فارت بالدمع وكلما نظر الى عكا وما حل بها
من البلا وما يجري على من بها من المصاب العظيم في الزحف والحث على القتال ولم يطعم في ذلك اليوم
طعاما البتة وانما شرب شيئا اشار به الطبيب ولما هجم الليل عاد الى الخيم وقد اخذ منه التعب والكآبة
والحزن ثم ركب سحرا وصحوا على ما امسوا عليه وفي ذلك اليوم وصلت مطالعة من البلد يقولون فيها
انا قد بلغ بنا العجز الى غاية ما بعدها الا التسليم ونحن في الغد ان لم تعملوا معنا شيئا نطلب الامان
ونسلم البلد ونشتري مجرد رقابنا وكان هذا اعظم خبر ورد على المسلمين وانكاه في قلوبهم فان عكا كانت
احتوت على جميع سلاح الساحل والقدس ودمشق وحلب ومصر ايضا فراى السلطان مهاجمة العدو

فلم يساعده العسكر وان الرجالة من الفرنج وقفوا كالسور المحكم البنا بالسلاح والزنبوركات والنشاب ب
من ورا اسوارهم وهجم عليهم بعض الناس من بعض اطرافهم فثبتوا ودبوا في اجابة الذب وحكى
بعض من دخل عليهم اسوارهم انه كان هناك واحد من الفرنج صعد سور خندقهم وجماعة
يناولونه الحجارة وهو يرميها على المسلمين ووقع فيه زها من خمسين سهما وحجرا وهو يتلقاها
ولم يمنعه من الذب حتى ضربه زراق بقارورة نفط فاحرقته ورأيت امراة عليها ملوطة خضرا ما زالت
ترمي بقوس من خشب حتى جرحت جماعة ثم قتلت وحملت الى السلطان فعجب من ذلك ولم يزل
الحرب الى الليل وضعفت نفوس اهل البلد وتمكن العدو من الخنادق فملوها ونقبوا سور البلد
وحشوه واحرقوه فوقعت بدنة من الباشوره ودخل العدو اليها وقتل منهم فيها زها مايه وخمسين
نفسا وكان منهم ستة انفس من كبارهم فقال لهم واحد منهم لا تقتلوني حتى ارحل الفرنج عنكم
واحفظوا الستة فانا مطلقكم كلكم بهم فقالوا انا قد قتلناهم لحرق الفرنج وبطلوا من الزحف
ثلاثة ايام وخرج سيف الدين المشطوب بنفسه بامان الى الفرنسيس وهو كان مقدم الجماعة في
الرتبة وقال له انا قد اخذنا منكم بلادا عدة وكنا نهدم البلد وندخل فيه ومع هذا اذا سالونا نا
الامان اعطيناهم وحملناهم الى مامنهم واكرمناهم ونحن نسلم البلد وتعطينا الامان
على انفسنا فقال الري حكيم راي فاغلظ له المشطوب القول وانصرف عنه ولما دخل المشطوب هذا
الحرخاف جماعة ممن كان في البلد فاخذوا لهم بركوسا وهو مركب صغير وركبوا فيه ليلا وخرجوا
الى العسكر الاسلامي منهم عز الدين ارسل وحسام الدين تمرتاش بن الجاولي وسنقر الوشاقي وهو
من الاسدية الاكابر وذلك في ليلة الخميس تاسع جمادى الآخرة فاما ارسل وسنقر فاختفيا خوفا
من السلطان واما ابن الجاولي فظفر به ورمي في الزردخاناه وكان شابا اول ما توفي والده
فاقطع السلطان اقطاعاتهم وقطعها وحبس عنهم عند الرضا بعد مدة مديدة بشاشة وجهها
ومنعها وكان من جملة الحاضرين عبد القاهر الحلبي نقيب الجاندارية الناصرية فشفع فيه على انه
يضمن على نفسه العوده فعاد من ليلته ووقع بعد ذلك في الاسار واستفكه السلطان بعد
سنة بثمانمائة دينار ، ومن كتاب الى صاحب اربل مظفر الدين لما عاين اصحابنا بالبلد ما
عليه من الخطر وانهم قد اشفوا على العطب جماعة من الامرا فل باتته وتوقه واعمى قلبه الجبن وفتوه تر
ولقد خانوا المسلمين في ثغرهم وباؤوا بوبال غدرهم وما قوي طمع العدو في البلد الا بهم
ومما ذهب الباقين من مقاتلتهم قلوبهم الا ذهابهم والمقيمين من اصحابنا الكرام قد استحلوا مر الحمام

واجمعوا انهم لا يسلمون حتى يقتلوا من الاعداء اضعاف اعدادهم وانهم يبذلون دون ثغرهم
غاية اجتهادهم وكانوا قد تواعدوا الفرنج في التسليم فاشتطوا واشترطوا فصبروا بعد
ذلك وصابروا وتمادى بهم في القوم وبطوا فتارة يخرجونهم من الباشورة وتارة من
النقوب والله تعالى يسهل بعقبى ما هم فيه من الكروب • قال القاضي وفي بكرة تلك
الليلة ركب السلطان مشعرا انه يريد كبس القوم ومعه المساحي والات طم الخنادق فما ساعده العسكر
على ذلك وتخاذلوا وقالوا نخاطر بالاسلام كله وفي ذلك اليوم خرج من الانكلتير رسله طلبوا
فاكهة وثلجا فذكروا ان مقدم الاسبتارية يخرج في الغد يعني يوم الجمعة يتحدث ويتحدثون
معهم في معنى الصلح فاكرمهم السلطان ودخلوا سوق العسكر وتفرجوا فيه وعادوا تلك الليلة
الى عسكرهم وفي ذلك اليوم تقدم قايماز النجمي حتى يدخل هو واصحابه الى اسوارهم عليهم وترجل
جماعة من امراء الاكراد كالجناح واصحابه وهو اخو المشطوب ولقيهم وزحفوا حتى بلغوا
اسوار الفرنج ونصب قايماز علمه بنفسه على سورهم وقاتل عن العلم قطعة من النهار وفي ذلك
اليوم وصل عز الدين جرديك النوري وسوق الزحف قايمة فترجل هو وجماعته وقاتل قتالا
شديدا واجتهد الناس في ذلك اليوم اجتهادا عظيما قال العماد وبات العسكر تلك الليلة
على الخيل تحت الحديد منتظرا لنجح الامل البعيد ولما عرف السلطان انه لا سلامة وان عكا عدمت الاستعصام
نفذ الى جماعة عكا سرا وقال لهم خذوا من العدو حذرا وانفقوا واخرجوا الليلة من البلد يدا
واحدة وسيروا على جانب البحر وصادموا العدو بالقهر وخلوا البلد بما فيه واتركوه بحاويه
فشرعوا في ذلك واشتغل كل منهم باستصحاب ما يملكه ولم يعلم ان النهاية تهلكه فما تمكنوا من
المراد حتى اسفر الصباح ولم يتم ذلك في الليلة الثانية لمصير الرسالة العلانية قال ولو
صح ذلك لنجح المقصد لكن الفرنج اطلعوا على هذا السر فحرسوا الجوانب والابواب وكان
سبب علمهم ان من غلمان الهاربين خرجا الى الملاعين واخبراهم بحملة الجمال وعزيمة الرجال
قال وخرج يوم الجمعة العاشر من الشهر جماعة من رسل الفرنج وحرضوا على الحرب ومحاولة الطعن
والضرب وفيهم صاحب صيدا فطلبوا سيف الدين العدل وكان السلطان يعرف به في مراسلات
الفرنج العقد والحل وعول السلطان في سماع الرسائل على ولده الافضل واخيه العادل
وتردد العدل مرارا في الخطاب والجواب فلم ينفصل الامر على الصواب وبذلنا لهم عكا
على ما فيها دون من فيها وانا نطلق لهم اسرا بعدد العدة التي تحويها فابوا غير الاشتطاط

فرحنا

وردنا هم صليب الصلبوت فلم يحصل لهم به كمال الاغتباط هنا قال في البرق وقال في الفتح
ان ذلك كان يوم السبت وقال اشترطوا اعادة جميع البلاد واطلاق اسراهم من الاقياد
وضعف البلد وعجز من فيه ضعفا لا ينكر بلا فيه ووقف كرام اصحابنا وسدوا الثغر بصدورهم
وشرعوا في باسور يقطع جانبا حتى ينتقلوا اليه اذا شاهدوا العدو غالبا وكذا قال ابن
شداد ان ذلك كان يوم السبت حادي عشر وقال لبس الفرنج بأسرها لباس الحرب وتحركوا
حركة عظيمة بحيث اعتقد ان ربما كان مصاف واصطفوا وخرج من الباب الذي تحت القبة
زهاء اربعين نفسا واستدعوا جماعة من المماليك وطلبوا منهم العدل الزبدي وذكروا انه
يعني الجارح صاحب صيدا طليق السلطان فذكر نحو ما تقدم قال وتصرم نهار السبت
ولم ينفصل امر قال ولما كان يوم الاحد ثاني عشر الشهر وصل من البلد كتب يقولون فيها انا قد
تبايعنا على الموت فاياكم ان تخضعوا لهذا العدو وتلينون له فاما نحن فقد فات امرنا وذكر
العوام الواصل بهذه الكتب انه وقع بالليل صوت انزعج منه الطائفتان وظن الفرنج ان
عسكرا عظيما قد عبر الى عكا وسلم وصار فيها واندفع كيد العدو في تلك الايام بعد ان كان
قد اشفى البلد على الاخذ ووصل من عساكر الاسلام صاحب شيزر ابن سابق الدين وبدر الدين دلدرم م
ومعه تركمان كثير كان السلطان انفذ اليه ذهبا انفقه فيهم وصاحب حمص واشتد ضعف البلد
وكثر ثغر سوره فبنوا عوض الثلمة سورا من داخلها حتى اذا تم انهدامها قاتلوا عليه وثبت
الفرنج لعنهم الله على انهم لا يصالحون ولا يعطون للذين في البلد امانا حتى يطلق جميع الاسرى الذين
في ايدي المسلمين وتعاد البلاد الساحلية اليهم • وفي يوم الجمعة سابع عشر الشهر خرج العوام
وفي كتبه ان اهل البلد ضاق بهم الامر وتيقنوا انه متى اخذ البلد عنوة ضربت رقابهم عن
آخرهم واخذ جميع ما فيه من العدد والاسلحة والمراكب وغير ذلك فصالحوهم على انهم يسلمون
اليهم البلد وجميع ما فيه من الآلات والعدد والمراكب ومائتي الف دينار والفا وخمسمائة اسير
مجاهيل الاحوال ومائة اسير معينين من جانبهم يختارونهم وصليب الصلبوت على انهم يخرجون
بانفسهم سالمين وما معهم من الاموال والاقمشة المختصة بهم وذراريهم ونسائهم وضمنوا للمركيس
الملعون فانه كان قد استرضي وعاد عشرة الاف دينار لانه كان واسطة واصحابه اربعة الاف
دينار واستقرت القاعدة على ذلك بينهم وبين الفرنج ولما وقف السلطان على ذلك انكره واعظمه
وعزم على ان يكتب عليهم الا وقد ارتفعت اعلام الكفر وصلبانه وشعاره وناره على اسوار البلد

وذلك ظهيرة نهار الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة وصاح الفرنج صيحة واحدة وعظمت المصيبة
على المسلمين واشتد حزن الموحدين وانحصر كلام الناس في انا لله وانا اليه راجعون وغشي الناس
بهتة عظيمة وحيرة شديدة ووقع في العسكر الصياح والعويل والبكاء والنحيب وكان لكل قلب
حظ في ذلك على قدر ايمانه ولكل انسان نصيب من هذا الخطب على مقدار ديانته ونخوته وانفصلت
الحال على ان المركيس لعنه الله دخل البلد ومعه اربعة اعلام للملوك فنصب علما على القلعة وعلما
على مئذنة الجامع في يوم الجمعة وعلما على برج الداوية وعلما على برج القتال عوضا عن علم الاسلام
وحيز المسلمون الى بعض اطراف البلد وجرى على اهل الاسلام المشاهدين فلك الحال ما اكثر التعجب
من الحيوة معه قال ومثلت بخدمة السلطان رحمه الله عشية ذلك اليوم وهو اشد حالة من
الوالدة الثكلى والواله الحرى فسليته بما تيسر من التسلية وذكرته الفكر فيما قد استقبل من الامر
في معنى البلاد الساحلية والقدس الشريف وكيفية الحال في ذلك واعمال الفكر في خلاص المسلمين
المأسورين في البلد وانفصل الحال على ان رأى التأخر عن تلك المنزلة مصلحة فانه لم يبق غرض في
المضايقة فتقدم بنقل الاثقال الى المنزلة التي كان عليها اولا بشفرعم واقام هو جريدة مقامه
لينظر ماذا يكون من امر العدو وحال اهل البلد فاشتغل الناس في تلك الليلة الى الصباح واشتغل
العدو بالاستيلاء على البلد واقام السلطان الى التاسع عشر ثم انتقل الى الثقل ووصل ثلاثة نفر
ومعهم حاجب بهاء الدين قراقوش وكان لسانه فانه كان رجلا عاقلا يستخبرن ما وقع عليه
عقد الصلح من المال والاسرى واقاموا الليلة مكرمين وساروا الى دمشق يحضرون الاسارى
قال العماد وخرج سيف الدين المشطوب وعماد الدين حسين بن باريك واخذ امان الفرنج
يعني على القطيعة المقدم ذكرها قال ولم يشعر الا بالرايات الفرنجية على عكا مركوزة واعطاف
اعلامها مهزوزة وعم البلاء وتم القضاء وعز العزاء وقنط الرجاء وحضرنا عند السلطان وهو مغتم
وبالتدبير المستقبل مهتم فعزيناه وسليناه وقلنا هذه بلدة مما فتح الله قد استعادها عداه وقلنا له
ان ذهبت مدينة فما ذهب الدين ولا ضعف في نصر الله اليقين قال ودخلوا عكا وتسلموها
ولم يفوا على الشرائط التي احكموها فانهم منعوا اصحابنا من الخروج واحاطوا عليهم وعلى اموالهم
بحبسهم واعتقالهم ثم طلبوا المال لجمعه السلطان وكمله واودعه خزانته بعد ما حصله واحضر
صليبهم المطلوب المسلوب واتم شرطهم المخطوب فظهرت امارات غدرهم وبدت دلائل مكرهم وفي كتاب
كتبه الفاضل عن السلطان الى سيف الدولة بن منقذ وهو بالمغرب بالرسالة لقد تجاوز وتعدى من قبل

على

على عكا يعني من الفرنج الخمسين الفا قولا لا يطلقه التسمح بل يحرره التصفح فانهم وافى هذه السنة ملك
افرنسيس وانكلتير وملوك آخرون في مراكب بحرية وحمالة حملوا فيها الخيول والخيالة والمقاتلة
والآلة ووصلت كل سفينة بحمل كل مدينة واحرقت بالثقل يمنعن النافل اليها بالسلاح والداخل
بالميرة عليه ثم قال واخذ البلد على سلم لا بحرب ودخله العدو ولم يدخل من الباب دخل من النقب
وما وهنا لما اصابنا في سبيل الله وما ضعفنا ولا رجعنا وراءنا ولا انصرفنا بل نحن مكاننا ننتظر
ان يبرزوا فنبارزهم ويخرجوا فنساجلهم وينتشروا فنطويهم ويبيتوا فنزويهم وانما على طرقهم
وحيثما على مخنقهم واخذنا باطواد خندقهم واحوج ما كنا الى النجدة البحرية والاساطيل المغربية
فان عمارتنا بها تزيد واعدادنا بها تشتد والامير يبلغ ما بلغه من خطب الاسلام وخطوبه
ويقوم في البلاغ يوم الجمعة مقام خطبته ويعجل العودة وقبلها الاجابة ويستصحب البشر
ويستوري الاصابة ويستشعر ان الراية قد رفعت لمن يتقدم به عرابة فان للاسلام نظرات
الافق الغربي يتلوها وخطرات من اللطف الخفي يقربها ويكفي من احسن الظن انها نظرة ردت
الهوى الشرقي غربا وخطرة اوهمت ان تلك الجهة لو نهضت بالقيام لاحدث كل سفينة غصبا
قال العماد وعزم الملك افرنسيس على المسير الى بلاده لامر احتفل عليه فاخذ قسما من الاسارى
وسلمهم الى المركيس فوكله في قبض نصيبه ورضي بتدبيره وترتيبه وخرج الفرنج يوم الخميس انسلاخ
الشهر من جانب البحر وانتشروا بالمرج ووصلوا الى الآبار التي حفرها اليزك وتواقعوا مع
اليزك وامدهم السلطان فقتلوا العدو وصرع منهم خمسون فارسا قال القاضي وخرج خلق
عظيم ولم يزل السيف فيهم حتى دخلوا اخنادقهم قال ولم تزل الرسل تتردد بين الطائفتين
حتى كان يوم الجمعة تاسع رجب فخرج حسام الدين حسين بن باريك المهراني ومعه اثنان من
اصحاب الانكلتير فاخبر ان ملك الافرنسيس سار الى صور وذكروا اشياء من تحرير امر الاسارى
وطلبوا ان يشاهدوا الصليب الصلبوت وانه هل هو في العسكر او حمل الى بغداد فاحضر الصليب الصلبوت
وشاهدوه وعظموه ورموا انفسهم الى الارض ومرغوا وجوههم على التراب وخضعوا خضوعا عظيما
لم ير مثله وذكروا ان الملوك قد اجابوا السلطان الى ان يكون ما وقع عليه العقد يدفع في مدة ثلاثة اي
نجوم كل نجم شهر ولم تزل الرسل تتواتر في تحرير القاعدة وتنجيزها حتى حصل لهم ما التمسوه من الاسارى
والمال المحضر بذلك المرسوم وهو الصليب ومائة الف دينار وستمائة اسير واخذوا نفايتهم وشاهدوا
الجميع ما عدا الاسارى المعينين من جانبهم فانهم لم يكونوا فرغوا من تعيينهم ولم يكملوهم حتى حصلوا

ولم يزالوا يطاولون ويقضون الزمان حتى انقضى النجم الاول في ثامن عشر رجب ثم انفذوا
في ذلك اليوم يطلبون ذلك فقال لهم السلطان اما ان تنفذوا الينا اصحابنا وتتسلموا الذي
عين لكم في هذا النجم ونعطيكم رهاين على الباقي يصل اليكم في نجومكم الباقية واما ان تعطونا
رهاين على ما نسلمه اليكم حتى تخرجوا الينا اصحابنا فقالوا لا نفعل شيئا من ذلك بل تسلمون ما
يقتضيه هذا النجم وتقنعون بامانتنا حتى نسلم اليكم اصحابكم فابى السلطان ذلك لعلمه انهم ان
تسلموا المال والصليب والاسرى واصحابنا عندهم لا يؤمن غدرهم فلما راوا قد امتنع من ذلك
اخرجوا خيامهم الى ظاهر خنادقهم مبرزين في الحادي والعشرين الانكلتير وجماعة من الخيالة
والرجالة والرجل وركبوا في وقت العصر السابع والعشرين من رجب وساروا حتى اتوا الابار
التي تحت تل العياضية ثم احضروا من الاسارى المسلمين من كتب الله شهادته وكانوا زهاء من ثلاثة
الاف مسلم في الحبال ووقفوهم وحملوا عليهم حملة الرجل الواحد فقتلوهم صبرا طعنا وضربا
بالسيف رحمة الله عليهم واليزك الاسلامي يشاهدهم ولا يعلم ماذا يصنعون لبعده
عنهم وكان اليزك قد انفذ الى السلطان واعلمه بركوب القوم ووقوفهم فانفذ الى اليزك
من قواه وبعد ان فرغوا منهم حمل المسلمون عليهم وجرت بينهم حرب عظيمة جرى فيها قتل وجرح
من الجانبين ودوام القتال الى ان فصل الليل بين الطايفتين واصبح المسلمون يكشفون الحال
فوجدوا المسلمين الشهدا في مصارعهم وعرفوا من عرفوا منهم وغشي المسلمين بذلك حزن عظيم
ولم يبقوا من المسلمين الا رجلا معروفا مقدما او قويا ايدا للعمل في عمايرهم قال العماد
وطلب السلطان منهم ان يضمنهم الداوية في قبض المال فقالوا الداوية لا ندخل في الضمان
فانقطع بينهم القول والامان فظهر من فحوى كلامهم الخلف ثم ذكر قتل الاسارى قال
فشاهدناهم مستشهدين وبالعرا عرايا مجردين ولا شك ان الله كساهم من سندس النعيم
ونقلهم الى دار المقامة في العز المقيم وتصرف السلطان حينئذ في المال وفرق مجموعه في رجاله
واعاد الاسارى الى اربابها واحتوى عليها بدلا من ايدي اصحابها وحفظ الصليب السليب ورده
الى مكانه واعاده الى صوانه لا لعزته بل لهوانه فانه لاصحابه عندهم اعظم اسلابنا عليه وامتداد
ايدينا اليه وقد قصده الروم ثم الكرج بذلوا وانفذوا بعد رسول رسولا فما وجدوا قبولا
ولا صادفوا سولا ومن كتاب عمادي عن السلطان في ذلك وللكرام آجال وللحرب
سجال من المومنين رجال والآن فقد بادرت الحمات وهبت الهبوات ووجب على كل مسلم ان

ينهض

ينهض لنصرة الاسلام ويتدارك ما حدث من الكسر والوهن بالجبر والاحكام ويعيد ما وهى من عقد
الفتوح الى النظام فاين ذوو الانف والحمية والهمم العالية والنفوس الابية اما يغضبون لمصرع
من استشهد من اخوانهم اما يثورون لثار ابائهم اما تبكي العيون لمن قتل من اماثلهم واعيانهم
فان مصابهم عظيم ومقامهم عند ربهم الكريم كريم واراد الله بذلك تنبيه الهمم الراقدة
وايقاد العزايم الراكدة **فصل** فيما جرى بعد انفصال عكا قال العماد ثم ان الفرنج
رحلت صوب عسقلان مستهل شعبان وسار السلطان في عراضهم والمسلمون يتخطفونهم ويقتلون
منهم وياسرون ويسلبون ويسرقون وكل اسير اتي به السلطان امر بقتله ووصلوا الى
حيفا فاقاموا بها ونزل المسلمون بالعيون وقدم السلطان ثقله الى مجدل يابا واصبح بازائهم
في النهر الجاري الى القيسارية وودع الفاضل السلطان وسار الى دمشق لانها مدرج الوافدين من
الاكابر والنواب فهناك ربما حبسوا عن اقامة الوظايف وكان الامر الفاضل عندهم كالامر السلطاني
فاذا استشاروه خلصوا من كل تبعة ودرك وفي تاسع شعبان جاء الخبر بان الفرنج ركبوا
ومالوا وهم يسيرون في الساحل بالفارس والراجل وعن يمينهم البحر وعن يسارهم الرجل
وكانت الرجالة حولهم كالسور وعليهم الكبورة الثخينة والزرديات السابغة المحكمة بحيث
يقع فيهم النشاب ولا يتاثرون وهم يرمون بالزنبورك فيخرج خيول المسلمين ويجرحهم قال
القاضي ولقد شاهدتهم وفي ظهر الواحد منهم النشابة والعشرة مغروزة وهو يسير على هينته
من غير انزعاج وثم قسم آخر من الرجالة مستريح يمشون على جانب البحر ولا قتال عليهم فاذا تعب هولاء
المقاتلة واثخنتهم الجراح قام بدلا منهم القسم المستريح واستراح القسم المقاتل هذا والخيالة في وسطهم
لا يخرجون عن الرجالة الا في وقت الحملة لا غير وقد انقسموا ايضا ثلاثة اقسام الاول الملك العتيق
جفري وجماعة الساحلية معه في المقدمة والانكتار والفرنسيسية معه في الوسط واولاد الست
اصحاب طبرية وطايفة اخرى في الساقة وفي وسط القوم برج على عجلة وعليه علم ما وصفته من قبل
يسير ايضا في وسطهم على عجلة كالمنارة العظيمة وساروا على هذا المثال وسوق الحرب قايمة بين
الطايفتين والمسلمون يرمون من جوانبهم بالنشاب يحركون عزايمهم حتى يخرجوا وهم يحفظون انفسهم حفظا
عظيما ويقطعون الطريق على هذا الوضع ويسيرون سيرا رفيقا ومراكبهم تسير في مقابلتهم
في البحر الى ان اتوا المنزل فنزلوا وكانت منازلهم قريبة لاجل الرجالة وان المستريحين منهم كانوا يحملون
الاثقال والخيم لقلة الظهر عندهم قال فانظر الى صبر هولاء القوم على الاعمال الشاقة من غير ديوان

ولا ينفع وطاف الجيش حولهم من كل جانب ولزوهم بالنشاب وكلما ضعف قسم عاينه الذي يليه
وهم يحفظ بعضهم بعضًا والمسلمون يحدقون بهم من ثلاث جوانب ورأينا السلطان وهو يسير
بنفسه بين الجاليشية ونشاب القوم يتجاوزه وليس معه الا صبيان بجنيبين لا غير وهو يسير
من طلب الى طلب يحثهم على التقدم ويأمرهم بمضايقة القوم والصياح بالتهليل والتكبير يرتفع
والعدو على أتم ثبات على ترتيبهم لا يتغيرون ولا ينزعجون وجرت حملات كثيرة وجرحت
المسلمين وحثو لهم الى ارسوف والنشاب الى ان اتوا الى نهر القصب فنزلوا عليه وقد قام قائم
الظهيرة وضربوا خيامهم وتراجع الناس عنهم فانهم كانوا اذا نزلوا ايس الناس من امر
نمريعهم وفي ذلك اليوم قتل من فرسان المسلمين وشجعانهم اياز الطويل وهو من مماليك السلطان
وكان قد فتك بهم وقتل خلقًا من خيالتهم وشجعانهم وكانت قد اشتهرت شجاعته بين
العسكرين بحيث انه جرت له وقعات كثيرة صدق اخبار الاوائل وصار بحيث انه اذا عرفه الفرنج
في موضع خافوا منه فاتفق ان عطب به فرسه فاستشهد في ذلك اليوم ودفن على تل مشرف
على البركة وحزن المسلمون عليه حزنًا عظيمًا وقتل عليه مملوك له ونزل السلطان بالتل على
البركة وهو موضع يجتمع فيه مياه كثيرة ثم رحل بعد العصر واتى نهر القصب فنزل عليه
ايضًا فكنا نشرب من اعلاه والعدو يشرب من اسفله ليس بيننا الا مسافة يسيرة وبات الفريقان
هناك . قال العماد وكانت نوبة اليزك لعز الدين ابراهيم ابن المقدم في الساقة وكانت
الفرنج قد اسست بانقضاء الحرب فخرج منها جماعة مستبسلين ونفذوا الى البركة مشرفين
فنصر بهم ابن المقدم فعبر اليهم من ورائهم هو ومن معه النهر وهم لا يأخذوا من خلفهم الحذر فجاءهم
وفرغ من شغلهم قبل ان يدركهم الصريخ وسلبهم وغنمهم ثم نهض الفرنج اليه وحملوا عليه وجرت
وقعة شديدة بحرب الضلال مبين طيبت لنا غنيمة وعليهم هزيمة واحضر الاسارى عند السلطان
بجرائم الذل والهوان فاخبروا انهم جرح منهم الا من الف وسرى فيهم وهن وضعف ثم رحل السلطان
وعبر نهر الارسوف ونزل على قرية تعرف بدير الراهب وطلب ملك الانكلتير الاجتماع بالملك
العادل خلوة فاجتمعا فاشار بالصلح وكان حاصل كلامه انه طال بيننا القتال ونحن جئنا في
نصرة افرنج الساحل فاصطلحوا انتم وهم وكل منا يرجع الى مكانه فقال له على ماذا يكون الصلح قال على ان
تسلموا الى اهل الساحل ما اخذتم منهم والبلاد فابى الملك العادل واخبره ان دون ذلك قتل كل فارس وراجل
فرجع مغضبًا وفي يوم السبت رابع عشر شعبان كانت وقعة ارسوف تاهب المسلمون للقاء بهم

فانزعجوهم

فانزعجوهم وقلوبهم بلاء فلما راى العدو ما هو فيه من الضيقة اجتمعوا ثم حملوا حملة واحدة
فانكشف من كان قدامهم واندفعوا وثبت ذلك اليوم العادل واصحابه وقايماز النجمي
وعسكر الموصل ثم ثوبت العساكر اليهم وحرنا النوايب عليهم فخرجت من العسكر قتلى والى
حد ان ارسوف ولولا ذلك لاستوعبت فيهم الحتوف فنزل السلطان على نهر العوجا ورحل
العدو الى يافا فنزلوها والمسلمين على العادة في اعراضهم مقيمه على تبديد جموعهم واعتراضهم وقتل
يوم ارسوف لهم كند كبير يحتمله من الفرنج عدد كثير وكان من عظم شأنه ومحامد مكانته
انه يوم صرع قاتل بعونه جماعة من المقاتلين تقاتل حتى قتلوا ولا بذل روحه حتى بذلوا قال القاضي
ابن شداد انهم قد اجتمعوا في وسط الرجالة واخذوا رماحهم وصاحوا صيحة الرجل
الواحد وفرج لهم رجالتهم وحملوا حملة واحدة من الجوانب كلها فاندفع الناس بين ايديهم
ولم يثبت في طلب السلطان الا سبعة عشر مقاتلا والاعلام باقية والكوس يدق ولا يفتر فلما راى السلطان
ما نزل بالمسلمين سار حتى اتى طلبه فوقف فيه والناس يعودون من الجوانب وكلما راى فارًا يأمر
من يحضره عنده فاجتمع في الطلب خلق عظيم ووقف العدو قبالتهم على رؤوس التلول والوهاد بي
وخاف العدو ان يكون في الشعرا كمين وثابت العساكر كلها فرجع العدو الى منزلته وجلس
السلطان ينظر الناس من العود من السقي والجرحى يحضرون بين يديه وهو يتقدم بمداواتهم وقتل
وقتل رجالة كثيرة وجرح من الطايفتين وصدم الملك الافضل واصابه دمل كان في وجهه فسال
منه دم كثير على وجهه وهو صابر محتسب في ذلك كله وصابر العدو وجماعة كثيرة واسر
واحد فاحضر فامر بضرب عنقه فقتل . وفي بعض الكتب السلطانية سار العدو من عكا يقصد عسقلان وسبقنا المعارضتهم في كل طريق ومصادمتهم في كل مضيق ومنازلتهم في كل
منزل وصدامهم عن كل منهل وهم يسيرون البحر البحر لا يفارقون ساحله ولا يجاوزون مراحله
والمواضع مضايق وشعرا ودحال وما للقتال فيها مجال وما وجدنا فسحة الا وصابحناهم فيها
واخذنا عليهم في نواحيها ومن جملة ايامنا المشهورة ومواسمنا المعروفة المحمودة يوم الاثنين
تاسع شعبان عند رحيلهم من قيسارية فذكر الوقعة السابقة ومنها انه تعوق من رحيلهم الفرات
ثم ذكر يوم ارسوف وحسن عاقبة المؤمنين بعد الياس ثم رحل السلطان تاسع عشر شعبان ونزل
بالرملة واحتفت الاثقال فيها في تلك الرحلة ورحل ليلا واصبح على سنا وجاوزها الى نهر احان
الخيام عليه سنى قال وردنا سنا فتراى هذه رضوان الله عليه وبادر الناس في التيمن بها اليه

قلت اعتمد العماد فى هذا على ما اشتهر بين العامة من ذلك واما اهل العلم المصنفون فى اخبار الصحابة
رضى الله عنهم كابن سعد وغيره فذكروا ان ابا هريرة توفى بالمدينة ولم يذكروا غيره على ما ذكرنا
فى ترجمته فى التاريخ والله اعلم قال العماد ورحل السلطان ونزل بظاهر عسقلان بعد العصر
وشرع فيما عزم عليه من الامر وكان لما نزل بالرملة احضر عنده اخاه العادل واكابر الامرا وشاورهم
فى امر عسقلان فاشار علم الدين سليمان بن جندر بخرابها للعجز عن حفظها على ما هو ووافقه الجماعة
وقالوا قد ضاق عن صونها الاستطاعة فان هذه ما فاقد نزلوا بها وسكنوا فيها وهى مدينة من القدس
وعسقلان متوسطه لا سبيل الى حفظ الدينتين فاعمد الى اشرف الموضعين تحصينه وحفظه فاعتضد
الاراء فاقامه العادل بقرب يافا مع عشرة من الامرا حتى اذا تحرك العدو كانوا منه فى علم فالعاصى
اشار وعليه بتخريب عسقلان خشية ان يستولى عليه الفرنج وهى عامرة فيقطعوا من بها من المسلمين
ويأخذوا بها القدس الشريف ويقطعوا طريق مصر وخشى السلطان من ذلك وعلم عجز المسلمين عن
حفظها لقرب عهدهم من عكا وما جرى على من كان مقيما بها فسار حتى دخل عسقلان وقد ضربت
خيمته شماليها فبات هناك مهموما بسبب خراب عسقلان وما نام تلك الليلة الا قليلا ولقد
دعانى الى الخدمة سحرا وكنت فارقته بعد مضى نصف الليل فحضرت وبدا بالحديث فى معنى خرابها
واحضر ولده الافضل وشاورني فى ذلك وطال الحديث ولقد قال لى رحمه الله تعالى
والله لان افقد ولادى باسرهم احب الى من ان اهدم منها حجرا واحدا ولكن اذا قضى الله تعالى ذلك وعينه
لحفظ مصلحة المسلمين طريقا فكيف اصنع قال ثم استخار الله تعالى واوقع فى نفسه ان المصلحة
فى خرابها فاستحضر الوالى وامره بذلك فى تاسع عشر شعبان ولقد رايته وقد اجتاز بالسوق
والوطاقات بنفسه يستنفر الناس للخراب وقسم السور على الناس وجعل لكل امير وطائفة من العسكر
مدنة معلومة وبرجا معلوما يخربونه ودخل الناس الى البلد ووقع فيه الضجيج والبكا وكان بلدا نضرا
خفيفا على القلب محكم الاسوار عظيم البنا مرغوبا فى سكناه فلحق الناس عليه حزن عظيم وكان
هو بنفسه وولده الافضل يستعجلان الناس فى الخراب خشية ان يسمع العدو فيحضر ولا يمكن من خرابها
واباح الناس الميرة التى كانت ذخيرة فى البلد للعجز عن نقله وضيق الوقت والخوف من هجوم
الفرنج وامر بحريق البلد فاضرمت النار فيه والاخبار تتواتر من جانب العدو بعمارة يافا وحرب
من سور عسقلان قطعة وكان عظيم البنا عجيبا انه كان فى موضع تسع اذرع وفى موضع عشرا
وذكر بعض التجار للسلطان وانا حاضر ان عرض البرج الذي يعرف فيه مقدار رمح فلم يزل

الخراب والحريق يعمل فى البلد واسواره الى سلخ شعبان وعند ذلك وصل من جرديك كتاب يذكر
فيه ان القوم قد شحنوا وصاروا يخرجون من يافا فيغيرون على البلاد القريبة منها فلو تحرك السلطان
لعله يبلغ منهم غرضا فى غرتهم فعزم على الرحيل وعلى ان يخلف فى عسقلان حجارين ومعهم خيل
تحميهم يستقصون فى الخراب ثم راى ان يتاخر حتى يحرق البرج المعروف بالاسبتار وكان برجا
عظيما مشرفا على البحر كالقلعة المنيعة ولقد دخلته وطفته فرايت بناه احكم بنا لا تعمل فيه
المعاول وانما الحريق ليسفه بالحريق قابلا للخراب وبقيت النار تشتغل فيه يومين بليلتيهما قال
العماد نقض منها الابراج التى على ساحل البحر ودخلتها فرايتها احسن مدينة منيعة حصينة
فطال بكاى على رسومها وفض ختومها ونقض ازواجها من جيوبها وحلول الدواهي بدورها
ونزول السوء بسورها فانزعج السلطان منها حتى رأينا طلولها دوارس ورسومها دوامس
والروس حياء من معاهدها نواكس قال ولقد حفظت لكان حفظها متعينا وصونها ممكنا
لكن وجد كلا له متجنبا وقد ذاعتهم نوبة عكا وحفظها ثلاث سنين وعلا بعد ذلك بحصن
المسلمين وقال من يتعلل واعتذر عن دخولها ندخلها انا واحد اولادك فندخلها اتباعا
لمرادك ممتثلين لم يجد بدا من تعطيل سوارها وفض سوارها وسكانها كانوا فى رفاهيه
فاستقلوا عنها على كراهيه وباعوا النفيس الاعلاق بابخس الاثمان ونجعوا بالاوطار والاوطان

فصل فيما جرى بعد خراب عسقلان قال العماد فارقها السلطان يوم الثلاثا ثانى
رمضان ونزل على يبنا ونزل بالرملة يوم الاربعا وامر بتخريب حصنها وتخريب كنيسة لد
وركب جريدة الى القدس فاتاه يوم الخميس واعاد اليه رسم التاسيس وخرج منه يوم الاثنين
ثامن رمضان وبات فى بيت نوبه وعاد الى المخيم يوم الثلاثا ووصل معز الدين قيصر شاه
صاحب ملطية بن قليج ارسلان وافدا مستنصرا به على ابيه واخوته فانهم كانوا اقتصدوا
اخذ بلده من يده فاقام فى الخدمة السلطانية مدة وتزوج بابنة العادل على صداق مائة
الف دينار وسار مستهل ذى القعدة وفى تاسع الشهر ايضا خرج الكمين على ملك الانكتير
وكان خرج فى فوارسه متعرضا للحطابة والحشاشة وكاد يوخذ الملك لكن احد خواصه
فداه بنفسه بان الطهر حسن لباسه فظن انه الملك فاسر وقال ابن شداد لحقه وبينهم
فرنج من عسكر الفرنج وجرح هو وفى تاسع عشر جرت ايضا وقعة كان النصر فيها للمسلمين وقتل
مقدم كبير من المشركين وما زال يقع بينهم وبين الترك وقعات وسرق العرب من خيولهم

وبغالهم ورجالهم ، ومن كتاب الصاحب شجار قد تقدم الاعلام بما جرى عند رحيل
العدو على قصد عسقلان وما تم عليه تماما في طريقه من النكاية والخذلان وانه قطع في سبعة
عشر يوما مسافة يومين لما لاقيه وعاينه من الحين وما اصدق كيف وصل الى يافا فاطمأن بها
الاستيطان واقام بها بهذا المكان وهذه مدينة يافا متوسطة بين القدس وعسقلان ومنها الى
كل واحدة منهما مسافة نصف نهار وهما بيما من العدو على خوف وحذار وكل واحد من
الموضعين محتاج في تحصينه الى الناس الى مقاتل وتعذر الجمع بين حفظ الثغرين وتحصين
البلدين وحسن في تخريب عسقلان عمارة القدس وتحصينه وحصنه من العدو وتامينه ثم
رحل السلطان في النطرون وخيم على تل عال والنطرون حصن حصين كان للداوية
لكن لما فتح وشعثت اسواره وانقض جداره فامر بهدمه فهدم ثم بعث ملك الانكلتير راغبا
في المصالحة والمسالمة الى العادل وزعم ان له اختا عزيزة عليه كبيرة القدر وانها كانت
زوجة ملك كبير من ملوكهم وهو صاحب صقلية توفي عنها ويبغي ان يزوجها العادل ويجعل
له الحكم على بلاد الساحل ليتقدم فيها امره وهو يقطع الداوية والاسبتار من البلاد والقرى
دون الحصون وتكون اخته مقيمة بالقدس ومعها قسيسون ورهبان حافظون لها
من آفات الزمان وراى العادل في ذلك عين الصواب وشاور السلطان فوافقه فلما اجاب
نفذ الرسول الى الانكلتير بالاجابة فدخل الفرنج على المرأة وخوفوها وانهوها في دينها
وعنفوها وقالوا لها انما معناه هذه فضيحة وقطيعة وسبة شنيعة وقطع على النصرانية
وقطيعة وانها عاصية للمسيح لا مطيعة فرجعت عن ذلك وما اجابت فاعتذر الانكلتير
بعدم موافقتها الا ان يدخل العادل في دينها فعرف انها خديعة كانت من الانكلتير
قال القاضي ووصل رسول من المركيس يذكر ان يصالح الاسلام بشرط ان يعطى صيدا
وبيروت ويتقل ان يجاهر الفرنج بالعداوة ويقصد عكا ويحاصرها وياخذها منهم فاجيب الى
ذلك على ان يطلق من بها ويصل من الاسارى ولما سمع الانكلتير بذلك رجع الى عكا لفسخ هذه
المصالحة واستجلاب المركيس اليه وجاء الخبر ان ملك الفرنسيس مات بانطاكية ووصل كتاب
من تقي الدين يخبر فيه ان ولد صاحب ديار بكر ابن الدكر قتل وجرى تغلبه في بلاد العجم خطب
عظيم قال العماد وكان محضرا للعظايم متعرضا للمآثم واضعا للنهب والعسف المراسم وقتل
باصبهان عشرة من رؤوس الشافعية المعروفين وكبرائهم الموصوفين ووصل من الديوان كتاب

ينكر فيه قصد تقي الدين خلاط ونظره فيه العناية التامة بكمه ويشفع في حسن بن قفجاق ويقدم
بالطاعة وكان تقدم عليه مظفر الدين باربل وسفر مقبر القاضي الفاضل الى الديوان كتب
حال ونصل امر فاجاب السلطان بما يا لكرها من تقي الدين تنحيه عن ذلك وانه عاد ليجمع العساكر ويعود
الى الجهاد واما ابن قفجاق فقد تقدم الى مظفر الدين ليحضره الى المقام متلطفة ويكون ملازما
للجهاد واما القاضي الفاضل فاعتذر عنه بانه كثير الامراض وهو يتضعف عن الحركة الى العراق
قلت بلغنا ان الفاضل رحمه الله كتب في الاعتذار عن الحضور الى الديوان وتمثل في كتابه
ما كنت اول شاد ذي قرة ابعده عن حضرة الذي مثل نفسك نهى ابن جبل مثل الصعيدي ... ولا
قال القاضي وارسل الانكلتير الى السلطان ان المسلمين والفرنج قد هلكوا وخربت البلاد وتلفت
الاموال والارواح وقد اخذ هذا الامر حقه وليس هنالك حديث سوى القدس والصليب والبلاد
فالقدس متعبدنا ما ننزل عنه ولو لم يبق منا واحد واما البلاد فيعاد الينا ما هو قاطع الاردن
واما الصليب فهو خشبة عندكم لا مقدار له وهو عندنا عظيم فيمن السلطان به علينا ونستريح من هذا
العناء الدائم فارسل السلطان في جوابه القدس لنا كما هو لكم وهو عندنا اعظم مما هو عندكم
فانه مسرى نبينا ومجتمع الملائكة فلا يتصور ان ننزل عنه ولا نقدر على التلفظ بذلك بين المسلمين واما
البلاد فهي ايضا لنا في الاصل واستيلاؤكم كان طارئا عليها لضعف من كان بها من المسلمين في ذلك
الوقت واما الصليب فهلاكه عندنا قربة عظيمة لا يجوز ان نفرط فيه الا لمصلحة راجعة الى
الاسلام هي اوفى منها وهرب شيركوه بن باخل الكردي من عكا وكان اسيرا بها وكان ادخر
حبلا في محبته فدلى به من طاقة في بيت الطهارة واسند هو نفسه في قيوده الى الحبل العاصية
فكمن في الجبل وقد طلع عليه النهار ثم كسر قيوده وسار الى المسلمين ثم تواتر الخبر ان الفرنج على
عزم النهوض فسار السلطان من المخيم بالنطرون الى الرملة ثالث شوال واقام بها عشرين يوما
تخرب ومنازل ووقعت دفعات منها وقعة في ناحية يازور وكان النصر فيها للمسلمين وفقد من
المسلمين ثلاثة وذلك ثامن شوال وفي سادس عشر شوال وقعت وقعة اخرى عظيمة قتل فيها
جماعة من الامراء واسر من الفرنج فارسان معروفان بالباس سوى غيرهما وقتل منهم ستة عشر
نفرا وفي خامس شوال وصل الخبر ان الاسطول المصري استولى على مراكب الفرنج ومنها مركب
معروف بالمسطح قيل انه كان فيه حشو له من نفر وزايد على ذلك وانه قتل منهم خلق عظيم واستبقي
منهم اربعون نفرا مدلودون وفي ثامن عشر شوال اجتمع العادل والانكلتير على طعام ومحادثة

وبقيا صلاح بوالده ومطايبه وطلب منه الاجتماع بخدمة السلطان فاجتمع به وصالحه وقال للملوك
اذا اجتمعوا يقع بينهم المخاصمة بعد ذلك فاذا انفصل امر حسن الاجتماع ورحل الفرنج ثم عند خيب
القصد الى العلم وطمعوا في قصد القدس لذلك بالرحلة ودامت الوقعات بين المسلمين وبينهم ودخل
السلطان الى القدس في الثالث والعشرين من ذي القعدة وكان الشتاء قد دخل في العشر الاول
فوصل الى القدس وقت العصر ونزل بدار الاقساء مجاورة كنيسة قمامة وفي ثالث ذي الحجة وصل عسكر
من مصر باموال ورجال مع ابي الهيجاء السمين وتحول الفرنج الى النطرون فغنموا السلطان البرك
فوقعوا على زند الفرنج فغنموا وسيق منهم الى القدس بعضه وحصلوا احمرا سوى من قتل منهم
ووافقهم سابق الدين عثمان صاحب شيزر يوم عيد الاضحى فنحر منهم وضحى واحتوى على عشرين من
بغالهم وبلادا واسرا وتلقى باقي الفرنج في الجبال وتركوا خلفهم فغنمها المسلمون ولم يزل المسلمون
عليهم مستظهرين مدة مقامهم بالنطرون وحصل المسلمون بقطع الطريق عليهم وتخاريبهم حتى انهم
احضروا قافلة ثقيلة بما فيها فصبروا على تحصيلها فرحلوا عائدين الى الرملة في الثاني من
والعشرين من ذي الحجة وفي ذلك اليوم وصل من الموصل حجارون برسم قطع الصخور من
الخندق فان السلطان شرع في تحصين القدس وعمارة ابراجه واسواره وحفر خندقه ما دخل
في البلاد في جمع رجال من الاعمال وتقبل الامرا فيه العمل وعمل السلطان بنفسه ينقل
الحجارة هو واولاده وامراؤه واجناده وجميع القضاة والعلماء والولاة والاصحاب

قلت وفي قصد الفرنج للسلطان بالقدس يقول الرشيد بن النابلسي من جملة قصيدة له

وجه الفرنج ... اليهم وما منهم لبيت العلا بغير كم ... ضيا الغدا اذا انطووا وكم بطعنهم
طعنا اذا استنفروا
كم قد سقيتهم ذلا فلا عجب ان ... فالقوم قد شكروا ان يموتوا فلا موت يجملهم
في غاياتها الخسر
... ولا ... في الطالهم ... الخيام عن حوطة
وحاله حوف ولا حذر
هو الملك وقد عاد ... من بعد ... الايام ... يعقوبها
العيد الا ... بدر وا

فصل في تمام حوادث هذه السنة قال العماد في ربيع الاول فيها توفي القاضي محي الدين

ابن الزكي قاضي دمشق وفيها يوم الجمعة تاسع عشر رمضان كانت وفاة تقي الدين عمر بن اخي السلطان
وهو على محاصرة منازكرد وكان تقي الدين قد توجه الى بلاده التي زاده اياها السلطان وراء الفرات
فامتدت عينه الى بلاد غيره فاستولى على السويدا وعلى مدينة حاني وعزم على قصد خلاط وكسر
صاحبها سيف الدين بكتمر وملك معظم تلك البلاد ثم اناخ على منازكرد يحاصرها ومعه عسكر
كثيرة فاجتاحته المنية بسبب مرض اعتراه وزاد الى ان بلغ منه المراد واخفى ولده الملك المنصور
وفاته ورحل بالملك المحصور وفاته وعاد به الى البلد الذي في يده وعجب الناس من حزمه وعزمه
وثباته وجلده وجاءت رسله الى السلطان بخبره بانه قام مقام والده فيما كان له من البلدان
وطلب منه شروطا نسبه سببها الى العصيان وكاد امره يضطرب وقلبه يكتئب وشانه يختل
ويتغلب حتى احتمى بالملك العادل بمصره واطرح الى الوجود واطرحه قال القاضي ابن شداد
كانت وفاته في طريق خلاط عائدا الى ميافارقين محمل منها حتى وصل به الى ميافارقين ثم عملت له
تربة عليها مدرسة مشهورة بارض حماه وحمل اليها فدفن بها قال العماد وفيها توفي ابن اخت
السلطان حسام الدين عمر بن محمد بن لاجين بدمشق ليلة الجمعة تاسع عشر رمضان ففجع السلطان
بابن اخيه وابن اخته في اسبوع واحد وكانا له من اعظم الاعوان على اركابه من الشدايد قلت
ودفن في التربة الحسامية المنسوبة اليه مرتبا والدته ست الشام بنت ايوب وهي المدرسة الشامية
بظاهر دمشق العوينة قال وفيها في اواخر ذي الحجة توفي الامير علم الدين سليمان بن جندر من
اكابر امراء حلب وكان في خدمة السلطان بالقدس وهو شيخ الدولة وكبيرها وظهيرها ومشيرها
وهو الذي اشار بتخريب عسقلان لسوق العامة والاهتمام بالقدس ثم مرض بالقدس وطلب المسير الى
الوطن فادركته المنية بقرية عباغب على مرحلة من دمشق وفيها في الثالث والعشرين من رجب كانت
وفاة الصفي ابن القابض نايب السلطان بدمشق وكان قد خدم السلطان ايام عمه وهو في كفالة
ابيه وعمه فلما تملك مصر امره في اموالها وحكمه في اعمالها حتى نال المنى وربح الغنى وكتبت
لمملكته دوره واملاكه وجميع امواله وفيها توفي نسيب العماد وهو جمال الدين ابو الفتح اسماعيل
ابن محمد بن عبيد كوبه سابع عشر ذي الحجة بدمشق قال العماد وكتبت اسمه في كتابه الاهتا
وخرجته وقلبته في مراتب المعالي ودرجته واعتمد السلطان عليه في الرسل الى سلاطين العجم وخوا ص
الامرا منهم والخدم وكان نبيلا سيا كريما وجيها وفيها توفي الحكيم الموفق اسعد بن المطران
في شهر ربيع الاول وكان من اهل اللطافة والظرافة ومن ذوي الفصاحة والحصافة رحمه الله

في بداية لهداية الاسلام ونال اسباب الاحترام وتقدم عند السلطان وما شانه خير وهو كبير الشان
وفي هذه السنة توفي الشيخ الفقيه نجم الدين الخبوشاني بمصر وهو الذي عمر تربة الشافعي رضي الله عنه
وبنى المدرسة في جوارها واحيا شعار التوحيد وبنى امره على التشديد وحفظ شمل الشافعية من
التبديد وكان السلطان يحتسب له الى كل ما يسند عنه ويقضي له من الحوائج ما يقتضيه ووقف على
المدرسة التي بناها وقوفا واعطاه في بنائها الوفا فلما توفي الخبوشاني طلب المدرسة جماعة من العلما
فردوا وشفع العادل في صدر الدين ابي الحسن محمد بن حمويه شيخ الشيوخ وكتب بها له ورتب وقفها وتدريسها
استقلالا له وذلك في اواخر سنة ثمان وثمانين ثم صرف بعد السلطان عن المدرسة وتبدلت بالكره
الاثنة قلت ثم استمرت عليها يد اولاده واحدا بعد واحد الى الآن قال وفيها توفي الوجيه
ابن النفيس مستوفي ديوان دمشق بها وكان نهيئا مهيبا بارها عارفا مصيبا ومنها توفي القاضي امين الدين
ابو القاسم بحماه في حادي عشر رمضان وكان ذكرها نجيبا ما انها مرتا وفيها نقلت تربة القاضي محي الدين
ابي محمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري الى المدينة النبوية على ساكنها افضل السلام وكان
قاضي الموصل وقد بنى رباطا هناك وكانت وفاته بالموصل في الثامن والعشرين من جمادى
الاولى سنة ست وثمانين وقد تقدم ذلك وسال ابن اخيه بعده كتابا الى امير المدينة فكتب له كتاب
منه بسبب اصداره الى الامير مشيرا نايب القاضي كمال الدين بصحبة عمه محي الدين من الموصل الى المدينة
المقدسة على ساكنها افضل الصلوات ليدفن في الرباط الذي انشاه حيث يبعث مع شفيع الامة
يوم البعث والنشور ويامن ظلام اللحد المحفوف في جوار الضيا والنور ويحظى بما ناله من البركة
والحبور ويشرح الصدر اذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور ولعذوق في احيا ره
ايام حيوته نقله الى ذلك البيت المعهود وليعز الامير على هذه المكرمة واعمر بوادا به في النزهة
المجاورة المعظمة قال وكان هذا القاضي جوادا جوادا لبذل اللهى معتادا واسع المروة
جامع اسباب الفتوة يحب معالي الامور ويقابله مجاورة حد الوفود قال ابن القادسي ووصل
الحاج في صفر بعدما عاقوا اخبارهم واخبروا ان داود امير مكة اخذ ما في الكعبة من الاموال
واخذ طوقا كان بحرم الحجر الاسود فاوجب ذلك سعته وكان قد دخل بعض الباطنية بعد سنة
اربع مائة فضربه بدبوس وقال الى كم يعبد هذا الحجر وفي يد ذلك الرجل سيف فما تجاسر احد يقرب اليه
فتطوع رجل وبذل نفسه للقتل وتقدم اليه فقتله فاخذ الحجر وجمعت شظاياه والفت وجعل
له طوق فاخذ امير مكة ذلك فلما وصل امير الحاج عزل داود وولى اخاه مكثرا ونقض قلعة كان

بناها داود على جبل ابي قبيس وهو داود بن عيسى بن فليته بن قاسم بن محمد بن ابي هاشم الحسيني
ولما رفع عن مكة اقام بنخلة وتوفي بها في رجب سنة تسع وثمانين وهو امير بن امير الى آخر من
ذكرنا من ابائه وهم ستة نفر قال ابن الاثير وفي ربيع الاول سنة تسع وثمانين
سار عز الدين يعني صاحب الموصل الى جزيرة ابن عمر محاصرا وبها ابن اخيه معز الدين سنجر شاه لانه
كان في السنة معه خارجا عن طاعته مساعدا للاعدا عليه فعزم على اخذها منه فخضع وطلب
العفو والصفح فاجابه وصالحه على قاعدة استقرت بينهما وعاد عنه الى الموصل فعاد سنجر شاه
الى حالته الاولى فجاوزه واطرحه ثم دخلت سنة ثمان وثمانين قال
العماد والسلطان مقيم بالقدس وقد قسم سور البلد على اولاده واخيه واجناده فشرعوا في انشا
سور جديد بخندق به مديد وكان يركب كل يوم وينقل الصخر على قربوس سرجه فيتبعه الامرا
والكبار في نقل الحجارة بمحبة ولوازب وهو يحمل حجرا في حجره فعلمنا ان له قلبا كم حمل جبلا في
فكره ولقد حبب في حماية الصخرة المقدسة جماهما بالصخور وانشرح صدرها بانضمامها الى صدره
حتى ناشر صدور رجال لكبته بها الصدور وما يغلوا دارا فيها في الجنة بنقل حجارتها ليكون في دارها
وهذا في دارانها ودوام الكون بالكوب وعرض وجهه الكريم المحجوب قال وفي ثالث
المحرم رحل الفرنج على سمت عسقلان واشاعوا انهم يعيدون بها العمران وهم بادرون بظاهرها
جايلون في مواردها ومصادرها فراى الانكليز دخانا على بعد فقصده وكان ثم جماعة من الاسدية
وسيف الدين يازكوج وعلم الدين منجر وهم غازون عادهم فوصل اللعين اليهم فوقع عليهم
وكانوا فرقتين في موضعين فلما وقع على احديهما ركب الفريق الثاني ودافعه حتى ركب
الفريق الآخر وجدوا معه ووافقوهم وساقوا قدامهم اثقالهم وخلصوا ناجين وسلم الله انفسهم
من ايدي الملاعين ولم يفقد من المسلمين الا اربعة وكانت نوبة عظيمة دفع الله خطرها وهون
ضررها وفي حادي عشر المحرم كبس عز الدين جرديك سرية من رجالة الفرنج فاوقع البلا
وساق منهم اثنا عشر اسيرا ومتاعا كثيرا واغار ايضا بناحية ظاهر عسقلان وجاء بالاسرى
وفي ليلة رابع عشر صفر كبست سرية مقدمها فارس الدين ميمون القصري عند سوق ليلا ان عبرت قوافل
الفرنج فساقها باحمالها واثقالها ونسائها ورجالها وفي مستهل ربيع الآخر وصل سيف الدين
المشطوب وقد خلص من الاسر وقطعت عليه الفرنج جميع الفداء فبادر بحمل نحو عشرين الفا واعطانا
بالباقي رهاين واحسن السلطان لقاه واقطعه نابلس باعمالها وتوفي بها في آخر شوال وفي ثالث

عشر ربيع الآخر قتل المركيس لعنه الله بصور وذلك ان رجلين دخلا صور وتنصرا واظهرا الرهب
والتعبد ولزما الكنيسة وسكن بهما الاقسا والرهبان واحبهما المركيس ولم يكن يصبر عنهما
ففي بعض الايام وثبا عليه وقتلاه فاخذا وقتلا وعرفا بانهما كانا من الحشيشية وجلس مكانه
الكندهري بامر الانكلتير وسير الانكلتير مصاف المركيس فانه كان يضاده ويراسل السلطان
في الاهانة عليه فلما قتل سكن روعه وذهب عنه ضره وتزوج الكندهري بملكة زوجة المركيس
في ليلته ودخل بها وهي حامل وما الحمل في ملة الفرنج عن النكاح حائل ويكون الولد لامها
الى الملك هذه قاعدة هذه الطائفة المشركة وهذا الكندهري ابن اخت ملك افرنسيس من ابيه
وملك انكلتير من امه ودخل الفرنج في حكمه وعاش الى آخر سنة اربع وتسعين وتولاهم دون
سبع سنين وقال العماد في الفتح اضاف الاسقف بصور واستولى رزقه وتعدى وعما
درى انه يتردى واكل وشرب وشبع وطرب وخرج وركب فوثب عليه رجلان وسكنا
حركته بالسكاكين وذكاه عند تلك الذكاكين وهرب احدهما ودخل الكنيسة وقد اخرج
تلك النفس الخبيثة فقال المركيس وهو مجروح وفيه روح احملوني الى الكنيسة فحملوه
فلما ابصر احد الجارحين وثب اليه وزاده جرحا على جرح وقرحا على قرح فاخذ الفرنج الرجلين فقرر
والعتوهما من الفداوية الاسماعيلية مرتدين فسالوهما من وضعهما على تدبير هذا التدمير فقالا
ملك الانكلتير فقتلا شر قتله فيا لله من كافرين سفكا دم كافر وفاجرين فتكا بفاجر قال
ولم يحمد قتل المركيس في هذه الحالة وان كان من طواغيت الضلالة لانه كان عدو ملك الانكلتير
وساعده على الملك والسرير ومنافسته على القليل والكثير قال وفي تاسع جمادى الاولى
استولى الفرنج على قلعة الداروم ثم خربوها ورحلوا عنها واسروا من فيها وكان الانكلتير
الملعون قد استفسد من نوبة عكا نقابين حلبيين فعملوا من نقب المكان واحرقوا النقب
وطلب اهل الحصن مهلة يساورون فيها السلطان فلم يمهلهم وفي رابع عشره خرجت الركبة
من الفرنج على قلعة تعرف بمجدل يحات كذا قال في الفتح وقال في البرق مجدل يابا
وكذا قال ابن شداد وقتل كندكبير ثم نزلوا اثل الصافية ثم الى الطرون ثم الى بيت نوبه
وهي وطاة بين جبال بينها وبين القدس مرحلة وقد الهمهم المسلمون نهبهم واضعفوهم بتسليهم
مسلطون عليهم من كل ناحية ويكمنون لهم عند كل رابية وقد قويت قلوبهم بثبات السلطان
بالقدس وفي استهلال الشهر لقي الحجاج وقد وصل العدو الى بيت نوبه وهي من القدس على فرسخين

فلما

فلما راى العدو ما لا بد له منه رجع ناكصا على عقبيه والمسلمون في اثرهم يكمنون لهم وينالون
منهم وكان بدر الدين دلدرم في اليزك فبعث من كمن لهم عند طريق يافا فمر بهم فوارس فاستولى
عليهم الكمين وما سلم منهم احد وفي ثالث جمادى الآخرة كبست الكمنا قافلة فكبست وسلبت
واسرت وفي تاسعه وصل الخبر بان الفرنج نزلوا البيلة وادلجوا باسرهم ولم يعلم قصدهم فعرف
السلطان انه الى طريق العسكر المصري فندب الامير فخر الدين الطنبا العادلي وشمس الدين سنقر
الناصري حتى يعلما العسكر فالتقيا بهم بالحسي واخبراهم الخبر فنزلوا وعرسوا وهم يظنون
لا حس للعدو بارض الحسي فجاؤهم وجاؤوهم فاستولى على بعض الاموال وخلص اكثرها مع الرجال ل
ومن جملة من كان في العسكر فلك الدين اخو العادل لامه فنجا بما معه وعليه من القوافل قال
العماد وجرى هذا كله والملكان الافضل والعادل غائبان وعساكر الموصل وسنجار وديار
بكر متباطية في الاتيان وسببه ما كان من تقي الدين وموته ونشز ولده في بقاء بلاد ابيه
عليه وان الافضل كان طلب من والده البلاد قاطع الفرات ونزل عن جميع ما له من الولايات
وانه اذا عبر الى الرها وحران تملك تلك البلدان ورحل من القدس في ثالث صفره واطلق
له السلطان عشرين الف دينار سوى ما استصحبه برسم الخلع والتشريفات ووصل الى حلب
فاحتفل اخوه الظاهر لقدومه واقام له سنن المكارم ورسومه ووقف يخدمه ما شاء
وهو عطف الابتهاج اليه مايلا واحضر له مفاتيح بلاده وقدم له كلما في يديه وسمع ناصر الدين
ابن تقي الدين بما اقلقه ودفع منه الى ما ازعجه فارهقه ووصل رسوله الى العادل وهو
بالقدس لاجيا الى ظله راجيا لفضله لائذا بجنابه عائذا ببابه فاحتمى له وحمله وقوى في
تقويته امله وخاطب السلطان في حقه واستعطفه وقال انا امضي اليه واحضره واومنه
بما يحذره وسلم هذه السنة عليه حران والرها ونعطيه في السنة الاخرى حماه والمعرة
ثم قرر السلطان مع اخيه العادل ان ياخذ هو تلك البلاد وينزل عن اقطاعاته بمصر ونصف
خاصته ففعل واستزاد قلعة جعبر فامتنع الملك الظاهر من تسليمها حتى استظهر فسار
العادل في العشر الاول من جمادى الاولى وكتب السلطان الى الافضل بالعود فجاء هذا راجعا
وذهب ذاك شاديا ووصل الى دمشق ولم يحضر الى خدمة السلطان فلما اشتد خبر الفرنج سير
اليه وطلبه فما وسعه التاخر فسار اليه مع العساكر الواصلة اليه فلقيه السلطان وترجل
له جبرا لقلبه وتعظيما لامره قال ولما بلغ ابن تقي الدين وصول السلطان انفذ الى العادل

فيستشفع به ليطيب قلب السلطان عليه ويعرج احد قسمين اما حران والرها وسميساط واما حماه ومنبج
وسلمية والمعرة مع كفالة اخوته فراجع العادل السلطان مرارا فلم يفعل ذلك ولم يجب الى شي منه
مكررت السفارة اليه فحلف له على حران والرها وسميساط على انه اذا عبر الفرات اعطى المواضع التي
افرجها وكفل اخوته وتخلى عن تلك المواضع التي في يده ثم التمس العادل خط السلطان فابى
والح عليه فغرق بدمعه العين وانقطع الحديث واخذ من السلطان الغيظ كيف يخاطب بمثل ذلك من
بعض اولاده واولاد اخيه ثم اعطاه خطه بما استقر من القاعدة ثم ان العادل التمس من السلطان
البلاد التي كانت بيد ابن تقي الدين بعد اسقاطه وجرت مراجعات كثيرة في بعض العوض عنها
وكان آخر ما استقر انه ينزل عن كل ما هو شامي الفرات ما خلا الكرك والشوبك والصلت
والبلقا وخاصه بمصر بعد النزول عن خبزه وعليه في كل سنة ستة الف غراره غله تحمل للسلطان
من الصلت والبلقا الى القدس **فصل** في عزم الفرنج على قصد القدس وشبيه قال
القاضي ابن شداد وكان يقدم السلطان الى عسكر مصر بالمسير واوصاهم الاحتراز عند مقاربة
العدو فاقاموا ببلبيس اياما حتى اجتمعت القوافل اليهم واتصل بحقوق العدو امر القفل امر
عسكره بالاحضار الى سفح الجبل وركب في الف راكب مردفين الف راجل واتى تل الصافية فبات
ثم سار حتى اتى ما يقال له الحسي واتفذ السلطان الى القافله يدبرهم بنهضة العدو وامرهم
ان يصعدوا في البريه وركب الانكتير الملعون مع العرب بجمع يسير وسار حتى اتى القفل وطاف
حوله في صورة عربي وراهم ساكنين قد غشيهم النعاس فعاد واستركب عسكره وكانت
الكبسه قريبة الصباح فعنف الناس ووقع عليهم بخيله ورجله فكان النجاح الا ابد القوي الذي
ركب فرسه ونجا بنفسه وانقسم القفل ثلاثة اقسام قسم قصدوا الكرك مع جماعة من العرب
وقسم اوغلوا في البريه مع جماعة من العرب وقسم استولى العدو عليهم فساقهم بجمالهم
واحمالها وجميع ما معهم وكانت وقعة شنعا لم تصب الاسلام مثلها من مدة مديدة وتبدد
الناس في البريه ورموا اموالهم وكان السعيد منهم من نجا بنفسه وجمع العدو ما امكنه
جمعه من الخيل والبغال والجمال والاقمشه وساير انواع الاموال وكلف الجمالين خدمة الجمال
والمكاريه خدمة البغال والساسه خدمة الخيل وسار في جحفل من غنيمه يطلب عسكره ولقد
حكى من كان اسيرا معهم انه في تلك الليلة وقع فيهم الصوت ان العسكر السلطاني قد لحقهم فتركوا
الغنيمه وانهزموا وبعدوا عنها زمانا ثم انكشف الامر فعادوا وقدم بجميع من الاسرى وكان

الحاكي منهم واخبر ان الاسارى خمس مايه والجمال نيفا على ثلاثة الف جمل ووصل العدو الى مخيمه سادس
عشر جمادي الآخره وكان يوما عظيما عندهم وصح عزمهم على القدس وقويت نفوسهم بما حصلوا عليه
من الاموال والجمال التي تنقل الميره والازواد ورتبوا جماعة على انهم يعطون الطريق شيئا من نقل الميره
وانفذوا الكنود هرى الى صور وطرابلس وعكا يستحضر من فيها من المقاتله ليصعدوا الى القدس حرسه
الله تعالى ولما عرف السلطان ذلك منهم عمد الى الاسوار فقسمها على الامرا وتقدم اليهم بتهيئة اسباب
الحصار واخذ من افساد المياه ظاهر القدس بخراب الصهاريج والجباب بحيث لم يبق حول القدس ما يشرب
اصلا وارض القدس لا يطمع في حفر بير فيها ما معين في جميعها لانها جبل عظيم وحجر صلب وسير
الى العساكر يطلبها من الجوانب والبلاد **قال** ولما كان ليلة الجمعه تاسع عشر جمادي الآخره
احضر السلطان الامرا عنده فحضر الامير ابو الهيجا السمين بمشقة عظيمه وجلس على كرسي في خدمة
السلطان وحضر المشطوب والاسديه باسرهم وجماعة الامرا ثم امرني ان اكلمهم واحثهم
على الجهاد فذكرت ما يسر الله من ذلك وكان مما قلته ان النبي صلى الله عليه وسلم لما اشتد به الامر
بايعه الصحابه رضي الله عنهم على الموت في لقاء العدو ونحن اولى من تاسى به صلى الله عليه وسلم والمصلحة
الاجتماع عند الصخره والتحالف على الموت فلعل ببركة هذه النيه يندفع هذا العدو فاستحسن الجماعه
ذلك ووافقوا عليه ثم شرع السلطان بعد ان سكت زمانا في صورة مفكر والناس سكوت كان
على رووسهم الطير ثم شرع وقال الحمد لله والصلوة على رسول الله اعلموا انكم جند الاسلام اليوم ومنعته
وانتم تعلمون ان دماء المسلمين واموالهم وذراريهم معلقه في ذممكم وان هذا العدو ليس له من المسلمين
من يلقاه الا انتم فان توليتم اعنتكم والعياذ بالله طوى البلاد كطي السجل للكتاب وكان ذلك في ذممكم
فانكم انتم الذين تصديتم لهذا كله واكلتم مال بيت مال المسلمين فالمسلمون في ساير البلاد متعلقون بكم
والسلام فانتدب لجوابه سيف الدين المشطوب **وقال** يا مولانا نحن مماليكك وعبيدك وانت
الذي انعمت علينا وكبرتنا وعظمتنا واعطيتنا واغنيتنا وليس لنا الا رقابنا وهي بين يديك والله
ما يرجع احد منا عن نصرتك الى ان يموت فقال الجماعه مثل ما قال وانبسطت نفس السلطان بذلك المجلس
وطاب قلبه واطعمهم ثم انصرفوا الى انقضاء يوم الجمعه على اشد حال في التاهب والاهتمام حتى كان
العشا الآخره اجتمعنا في خدمته على العاده وسهرنا حتى مضى هزيع من الليل وهو غير منبسط على عادته
ثم صلينا العشا وكانت الصلوة هي الدستور العام فصلينا واخذنا في الانصراف فدعاني رحمه الله فقال
اعلمت الذي تجدد فقلت لا قال ان ابا الهيجا السمين انفذ الي اليوم وقال انه اجتمع عندي جماعة من المماليك

الامرا وانكروا علينا موافقتنا لك على الحصار والتأهب له وقالوا الاصلحة في ذلك وانا نخاف
ان نحصر ويجري علينا مثل ما جرى على اهل عكا وعند ذلك يوخذ بلاد الاسلام جميعًا والراي ان نلقى
مصاف فان قدر الله ان نهزمهم ملكنا بقيه بلادهم وان تكن الاخرى سلم العسكر ومضى القدس وقد
احفظت بلاد الاسلام بعساكرها مدة بغير القدس وكان عنده رحمه الله من القدس امر عظيم لا تحمله الجبال
فشق عليه هذه الرساله واقمت تلك الليله في خدمته حتى الصباح وهي من الليالي التي احياها في
سبيل الله رحمه الله وكان مما قالوه في الرساله انك ان اردتنا نقيم فتكون معنا او بعض اهلك حتى
نجتمع عنده والا فالاكراد لا يدينون للاتراك والاتراك لا يدينون للاكراد وانفصل الحال على ان
يقيم من اهله مجد الدين ابن فرخشاه صاحب بعلبك وكان رحمه الله يحدث نفسه بالمقام ثم منعه رايه
عنه لما فيه من خطر الاسلام فلما قارب الصبح شفقت عليه في ان يستريح ساعة لعل العين تاخذ حظها
من النوم وانصرفت عنه الى داري فما وصلت الا والموذن قد اذن فاخذت في اسباب الوضوء
فما فرغت الا والصبح قد طلع وكنت اصلي الصبح معه في غالب الاحوال فعدت الى خدمته وهو
يجدد الوضوء فصلينا ثم قلت له قد وقع لي واقع اعرضه فاذن لي فيه فقلت المولى في اهتمامه
وما قد حمل نفسه من هذا الامر مجتهد فيما هو فيه وقد عجزت اسبابه الارضيه فينبغي ان يرجع الى الله
وهذا يوم الجمعه وهو ابرك ايام الاسبوع وفيه دعوة مستجابة في صحيح الاحاديث ونحن في ابرك
موضع نقدر ان نكون فيه في يومنا هذا فالسلطان يغتسل للجمعه ويتصدق بشيء خفيه بحيث لا يشعر انه
منك وتصلي بين الاذان والاقامه ركعتين تناجي فيهما ربك وتفوض مقاليد امورك اليه وتعترف
بعجزك عما تصديت له فلعل الله يرحمك ويستجيب دعاك قال وكان رحمه الله حسن العقيدة
تام الايمان يتلقى الامور الشرعيه باكمل انقياد وقبول ثم انفصلنا فلما كان وقت الجمعه صليت
الى جانبه في الاقصى وصلى ركعتين ورايته ساجدًا وهو يذكر كلمات ودموعه تتقاطر على مصلاه
رحمه الله ثم انقضت الجمعه بخير فلما كان عشيتها ونحن في خدمته على العاده وصلت رقعه جرديك
وكان في اليزك يقول فيها ان القوم ركبوا باسرهم ووقفوا في البر على ظهر ثم عادوا الى خيامهم
وقد سيرنا جواسيس يكشف اخبارهم ولما كان صبيحة السبت وصلت رقعه اخرى يخبر فيها ان الجواسيس
رجعوا واخبروا ان القوم اختلفوا في الصعود الى القدس والرحيل الى بلادهم فذهب الفرنسيسيه
الى الصعود الى القدس وقالوا انما جينا من بلادنا بسبب القدس ولا نرجع دونه وقال الانكلتار
ان هذا الموضع قد افسدت مياهه ولم يبق حوله ماء اصلا فمن اين نشرب فقالوا نشرب من نهر تقوع وبينه

وبين

وبين القدس مقدار فرسخ فقال كيف الذهاب الى السقي فقالوا ننقسم قسمين قسم يمضي مع السقي مع الدواب
وقسم يبقى على البلد في اليزك ويكون الشرب في اليوم مرة فقال الانكلتير اذا يوخذ العسكر الذي
يذهب مع الدواب ويخرج عسكر البلد على الباقين ويذهب دين النصرانية فانفصل الحال على انهم حكموا
ثلثماية من اعيانهم وحكم الثلثماية اثني عشر من اعيانهم وحكم الاثني عشر ثلاثة منهم وقد باتوا على حكم
الثلاثة فما يامرونهم به يفعل فلما اصبحوا حكموا عليهم بالرحيل فلم يمكن المخالفة واصبحوا بكرة الحادي
والعشرين من جمادى الآخرة راحلين الى نحو الرملة ناكصين على اعقابهم ولله الحمد ووقف عسكرهم في السلاح
الى ان لم يبق في المنزلة الا الاثار ثم نزلوا بالرملة وتواتر الخبر بذلك فركب السلطان قدس الله روحه
وركب الناس وكان يوم سرور وفرح ولكن السلطان خاف على مصر لما حصلوا عليه من الجمال والظهر
وكان قد ذكر الانكلتير مثل هذا مرارا **فصل** في تردد رسل الانكلتير في معنى الصلح وما جرى
في اثناء ذلك الى ان تم ولله الحمد وقد ساق ذلك القاضي ابن شداد احسن سياق واستقصى الامر فيه
بخلاف العماد فقال ان الانكلتير جاء منه رسول يقول قد هلكنا نحن وانتم والاصلح حقن الدماء
ولا ينبغي ان تعتقد ان ذلك عن ضعف مني بل للمصلحه ولا تغتر بتاخري عن منزلي فالكبش يتاخر
لينطح ثم جاء رسوله يقول لا يجوز لك ان تهلك المسلمين كلهم ولا يجوز لي ان اهلك الفرنج كلهم
وهذا ابن اختي الكندهري قد ملكته هذه الديار وسلمته اليك يكون هو وعسكره بحكمك ولو
استدعيتهم الى الشرق سمعوا واطاعوا وان جماعة من الرهبان المنقطعين قد طلبوا منك كنائس
فما بخلت عليهم بها وانا اطلب منك كنيسة وتلك الامور التي كانت تضيق صدرك لما كان يجري من المراسله
مع الملك العادل قد تركتها واعرضت عنها ولو اعطيتني مقرعة او قرية قبلتها وقبلتها
فاستشار السلطان الامرا في جوابه فاجاروا بالمحاسنه وعقد الصلح لما كان قد اخذ المسلمين
من الضجر والتعب وعلاهم من الديون واستقر الحال على هذا الجواب انك اذا دخلت معنا هذا
الدخول فما جزاء الاحسان الا الاحسان ابن اختك يكون عندي كبعض اولادي وسيبلغك
ما افعل في حقه من الخير وانا اعطيك اكبر الكنايس وهي القمامه وبقيه البلاد نقسمها والساحلية
التي بيدك تكون بيدك والتي بايدينا من القلاع والجبلية يكون لنا وما بين العملين يكون مناصفة
وعسقلان وما وراها يكون خرابا لا لنا ولا لكم وان اردتم قراها كانت لكم والذي كنت اكرهه
حديث عسقلان فانفصل الرسول طيب القلب قال وانفصل الفرنج بعد وصول الخبر اليهم
راحلون الى جهة عسقلان طالبون جهة مصر ووصل رسول من جانب قطب الدين ارسلان

يقول ان البابا قد وصل الى قسطنطينية في خلق لا يعلم عددهم الا الله تعالى وقال الرسول اني قتلت
في الطريق اثنا عشر فرسا ويقول تقدم الي من يسلم بلادي مني فاني قد عجزت من حفظها فلم يصدق
السلطان هذا الخبر ولا اكترث به ثم جاء رسول الانكلتير يطلب ان يكون في قلعة القدس عشرون
نفرا وان من يسكن من النصارى والفرنج في البلد لا يعترض لهم واما بقية البلاد فلنا منها الساحليات
وذو الوطاة والبلاد الجبلية لكم واخبر الرسول من عند نفسه ما صحته انهم قد نزلوا عن حديث القدس ما عدا
الزيارة وانما يقولون هذا تصنعا وانهم راغبون في الصلح وان الانكلتير لا بد له من الرواح الى بلاده فاجيب
بان القدس ليس لكم فيه حديث سوى الزيارة فقال الرسول وليس على الزوار شيء يوخذ منهم فعلم
من هذا القول الموافقة واما البلاد فعسقلان وما وراءها فلا بد من خرابه فقال الرسول قد خسر
الملك على سورها مالا جزيلا فقال المطلوب ان يجعل مزارعها وقراها في مقابلة خسارته فاجاب
السلطان وان الداروم وغيره يخرب ويكون بلدها مناصفة ثم جاء الرسول يقول الملك يسالك
ويخضع لك في ان تترك له هذه الاماكن الثلاثة عامرة واي قدر لها عند ملكك وعظمتك وما
سبب اصراره عليها الا ان الفرنج لم يسمحوا بها وهو قد ترك القدس بالكلية لا يطلب ان يكون فيه الا رهبان
ولا قسوس الا في القمامة وحدها فتترك له انت هذه البلاد ويكون الصلح عاما فيكون لهم كل ما في
ايديهم من الداروم الى انطاكية ولكم ما في ايديكم وينتظم الحال ويروح وان لم ينتظم الصلح فالفرنج
ما تمكنه من الرواح ولا يمكنه مخالفتهم قال القاضي فانظر الى هذه الصناعة في استخلاص الغرض
باللين تارة وبالخشونة اخرى وكان لعنه الله مضطرا الى الرواح وهذا عمله مع اضطراره والله المسؤول
في ان يكفي المسلمين مكره فما بلوا اعظم حيلة ولا اشد اقداما منه فاجابه السلطان بان انطاكية
لنا معهم حديث ورسلنا عندهم فان عادوا بما نريد ادخلناها في الصلح والا فلا واما البلاد التي
سالها فلا يوافق المسلمون على دفعها اليه والا فلا قدر لها واما سور عسقلان فيأخذ في مقابلته ما
خسر عليه لد في الوطاة ثم عاد الرسول وذكر ان الملك قال لا يمكننا ان يخرب من عسقلان
حجرا واحدا ولا يسمع عنا في البلاد مثل ذلك واما البلاد فحدودها معروفة لا منازعة فيها وعند
ذلك تاهب السلطان للخروج الى جهة العدو واظهار القوة وشدة العزم على اللقا وبلغه
في العاشر من رجب ان الفرنج خذلهم الله قد رحلوا طالبين نحو بيروت فبرز من القدس الى
منزلة تعرف بالجيب وجاء العادل من الشرق والظاهر من حلب من اخبره باستانفه ثم رحل
في الرابع عشر الى عامل بلاد الرملة ولد وركب جريدة حتى اتى يازور وبيت جن واشرف على يافا

ثم نزل عليها من الغد ورتب عسكره في الميمنة ولده الظاهر وفي الميسرة اخوه العادل وركب المنجنيقات
وزحف عليها فارسل العدو رسولين نصرانيا وفرنجيا يطلبان الصلح فطلب منهم قلاع القدس وقطيعة
فاجابوا الى ذلك واشترطوا ان ينظروا الى يوم السبت تاسع عشر رجب فان جاءتهم نجدة والا
سلموا القلعة على ما استقر فابى السلطان الانظار وامر بالنقب فحشي واحرق فوقع بعض البدنة
فوضع العدو اخشابا عظيمة خلف النقب فالتهبت فمنع من الدخول في الثلمة وقاتلت خارج
الابواب الى الليل فلما اصبحوا وقعت البدنة فعلا غبار مع الدخان فاظلم الافق وما تجاسر احد
على الولوج خوفا من اقتحام النار فلما انكشفت الغبرة ظهرت اسنة قد نابت مناب الاسوار ورماح
قد سدت الثلمة حتى عن نفوذ الابصار وراى الناس هولا عظيما من صبر القوم وثباتهم ولقد
رايت رجلين على ممشى السور يعاونان المسلوفين من جهة الثلمة وقد اتى احدهما حجر المنجنيق
فاخذه ونزل الى داخل فقام رفيقه في مقامه متصديا لمثل ما لحقه اسرع من لمح البصر بحيث
لم تفرق بينهما الا حاذق خبير ولما راى العدو ما قد آل الامر اليه سيروا يطلبون الامان فقال
رحمه الله الفارس بالفارس والراكب بثلثه والراجل بالراجل والعاجز على قطيعة القدس فقطع
الرسول وراى القتال على الثلمة اشد من اضطرام النار فسال السلطان ان يبطل القتال الى ان يعود
فقال ما اقدر على منع المسلمين من هذا الامر ولكن ادخل الى اصحابك فقل لهم ان ينحازون الى القلعة
ويتركون الناس يشتغلون بالبلد فانه ما بقي دونه مانع ففعلوا وانحازوا الى القلعة بعد ان قتل منهم
جماعة ودخل الناس البلد عنوة ونهبوا منه اقمشة عظيمة وغلالا كثيرة وامتعة وبقايا قماش
مما نهب من القافلة المصرية واستقرت القاعدة على الوجه الذي قرره السلطان وكان قايماز
النجمي في طرف العوجا بجانبه من عسكر العدو الذي بعكا فوصل منه كتاب يخبر فيه ان الانكلتير الملعون
لما سمع خبر يافا اعرض عن قصد بيروت وعاد الى قصد يافا فاشتد عزم السلطان على تسلم الامر
وتسلم القلعة وكنت ممن لم ير الامان لانه قد لاح اخذهم وكان الناس لهم منة لم يظفروا من العدو
بغنيمة يوسعهم عليه وكان اخذهم ضرورة مما بعث همم العسكر غير ان الامان وقع واتفق الصلح فكنت
بعد ذلك ممن يحث على اخراج العدو من القلعة وتسلمها خوفا من لحوق النجدة وكان السلطان
يشتد حرصه غير ان الناس قد افقدهم التعب امتثال الامر واخذ منهم الحديد وشدة الحر
ودخان النار حيث لهم استطاعة على الحركة وسمعنا بوق الفرنج في البحر فعلمنا بوصول النجدة
فسير السلطان يعني عز الدين جرديك وعلم الدين قيصر ودرباس المهراني ومعهم الخزانة شمس الدين

البوق

وقال امض الى الملك الظاهر وقل له يقف ظاهر الباب القبلي وندخل انت ومن تراه الى القلعة
ويخرجون القوم ويستولون على ما فيها من الاموال والاسلحه ونكتبها بخطك الى الظاهر وهو
ظاهر البلد وهو يسيرها الينا ففعلنا ودخلنا القلعه وامرنا الفرنج بالخروج فاجابوا ونهضوا فقال
جرديك لا ينبغي ان يخرج منهم احد حتى يخرج الناس من البلد خشيه ان يتخطفوهم وكان الناس
قد داخلهم الطمع في البلد واخذ يشتد في ضرب الناس واخراجهم وهم غير مضبوطين بعدد ولا محصورين
في مكان فكيف يمكن اخراجهم وطال الامر الى ان علا النهار واما المومه وهو لا يرجع عن ذلك والكلام
يمضي فلما رايت الوقت يفوت قلت له ان النجده قد وصلت والمصلحه المسارعه في اخراجهم فاجاب
واخرجنا خمسه واربعين نفرا بخيولهم ونسائهم وسيرناهم ثم اشتد انفس الباقين وحدثتهم نفوسهم
بالعصيان وكانوا استقلوا المراكب التي جاءتهم وظنوا ان لا نجده لهم فيها ولم يعلموا ان الانكلتير
مع القوم وانهم قد تاخروا عن النزول الى علو النهار خافوا ان يمنعوا فيوخذوا ويقتلوا
مخرج من خرج ثم بعد ذلك قويت النجده حتى صاروا خمسه وثلاثين مركبا فقويت نفوس الباقين
في الحصن وظهرت منهم امارات العصيان ودلائله فقلت لاصحابنا خذوا حذركم فقد تغيرت
عزائم القوم فما كان الا ساعه بحيث صرت خارج البلد وقد حمل القوم من القلعه واخرجوا من كان
في البلد من الاجناد ولقد ازدحم الناس في باب البلد حتى كاد يتلف منهم جماعه وبقي في بعض
الكنائس جماعه من رعاع العسكر مشتغلين بالاعوز فهجموا عليهم وقتلوا منهم واسروا ولما
عرف السلطان امر الناس فرجفوا وعاد الحصار كما كان وحشروا العدو في القلعه واستبطوا
نزول النجده اليهم وخافوا خوفا عظيما فارسلوا بطركهم والقسطلان الى السلطان يعتذران
فيما جرى ويسالانه القاعده الاولى وكان سبب امتناع نزول النجده انهم راوا البلد مشحونا
بسارق المسلمين ورجالهم فخافوا ان يكون القلعه قد اخذت وكان البحر يمنع من سماع الصوت
وكثره التصيح والتهليل والتكبير فلما راى من في القلعه شده الزحف عليهم وامتناع النجده
من النزول مع كثرتها فانها بلغت نيفا وخمسين مركبا منها خمسه عشر من الشواني علموا ان النجده
قد ظنوا ان البلد قد اخذ فوهب رجل نفسه من المشيح وقفز من القلعه الى المينا وكان رملا
فلم يصبه شي وهنا الى البحر فحدث الانكلتير بالحديث فما كان الا ساعه حتى نزل كل من في
الشواني الى المينا هنالك وانا اشاهد ذلك فحملوا على المسلمين فاخرجوهم من المينا فنعض
السلطان على الرحل وامر بتاجر النقل والاسواق الى ما ر وز فرحل الناس وخلق لهم نقل عظيم

ثم كانوا اضعوا من يافا وخرج الانكلتير الى موضع السلطان الذي كان فيه لمضايقه البلد وامر من
في القلعه ليخرجوا اليه لبعض شواده ثم اجتمع به جماعه من المماليك وطلبهم وحضر الحاجب ابو بكر
العادلي وقد صادف جماعه من خواص المماليك ودخل معهم دخولا عظيما بحيث كانوا يجتمعون
به في اوقات متعدده وكان قد صادف من الامرا جماعه كبدر الدين دلدرم وغيره فلما حضروا
عنده جد وهزل ومن جمله ما قال هذا السلطان عظيم وما في الارض للاسلام ملك اكبر ولا اعظم
منه كيف رحل عن المكان بمجرد وصولي ووالله ما لبست لامتي ولا تاهبت لامر وليس في رجلي
الا زربول البحر فكيف تاخرتم قال والله انه لعظيم والله ما ظننا انه ياخذ يافا في شهرين فكيف
اخذها في يومين ثم قال لابي بكر الحاجب سلم على السلطان وقل له بالله عليك اجب سوالي في الصلح
هذا امر لا بد له من آخر وقد هلكت بلادي وراء البحر وما دوام هذا مصلحه لا لنا ولا لكم وادخل
السلطان اليه في الجواب انك كنت طلبت الصلح ولا على قاعده وكان الحديث في يافا وعسقلان
ويلوذون عساكرهما في خدمتك دائما واذا احتجت الي وصلت اليك في اسرع وقت وخدمتك
كما تعلم خدمتي فقال السلطان حيث دخلت هذا المدخل فانا اجيبك على ان نجعل البلاد
قسمين احدهما لك وهو يافا وما وراءها والثاني وهو عسقلان وما وراءها لي ثم رتب السلطان
اليزك سار ورد امر بخراب يبنا وخراب بيت جبرين وربت الصابين لذلك وسار الى الرمله فعاد
رسول الانكلتير يشكر على اعطائه يافا ويجدد السوال في عسقلان ويقول له ان وقع
الصلح في هذه الايام السته سار الى بلده والا احتاج ان يشتي ها هنا فاجابه السلطان في
الحال وقال اما النزول عن عسقلان فلا سبيل اليه واما تشتيته ها هنا فلا بد منها لانه قد
استولى على هذه البلاد ويعلم انه متى غاب عنها اخذت بالضروره واذا اقام ايضا ان شا الله تعالى
واذا سهل عليه ان يشتي ها هنا ويبعد عن اهله ووطنه مسيره شهرين وهو شاب في عنفوان
شبابه ووقت اقتناص لذاته ما يسهل علي ان اشتي واصيف وانا في وسط بلادي وعندي
اهلي واولادي ويأتيني ما اريد ومن اريد وانا رجل شيخ قد كرهت لذات الدنيا
وشبعت منها ورفضتها عني والعسكر الذي يكون عندي في الشتا غير الذي يكون في الصيف
وانا اعتقد اني في اعظم العبادات ولا ازال كذلك حتى يعطي الله النصر لمن يشا ثم جاء
رسوله يقول كم اطرح نفسي على السلطان وهو لا يقبلني وانا كنت احرص حتى اعود الى
بلادي والآن فقد هجم الشتا وتغيرت الانوا وعزمت على الاقامه وما بقي بيننا حديث ثم بلغ

والآن فقد خربنا يافا فلا يكون من قبلك [illegible] الى الصلح
انه اذا اعطوا واصلحوا الا والعاصم لا يصلح الا اصلاحه
وانما الطلب منك هذين البلدين يافا وعسقلان

السلطان ان عسكر العدو قد بلغ من عكا قاصدًا يافا فسار رحمه الله فنزل على العوجا ووصل من
اخبره ان العدو دخل قيسارية ولم يبق فيه طمع وبلغه ان الانكلتير بظاهر يافا في نفر يسير
فوقع له ان يكبسه فاتاه فوجد خيمه نحو عشر خيم فحملوا عليهم فثبتوا ولم يتحركوا من اماكنهم
وكشروا عن انياب الحرب وكانوا على الموت اصبر فارتاع المسلمون منهم وحموا من ثباتهم وداروا
حولهم حلقة وكانت عدة الخيالة سبعة عشر وقيل تسعة عشر والرجالة الف اربعمايه او اكثر فوجد السلطان
من ذلك وجدًا عظيمًا ودار على الاطلاب بنفسه يحثهم على الحملة ويعدهم بالحسنى على ذلك فلم
يجب دعاه احد سوى ولده الظاهر قال وبلغني انه قال له الحاجب اخو الحاجب لطف قل لغلمانك
الذين ضربوا الناس يوم فتح يافا واخذوا منهم الغنيمة يحملون وكان في قلوب العسكر من صلح السلطان
على يافا حيث فوتهم الغنيمة فلما راى السلطان ذلك اعرض عن القتال وغضب وسار الى يازور
قال ولقد بلغني ان الانكلتير اخذ رمحه ذلك اليوم وحمل من طرف الميمنة الى طرف الميسرة فلم يعترض
له احد قلت ووصل من الفاضل كتاب من دمشق يقول فيه كثر الارجاف بهلاك ملك الانكلتير
فان ذلك كذلك فجواب كل من قصر في يافا عن اخذ عن السلطان الا تنصروه فقد نصره الله وجواب
السلطان لهم عن ملك الانكلتير الا تمنعوه فقد قتله الله ولم يزل لطيفًا ولم يزل مولانا يحمل الثقل
ثقيلًا وخفيفًا ومن كان الله عليه لم يكن قويًا ومن كان الله معه لم يكن ضعيفًا قال القاضي
ثم سار السلطان الى النطرون ثم الى القدس فنظر العماير ودبرها ثم عاد الى النطرون وتوافت
اليه العساكر ووصل علاء الدين ابن صاحب الموصل ثم قدم عسكر مصر وفيهم سيف الدين يازكوج
وجماعة الاسدية في خدمة ولد الملك المؤيد مسعود ووصل المنصور ناصر الدين محمد بن تقي الدين
فلقيه الظاهر الى بيت نوبه ودخل به على السلطان فنهض واعتنقه وضمه الى صدره وغشيه البكا فصبر
نفسه حتى غلبه الامر فبكى الناس لبكايه ساعة ثم باسطه وسأله عن الطريق وكان معه عسكر جميل
ففرقوا عن السلطان ثم سار ونزل في مقدمة العسكر مما يلي الرملة ولما راى السلطان العساكر قد اجتمعت
جمع ارباب الراي فقال ان الانكلتير قد مرض مرضًا شديدًا والافرنسيسية قد ساروا راجعين ليعبروا
البحر من غير شك ونفقاتهم قد قلت وارى ان نسير الى يافا فان وجدنا فيها طمعًا والا عدنا الى
عسقلان مما يلحقها النجدة الا وقد بلغنا منها غرضًا فوافقوا على ذلك وارسل عز الدين جرديك
وجمال الدين فرج سادس شعبان حتى يكونوا قريبًا من يافا هذا ورسل الانكلتير لا تنقطع في طلب
الفاكهة والثلج واوقع الله عليه في مرضه شهوة الكمثرى والخوخ وكان السلطان يمده بذلك ويقصد

كشف

كشف الاخبار بتواتر الرسل والذي انكشف له انه فيها لمهابه فارس على قول المكثر وما يبلغ فارس على
قول المقلل وان الكندهري يردد بينه وبين الفرنسيسية في مقامهم وهم عازمون على عبور البحر
قولًا واحدًا فسار السلطان الى جهة الرملة وجاء رسول الانكلتير مع الحاجب ابي بكر يشكر السلطان
على اسعافه بالفاكهة والثلج وذكر ابو بكر انه انفرد به وقال له قل لاخي يعني الملك العادل يبصر
كيف يتوصل الى السلطان في معنى الصلح ويستوهب لي منه عسقلان وامضي ويبقى هو هاهنا مع هذه
الشرذمة اليسيرة وياخذ البلاد منهم فليس غرضي الا اقامة جاهي من الفرنجية وان لم ينزل السلطان عن
عسقلان فياخذ لي منه عوضًا عن خسارتي على عمارة سورها ثم ارسل السلطان الى العادل ان نزلوا عن
عسقلان فصالحهم فان العسكر قد ضجر من ملازمة البيكار والنفقات قد نفدت ثم ان الانكلتير نزل
عن عسقلان وعن العوض عنها واستوثق منه على ذلك فاحضر السلطان الديوان يوم السبت ثامن عشر
شعبان وذكر يافا وعملها واخرج الرملة منها ولد ويحدد ما ثم ذكر قيسارية واعمالها وارسوف
وعملها وحيفا وعملها وعكا وعملها واخرج منها الناصرة وصفورية واثبت الجميع ورقة
وقال للرسول هذه حدود البلاد التي تبقى في ايديكم فان صالحتم على ذلك فمبارك وقد اعطيتكم يدي
فينفذ الملك من يحلف من بكرة غد والا فنعلم ان هذا تدفيع ومماطلة وكان من القاعدة ان تكون
عسقلان خرابًا وان يتفق اصحابنا واصحابهم على خرابها واشترط دخول بلاد الاسماعيلية واشترطوا
هم دخول صاحب انطاكية وطرابلس في الصلح وشرط ان يكون لد والرملة للمسلمين وبينهم مناصفة
واستقرت القاعدة على انهم يحلفون يوم الاربعاء الثاني والعشرين من شعبان ورضي الاستبارية والداوية
وساير مقدمي الفرنجية بذلك ولم يحلف الانكلتير بل اخذوا يده وعاهدوه واعتذر بان الملوك
لا يحلفون وقنع من السلطان بمثل ذلك ثم حلف الجماعة وحلف الكندهري وابن اخيه المستحلف عنه في الساحل
وباليان بن بارزان وابن صاحب طبرية ووصل ابن الهنفري وابن بارزان وجماعة من مقدميهم الى السلطان
فاخذوا يده على الصلح واقترحوا حلف جماعة العادل والافضل والظاهر والمنصور وسيف الدين
المشطوب ودلدرم وابن المقدم وصاحب شيزر وكل مجاور لبلادهم وحلف صاحب انطاكية وطرابلس
وعلق اليمين بشرط حلفهم المسلمين قال ووصل رسول سيف الدين بكتمر صاحب خلاط يبذل الطاعة
والموافقة وتسيير العسكر وحضر رسول الكرك وذكر فصلًا في معنى الديارات التي لهم في القدس
وعمارتها وشكوا انها اخذت من ايديهم وسأل ردها الى ايدي نوابهم ورسول صاحب ارزن
الروم يبذل الطاعة والعبودية قال العماد وعقدت هدنة عامة في البر والبحر والسهل والوعر

وحمل لهم من يافا الى قيسارية الى عكا الى صور وادخلوا في الصلح طرابلس وانطاكية ووقعت المصالحة
ثلاث سنين وثلاثة اشهر اولها مستهل ايلول الموافق للحادي والعشرين من شعبان قال وكان
الفرنج قد ملؤوا يافا من الرجال والاسلحة والاقوات ليتقووا بها على فتح القدس ليكون لهم عونا
فطهر القدس بها من البيت المقدس قلت ومن الالفاظ الفاضلية وقد فعلت الاقدار في رياضة
عرائكم ما كان سببه هذه الحركات المباركة وكيف يسمع ملك الانكلتير بالغدر وهو لعنه الله قد بلي
بافتح الغدر ولحقته في اهل عكا لقد راجها واشتد فيها بحرمته وصحبة المسلمون والنصارى عهد
الفرنج معلوم • اذا غدرت حسنا اوفت بعهدها • ومن عهدها ان لا يدوم لها عهد •
القوم هادنوا لما ضعفوا ويفسخون اذا قووا ونحن ننتظر في ملك الانكلتير ما تقضي عنه المقادير
في امره اما الهلاك وشاباش لها فلقي الاحبة مركيس ودوك وملك الالمان ويونس في النار
عرينهم ويكثر عدتهم واما ان يعيا فهو بين امرين اما ان يرجع الى لعنة الله والى مروءة البحر
في تعريقه واما ان يقيم فهنالك قد ابدى الشر باحديه ونكص الملعون من الوفا على عقبيه وانتظر
الفرصة لينتهز والمعورة ليثب ومما قيل في هذه الهدنة ابيات من قصيدة نجم الدين
يوسف بن الحسين بن المجاور التي يهنئ فيها بفتح البيت المقدس يا صاح قل للانكتير الكلب دع عنك الجنون وخل مقالة مصحف
القدس ما فيه لسرحك مطمع كلا ولا نور الاله بمنطفي والمسجد الاقصى فعنه نفض من وقع الذبابيس الالهية تعرف
واستفت نفسك فهي احسن ناصح واترك متابعة اللجاج المتلف واعجب لربح بالدروس معمم واضرب
بسيف بالدماء مغلف
ولقد لما قيل صلح قد جرى هذا الشقي محرفة ومحرف سلف تولى السيف عقد شروطه احسن من سلم وملف
طنوه سلما وهو في ارواحهم سلم الى اجلهم فتخلف ٥
وذكر ابو الحسن الساعاتي الانكلتير هنا في شعره في قصيدة مدح بها السلطان رحمه الله يقول فيها
سعت خطبا المحابا سوده واشد ما اشكوه فكك طرابه فعلت بنا وهي الصديق بحالها كنظى صلاح الدين
... قبل الانكلتير زمان في حصاته ماشئت من انيابه لولاك لم الى البيت غير مدافع ولسال سيل بذاك في بطحائه
وبكت جفون القدس ما بندمها لتدم الناقوس في اقتابه
فصل فيما جرى بعد الهدنة قال القاضي امر السلطان ان ينادى في الوطاقات
والاسواق الا ان الصلح قد انتظم فمن شاء من بلادهم يدخل بلادنا فليفعل ومن شاء من بلادنا يدخل
بلادهم فليفعل واشاع رحمه الله ان طريق الحج قد فتح من الشام ووقع له عزم الحج في ذلك المجلس

وكن

وكنت حاضر ذلك جميعه وامر ان يسير مائة نقاب لتخريب سور عسقلان معهم امير كبير ولاخراج
الفرنج منها ويكون معهم جماعة من الفرنج الى حين وقوع الخراب في السور خشية من استبقا به
كامن ففعل ذلك وخربت وكان يوم الصلح يوما مشهودا غشي الناس من الطائفتين من الفرح
والسرور ما لا يعلمه الا الله تعالى والله العليم ان الصلح لم يكن من ايثاره فانه قال لي في بعض محاوراته
في الصلح اخاف ان اصالح وما ادري اي شي يكون مني فيقوى هذا العدو وقد بقي لهم هذه البلاد
فيخرجون لاستعادة بقية بلادهم وترى كل واحد من هؤلاء الجماعة قد قعد في راس تله يعني حصنه
وقال لا انزل ويهلك المسلمون فهذا كلامه وكان كما قال رحمه الله لكنه راى المصلحة في الصلح
لسآم العسكر وتظاهرهم بالمخالفة وكان مصلحة علم الله تعالى فانه اتفقت وفاته عقيب الصلح
ولو كان اتفق ذلك في اثناء الوقعات لكان الاسلام على خطر فما كان الصلح الا توفيقا
وسعادة من الله تعالى رحمة الله عليه ورحل الى النطرون واختلط العسكران وذهب جماعة
من المسلمين الى يافا في طلب التجارة ووصل خلق عظيم من العدو الى القدس للحج وفتح لهم السلطان
الباب في ذلك ونفذ معهم الخفرا يحفظونهم حتى يردوهم الى يافا وكان غرض السلطان بذلك
ان يقضوا وطرهم من الزيارة ويرجعون الى بلادهم فيامن المسلمون شرهم ولما علم ان لا ياذن
لاحد الا بعد حضور علامة من جانبه او كتابه وعلمت الفرنج ذلك فعظم عليهم واهتموا في الحج
فكان يرد في كل يوم منهم جموع كثيرة مقدمون واوساط وملوك متنكرون وشرع السلطان
في اكرام من يرد ومد الطعام لهم ومباسطتهم ومحادثتهم وعرفهم انكار الملك ذلك واذن
لهم السلطان في الحج وعرفهم انه لم يلتفت الى منع الملك من ذلك واعتذر الى الملك بان قوما قد
وصلوا من ذلك البعد وشرطهم زيارة هذا المكان الشريف لا يستحل منعهم ثم اشتد المرض بالملك
فوصل ليلة الاربعاء التاسع والعشرين من شعبان وقيل انه مات وسار هو والكندهري وسائر
المقدمين الى جانب عكا ولم يبق في يافا الا مريض او عاجز ونفر كثير ثم اعطى السلطان الناس
دستورا فسار عسكر اربل والموصل وسنجار والحصن واشاع رحمه الله امر الحج وقوي عزمه على
زيارة البيت المقدس قال القاضي وكان هذا مما وقع لي وبدأني بالاشارة به في يوم تمة الصلح ووقع
منه رحمه الله موقعا عظيما وامر الديوان ان كل من عزم على الحج من العسكر يسأله حتى يحصي عدة
من يدخل معنا الطريق وكتب جرائد بما يحتاج اليه في الطريق من الخلع والازواد وغير ذلك
وسيرها الى البلاد ليعدوها ورحل من النطرون رابع شهر رمضان وسار حتى اتى ماء صويلح

بينفذ اخاه العادل وكان مريضا بها فوجده قد سار الى القدس وكان قد انقطع عن اخيه مدة بسبب
المرض وكان قد دنا اول صفر وخرج السلطان الى مارصويل لعيادته فحمل على نفسه وسار حتى لقيه بذلك المكان
وهو اول وصوله ولم يتبين لبعد ونزل وقبل الارض وعاد وركب فاستدناه وساله عن مزاجه وسارا
جميعا حتى اتيا القدس بهيئة ذلك اليوم وقال العماد عاد السلطان بعد السلم الى القدس ليتفقد احواله
وعرض رجاله واشتغل بتشييد اسواره وتحصينها وتجديد اثاره وتحشيتها وتعميق خنادقها وتوسيع طرقاتها
وزاد في وقف المدرسة سوقا بدكاكينها وارضا ببساتينها وكذلك رتب احوال الصوفية في رباطها
والوقف الكافل بكفايتها وعين الكنيسة التي في شارع قمامة للبيمارستان ونقل اليه العقاقير
والادوية من جميع الانواع والالوان واد اسوار القدس على قبة صهيون واضافها الى المدينة وامر بان
الخندق على الجميع وصمم العزم على الحج فلم يوافقه القدر وتاسف على فواته بعد ان قدم مقدماته واقام
شهر رمضان وافاض الاحسان وفوض ولاية القدس واعمالها الى عز الدين جرديك حين استعفى
منها حسام الدين سياروخ وولى مملوكه علم الدين قيصر ما دون القدس كعمل الخليل وغيره والداروم
وعسقلان قلت لما بلغ القاضي الفاضل من قبل السلطان انه عازم على الحج كتب اليه مشيرا بتبطيله
ان الفرنج لم يخرجوا بعد من الشام ولا سلوا عن القدس ولا يوثق بعهدهم في الصلح فلا يؤمن مع بقاء
الفرنج على حالهم وافتراق عسكرنا وسفر سلطاننا سفرا متعذرا معاودته مدة الغيبة فيه ان يسيروا
ليلة فيصبحوا القدس في غفلة فيدخلوا اليه والعياذ بالله ويخرج من يد الاسلام ويصير الحج كبيرة من
الكبائر التي لا تغتفر ومن العثرات التي لا تقال ثم قال وحاج العراق وخراسان ليس هم ما بين الف
او بلغ مائة الف او اكثر هل يؤمن ان يقال سار السلطان لطلب ثار وسفك دم وتشويش موسم
فاقعدوا وافتكوا تاريخ سوء اعوذ بالله منه ما هذه الساعة ممتنعة الوقوع ولا مستبعدة من العقول
السخيفة فيعم المولى شامل ما انهاه المملوك مستورا فانه نسال مولانا ان لا يشارك احدا فيما
يكتبه لا من يهم ولا غير يهم يا مولانا مظالم الخلق كشفها اهم من كل ما يتقرب به الى الله وما هي بواحدة
في اعمال دمشق من المظالم من الفلاحين ما يستغرب بعده وقوع القطر ومن تسلط المقطعين على المنقطعين
ما لا ينادي وليده وفي وادي بردى والزبداني من الفتنة القائمة والسيف الذي يقطر دما ما لا زاجر
عنه وللمثل ان يقول بعد التحصين والذخيرة ومن المهمات اقامة وجوه الدخل وتقدير الخرج بحسبها
فان المستحيل نفقة من غير حاصل وفرع من غير اصل وهذا امر قد تقدم فيه حديث كثير وعرضت
للمولى شواغل دونه ومشت الاحوال مشيا على ظلع فلما خلت النوب اعاذ الله من عودها كان خلوة بيت

الدار

المال شديدا في الشدة وليس الملوك بطالبا بذخيرة يحصل انما تطلب مشيه من حيث تستقر قلت ولم
يزل البيت المقدس شرفه الله تعالى محوطا بالعمارة والتحصين من عهد السلطان رحمه الله الى سنة ست
عشرة وستمائة فانه خرب في المحرم منها بسبب خروج الفرنج لعنهم الله واشتهارهم في البلاد فخيف
من استيلائهم عليه وفي السنة التي قبلها توفي الملك العادل ابو بكر بن ايوب اخو السلطان وتشتت الناس
بعد خرابه ورغبوا عن السكنى به ورثاه الرئيس الفاضل شهاب الدين ابو يوسف يعقوب بن محمد المجاور بقصيدة منها
اعيني لا ترقى من العبرات صلي بالبكا الاصال بالبكرات لعل سيول الدمع يطفي فيضها توقد ما في القلب من جمرات
ويا قلب اسعر نار وجدك كلما حننت بادكار سائغ الحسرات ويا فم عج بالنوح علك لعله يروح ما القى من الكربات
على المسجد الاقصى الذي حل قدره على موطن الاحباب والصلوات على منزل الاملاك والوحي والهدى على مشهد الابدال والبركات
على سلم المعراج والصخرة التي انافت بما في الارض من صخرات على القبلة الاولى التي اتجهت لنا صلوة البرايا في اختلاف جهات
على خير معمور واكرم عامر واشرف مبني غير بناه وما زال فيه للمتين معبد تؤول في ارجائه السجدات
على المسجد الاقصى المبارك حوله الرفيع العماد العالي الشرفات عفا بعد ما كان للخير موسما وللبر والاحسان والقربات
توالى اليه كل اسعد فانت تولاه بدائم الخلوات خلا من صلوة لا يمل مقيمها توشح بالآيات والسورات
خلا من حنين التائبين وخزيهم ممن يزولج ومن بكاة لتبك على القدس البلاد بأسرها وتعلن بالاحزان والكربات
لتبك عليها مكة فهي اختها وتشكو الذي لاقت الى عرفات لتبكي على ما حل بالقدس طيبة وتشرحه في اكرم الحجرات
لقد اسمنوا عكا وصور بهدمها وبابطال ما عادتهما شيمات لقد سمعوا عنها جماعة اهلها فكل اجتماع يؤذن بشتات العرصات
وقد اخمدوا اصوتنا وصنتا اماره لهم عظماء والوان الغزوات وقد هدموا اجل الصلاح بهدمها وقد كان نجدا بارح
اما علمت ابنا ايوب انهم بمسعاته عدوا ابن الثروات وان افتتاح القدس زهرة ملكهم ومالذ ايام من الزهرات
لمن ابتواح ينوح على الذي تجاذب باصوات لهن شجيات يرددن بيت الخزاعي قاله يؤبن فيه خيرة الخيرات
مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات قلت هذا البيت الاخير لدعبل
ابن علي الخزاعي في اول قصيدة يرثي بها اهل بيت النبي صلوات الله عليه وسلامه وهذه السنة التي توفي
فيها العادل قبل التي خرب فيها القدس هي السنة التي نزل فيها الفرنج خذلهم الله على ثغر دمياط وهي المرة
الاولى في زماننا واقاموا عليه الى ان استولوا عليه بعد ان جرى لهم نحو ما جرى لهم على عكا ثم اخذه
المسلمون منهم وقتلوا واسروا ثم ان الفرنج استولوا عليه صلحا في سنة خمس وعشرين وستمائة وشرعوا
في بناء طائفة منه ثم اخرجوا منه عنوة مرتين اخرجهم في احدى المرتين منه الملك الناصر صلاح الدين
داود بن المعظم شرف الدين عيسى بن العادل ابي بكر بن ايوب وقال فيه حينئذ بعض شعراء العصر

المسجد الاقصى له عادة سارت فصارت مثلاً سائرا ۞ اذا غدا للكفر مستوطنًا ان يبعث الله له ناصرا
۞ فناصر طهره اولاً وناصر طهره آخرا ۞

ثم استولى الفرنج ايضًا على طبرية وعسقلان ثم اخذنا منهم عنوة في شهور سنة خمس واربعين وستمائة
في دولة الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الملك الكامل ناصر الدين محمد بن العادل سيف الدين ابي بكر بن ايوب
وقد استولوا ايضًا على الشقيف وصفد سهل الله عودهما الى اهل الاسلام وتوتيد الدين الحنيفي على مر الايام

فصل في مسير السلطان رحمه الله من القدس الى دمشق قال العماد ولما استتم السلطان
النظر في احوال القدس وعمارته وفوض القضاء والنظر في الوقوف الى القاضي بهاء الدين يوسف بن رافع
ابن تميم وعول منه على امين كريم اثر ان يعود الى دمشق على الثغور عابرًا وفي احوالها ناظرًا وكان عزمه على الحج
وصمم وكتب الى مصر واليمن بما عليه عزم وامر ان يحمل له في المراكب كل ما يحتاج اليه من الازواد والنفقات
والثياب والكسوات فقيل له لو كتبت الى امير المؤمنين واعلمته بحجك وعرفته نيتك حتى لا يظن
بك امرًا انت منه بري ونعلم ان قصدك في المضي مضي والوقت قد ضاع وبلغ الخبر الآفاق ثم هذه
البلاد اذا شاغرت تركتها على ما بها من الشعث وهذه المعاقل التي في الثغور حفظها من اهم الامور
ولا نعتبر بعقد الهدنة فان القوم على ترقب للمكنة والغدر دابهم فما زالت به الجماعة حتى حلوا عقد عزمه
على الحج فشرع في ترتيب ما يتعلق بالقدس في ولايته وعمارته ثم خرج من القدس يوم الخميس خامس شوال
وجاوز ناحية البيرة وبات على بركة الداوية ونزل يوم الجمعة بظاهر نابلس واقام بها الى الظهر يوم
السبت حتى كشف مظالم ووظف مكارم وكان بها سيف الدين المشطوب وشكا اهلها نوايب من جهته
شوب فازال الشكوى وازاح البلوى وظهر بعد ظهر السبت وبات عند عقبة ظهر حمار بموضع
يعرف بالفريديسه وتعلنا في مروجها الاينقه واصبحنا راحلين ونزلنا ضحوة على جينين وهناك
ودعنا السلطان المشطوب وداع الابد فانه استقل بعد ايام الى رحمة الواحد الصمد وجئنا ضحوة
الاثنين الى بيسان وصعد الى قلعتها المهجورة الخالية فاعجب بقللها العالية وقال بالصواب ببناء هذه
وتخريب كوكب ثم رحل ظهرًا وبات بقلعة كوكب وصعد بطرد ايه فيها وصوب ورحل ضحوة الثلاثاء
ونزل بطبرية وقت العشاء وهناك لقينا بهاء الدين قراقوش وقد خرج من الاسر فتلقيناه بالبشر
والبر ووصل مع السلطان الى دمشق وقام الى ان خلص اصحابه من الاسر وتوجه الى مصر وقد ضاق
نفسه سداد ماله واخرج ثروته ودخل في اقلاله قال وتوالت تلك الليلة الامطار
وواصلها النهار فاقمنا يوم الاربعاء وسكرنا بكرة الخميس ونزلنا بسفح الجبل الذي عليه قلعة صفد وصعد

اليها

اليها وكمل فيها الرجال والعدد ثم سار يوم الجمعة على طريق جبل عاملة الى قلعة تبنين وجاز يوم
الاحد على هونين وخيمنا على عين الذهب عند نزولنا من الجبل واجتمعنا تلك الليلة بالنقل ثم شربنا
في مرج عيون والى جسر كامد منزله وطرقنا بين عمل صيدا ووادي التيم وطلعنا من تلك الاودية
والشعاب طلوع الانوار من الغيم قال في الفتح على صيدا ايسره وعمل وادي التيم يمينه
وعرسنا على مرج بلعنا ثم عابل مرج القنعبه وذهبنا الى سلوك المسالك الصعبه ورحلنا
يوم الثلاثاء الى البقاع مخيمًا على جسر كامد ويوم الاربعاء بناحية قب الياس ودخل يوم الخميس بيروت
وبها واليها عز الدين شامه فاهتم له بالكرامة ولما اراد عن بيروت الانفصال في الحادي والعشرين
من شوال وصل الى ان البرنس الانطاكي بسيد مع عصابة من الوفد قد وصل في الخدمة مستمسكًا بحبل العصمة
في عنايه فنزل واقام وما ارتحل واذن للبرنس في الدخول وشرفه في حضرته بالمثول وقربه وانسه
ورفع مجلسه وكان معه من مقدمي فرسانه اربعة عشر بارونًا فوهب كلاً منهم تشريفًا سريًا واجزل له ولهم
العطا واسدى بهم الاعتنا وكتب له من ضياع انطاكية بمعشره مبلغ عشرين الف دينار وخص اصحابه
بما زاد محبة استئناسه اليه ودخوله بغير امان عليه فلا جرم تلقاه بالاحسان ووافقه وودعه
يوم الاحد وفارقه وكانت الاثقال قد استقلت من قب الياس الى مرج فلمطيه من البقاع فبات
المخيم وعبر يوم الاثنين عين الجر الى مرج سوس وقد زال البوس وهناك توافد اعيان دمشق واماثلها
وافاضلها وفواضلها ونزلنا يوم الثلاثاء بالعراده وجرى الملهون بالطرف والتحف على العاده
واصبحنا يوم الاربعاء الى جنة دمشق داخلين بسلام آمنين لولا انا غير خالين وكانت غيبة السلطان
عنها طالت اربع سنين فاخرجت دمشق اثقالها وابرزت نساها ورجالها وكان يوم الزينة وخرج
كل من في المدينه وحشر الناس ضحى واشاعوا استبشارًا وفرحًا وكانت غيبة السلطان في الجهاد
طالت فاهتزت بعوده واختالت وقرت بعصا بلد الاعين واقرت بفواضله الالسن وابدوا
وجوه الاستبشار والسن الاستغفار واعين الاستعبار ورفعوا ايدي الابتهال بصالح الدعاء
عن خالص الولا وجاء ربيع الفضل في فصل الخريف واتصل تليد الجد بالطريف واتسع فضاء الفضل يل
وارتدع جاه الجاهل وحل في القلعة حلول الشمس في برجها واخذت تجار سماحته في موجها وجلس
في دار العدل فاجاب واجاز واناب واثاب وخرجت السنه والسلطان في اثنى سيادته وابهى جلاله
واجلى مهابه والناس راتعون في رياض نعمايه ورسل الممالك الغربية والشرقية يخطبونه ويطلبونه
وينتظرون عزمه ويرقبونه وهو بعد ما بلغ بانحسار الشتاء وانكشافه وابتسام ثغر الربيع وافتراره

وأقام على هذا العزم الى آخر السنة والسلطان مستقل بالصيد والقنص متنزه في العمر للعرض وقرب
العلما واكرم الفضلا ووصل الكرما وما كان احسن في الحق اصغاوه واسرع للباطل الغاوه وقال
القاضي ابو المحاسن اقام السلطان بالقدس يقطع الناس ويعطيهم دستورًا وتاهب للمسير الى الديار المصريه
وانقطع تشوقه الى الحج ولم يزل كذلك حتى صح عنده اقلاع مركب الانكلتير المخذول متوجهًا الى بلاده
في مستهل شوال فعند ذلك حرك السلطان عزمه على ان يدخل الساحل جريدة ويتفقد القلاع البحريه الى
بانياس ويدخل دمشق ويقيم بها اياما قلايل ويعود الى القدس الشريف سائرًا الى الديار المصريه
لتفقد احوالها وتقرير قواعدها والنظر في مصالحها قال وامرني بالمقام بالقدس الى حين
عوده لعماره بيمارستان انشاه فيه واداة المدرسه التي انشاها فيه الى حين عوده وخرج من القدس
وودعته الى البيره ونزل بها ثم ذكر ازالته للمظالم عن بلد نابلس ثم رحل ونزل بسبسطيه يتفقد احوالها
ثم اتى في طريقه الى كوكب في عاشر شوال وافتك بها الدين قراقوش من الاسر حادي عشر شوال
ووصل بالخدمه السلطانيه ففرح به فرحًا شديدًا وكان له حقوق كثيرة على السلطان والاسلام
واستاذن السلطان رحمه الله في المسير الى دمشق لتحصيل القطيعه فاذن له في ذلك وكانت القطيعه
على ما بلغني ثمانين الفا قال ولما وصل السلطان الى بيروت وصل الى الخدمه البرنس صاحب
انطاكيه مسترفدًا فبالغ في اكرامه واحترامه ومباسطته وانعم عليه بالعمق وادعان ومزارع تعمل
خمسه عشر الف دينار ثم سار السلطان الى دمشق بعد الفراغ من تصفح احوال القلاع الساحليه باسرها
والتقدم بسد خللها واصلاح اجنادها واشحانها بالرجال فدخل دمشق بكرة الاربعا سادس عشري
شوال وفيها اولاده الافضل والظاهر والظافر واولاده الصغار وكان يحب البلد ويوثر فيه
الاقامه على ساير البلاد وجلس للناس في بكرة الخميس وحضر عنده الناس وبلو شوقهم من رويته وانشد
الشعرا وعم ذلك المجلس الخاص والعام واقام ينشر جناح عدله ويهطل سحاب انعامه وفضله ويكشف
مظالم الرعايا في الاوقات المعتاده واتخذ الافضل يوم الاثنين ذي القعده دعوه لاخيه الظاهر وكان
الظاهر لما وصل دمشق بلغه حركة السلطان اليها فاقام بها فوقع له في تلك الدفعه مرارًا متعدده
وهو يعود اليه ولما اتخذ الافضل له الدعوه اظهر فيها من بديع التجمل وغريبه ما يليق بهمته وكانه اراد
مجازاته عما خدمه به حين وصل الى حلب المحروسه وحضرها ارباب الدنيا وابنا الآخره وسال السلطان
رحمه الله الحضور فحضر جبرًا لقلبه قال وكان العادل قد استاذن السلطان في اواخر رمضان
في القدس بالمضي الى الكرك ليتفقدها فمضى وامر باصلاح ما قصد اصلاحه وعاد طالبًا المضي الى البلاد

التي

التي اعطاه السلطان اياها فوصل دمشق سابع عشر ذي القعده وخرج السلطان الى لقايه واقام
يتصيد حول غباغب الى الكسوه حتى لقيه وسارا جميعًا يتصيدان وكان دخولهما الى دمشق في
الحادي والعشرين منه واقام السلطان بدمشق يتصيد هو واخوه واولاده ويتفرجون في اراضي
دمشق ومواطن الصبي وكانه وجد به راحه مما كان فيه من ملازمة التعب والنصب وسهر الليل ونصب
النهار وما كان ذلك الا كالوداع لاولاده ومرابع نزهه وهو لا يشعر رحمه الله عليه ونسي عزمه
المصري وعرض له امور اخر وعوهات عن ذلك ووصلني كتابه الى القدس يستدعيني الى الخدمه وكان
شتاء شديدًا ووحلا عظيمًا قلت وفي عيد الاضحى من هذه السنه انشده الرشيد النابلسي قصيده حسنه
على وزن قصيدة التهامي حاذك البدر حين اصبحت بدرا يقول فيها يعني قصيدته
وانها لولا تعزل عينها لما قلت في التغزل شعرا ، ولكان مدايح الملك الناصر اولى فيه اعمل فكرا
ملك طبق الممالك عدلا مثل ما اوسع البريه برا ، ثم قال في اخرها ،
ملك ما اسبغ من الدين والدنيا فيها على الملوك وفخرا فهنى الاعياد صومًا وفطرًا وتلقى الهنا عشرا ونحرا
يا من الطاعات لله ان اضحى مليك على الهيا مصرًا قد جمعت المجدين اصلا وفرعا وملكت الدارين دنيا واخرى ي
فصل في ذكر امور اخر جرت في هذه السنه من وفيات وغيرها قال العماد في شهر ربيع
الآخر توفي القاضي شمس الدين محمد بن محمد بن موسى المعروف بابن الفراش من اهل دمشق قاضي العسكر وكانت وفاته
بملطيه وهو عايد من الرساله الى اولاد قليج ارسلان بالروم وكان هذا القاضي من اصدق الاصدقاء واكرم
الكرماء وما فارقني من ايام الملك العادل نور الدين رحمه الله في السراء والضراء وكنت باحواله شديد الاعتنا
وتوصلت له عند السلطان في تخصيصه بالمواصله الموصليه والمراسله في المهام الخفيه والجليه ثم تولى نيابه
عن السلطان في الولايه الشهروريه والحكم على المقطعين بها وانضاف الرعيه فلما فوضت الى مظفر الدين صاحب
اربل وجمع شمس الدين ودامت غيبته عن الحضره مده سبع سنين وكان تولى قضاء العسكر بوضعه بها الدين
ابن شداد وكان خطب اولاد السلطان قليج ارسلان مهمًا عند السلطان فاعتمد على القاضي شمس الدين في الوصول ب
اليهم والحكم بها لمعاذات بينهم عليهم فمضى وعاد وادركته المنيه بمدينه ملطيه قال وفي اليوم السادس
والعشرين من شوال توفي الامير سيف الدين علي بن احمد الهكاري المعروف بالمشطوب بنابلس وقد سبق ذكر
هذا الامير وباسه وبسالته واصالته واصابته واقدامه في الحروب وتقدمه في الخطوب وقد حضر
مع اسد الدين شيركوه النوب الثلاث التي فتح في آخرها مصر ولازم صلاح الدين الى منتهى العمر ولما
احتيج الى البذل في عكا لما حصر من اقام بها وتشكا احابل لدخوله وقابل الامر بقبوله وحصل قضاء الله في الاسر واحتو ت

عليه قبضة الكفر وفدى نفسه بخمسين الف دينار ونجا واتاه الله من نعمة خلاصه ما رجا وانعم
السلطان عليه بنابلس واعمالها وحصل من اموالها وحسن جرايه ودعا عند حين وداع الابد
في الجنة عليين وانما سمي مشطوبا بالشطبة في وجهه من اثر طعنة في غزاة حضرها وله مواقف في
الجهاد كثيرة موفورة ومقامات مشهودة مشهورة ووقف السلطان بعده ثلث نابلس واعمالها على مصالح
القدس واقطع ولده والامير معه الثلثين محافظة على حقه الذي الزمه التزام الدين وقال القاضي بن
شداد وكان السلطان خلف المشطوب بالقدس من جملة العسكر المقيمين به والمركزين واليه انما كان واليه
عز الدين جرديك وتوفي المشطوب رحمه الله بالقدس يوم الاحد الثالث والعشرين من شوال ودفن في داره
بعد ان صلي عليه في المسجد الاقصى قال العماد وفي منتصف المحرم توفي سلطان بلاد الروم عز الدين
قليج ارسلان بن مسعود بن قليج ارسلان بقونية وكان اولاده لما كبروا وتجبروا وتفرد كل منهم باقليم
فضعف بقوتهم وعجز بقدرتهم وانخفض برفعتهم وانه فرق بلاده على جماعتهم طمعا في طاعتهم واخلد
لتدبير ملكه اختيار الدين حسن بن غفراس فخالفه عليه من اولاده قطب الدين ملكشاه صاحب
سيواس فجاء وغلب على والده واخذ عليه الانفاس وقال له انا بين يديك عوض الاختيار ثم اخلا منه
الديار ثم ابعد عن خدمته والده خواصه واولياءه وافنى بالقتل والاغتيال امراءه وكبراءه
واستخلصه لنفسه واجلسه على ملكه وهو في حبسه ثم جاء به الى قيصرية لياخذها من اخيه
واظهر انه بامر ابيه فوجد قليج ارسلان فرصة في خلاصه فساق وجاء ودخل البلد ونجا من الولد
فعاد ملكشاه الى قونية واقصرا داري ملك ابيه فتملكهما ولم يزل قليج ارسلان يتحول من ولد الى ولد
ومن بلد الى بلد يتردد في بلاده في ضيافة اولاده وكلهم يضجر منه ويعرض عنه حتى حصل عند ولده
غياث الدين كيخسرو صاحب برغلو فلما حضره وابصره اواه ونصره وجاء به الى قونية فدخلها وخلع عطلها
ومات بها فحل مكان والده وقوي على اخيه قال وجاء الربيع في شهر ربيع الاول فكتب الي
نشو الدولة احمد بن نفادة ابياتا يدعوني الى دمشق في خامس جمادى الاولى وقد دخل اوان المشمش
وهو موسم دمشق المشهور اولها دعا الناس للذات شمس جلق … فقد اسرعوا من كل غرب ومشرق
فقد يا عماد الدين حظا بكله … ولا تبن عنه عزمة السبق تسبق وقل حين يبدو والاصفر اللون مشرقا … ويا حسنه من اصفر اللون مشرق
لا ادرك ما يلفى العواد والتقى … والملوز لم يتوج وما بقي فليس سوى الحلوا في العذر ماكل … وما جلبوه من زبيب وفستق
قال فعرضت اياتها على السلطان وقال اما قلت في جوابه فانشدته
هلموا انا من نحو شمس جلق … ونصف شوقا لاستطار قدومنا ومن يتعشق ذا الفضائل يشتق

اذا احمرت اطباقه غاب رشدنا … لما لاقى من شوق وشيق على حران بالاصايد تعلقت … فيا عجبا من حمرة المتعلق
كان نجوم الارض فوق غصونه … فيا حيرتي من نجمه المتالق وحباتها محمرة وحباتها … فريد باشلي عجب وبعشق
بدت بين اوراق الغصون كانها … كرات نضار في لجين مطرق
قال فلما انشدت السلطان هذا البيت قال تشبيه الورق باللجين غير موافق فان الورق اخضر فقلت
كرات نضار بالزمرد محدق
تساقطها اشجارها وكانها … دنانير في ايدي الصيارف ترتقي ومشمش بستان الركي شهدت … شهادة تقضي من ل وصد ق
تقول من يبقى في دمشق بحجبا … اما لك بستان مقاله مشفق فقلت الى باب البريد وشوقه … اتانا الناجي بسابس جلق
ولو كان لي بالسهم سهم وجدت لي … سالي بايام الماد مروقي اذا كنت مساعا من الشوق مثبتي … فمالي الا الى المشوق ق
ومالي بارباب السباسب خلطة … فمصبح في حيطانها متسلق كرام وتوني في الشتاء بودهم … وكهم في الصيف نيسون موتقي
ودام من عدي ونفري ويقتني … بتاتي سوى المجي الكريم الموفق وذلك يوم واحد ليس عبره … اتن اجل يوم واحد لكنا سق
على انني لو قيل بالصبر دعوة … ارى انها لوعة المتحرق فان جئت فلتي خلقا فادم منعما … حديثي بنادي المعمر وحلق
لعل كريما يشتهي نضبا في مشمشة … عند القدوم وسبقي فلا شيء يسلو الذي نسوه خاطري … وقل عن صبوحي كيف شئت ودنق
وهات وساعدني وخذ من قرنجي … لطيبة داري من اجمل واعبقي
قال فقال لي السلطان عن صبوح ترقق كانك تريد تمضي الى دمشق فقلت لا الاهل والولد وقد عيل
عنهم الجلد ولكني معي عن الخدمة لا تدور به الخلد وملكك وهو السكر والبلد قال وكتب
ايضا في جوابه وصفة المشمش وذكر تشبيهاته وقد اذن لي السلطان بمهم له ايضا اتفق
قد صح عزمي على المشمش فلا … ابغي مقامي والقلب قد رحلا
امضي الى دمية مقبلها … ارشف منه المدام والعسلا
مصور تمل مدور عجب … يري به وهو جامد شعلا
ففي قلوب الاشجار منه جوى … وفي ظهور الغصون منه كلا
طلوا آبا النضار ظاهره … لباطن في حشاه ما دطلا
يخفى اذا ما بدا لعينك في … وشك وشه النوى اذا وصلا
حلى تبر على عرايس اغصان … تشكت من ثقلها عطلا
م حسان الوجوه قد لبست … من خضر اوراقها حللا
عرايس من جدر ما بوذن … بحسب اشجارها لها كللا
حلاوة لا يمل آكلها … اذا الحلاوات احدثت مللا
زهر كشهب السما راحه … بحر خناه نفطفه كفلا
عيونها الرمد في ترقبها … حافظة ابرزت له مقلا
ما ذا التواني وذا التاخر والابطا … وذم مشير باعجلا
بعد وحقا فالى مواسمها … من قبل بلى تحصد النقلا
قد اسطرنا بن الجرانة ما … نعطي فاكري نواتها النخلا
فان عدمنا من عندهم ذهبا … فاعذنا عنه به بدلا
وكلنا في عوارف الملك الناصر … رعي ونسلك السبلا

قال وقلت فيه رباعية

المشمس لحظاتنا مصفر والروض الى لقائنا مفتر ثم بعتنم الوقت فهذا العمر لا لبث له فمن به يغتر

قال وفي هذه السنة نصرت الاساطيل في البحر مرارا ونفذ السلطان في استدعائها استنطها دا

قال محمد بن القادسي وفي مستهل رجب وكل بامير الحاج طاشتكين يعني الذي قتل امير الحاج الشيخ شمس الدين المقدم بعرفات سنة ثلاث وثمانين ثم قبض عليه وسببه انه اتهم بمكاتبة السلطان صلاح الدين رحمه الله فيما يتعلق بقلب الدولة واظهر عليه استادالدار ابو المظفر يونس كتابا قيل انه خطه وفيه المصلحة بها دنه القريح والمجي الى البلاد مما يقف بين ايديكم والبلاد لكم اذا ملكتم العراق وهذا وقتكم ان كان لكم نية وانا مشدود الوسط في الخدمة ثم ذكر القادسي ان ذلك مستبعد في حق طاشتكين ورور وبهتان وسبب ذلك اشتغال ابن يونس عليه وكان طاشتكين امير الحاج عشرين سنة يخطب له بمكة بعد الخطبة لامير المومنين وله اقطاع مائة الف دينار قال وفيها في ربيع الاول توفي ابو المرهف نصر بن منصور النميري الشاعر الاديب الزاهد سمع قاضي البيمارستان وروى عن ابن نبهان وكان قد ربي بالشام وخالط اهل الادب واصر بالجدري وله اربع عشرة سنة وكان يبصر الاشيا القريبة ولا يحتاج الى قايد اذا مشى ثم قدم العراق لمداواة عينه فايسه الاطبا من ذلك فاشتغل بالقران وحفظه وصاحب المتدينين والزهاد من اهل الفقه والحديث والفقر وله ديوان شعر كبير وسيل عن مذهبه فاملى

احب عليا والبتول وولدها ولا اجحد الشيخين فضل التقدم

وابرا ممن نال عثمان بالاذى كما اتبرى من ولاة ابن ملجم ويعجبني اهل الحديث لصدقهم فلست الى قوم سواهم انتمي

ولى ايضا في غير ذلك

وزهدني في جميع الانام قلة انصاف من يصحب هم الناس ما لم تجربهم وطلس الذئاب اذا جربوا

وليتك تسلم عند البعاد منهم فكيف اذا تقرب قال ودفن بمقابر الشهداء بباب حرب

ثم دخلت سنة تسع وثمانين قال العماد والسلطان مقيم بدمشق في داره ومماليك الافاق في انتظاره والايام مشرقة بمطالع انواره ورسل الامصار مجتمعون على بابه منتظرون لجوابه والصوفية في فوض انعامه نامون والفقرا في رياض صدقته راتعون ويجلس في كل يوم وليلة لاستماء الجود وابناء السعود وبث المكارم وكشف المظالم وبرز الى الصيد شرقي دمشق نزاد خمسة عشر يوما واستصحب معه اخاه العادل واتعد في البرية وطهر عن ضميره في الجهة المشرقة وطابت لهما الفرص ووافق مراده القنص وعاد يوم الاثنين حادي عشر صفر ووافق ذلك عود الحاج الشامي فخرج للتلقي

وسفادانه

الاستطاعة واذا كان المولى في اسباب الجهاد وتنظيف الطرق الى المراد فهو في طاعة قد امتن الله عليه بطول امدها وهو منه على امل في ربح موعدها والثواب على قدر مشقته وانما عظم الاجر لاجل جهده وبعد شقته ولو ان المولى فتح الفتوح العظام في اقل الايام وفصل القضية بين اهل الاسلام واعداء الاسلام لكانت تكاليف الجهاد قد قضيت وصحايف البر المكتسب بالمرابطة والانتظار طويت ومنها في ذكر اولاد السلطان وقبل الاجابة عن الفصول فيبشر بما جرت العادة به لا قطع الله تلك العادة من سلامة وصحة وعافية شملت موالينا اولاد السادة اطاب الله الخبر اليهم عن المولى والى المولى عنهم وعجل لقاءه لهم ولقاءهم له فانهم من يلقى منهم كل منهم دسته برجه وفارس مهده سرجه فهم بحمد الله بهجة الدنيا وزينتها وريحان الحيوة وزهرتها وان فوادا وسع فراقهم لواسع وان قلبا قنع باخبارهم لقانع وان طرفا نام عن البعد عنهم لهاجع وان لكالمك تصبره عنهم لجازع وان نعمة الله فيهم لنعمة بها العيش ناعم اما اشتاق حبيد المولى ان يتطوق بدررهم اما تظما عينه ان يتروى بنظرهم اما يحن قلبه على قلبه اما يتعظ هذا الطير الطاير بتقبيلهم ما خرج منه من حبته وللمولى ابقاه الله ان يقول وما مثل هذا الشوق يحمل مضغة

ولكن قلبي في الهوى يتقلب وفي اخرى والملوك الاولاد في حالة العافيه لا دفعت عنهم حالتها وعليهم جلالة السلطنة لا ما دفتهم جلالتها وكل من الموالي السادة الامرا الاولاد والقلادة كلها جوهر وكلهم المقدم وليس فيهم بحمد الله من يوخر على ما عود الله من صحة وسلامة وكفاية ووقاية ولزوم المشتغل منهم لمشهد الكتاب ولموقف الامراج وحايل الحقر فمنهم من يخبث الصبي انور دلالة من ضوء السراج والله تعالى يمتع في عمر المولى الى ان يرى من ظهور ذريتهم ما راى جدهم رحمه الله في اهل بيته من البطن الرابع فوارس الحرب الرابعه وملوك الاسلام التي منهم اكابره وسابعه وما فيهم عند العلا صغير وصغار ابناء الكبار كبار نجوم الارض وذرية بعضها من بعض والخلف الصالح المحض وهم في الدنيا والاخرة فرسان القوة والتقى يوم الحرب ويوم العرض ومنها في دم ماء دمشق ووجها عرف المملوك من الكتب الواصلة السابحة المولى الامير عثمان والحقير بما نال ذلك الجسم الكريم توقد في قلوب الاوليا الاثر العظيم وقليل قذاة العين غير قليل وماذا يقول في بلد لو صحت الحمية من مائه لكان من اكبر اسباب صحة المحمي فانه ماء يوكل في تعبية المياه نشرب

وبحدو خامسه من ينصف ولا يتعصب ومنها وأما المأثور به في محو المنكرات الظاهره
وازالة اسبابها واغلاق ابوابها وتحصين كل مستوثه من عصمه وتطهير كل موسومة بوصمه
فالله يثبت المولا ثواب من غضب لمرضيه بغضبه وحمل الخلق على منهاج شرعه وادبه ثم اورد
العماد فصولا كثيره وقال انما اوردت الفصول بفاصليه لان في كل فصل منها ذكر سيرة وفيها
فوايد كثيره فصل قال العماد ومن جملة ما اغفلته ذكر ما اسقطه السلطان من مكوس
مكه شرفها الله تعالى عن الحاج وتعويض اميرها اجلاب غلة تحمل اليه في كل سنة وتعيين ضياع موقوفه
عليها بالاعمال المصريه كان الرسم بمكه ان يوخذ من حاج المغرب على عدد الروس ما ينسب الى الضرايب
والمكوس فاذا دخل حاج حبس حتى يودي مكسه ويعك ما يطلبونه منه نفسه واذا كان فقيرا لا يملك
فهو يحبس ولا يترك ويفوت الوقفه بعرفه ولاجل ذلك فقال السلطان نريد ان نعوض امير مكه
عن هذا المكس بمال ونغنيه عنه بنوال وان اعطيناه ضياعا استوعبها ارتفاقا وانتفاعا
فلا يكون لاهل مكه فيها نصيب فقرر معه ان يحمل اليه في كل سنه مبلغ ثمانيه الاف اردب قمح
الى ساحل جده فان الامير بها يحتاج الى بيعها للانتفاع باثمانها ويبقى اهل الحرمين من الدولة
بدوام احسانها وقرر ايضا حمل الغلات الى المجاورين بالحرمين والفقرا ومن هناك من الشرفا
ووقف لها وقوفا وخلد بها الى قيام الساعة معروفا فسقطت المكوس واغتبطت النفوس
وزاد البشر وزال العبوس واستمرت النعمى ومر البوس وذلك في سنة اثنين وسبعين ومن كلام
الفاضل في ذلك في بعض كتبه ومن البشاير التي لا عهد لحاج ديار مصر بمثلها ولا عهد لملك من
ملوك الديار المصريه الحصول على فخرها واجرها انقطاع المكاسين عن جده وعن يقبه السواحل
ويكفي ان تمام هذه المثوبه موجب للاستطاعة مقيم بحجة الله في الحج فقد كانت الفتيا على سقوطه
مع وجود الحايل وما اكرم ما اجرى الله للخلايق على يد المولا من الارزاق التي تفضل عن الاستحقاق
وما اولاه بان يوحي بالمعروف كانه من هدي الحرمين المحصورين من اسعاف اهل الاهتداد والحروم
من قد رغبهما على خير ما اضاع فرصته بترك البدار وغير خاف عن مولانا باسمة الفرج بالقدس
براو بحرا مركبا وظهرا وسلما وحربا وبعدا وقربا ونوافيهم على حمايته وهو انف في وجه
الاسلام ومسارعتهم الى نصرة اهليه بالازواج والاموال على مر الايام ومعاذ الله ان
يستمرو الى الضلال وتصرفهم عن الحق وتصنوا في التوسعة على الملة سعة المجال المملوك
في مشتمل جنب سيبه الله يعول على السفر الى الحجاز لقضاء الفريضه قولا وفعلا والسايرون

في هذه السنة بطمعة وقفه الجمعه وتصحح وضع المكس خلوة لا يحصى ولولاه هلك في اخرهم فليهنا ان المولو
عمر بيوتها خربت وان المولا عمر بيت الله من كرمه سبحانه ان يعمر بيت المولا وما اشد خجل المملوك
من النبي صلى الله عليه وسلم في التقصير في قوت جيرانه في هذا السنه وما هكذا وصى ان المطمع ولكن
للغايب حجته قلت وفي هذه السنة المكرمة التي فعلها صلاح الدين رحمه الله تعالى
بالحاج يقول الشيخ الفاضل أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الاندلسي رحمه الله تعالى
من قصيدة له يمدح بها صلاح الدين ويثني فيها بعد الخبرة بها نقلتها من خطه منها

دفعت مغارم مكس الحجاز بانعامك الشامل الغامر ... وآمنت اكناف تلك البلاد فهان السبيل على العابر
وسحب اياديك فياضة على وارد وعلى صادر ... فكم لك بالشرق من حامد وكم لك بالغرب من شاكر
وكم بالدعا لكم كل عام بمكة من معلن جاهر ... وقد عين حسبة في فلان وتلك الذخيرة للذاخر
يعف حجاج بيت الاله وسطوتهم سطوة الجاير ... وكشف عما بايديهم وناهيك من موقف صاغر
وقد وقفوا بعدما كشفوا كانهم في يد الاسر ... ويلزمهم حلفا باطلا وعقبى اليمين على الفاجر
وان عرضت بينهم حرمة فليس لها عنه من ساتر ... اليس يخاف غدا من عرضه على الملك القادر القاهر
اليس على حرم المسلمين بتلك المشاهد من غابر ... الا حاضر نافع زجره فيا دله الشاهد الحاضر
الا ناصح مبلغ نصحه الى الملك الناصر الظافر ... طلوم تضمن مال الزكاة لقد تعست صفقة الخاسر
ستبر الحياة في باطن وتبدي النصيحة في الظاهر ... فاوقع به حادثا انه يعنى احدوثه الذاكر
فما للمناكر من زاجر سواك وبالعرف من آمر ... وحاشاك ان لم تزل رسمها فما لك في الناس من عاذر
ودفعك امثالها موسع دار الخلد لك للباشر ... وآثارك الغر سقيا بها وتلك الماثر للآمر
نذرت النصيحة في حقكم وحق الوفا على الناذر ... وحبك انطقني بالقريض وما ابتغي صلة الشاعر
ولا كان فيما مضى مكسبي وبئس البضاعة للتاجر ... اذا الشعر صار شعار الفتى فناهيك من لقب شاهر
وان كان نظمي له نادرا فقد قيل الحكم للنادر ... ولكنما خطوات الهوى تعن فتلعب بالخاطر
واما وفدا تلك العلا فقد فاز بالشرف الباهر ... وان كان منك قبول له فتلك الكرامة للزاير
ويكفيه سمعك من سامع ويكفيه لحظك من ناظر ... ويزهى على الروض غب الحيا بما حاز من ذكرك العاطر

قال العماد وفي هذه السنة توفي الحكيم مهذب الدين ابو الحسن علي بن سعيد المعروف
بابن النقاش البغدادي بدمشق وكان كنعته مهذبا ومن الملوك لتفرده بفضله مقربا وهو مبرز
في وقته حتى ان من شدا شيئا من الطب يسمح بانه قرا عليه وتردد لاستفادته اليه وقد راضته

العلوم الرياضيه واحكمت اخلاقه المعارف الحكميه ⁂ وفي الثاني عشر من جمادي الاولى توفي
الامير نجم الدين ابن وصال بمصر وجاءنا نعيه ونحن بحمص فجاوز اهتمام السلطان برزيه حده وجلس
في بيت الخشب مستوحشا وحده وقال لا يخلف الدهر لي مثله صديقا بعده واجرى ما كان لجميعه
لولده وحفظ عهده وكان لجماعة من الاعيان والشعرا والاماثل والادبا بعنايته ووساطته من
السلطان رزق بقاه عليهم كانه عليه مستحق ⁂ وفي العشر الاول من ربيع الاخر اغارت طايفه من الفرنج
على بلد حماه فخرج اليها متولي عسكر حماه الامير ناصر الدين منكوبرس بن خمارتكين صاحب حصن بو قبيس
فاسر المقدمين وسفك بسيفه دم الباقين وجاء الى الخدمه السلطانيه بظاهر حمص وساق معه الاسارى
فامر السلطان بضرب اعناقهم وان يتولى ذلك اهل البغي والدين من الحاضرين فتقدم امامه الضيا
الطبري وضرب عنق بعضهم وتلاه الشيخ سليمان المغربي ثم الامير ايطغان ابن ياروق واستدعى العماد
وامره بذلك فلم يفعل وطلب ان يملكه السلطان منهم صغيرا فعوض عنه ⁂ ثم رحل السلطان على
طريق الزراعه الى بعلبك فنزلها محاصرا من غير قتال فطال امرها ولم يسمح بها صاحبها ودخل فصل
الشتا فرحل السلطان عنها الى دمشق ووكل بها من يحصرها بالمنع من الخروج والدخول من غير قتال
وسير جماعه مع طغرل الجاندار ودخل الى دمشق في العشر الاواخر من رجب وتمادى الامر الى ان رضي
ابن المقدم بحصن بعرين واعماله وسلمية وكفرطاب واعيان نواح وقرى من بلد المعره وسلم بتسليمه بعلبك
من المعره والمعره وكان الذي اخذ اكثر وانفع مما خلاه وما خطر بباله ما حصل له ولا ارتجاه ولا
تمناه **فصل** كالذي قبله في حوادث متفرقه قال العماد كتب النواب بدمشق الى السلطان ان
الاموال ضايعه وان الاطماع فيها ذايعه وان في ارباب الصدقات اغنيا لا يستحقونها وما لهم رقبه
من الله يتقونها وان ارباب العنايات استوعبوها وما استوجبوها وان المصلحه تقتضي افراد جهات
لما يستخرج من مهمات وكانت الصدقات تبلغ احد عشر الف دينار فقال لي اكتب عليها جميعها بالامضا
ولا تكدر على ذوي الامال موارد العطا فقلت له الو اعليك الاسما فقال ابل نزهني عن هذه الاشيا
فبقيت تلك الرسوم دارة والامال بها سارة ⁂ قال وفي شعبان من هذه السنه توفي متولي المقياس
بمصر فعوض السلطان منصبه الى اخيه وقال وهذا المقياس موضع مبني من عهد خلفا بني العباس
لتعرف زياده الما ونقصانه بالقياس وهناك عمود في الما مقسوم بالاذرع والاذرع مقسومه بالاصابع
في محل ينسب الى الجزيره عند الجامع تصلى فيه الجماعات والجمع وتولاه من العهد القديم متول من بني
الرداد من هو معروف بالنزاهه والعلم والسداد وله راتب دار ورسم وفراد ⁂ فقلت بلغني

ان ابا الرداد هذا كان معلما من اهل الصدق والصلاح رتبه جعفر المتوكل على الله في ولاية المقيا[س]
وبقي من بعده على ولده وقرات في تاريخ الغربا لابي سعيد ابن يونس الذين قدموا مصر قال عبد الله
ابن عبد السلام بن الرداد العمي بصري قدم مصر وحدث بها وكان قد جعل على قياسه النيل توفي
بمصر لسبع بقين من رجب سنه ست وستين ومايتين وذكره ابو سعيد في اهل مصر ايضا وقال فيه
ولد هو وابوه بمصر ⁂ قال ابن الاثير وفي سنه اربع وسبعين وخمسمايه اشتد الغلاء وعم اكثر البلاد
العراق والموصل وديار بكر وديار الجزيره والشام وغير ذلك من البلاد ودام الى ان انقضى سنه خمس
وسبعين وخرج الناس في البلاد يستسقون فلم يسقوا ثم ان الله تعالى رحم عباده ولطف بهم وانزل
عليهم الغيث وارخص الاسعار ومن عجب ما رايت تلك السنه اني كنت في الجزيره فاقبل انسان تركماني
قد اثر فيه الجوع وكانه قد اخرج من قبر فبكا وشكا الجوع فارسلت من اشترى له خبزا فتاخر
احضاره لعدمه وهو يبكي ويتمرغ على الارض فتغيمت السما وجاء نقط مطر متفرقه وضج الناس
ثم جاء الخبز فاكل التركماني واخذ الباقي معه ومشى واشتد المطر ودام من تلك الساعه ورخصت
الاسعار ووجدت الاقوات بعد ان كانت معدومه ثم تعقب الغلاء وبا شديد كثير وكان
مرض الناس شيا واحدا وهو سرسام فمات فيه من كل بلد امم لا يحصون كثره ولقي الناس منه ما [illegible]
حمله ثم ان الله تعالى رفعه في سنه ست وسبعين وخمسمايه وقد ضعضع العالم **فصل**
في عمارة حصن بيت الاحزان ووقعه الهنفري قال العماد وفي مده اقامة السلطان على بعلبك
واشتغاله بامرها انتهز الفرنج الفرصه فبنوا حصنا على مخاضه بيت الاحزان وبينه وبين دمشق
مسافة يوم وبينه وبين صفد وطبريه نصف يوم وقيل للسلطان متى احكم هذا الحصن تحكم من
الثغر الاسلامي الوهن وعلق الرهن فيقول اذا اتموه نزلنا عليه وهدمناه الى الاساس
وجعلناه من الرسوم الدارسات وكان الامر بعد سنه على ما جرى على الغلط من عدم حسنه فلما انقضى امر
بعلبك نزل السلطان دمشق فاقام بها وامر الحصن مهم وقصد حصاره من عزمه وكان العام
مجدبا والجدب عاما وقيل للسلطان ليس هذه سنه جهاد فان استمنحوك السلامه فامنح وان
جنحوا للسلم فاجنح فقال السلطان ان الله امر بالجهاد وتكفل بالرزق فامره واجب الامتثال
ووعده ضامن الصدق فناتي بما كلفنا نعوذ بالله ومن اغفل امره عقله ⁂ قال
ووصل في هذه السنه دسون دار الخلافه وهو الخادم فاضل وكان من افاضل الخدم ندب لافضل
الخدم وفرح السلطان به واستصحبه معه الى الغزاه ووقف به على الحصن الذي استجده الفرنج

بالمشهد العفوني وتخطف من حوله من الفرنج جماعة واقام على اهل المعصية بجهاده طاعة وعاد وقد عرف ما يعزم عليه من امر مجيه قال وفي مستهل ذي القعدة كانت وقعة هنفري ومقتله وذلك ان الاخبار تواترت بان الفرنج قد تجمعوا في جمع عظيم وانهم عازمون على الخروج على المسلمين على غرة فقدم للسلطان ابن اخيه فرخشاه على عساكر دمشق وامره ان يخرج الى الثغر ففعل وامره ان علم بخروجهم ان ينفذ الى السلطان يعلمه بذلك ولا يلقاهم بل يتركهم حتى يتوسطوا البلاد فلم تشعر طلايع فرخشاه الا وقد خالطوهم على غرة فوقعت الوقعة فقتل صاحب الناصرة وجماعة من مقدميهم وطلب الملك فطرح حصانه وجرح فرسانه وحمى الهنفري ليحميه فوقعت فيه جراحات احداها نشابة وقعت في مارنه فخرقته ونفذت الى فيه ومرت ضربة فقلعته وخرجت من تحت فكه وجرحت اخرى في مشط رجله فنفذت الى اخمصه واخرى في ركبته وضرب بلت في جنبه فكسر له ضلعين وقتلت عدة من الرجالة والخيالة ورجعت الفرنج بخزي عظيم ليس فيهم الا المجروح وكل يوم ترد بشرى بموت مقدم من جراحة اصابته ووردت بطاقة الطير في ذلك اليوم الى دمشق فخرج السلطان فاوصل الى الكسوة الا ورؤوسهم واسراؤه قد جيء بهم فرجع مظفرا منصورا وذلت الفرنج بعدها وانكسرت لموت الهنفري ثم سار السلطان الى الحصن الذي بنوه فازعجهم ودعرهم وعاد على عزم العود اليه قال ثم وجه السلطان اخاه الاكبر توران شاه من الشام الى مصر بمن ضعف من الاجناد لاجل محل البلاد ورتب في بعلبك نوابه وودعه السلطان من مرج الصفر وذلك في اواخر ذي القعدة ومر على بصرى ومنها الى الازرق ومنه الى الحفير راحلا اليه الى صدر ورحل معه خلق كثير من التجار والرجال والنسا والاطفال فصل قال العماد وسافر الفاضل الى الحج في هذه السنة وركب البحر وكتبت اليه كتابا فيه طوى البحر والحزون من ذي الحجر والحجر منبل الحيا ومنير الدجى ولبدي الكعبة من كعب الندى وللهدايا المشعرات من مشعر الهدى وللمقام الكريم من مقام الكريم ومن حاطم مفاد الفقر بالحطيم ومتى دري هرم في الحرم وحاتم مايح زمزم ومتى ركب البحر البحر وسلك التراب التبر لقد عاد قس الا عكاظه وعاد قيس بحفاظه ويا عجبا للكعبة بقصدها كعبة الفضل والافضال والقبلة يستقبلها قبلة القبول والاقبال

قلت ومدحه ابو الحسن بن الذروي عند عوده من الحج بقصيدة حسنة منها

علم الحجاز بك الحلو وافاه فامسى حشاه بحفوزعبا ... وغدا دره لديه حقيرا ادرأى الدر منك ينشاء سحبا
ولو احاد قطرة منك يا عز لا ضحى لحاجة الملح عذبا ... هابح لم يزل دعاوك حتى هون الله منه ما كان صعبا

ولقد بام اذ ركبت وللريح هبوب وحين ارسيت هبا ... حسبنا ما صنعته من اياد كاد حدب الحجاز منهن خصبا
دمت كما بها فراعت وهل تفقد عيش يحيى عن الارض كربا ... فدارت منك كعبة الله لما جيتها حاتما وان شيت كعبا
بل راي منك بيته سيد مجد احرم الجود حوله ثم لبا ... وراى الركن منك ركنا جاء اللثم ابيض اللون رطبا
وزهت زمزم بشربك منها وعجيب ان يظهر الما عجبا ... وتوجهت للمدينة عن مكة لما اشاد كا فيك حبا
كاد ذاك الضريح لو لم تصنه سلفاك التحية وثبا ... حن بالعنبر السلام فارضيت بنيانه واكرمت صحبا
وابيت الشام تلو فتوح سار شرقا به الهبا وغربا ... ان كرغبت عنه والله يبقيك لامثاله فما غبت قلبا
سرت والراي فيه منك مقيم ونعم الدعا في الليل كتبا

وقد وقفت على الرقعة التي كتبها القاضي الفاضل رحمه الله بخطه الى السلطان يلتمس منه الاذن له في سفر الحج فاحببت نقلها هنا وما كتب السلطان رحمه الله عليها وما كتب يشنيها الى بعض نوابه نقلت من خط الفاضل رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم كتب المملوك هذه الرقعة بعد ان استخار الله سبحانه من مستهل رجب في اكثر لياليه والى اخر هذه الساعة وهو ينهي انه قد شارف الاربعين وما يدري لعلها عقبة اللقا وفرض الله في الحج قد تعين ووعد المولى انه قد تسوغ عدا ايله ومدة الغيبة قصيرة والنايب ينفذ ما يحتاج اليه في السفر والحضر والثقة به حاصلة في المراد من الكتايب وهما الكتمان والمعرفة وحظ المولى في حجه والله اضعاف حظه في مقامه لانه ان كان ينفع هاهنا في الدنيا فهو ينفع هناك في الاخرة وان لم يكن اهلا ان يستجاب منه فانه اهل لان يحسب في المولى والمملوك لما قل فطن في سوال وليس لان المولى لا يقتضيها ولكن لانه يغنيه عن السوال فيها وهذا حاجة الدنيا والاخرة وبعدها ينشد متى يات هذا الموت لا يلف حاجة لنفسي الا قد قضيت قضاها وما اراد المملوك ان يستشفع بمن يشارك المولى في الاجر وما يريد الا دستورا عن نفس طيبة ورضى ظاهر وباطن ولا يريد خلاف الغرض ما يقتضي له نقضا المعترض والله المعين برحمته الحمد لله وحده وصلاته على سيدنا محمد واله وسلامه وعلى راس الرقعة في سطر البسملة بخط السلطان رحمه الله ماضو على خيرة الله تعالى ما الذي كنت معكم فاموز فوزا عظيما نقلته من خطه ونقلت من خط بعض الكتاب ما نقلته من خط السلطان رحمه الله الى بعض النواب فصل من كتاب كريم بالخط العالي الناصري اعلاه الله ورد بتاريخ السابع والعشرين من جمادى الاول سنة اربع وسبعين وخمسماية وصل كتاب القاضي الفاضل وهو يذكر انه مصمم على الحج الله يجعله مبارك ميمون ولكن لا فسح له فيه الا بعد يمين واجدانه لا يركب بحر يسير من العسكر الى ايلة ومنها يتوجه ويقيم العسكر على ايلة ليلة

وعلى ادم لبله ذه وزادم ليلة وقاطع ادم ليله فيكون هو قد بعد وما سقي عليه خوف ان شاء الله تعالى
وثانيه تاخذ بيده وتحلفه براسي انه لا يجاور وثالثه نعطيه من مال الجوالي ثلاثة الاف دينار ونقول
له لا بد اما تخرج هنا عني لا عنك في المجاورين بمكة والمدينة وفي اهلها هنا امر لا بد منه فان الناس
لا بد لهم من الطلب ولا بد من العطا وان قال ان الشي قليل فانا نعرضني هذا المبلغ من مالك
ونعطيه اياه بلا بد والا فلا اذن له في الرواح الى الحج الا على هذه الشروط التي قد شرطتها
واما مجيه فجي الى الشام فانا انا متى يا دادا لا هي حتى يقضي الله بيننا وبين الفرنج وهو خير الحاكمين
وكتب الفاضل الى بعد مشايخ مكة بعد رجوعه سقى الله الحجاز وحيا كعبته ويا طول ما رمتني
سهام الشوق الذي اصبح الذكر جعبته اها على تلك المواقف وتبا لمن رضي ان يكون مع الخوالف
فرعيا ونعمى وحسنة وحسنى لمجاوري ذلك الحرم ولعامري ايامه التي هي الايام لا ايام ذي سلم
فيا لهف الصدور وطول غليلها الى ورود ما زمزمه وطوبى لمن استضا في مصال الظلما بعلمه
ومهما نسيت فلا انسى برد الكبد بحر صيفها وموسم الانس ثلاث مناها وخيفها ○
آها عليها ليالي ما تركن لنا ، الا الاسى وبلا لا من الحلم
عسى الرياح اذا ساريت مبلغه ، بوفي فقد عذر الاحباب بالذمم
ثم قال فاما الطريق المباركة فقد جرى فيها خطوب وشوون واحداث كلها شجون وكانت العقبى
الى سلامة ولما فارقنا الكرك نهض العدو فلم يمكن الرجعة ولا التعريج جانبا ثم من الله تعالى
بالجلاء النوبة ووصلنا الى بلاد السلطان ولقينا ذلك الوجه فلا عدمنا بشره وذلك الفضل
فلا فارقت عيننا بحره ووجدناه في الغزاة جاهدا وللعدو مجاهدا واوقاته مستغرقة وعزماته
محققة **فصل** فيما فعل مع الفرنج في باقي هذه السنة واول الاخرى ووقعة مرج
عيون قال ابن ابي طي كانت الفرنج قد عمرت بيت الاحزان وكان على المسلمين منه ضرر عظيم فراسل
السلطان الفرنج في هدمه فاجابوا انه لا سبيل الى هدمه الا ان تعطينا ما غرمنا عليه فبذل لهم السلطان
ستين الف دينار فامتنعوا فزادهم الى ان بلغ مائة الف دينار وكان هذا الحصن للدواية وكانوا
يقوون مرتبيه بالاموال والنفقات لقطع الطرقات على قوافل المسلمين فاشار تقي الدين على السلطان
ببذل هذا المال لاجناد المسلمين ويخرج بهم الى الحصن ويهدمه ففعل ذلك كما سنذكره ، ولما
ودع السلطان اخاه ورجع اخذ في طريقه على بلاد الفرنج وقصد الحصن الذي بنوه ورجع بالاسرى
والغنائم وخيم السلطان بمرج الشعرا ثم انتقل الى بانياس وبلغنا الخبر الى حد ودبلك الكفرة واحرم

عليهم لهب النيران المستعرة وكان في كل يوم يركب بجهة الصيد وينزل على النهر ويجرد فرسان الجلاد
والقهر ويسير قبايل العرب الى بلد صيدا وبيروت حتى يحصدوا غلات العدو وما برح مكانه
حتى تعود واحمالهم واجمالها موسقة باثقالها حتى خفق زرع الكفار ، قال وفي هذه السنة
امتضى راي الفرنج ان يرعبوا عسكر المسلمين في كل ناحية خوفا من اجتماعهم على جهة واحدة
فعبر ابرنس انطاكية واغار على شيزر وعبر القومص بطرابلس بجماعة من التركمان بعد الامان فرتب
السلطان ابن اخيه تقي الدين عمر في ثغر حماه ومعه شمس الدين بن المقدم وسيف الدين علي المشطوب
ورتب ابن عمه ناصر الدين في ثغر حمص في مقابلة القومص وكتب السلطان الى اخيه العادل وهو نايبه
بمصر ان ينتخب له من عسكر مصر الفا وخمسمائة فارس ليتقوى بهم مع عسكر الشام على العدو **ودخلت**
سنة خمس وسبعين والسلطان نازل على تل القاضي ببانياس فاجمع رايه مع بقية المسلمين
على ان يهجموا على الكفار بديارهم ويستوعبوا ما بقي في ايديهم من الغلات في يوم واحد ثم
يرجعوا فرحلوا صوب البقاع فنهضوا تلك الليلة وهي ليلة الاحد ثاني محرم فلما اصبح السلطان
جاءه الخبر بان الفرنج قد خرجت فالتقاهم وانزل الله نصره على المسلمين واسر فرسانهم وشجعانهم
واهل مقدميهم في اول اللقا فكان من جملة الاسرى مقدم الدواية ومقدم الاسبتارية وصاحب
طبرية واخو صاحب جبيل وابن القومصية وابن بارزان صاحب الرملة وصاحب جنين وقسطلان
يافا وابن صاحب مرقية وعدة كثيرة من خيالة القدس وعكا من البارونية وغيرهم من المقدمين
الاكابر مما زاد على مايتين وسبعين سوى غيرهم ثم قدمت الاسارى وهم يتهادون كانهم
سكارى قال العماد وانا جالس بقرب السلطان استعرضهم بقلمي ومن الطاف الله تعالى انا
وخواصه الحاضرين لم نزد على عشرين والاسرى فانا نوفوا على سبعين وقد انزل الله علينا السكينة
وخصهم بالذلة المستكينة وطلع الصباح ورفع المصباح وتمنا وصلينا بالوضوء الذي
صلينا به العشاء عرض الباقون من الاسرى ثم نقلوا الى دمشق فاما ابن بارزان فانه بعد سنة
بذل في نفسه مائة وخمسين الف دينار صورية واطلاق الف اسير من المسلمين وكان الفقيه ضياء الدين
عيسى من نوبة الرملة عندهم من المأسورين فالتزم ادراكه وان يؤدي من قطيعة المذكور
القطيعة التي قررها فكاكه واما ابن القومصية فانه استفكته امه بخمسة وخمسين الفا
من الدنانير الصورية واما مقدم الدواية فانه انتقل من سجنه الى سجين وطلبت جيفته فاخذ
باطلاق اسير من مقدمي المومنين وطال اسر الباقين فمنهم من هلك وهو عان ومنهم من خرج

بتطبيعة وأمان وهذه هي وقعة مرج عيون وكان العدو في عشرة آلاف مقاتل وانهزم ملكهم
مجروحًا وكان لعز الدين فرخشاه في هذه الوقعة بلاء حسن حكى حسام الدين بمرك بن يونس وكان
مع عز الدين قال كنا في اقل من ثلاثين فارسًا قد تقدمنا للعسكر وشاهدنا جل الفرنج في سنابه فارس
واقفين على جبل بيننا وبينهم الما فاشار عز الدين بان نعبر النهر اليهم ففعلنا ولحقنا عسكر السلطان
فهزمناهم ❀ ومن احسن ما اتفق ان في اليوم الذي كسرت فيه الفرنج في مرج عيون ظفر
الاسطول المصري بشطية كبيرة فاستولى عليها وعلى اخرى وعاد الى الثغر مستصحبًا الف فارس
من السبي فما اقرب ما بين النصرين في المصرين وما اعذب عذاب الفتين وجريهما الامرين الامرين
لقدع النصر وتساوي فيه البر والبحر **وقد امتدح به السلطان في هذا الفتح مدحة
نسيرها من مصر اليه فخر الكتّاب ابو علي الحسن بن علي الجويني العراقي رحمه الله تعالى**

لك رب السما خير معين وكفيل بما تحب ضمين … فله الحمد اي نصر عزيز قد حبانا به وفتح مبين
ادرك الشام حين ذلة المغوار حيف الكمار ليث العرين … الهمام الغضنفر الملك الناصر مولا الورى صلاح الدين
يا مليكًا اضحى الزمان بلاحيه بلفظ المدلل المستكين … قد غدت اهلها الحصون الى نابك حتى عوضتهم بالحجون
وادام رب السما باسيافك ما لم يخل لهم في ظنون … لك قلب عند اللقا مكين وله من بقاه الف مكين
يا مليكًا يلقى الحروب بحول الله معتصمًا وصدق اليقين … ان هذا الفتح المبين شفا للصدور وقرة للعيون
❀ هو يوم اضحى كيوم حنين … سهل الله نصره في الحزون ❀

قال العماد وكان تقي الدين غائبًا عن هذه الوقعة واشتغل عنها بغيرها وذلك ان سلطان
الروم قلج ارسلان طلب حصن رعبان وادعى انه من بلاده وانما اخذه منه نور الدين رحمه الله على خلاف
مراده وان الملك الصالح ولده قد انعم به عليه ورضي بعوده اليه فلم يفعل السلطان وكان
هذا الحصن مع ابن المقدم فارسل قلج ارسلان عسكرًا مجمعًا في عشرين الفًا لحصار الحصن فلقيهم تقي الدين
ومعه سيف الدين علي المشطوب في الف مقاتل فهزمهم قال ولم يزل تقي الدين يدل بهذه النصرة
فانه هزم باحاد الوفا وادعم باعداد الاعدا الوفا ❀ وقال ابن ابي طي اتصل بالسلطان
ان قلج ارسلان قد طمع في اخذ رعبان وكيسون فلما دخل دمشق وصله رسوله يطلبهما منه
ويدعي ان نور الدين بن زنكي اغتصبهما منه وان الملك الصالح قد انعم عليه بهما فاغتاظ السلطان
وزير الرسول وتوعد صاحبه فعاد الرسول واخبر قلج ارسلان فغضب وسير عسكرًا الى رعبان
فحاصرها وسمع السلطان فندب تقي الدين عمر في ثمانماية فارس فسار فلما قارب رعبان اخذ

معه

معه جماعة من اصحابه مقدار مايتي فارس وتقدم عسكره وسار حتى اشرف على عسكر قلج ارسلان
ليلًا فرآهم قد سدوا الفضا وهم فارون آمنون وادعون فقال تقي الدين لاصحابه هولا
على ما ترون من الطمانينة والامن والغفلة وقد رايت ان نحمل الساعة فيهم بعد ان نفرق في جوانب ب
عسكرهم ونصيح منهم فانهم لا يثبتون لنا فاجابوه الى ذلك فانفذ واحدا من اصحابه الى
باقي عسكره وامرهم ان يفترقوا اطلابًا وان يجعلوا في كل طلب قطعة من الكوسات والبوقات
فاذا سمعوا الضجة ضربوا بكوساتهم وبوقاتهم وجدوا في السير حتى يلحقوا به ففعلوا ما امرهم
ثم انه حمل في عسكر قلج ارسلان وصرخ اصحابه في جوانبه وكان عدة عسكر قلج ارسلان ن
ثلاثة آلاف فارس فلما سمعوا الضجة وحس الكوسات والبوقات وشدة وقع حوافر
الخيل وحلية الرجال واصطكاك اجرام الحديد هالهم ذلك وظنوا انهم قد فوجئوا
بعالم عظيم ولم يكن لهم الا ان جالوا في ظهور خيولهم هربًا وطلبوا النجاة واخذتهم
السيوف وتركوا خيامهم واثقالهم بحالها واثخن تقي الدين فيهم القتل والاسر وحصل
على جميع ما تركوه فلما اصبح جمع الماسورين ومن عليهم باموالهم وكراعهم وسرحهم
الى بلادهم قال وقيل ان الخبر بهذه الكسرة وصل الى السلطان في اليوم الذي كسر فيه
السلطان الفرنج على مرج عيون فتوافت البشارتان في البلاد **قال وقد مدح
ابن التعاويذي السلطان الملك الناصر رحمه الله بقصيدة انفذها اليه
من بغداد يذكر فيها وقائعه بمرج عيون يقول فيها**

كاد الاعادي ان تصيبك حيلها لو لم تكدك براتها المافون … تخفى عداوتها وراء بشاشة
فتشف عن نظر لها مشفون

ودفين خبايل مكرها فرددتها بذوي يغيظ صدورها المدفون … وعلى ما احنوا اكان قلوبهم
افضت اليك ستيرها المخزون

كتموا وكم لك من كمين سعادة في الغيب يظهر من ورا كمين … فهوت نجوم سعودهم وقضى
لهم بالنحس طايرهم بمرج عيون

قلت هكذا الشعر وهو حسن وهو منه في نسخة من ديوان ابن التعاويذي فوجدت
آخر هذا البيت طاير جدك الميمون • **واول هذه القصيدة** •

❀ إن كان دينك في الصبابة ديني فقف المطي برملتي يبرين ❀

ثم قال بعد تمام الغزل

لئن الصين على الحب بوصله لقد سماحة من صلاح الدين   ملك اذا طعنيريد ماه طعن يحل في الحفاظ مبين
فاد الجياد معا قلا وان اكثى عاقل من رابه وحصون   سهم تجوز صداه خيفة ما حل خلف صوارمه بغير جفون
لو ان ليث الهزبر سطاه لم الجال الي عابله وعرين   اصحبت دمشق وقد حللت بجونا ماوى الطريد وموبل المسكين
لك عفه في قدرة وتواضع في عزة وشراسه في لين   وادنتنا بجميل صنعك ادوي الراوون عن ايام خلن وقرون
وضمنت ان يحيي لنا ايامهم   بالمكرمات فكنت خير ضمين

قال ابن ابي طي نزل السلطان على تل القاضي ببانياس على المرج الذي يعرف بمرج عيون وانفذ في ثاني المحرم قطعة من عسكره مع عز الدين فرخشاه لشن الغارة على بلاد الفرنج فلما اصبح ركب هنفري كف اخبار فرخشاه كما هو الا ان خرج من الخيم حتى راي اغنام بانياس قد اقبلت من المراعي هاجرة على وجوهها من العياض والاودية فقال هذه غارة فامر بلبس السلاح والاستعداد للحرب فوصل بعض الرعاة فاخبر ان الفرنج قد عبروا وصادوا وبياسه على هيئة المنغفلة فسار حتى اشرف على الفرنج فاذا بهم في الفرح فاخذتهم السيوف والدبابيس حتى فرشت الارض منهم والقى جماعة منهم سلاحهم وسلموا انفسهم اساري ونجا ملك الفرنج هنفري هاربا ويقال انه وقف به فرسه فحمله احد فيالته على ظهره ثم رجع السلطان الى عسكره وسيفه يقطر دما وجلس لاستعراض الاساري فذكر نحو ما سبق ❁ وفي كتاب الفاضل الى صاحب له بمكة وقد سبق بعضه قال وحرب نوب منها نوبة قتل الهنفري لعنه الله وتمام سبعين فارسا من كبار الخيالة وطرح ملك الفرنج من على ظهر دابته وحامله باحود يوق مع بقية من نجا من حباله ومنها نوبة وادي الحريق وقد جمع الله العدو فارسه وراجله ومنها نصر الله الذي ما كان قبله لملك من ملوك الارض مثل ابن بارزان ومقدم الدوية وابن صاحب طبرية واخو اسقف صور وصاحب حيل واصحاب الحصون والقلاع ومقطعوا الاقاليم والضياع وحصل عندنا بيد الناصرية الملاها الله مايه وستون كلهم بني عليهم الخاصر وبقطر بهم العساكر ومنها دخول العساكر الى عمل بيروت وصور وتادتها على غنم من اهلها وقطع كل شجرة مثمرة من اصلها قال وكانت الاساطيل المنصورة قد اضاعفت عدتها الى ان بلغت ستين شينيا وعشرين طريدة فسارت الشواني خاصة فدخلت البلاد الرومية ودوخت السواحل الفرنجية واربت الغلج احصتهم اسرى في قيد الاسار وقلت اراقاق الكبار وغنمت في هذه الغزوه

اقوام كانت اعينهم لا تعرف عين الدرهم ولا وجه الدينار **فصل** في خبر حصن بيت الاحزان وذلك في شهر ربيع الاول قال العماد جمع السلطان جموعا كثيرة من الجاله والرجاله فوصل الى المخاضه يوم السبت تاسع عشر الشهر والحصن منه دونها من الغرب فخيم بها بالقرب وضاق ذلك المرج عن العسكر واحتاج الى ضرب سنابر لاجل المنجنيقات فركب السلطان بكرة الاحد الي ضياع صفد وكانت قلعة صفد بوميد للدوابه وهو عش البليه وامر بقطع كرومها وحمل اخشابها فاخذ كل ما احتاج اليه ورجع بعد الظهر ورجعوا الى الحصن بعد العصر فما امسى المسا الا وهم قد استولوا على الباشوره واشتغلوا بكليتهم اليها وباتوا طول الليل يحرسون وخافوا ان يفتح الفرنج الابواب ويعبروا عليهم على غرة واذا الفرنج قد اوقدوا خلف كل باب نارا لئلا يامنوا من المسلمين اغترارا فاطمانت المسلمون وقالوا ما بقي الا نقب البرج ففرقه السلطان على الامرا فاخذ فرخشاه الجانب القبلي واخذ السلطان الجانب الشمالي واخذ ناصر الدين بن شيركوه بقربه نقبا وكذلك تقي الدين وكل كبير في الدولة جعل له قسما وكان البرج محكم البنا فصعب نقبه لكن ما انقضى يوم الاحد الا وقد تم نقب السلطان وعلق وحشي بالحطب ليلة الاثنين وحرق وكان النقب في طول ثلاثين ذراعا في عرض ثلاث اذرع وكان عرض السور تسع اذرع فما تم ثم ذلك فاحتاج ج السلطان صبيحة يوم الاثنين الى اطفاء النيران لتتم نقبه وقال من جا بقربة ما فله دينار قال العماد فرايت الناس للقرب حاملين ولا وجه الما ناقلين حتى اغرقوا ذلك النقوب فخمدت فعاد نقابوها وقد ددت فخرقوه وعمقوه وفتحوه ووسعوه وشغلوا حجره وقلقوه ثم حشوه وعلقوه واستظهروا فيه يوم الثلاثا والاربعا ثم احرقوه واستدل الحرص عليه لان الخبر اتاهم بان الفرنج قد اجتمعوا بطبرية في جمع كثير فلما اصبح يوم الخميس الرابع والعشرين من ربيع الاول وتعالى النهار انقض الجدار وتبا شرت الابرار وكان الفرنج قد جمعوا وراء ذلك الواقع حطبا فلما وقع الجدار دخلت الرياح فردت النار عليهم واحرقت بيوتهم وطايفة منهم فاجمعوا الى الجانب البعيد من النار وطلبوا الامان فلما خمدت النيران دخلت الناس وقتلوا واسروا وغنموا ما فيه القطع من الحديد من جميع انواع الاسلحة وشيا كثيرا من الاقوات وغيرها وجي بالاساري الى السلطان فمن كان مرتدا او راميا ضرب عنقه واكثر من اسر قتله في الطريق الغزاه المطوعه وكان عدة الاسرى نحو سبع مايه وخلص من الاسر اكثر من مايه مسلمين وسير باقي الاساري الى دمشق واقام السلطان في منزله حتى هدوا الحصن الى الاساس وطرحت تماميركا نواحفروع

في وسطه ورمي فيه القتلى وكان عند السلطان رسول القومص معاني وهو يشاهد ملته أهل
ملته وقد كان السلطان بذل لهم في هدمه ستين الف دينار فلم يفعلوا حتى زادهم مائة الف
فابوا وكان مدة المقام على الحصن في ايام فتحه وبعدها اربعة عشر يوما وبعد ذلك سار السلطان
الى اعمال طبريه وصور وبيروت وغيرها فاغار عليها وارجف قلوبهم بوصوله اليها ورجع السلطان
الى دمشق يوم الاربعا ومرض جماعة من ذلك الوبا لان الحر كان شديدا واستحيف القتلى وطول
السلطان المقام عليه بعد فتحه لاجل تتميم هدمه فتوفي اكثر من عشرة امرا وعاد المشهد اليعقوبي
كما كان مزورا وتكبير المسلمين وصلاتهم معمورا وهنيا السلطان بفتح هذا الحصن ۞
فمن ذلك ما انشده الشيخ احمد بن نفادة الدمشقي من جملة مدائحه

ملاك الفتح اتى عاجلا وقد آن تكسير صلبانها ۰ ولو لم يكن قد دنا حينها لما عمرت بيت احزانها

ولابي الحسن علي بن محمد الساعاتي الخراساني ثم الدمشقي من قصيدة له اولها ۰

بجدك اعطاف القنا تتعطف وطرف الاعادي دون مجدك يطرف ۰ شهاب هدى في ظلمة الشك ثاقب
وسيف اذا ما هزه الله ترهف ۰
وقفت على حصن المخاض وانه لموقف حق لا يوازيه موقف ۰ فلم يبد وجه الارض بل حال دونه
رجال كآساد الشرى وهي ترجف ۰
وجردا سلهوب ودرع مضاعف وابيض هندي ولدن مثقف ۰ وما رجعت اعلامك الصفر ساعة
الى ان غدت اكبادها السود ترجف ۰
كما من اليه الصليب وبيعه وشاد به دين حنيف ومصحف ۰ صليبته عباد الصليب ومنزل
النزال الفدع ادرته وهو صفصف ۰
ايسكن اوطان النبيين عصبة تمين لدى ايمانها وهي تحلف ۰ نصحتكم والنصح في الدين واجب
ذروا بيت يعقوب فقد جا يوسف ۰

۞ ومن قصيدة لسعادة الضرير الحمصي رحمه الله ۞

۰ جلت فكنت الالمعي المسددا ۰ وسريت فكنت السمهري الموقدا ۰
وغزت عبا الممالك ناهضا فاقعدت اعدا ولم تخش مقعدا تقود بحد ضرب السيف والطعن بالقنا وكل امرئ ينوي نافذ
نصرة الهدى لما خاذل حزبه فاذا كرحرب الله يا ناصر الهدى عضبت لدين الله صلاح فارضيت لما ان غضبت محمدا
فيا سيف الخير الذي في سنين الخير ما فقد عارفينا واعتدا وصلت لدى سلم وصلت لدى وغى ففقت جميع الناس بالباس والندا

وقدت

وقدت الى الاعدا جيشا عرمرما اذا ارتفعت فيه الصوارم ارعدا فلم يبق للطغيان شملا مجمعا ولم يبق للايمان شملا مبددا
فناهيك من جيش نهضت بعبه فاقعدت لما ان نهضت به العدا حملت ذوابلا في ذوابل سمره فلما دحا ليل العجاج تو قدا
وزرت به الحصن الذي لو تحصنت فوارسه بالنجم اوردتها الردى قصمت به حلب الصليب ودفنه وشيدت ما عفا فتشهدا
هنيئا له هبة يوسفيه تعيدهبا كلما كان جلدا وقص بما افرقته من تهابه بواخذ ثغر الهمزي وقد دا

قال ومنهم الامير نجم الدين محمود بن الحسن بن نبهان العراقي من اهل الحلة المزيدية كان
حاضرا في نوبة بيت الاحزان ۞ وله من قصيدة اولها ۞

هنيئا صلاح الدين بالفتح والنصر ونيل الاماني العز والعلة البكر وما اخترته فيها من فخار ومن علا وحسن ثنا يبقى الى آخر الدهر
سموت لها بالمرهفه والقنا سموا تى لا سام كلى وتر وصلت بها حيل الفاخر مثل ما قطعت بها يوم الوغى دابر الكفر
سللت بياض الصبح وهو صوارم وخضت ظلام الليل وهو دم يجري وقدت فم الفرح باسك في الوغى وحز عنهم منه اشتر الصبر
وظنوا ابناء الحصن صونا لملكهم فاصبح ما شيدوا منهتك الستر فاقصت منهم يد الغدر قطعت امالها الاعلى صفقة الخسر
هي الغبك العز الان لانها تمر بامثالها اللذ في البر والبحر واصبح في اقصى خراسان ذكرها وفي كل قلب منه حين من الدعر
فلا برض منهم بعدها ابد طاعة فاخلقوا الا على شبه الغدر وسروا ملك الارض التي لو تركتها لاغضب عيون الحلق منها على امر
ميال الوحو تتم ما قبا باجمعها تعلوا على الانجم الزهر اذا عد ارباب الفخار فانتم ذووا العلا في النابل العمر
وانت الذي اصبحت للباس والتقى وبذل الندى على السنا عطر الذكر ۰

ومن كتاب فاضلي الى بغداد في وصف الحصن وقد عرض حائطه الى ان زاد على عشر اذرع
وقطعت له عظام الحجارة كل فص منها من سبع اذرع الى ما فوقها وما دونها وعدتها تزيد على عشرين
الف حجر لا يستقر الحجر في مكانه ولا يستقل في بنيانه الا باربعة دنانير فما فوقها وفيما بين الحائطين
حشو من الحجارة الصم المرغم بها انوف الجبال الشم وقد جعلت تسقيته بالكلس الذي اذا احاطت
قبضته بالحجر مازجه بمثل جسمه وصاحبه باوثق واصلب من جرمه واوعز الى خصمه من الحديد بان لا
يتعرض لهدمه ۰ ومنه في وصف النار قال وبات الناس في ليلة الجمعة مطيفين بالحصن والنيران
به مطيفة وعليه مشتملة وعدمات السنتها على باحة منزله ومن حلفه مشبله وناره قد اطفاها الله بتلك
النار الواقدة ومنعتهم قد اذهبها الله بتلك الابرحة الماجدة ونسخ الظلام قد استحال لجنا دا
والشفق قد عم الليلة فلم يختص اضالا ولا اسحارا وبعها تها حمية وقودها الناس والحجارة والبلاء نيادي
ملبسان عصابها اياك اعني واسمعي يا جارة فوجب النار مواج تضيق بها الفكر وبعجزها الاثر وطلب
النبار العين الى الاثر وقال الكفر انها لاحدى الكبر وخولف المثل ان السعادة تلحظ الحجر واعني ضوء

لسان كل امعة ان سيال هنا وهذا الخبر وقد فتن بشرره كالجمالات الصفر وذوت تغيظ بعفراته خدود
الجبال الصغر وتلحفها بالكتب العفر وبات الليل والنهار يسله وكلما اغمد الجمود حصل الوقود يسله
الى ان بدا الصباح كانه منها اسناد الانوار واستوا البرق ومن عصفرها صبغ الازار وجبينه تقدم
الخادم فاقتلع الاحجار بعد من ابنها ومحا حروف البيان من طرسها وتبعه الحبس ورفاقه وكافه من
اشتمل عليه نطاقه ● وفي كتاب آخر وكان مبنيا على تل وفيه صهريج لما فتح المسلمون الحصن رموا
فيه مما بناه الفرنج قتيل ورام تخريبه بالنار فاسدت عرصته ولاملاء حفرته وكان فيه نحو الف زردية
والمقاتلة ثمانون فارسا بغلمانهم وخمسة عشر مقدما للرجال كل مقدم خمسون رجلا هذا الى الصناع
ما بين بناء ومعمار وحداد ونجار وصيقل وسيوفي وصناع انواع الاسلحة وكان به اسارى المسلمين ما
يزيد على مائة رجل نزعت القيود من ارجلهم وجعلت في ارجل الفرنج وكانت فيه اقوات لعدة سنين
وانواع اللحوم الطيبة والجبنة منها بلاع ومتاع الحين ولما قوتل اول يوم هجم جوشه وفيه جماعة
من المقاتلة فضربت رقابهم واحدث ذوابهم وفي الحال علقت النقوب على جهات وحشيت النيران
ولم تخر وقوع الجدران لفرط عرض البنيان ولم يزل النار توقد ثم تخرج ثم تشعل ثم تخمد الى ان نهكت
النقوب وحشيت بالاحطاب واطلقت فيها النيران في يوم الخميس فنهو حينئذ وقعت الواقعة واسقت
الابرجة فهي يومئذ واهية وملك المسلمون الحصن بما فيه ومن فيه واستعلت النيران في ارجائه
ونواحيه وكان الطاغية مقدم الحصن يشاهد ما حل ببنيانه وما نزل من البلاء باصحابه واعوانه
ولما وصلت النار الى جهته القى نفسه في خندق نار صابرا على حرها ففي الحال نقلته هذه النار
الى تلك النار ولما اخذ اسارى الفرنج وسمرت عدتهم تزيد على سبع مائة بعد المقتولين وما نقص عدتهم عن مثلها
توفرت الهمة على هدم هذا الحصن وتعفية اثره وازالة ضرره فالحقنا عاليه بقواعده وصار اثرا
بعد عين في عين مشاهده هنا والفرنج مجمعون في طبرية يشاهدون الامر عيانا وينظرون الى الحصن
قد ملئ نيرانا وارتفع دخانا وسارت العساكر الى اعمال صيدا وبيروت وصور فانبثت مغيرة فاستاد
كل غامضة ودخلت الى كل دخيرة وصارت بلاد الفرنج لا سكن فيها الا قلعة او مدينة ولا تقيم
فيها الا من نفسه لشدة الخوف متقلعة في جسمه او منخونه ● ومن كتاب آخر فاضلي عن السلطان
الى وزير بغداد نلخص ولان ازوار منها امراض كانت قدحت بها البلوى وكثرت بها الشكوى وكان
اكثرها خاصا بالعايدين من العساكر من نوبة فتح الحصن وكان خادما المجلس الشافي ابن اخيه تقي الدين
وابن عمه ناصر الدين قد جهدا واغنيا وبلغا حد الباس واتقنا وكان ذا سلطان من صمبر المنا من الله

فقل

وسعادته في الترقي ولما لقي الحاج استعبر عيناه كيف فاته من الحج ما تمناه وسالهم عن احوال مكة
وامرائها واهلها وخصبها ومحلها وكم وصلهم من غلات مصر وصدقاتها والفقرا والمجاورين ودوانها وادرارها
وسر لسلامة الحاج ووضوح ذلك المنهاج ووصل من اليمن ولد اخيه سيف الاسلام فتلقاه بالاكرام
قال القاضي ابن شداد وخرجت من القدس الشريف يوم الجمعة الثالث والعشرين من المحرم وكان الوصول
الى دمشق ثاني عشر صفر وكان الافضل حاضرا في الايوان الشمالي وفي حلقته خلق من الامرا وارباب المناصب
ينتظرون جلوس السلطان فلما شعر بحضوري استحضرني وهو وحده قبل ان يدخل اليه احد فدخلت عليه
رحمه الله فقام ولقيني ملتقى ما رايت اشد من بشره فيه ولقد ضمني اليه ودمعت عينه وفي الثالث عشر صفر طلبني لحضرت
فسالني عمن في الايوان فاخبرته ان الملك الافضل جالس في الخدمة والامرا والناس في خدمته فاعتذر
اليهم على لسان جمال الدولة اقبال ثم استحضرني بكرة الخميس رابع عشر صفر وهو في صفة البستان وعنده اولاده
الصغار فسال عن الحاضر من غفل رسل الفرنج وجماعة الامرا والاكابر فاستحضر رسل الفرنج الى ذلك
المكان فحضروا وكان له ولد صغير وكان كثير الميل اليه يسمى الامير ابا بكر وكان حاضرا وكان رحمه
الله عليه يداعبه فلما وقع بصره على الفرنج وراى اشكالهم خاف منهم وبكا فاعتذر اليهم وصرفهم بعد ان
حضروا ولم يسمع كلامهم وقال لي اكلت اليوم شيئا وكانت عادته رحمه الله هذه المباسطة ثم قال احضروا لنا ما تيسر
فاحضروا ارزا بلبن وما شابه ذلك من الاطعمة الخفيفة فاكل رحمه الله وكنت اظن انه ما عنده شهوة وكان
في هذه الايام يعتذر الى الناس لثقل الحركة عليه وكان بدنه ممتليا وعنده تكسل فلما فرغ من الطعام
قال ما الذي عندك من خبر الحاج فقلت قد اجتمعت بجماعة منهم في الطريق ولولا كثرة الوحل لدخلوا اليوم
ولكنهم في غد يدخلون فقال نخرج ان شاء الله الى لقائهم ونتقدم بتنظيف طرقاتهم من المياه فانها كانت
سنة كثيرة الانداء وقد سالت المياه في الطرق كالانهار وانفصلت عن خدمته ولم اجد عنده من النشاط
ما اعهده ثم لم يكن في يوم الجمعة فركب ثم لحقته وقد لقي الحاج ولم اجد عليه كزاغنده وما كان
له عادة يركب بدونه وكان يوما عظيما قد اجتمع فيه للقاء الحاج والتفرج على السلطان معظم من
في البلد فاذكرته ذلك وكانه استيقظ فطلب الكزاغند فلم يوجد واوقع الله في قلبي تطيرا
بذلك ثم سار رحمه الله من البساتين يطلب جهة المنيبع حتى اتى القلعة فعبر على الجسر اليها وهو طريقه
المعتاد وكانت آخر ركباته رحمه الله فصل في مرض السلطان ووفاته اجله الله بحبوحة
جنانه ● قال القاضي لما كانت ليلة السبت وجد كسلا عظيما فما انتصف الليل حتى غشيته حمى
صفراوية كانت في باطنه اكثر منها في ظاهره واصبح يوم السبت سادس عشر صفر عليه اثر الحمى ولم يظهر

ذلك للناس لكن حضرت عنده انا والقاضي الفاضل ودخل ولده الافضل وطال الجلوس عنده واخذ
يشكوا من قلقه بالليل وطاب له الحديث الى قريب الظهر ثم انصرفنا والقلوب عنده فتقدم الينا بالحضور
في الطعام في خدمة ولده الافضل ولم يكن للقاضي عادة بذلك فانصرف ودخلت الى الايوان القبلي
وقد مد الطعام وجلس في موضعه فانصرفت وما كان لي قوة للجلوس استيحاشا وبكا في ذلك اليوم جماعة
تفاولا بجلوسه في موضعه ثم اخذ المرض يتزايد من حينيذ ونحن نلازم التردد في طرفي النهار وادخل
اليه انا والقاضي الفاضل في النهار مرارا ويعطي الطريق في بعض الايام التي يجد فيها خفة وكان
مرضه في راسه وكان من امارات انتهاء العمر غيبة طبيبه الذي كان قد الف مزاجه سفرا وحضرا وراي
الاطبا فصده ففصدوه في الرابع فاشتد مرضه وقلت رطوبات بدنه وكان يغلب عليه اليبس غلبة عظيمة
ولم يزل المرض يتزايد حتى انتهى الى غاية الضعف ولقد اجلسناه في السادس من مرضه واسندنا
ظهره الى مخدة واحضر ما فاتر ليشربه عقيب شراب يلين الطبع فشربه فوجده شديد الحرارة فشكا
من شدة حره فغير وعرض عليه ثانيا فشكا من برده ولم يغضب ولم يصخب رحمه الله ولم يقل
سوى هذه الكلمات سبحان الله لا يمكن احدا يعدل الما فخرجت انا والقاضي من عنده وقد اشتد منا البكا
والقاضي الفاضل يقول لي ابصر هذه الاخلاق التي قد اشرف المسلمون على مفارقتها والله لو ان هذا
بعض الناس كان قد ضرب بالقدح راس من احضره واشتد مرضه في السادس والسابع والثامن ولم يزل
متزايدا ويتغيب ذهنه ولما كان التاسع حدثت به رعشة وامتنع من تناول المشروب واشتد الارجاف
في البلد وخاف الناس ونقلوا الامتعة من الاسواق وغشي الناس من الكابة والحزن ما لا يمكن حكايته ولقد
كنت انا والقاضي الفاضل نقعد كل ليلة الى ان يمضي من الليل ثلثه او قريب منه ثم نحضر في باب الدار فان
وجدنا طريقا دخلنا وشاهدناه وانصرفنا والا تعرفنا احواله وانصرفنا وكنا نجد الناس يترقبون
خروجنا الى بيوتنا حتى يعرفوا احواله من صفحات وجوهنا ولما كان العاشر من يوم مرضه حقن دفعتين
وحصل من الحقنة راحة وحصل بعض الخف وتناول من ما الشعير مقدارا صالحا وفرح الناس فرحا
شديدا فاقمنا على العادة الى ان مضى من الليل هزيع ثم اتينا باب الدار فوجدنا جمال الدولة اقبالا فالتمسنا
منه تعريف الحال المتجدد فدخل ثم انفذ الينا مع الملك المعظم توران شاه يقول ان العرق قد اخذ في
ساقيه فشكرنا الله تعالى على ذلك وانصرفنا طيبة قلوبنا ثم اصبحنا فاخبرنا ان العرق افرط
حتى نفذ في الفرش ما بوت به الارض وان اليبس قد تزايد به تزايدا عظيما وخارت القوة واستشعر
الاطبا ولما راى الملك الافضل ما حل بوالده وتحقق الياس منه شرع في تحليف الناس وجلس في دار رضوان

المعروفة

المعروفة بسكنه واستحضر القضاة وعمل له نسخة يمين مختصرة محصلة للمقاصد يتضمن الحلف للسلطان
مدة حياته ولولده بعد وفاته واعتذر الى الناس بان المرض قد اشتد وما نعلم ما يكون وما نفعل هذا
الا احتياطا على جاري عادة الملوك ثم سمى القاضي الفاضل من حلف له جماعة منهم سعد الدين مسعود
اخو بدر الدين مودود الشحنة وناصر الدين صاحب صهيون وسابق الدين صاحب شيزر وخشترين الهكا ري
ونوشروان الزرزاري وعلكان ومنكلان ثم مد الخوان واكلوا ولما كان العصر اعيد مجلس التحليف
واحضر ميمون القصري وشمس الدين سنقر الكبير واسامة وسنقر المشطوب والبكي الفارس وايبك
الافطس واخو الامير سيارخ وحسام الدين بشارة وبعضهم اشترط في يمينه وبعضهم لم يشترط
ولم يحضر احد من الامراء المصريين ولم يتعرض لهم واذا كانت ليلة الاربعا السابع والعشرين من صفر
وهي ليلة الثاني عشر من مرضه اشتد مرضه وضعفت قوته ووقع في اوائل الامر من اوائل الليل وحال
بيننا وبينه النسا واستحضرت انا والقاضي الفاضل في تلك الليلة وابن الزكي ولم يكن عادته الحضور د
في ذلك الوقت وعرض علينا الملك الافضل ان نبيت عنده فلم ير القاضي الفاضل ذلك رايا فان الناس كانوا في
كل ليلة ينتظرون نزولنا من القلعة فخاف ان لا ننزل فيقع الصوت في البلد وربما نهب الناس بعضهم
بعضا فراى المصلحة في نزولنا واستحضار الشيخ ابي جعفر امام الكلاسة وهو رجل صالح يبيت
بالقلعة حتى ان احتضر بالليل حضر عنده وحال بينه وبين النسا وذكره بالشهادة وذكر الله تعالى ففعل
ذلك فنزلنا وكل منا يود لو فداه بنفسه وبات في تلك والله على حال المنتقلين الى الله تعالى والشيخ
ابو جعفر يقرا عنده القران ويذكره بالله تعالى وكان ذهنه غايبا من ليلة التاسع لا يكاد يفيق الا
في الاحيان وذكر الشيخ ابو جعفر انه لما انتهى الى قوله تعالى هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشها دة
سمعه وهو يقول صحيح وهذه تيقظة في وقت الحاجة وعناية من الله تعالى به فلله الحمد على ذلك وكا نت
وفاته رحمه الله بعد صلوة الصبح من يوم الاربعا السابع والعشرين من صفر سنة تسع وثمانين [illegible]
وبادر القاضي الفاضل بعد طلوع الصبح فحضر وفاته ووصلت انا وقد مات وانتقل الى رضوان الله تعالى
ومحل كرامته ولقد حكي لي انه لما بلغ الشيخ ابو جعفر الى قوله تعالى لا اله الا هو عليه توكلت
تبسم وتهلل وجهه وسلمها الى ربه وكان يوما لم يصب الاسلام والمسلمون بمثله منذ فقد الخلفاء الراشد ون
وغشي القلعة والبلد والدنيا من الوحشة ما لا يعلمه الا الله وبالله لقد كنت اسمع من بعض الناس انهم
يتمنون فدا من يعز عليهم وكنت احمل ذلك على ضرب من التجوز والترخص الى ذلك اليوم واني علمت من
نفسي ومن غيري انه لو قبل الفدا لفدي بالنفس ثم جلس ولده الافضل للعزا في الايوان الشمالي وحفظ با ب

القلعة الا الخواص من الامرا والمعممين وكان يوما عظيما قد شغل كل انسان ما عنده من الحزن
والاسف والبكا والاستغاثة عن ان ينظر الى غيره وحفظ المجلس عن ان ينشد فيه شاعر او يتكلم
فيه فاضل او واعظ وكان اولاده يخرجون مستغيثين بين الناس فتكاد النفوس تزهق لهول منظرهم
ودام الحال على ذلك الى بعد صلوة الظهر اشتغل بتغسيله وتكفينه فما امكنا ان ندخل في تجهيزه
ما قيمته حبة واحدة الا بالقرض حتى في ثمن التبن الذي يلت به الطين وغسله الدولعي الفقيه وندبت
الى الوقوف على غسله فلم يكن لي قوة تحمل ذلك المنظر واخرج بعد صلوة الظهر في تابوت مسجى
بثوب فوط وكان ذلك وجميع ما احتاج اليه من الثياب في تكفينه قد احضره الفاضل من وجه حل
عرفه وارتفعت الاصوات عند مشاهدته وعظم الضجيج حتى ان العاقل يتخيل ان الدنيا كلها تصيح
صوتا واحدا وغشي الناس من البكا والعويل ما شغلهم عن الصلوة وصلى عليه الناس ارسالا
وكان اول من ام بالناس القاضي محي الدين بن الزكي ثم اعيد عليه رحمه الله الى الدار التي في البستان
الذي كان متمرضا بها ودفن بالصفة الغربية منها وكان نزوله في حفرته قريبا من صلوة العصر
ثم نزل في اثناء النهار ولده الظافر وعزى الناس فيه وسكن قلوب الناس وكان الناس قد
شغلهم الحزن والبكا عن الاشتغال بالنهب والفساد فما يوجد قلب الا حزين ولا عين الا باكية
الا من شاء الله ثم رجع الناس الى بيوتهم اقبح رجوع ولم يعد منا احد في تلك الليلة الا
انا حضرنا وقرانا وجددنا حالا من الحزن واشتغل ذلك اليوم بالملك الافضل بكتب الكتب
الى اخوته وعمه يخبرهم بهذا الحادث وفي اليوم الثاني جلس للعزا جلوسا عاما واطلق باب
القلعة للفقها والعلما وتكلم المتكلمون ولم ينشد شاعر ثم انفض المجلس في ظهيرة ذلك اليوم
واستمر الحال في حضور الناس بكرة وعشية لقراة القران والدعا له رحمه الله ، قال العماد
طلبني السلطان ليلة السبت سادس عشر صفر ونحن عنده حتى مضى من الليل ثلثه وهو يحدثنا ونحدثه
ثم صلى بنا ودنا امامه وحان قيامه وانفصلنا باحسانه مغتبطين وبامتنانه مرتبطين
واصبحنا يوم السبت وجلسنا في ايوانه ننتظر خروجه لوضع الخوان ووجدناه قد اغلق
باغلاق بابه دونه ولم نشعر باقضاء القدر واحبه وخرج من خدمته من خبرنا بسقمه ودخول
الخوف المزعج منه وامر الملك الافضل بان نجلس في الايوان لبسط الخوان ونجلس في مكان ابيه
متربعا وكان من شرط الادب ان يخلي له موضعا مطربا من تلك الحالة وتكدر هنا منها سو الدلالة
فلا غبت عنه العيون وتزاحمت الظنون ودخلنا اليه ليلة الاحد للعيادة ومرضه في الزيادة

وفي

وفي كل يوم يضعف القلوب فتضاعف الكروب واستقل من دار الفنا سحرة يوم الاربعا وبات
الظلما عن الضيا ودخل قبره ليلة السابع والعشرين في الثرا ووحشت مطالع الانوار وبان بموته
رجا الرجال واظلم بغروب شمسه فضا الافضال وغاضت الايادي وفاضت الاعادي ودفن
بقلعة دمشق في مسكنه ودفن جامع الكرم والفضل والدين ثم بعد دفنه بنى الملك الافضل من شمالي
الجامع في جوارها تشبك الى الجامع لزوارها ونقله اليها يوم عاشورا سنة اثنين وتسعين واسرعنا
وقلنا ما لنا الا نستعيذ بالله ونستعين ، قلت ومما قلته رباعية في المرثية
وقال الملك الناصر من كلفني في الجود شيمتي فما انصفني ما يعلم ان الملك فني لم يبق من الوجود الا كفني
قال العماد ايضا في رسالته الموسومة بعتبى الزمان وكان السلطان رحمه الله لما توفي
دفن بالقلعة في منزله وما زال الافضل يروي في موضع ينقله اليه فاستشارني في ذلك فاشرت عليه
في سنة تسعين بان يبني تربته عند مسجد القدم ويبني عندها مدرسة للشافعية وقالوا اذا وصل
الملك العزيز استغنى بزيارتها عن الدخول الى دمشق واهلها وقالوا ان السلطان رحمه الله لما
مرض سنة احدى وثمانين بحران وصى ان يدفن بدمشق قبلي ميدان الحصا ويكون قبره على النهج
السابل وطريق القوافل ليدعو له الصادر والوارد والبادي والحاضر ويجوز عليه في الغزوات
العساكر قالوا وان نابت هذه الارض عن مكان الوصية فهي منه قريبة فامر الافضل ببناء
التربة عند مسجد القدم وتولى عمارتها بدر الدين مودود والي دمشق فاتفق وصول العزيز تلك
السنة للحصار وهم قد شرعوا في عمارتها فخرب ما كان قد ارتفع من البناء ثم استهم الافضل حدود
الجامع ليجعل التربة فيها موقف لدار كانت لبعض الصالحين وهي في حد المكان الذي زاده الاجل
الفاضل في المسجد فاشتراها منه وامر بعمارتها قبته فعمرت ونقل اليها السلطان يوم عاشورا
من سنة اثنين وتسعين بكرة الخميس ومشى الافضل بين يديه واراد العلما والفقها حمله على
اعناقهم التي فيها منته فقال الافضل يكفيه ادعيتكم الصالحة التي هي في المعاد جنته وحمله مماليكه
وخدمه واوليا نعمته وحشمه واخرج من باب القلعة في الليل على دار الحديث الى باب البريد
وادخل منه الى الجامع ووضع قدام باب النسر وصلى عليه القاضي محي الدين محمد بن علي القرشي
باذن الافضل ثم حمل منه على الرؤوس الى بطن الجدة ثم جاء الافضل وحده ودخل لحده واودعه
وخرج وشد الباب على ابيه وجلس هناك في الجامع ثلاثة ايام للعزا وانفقت ست الشام اخت
السلطان في هذه النوبة اموالا كثيرة ، قال محمد بن القادسي وفي يوم السبت الثاني عشر ربيع الاول

شاعت الاخبار يعني ببغداد بوفاة صلاح الدين يوسف بن ايوب وذكر انه دفن معه سيفه الذي
كان معه في الجهاد وكان ذلك براي الفاضل وقيل عنه هذا يتوكا عليه الى الجنة وان الفاضل كفنه
من ماله وتولى غسله الفاضل وخطيب دمشق **قلت** وحكي لي انه رى النبي صلى الله عليه وسلم في
جماعة من الصحابة رضي الله عنهم زاروا قبر صلاح الدين رحمه الله وانهم لما صاروا عند الشباك
سجدوا ووجدت في بعض الكتب الفاضلية ان رجلا راى في ليلة وفاة السلطان كان قايلا يقول
له قد خرج الليلة يوسف من السجن وهو من الاثر النبوي الدنيا سجن المومن وجنة الكافر وما كان يوسفنا
رحمه الله في الدنيا بالاضافة الى ما صار اليه الا في سجن رضي الله عن تلك الروح وفتح لها باب الجنة فهو
آخر ما كان يرجوه من الفتوح ومن كلام غيره في وفاة السلطان رحمه الله تعالى افلت الشمس عن
الصباح وذهبت روح الدنيا الذي ذهب بذهابها كثير من الارواح وتلك ساعة عطلت بها
الالباب جرايم وتملت فيها السماء ماير والجبال تماير واغمد سيف الله الذي كان على اعدايه دايم
التجريد وخفت الارض من رحلها ان كان سهلها ان يميد واصبح الاسلام وقد فقد ناصره وهو اعظم
فاقد لاعظم فقيد وليس احد من الناس الا وقد صم عن الخبر واصيب في سواد القلب والبصر
وقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عمر وختم العماد كتابه البرق
الشامي بقصيدة رثى بها السلطان رحمه الله عددها في ديوانه مايتان واثنان وثلاثون بيتا اولها

شمل الهدى والملك عم شتاته والدهر ساء واقلعت حسناته
اين الذي مذ لم يزل مخشية مرجوة رهباته وهباته
اين الذي كانت له طاعاتنا مبذولة ولربه طاعاته
بالله اين الناصر الملك الذي لله خالصة صفت نياته
اين الذي ما زال سلطانا لنا يرجى نداه وتتقى سطواته
اين الذي شرف الزمان بفضله وسمت على الفضلاء تشريفاته
اين الذي عنت الفرنج لباسه ذلا ومنها ادركت ثاراته
اغلال اعناق العدا اسيافه اطواق اجياد الورى مناته
لم يجد تدبير الطبيب وكم احدث لطب الدهر تدبيراته
من في الجهاد صفاحه ما اغمدت بالنصر حتى اغمدت صفحاته
من في صدور الكفر صدر قناته حتى يوارى بالصفاح قناته
لا المنابع في الجهاد ولم يكن مذ عاش قط لذاته لذاته
مسعودة غزواته محمودة روحاته ميمونة غدواته
في نصرة الاسلام يسهر دايما ليطول في روض الجنان سناته
لا تحسبوا ان تحضر واحد ان كل العالمين مماته
ملك عن الاسلام كان محاميا ابدا لماذا اسلمته حماته
قد اظلمت مذ غاب عنها دوره لما خلت من بدره داراته
دفن السماح فليس تنشر بعد ما اودى الى يوم النشور رفاته
الدين بعد ابي المظفر يوسف اقوت قواه واقفرت ساحاته
حل بضعضع من تضعضع ركنه اركاننا وتشتت هاماته
ما كنت اعلم ان بحرا طاميا فينا يطم وتنتهي زخراته
ما كنت اعلم ان طودا شامخا يهوي ولا تهوي بنا مهواته

بحر جلالته وادبه ولم يزل محفوفة بوفوده حافاته
من للبنامي والارامل راحم متعطف مفضوضة صدقاته
لو كان في عصر النبي لانزلت في ذكره من ذكره آياته صلواته
فعلى صلاح الدين يوسف دايما رضوان رب العرش بل
لم يحيه سقي السحاب فان تغب عنه لتحضر ربه سقياته
ولعادة البيت المقدس يحزن البيت الحرام عليه بل عرفاته
من للثغور وقد عدا ما حفظه من للجهاد ولم تعد عاداته غزواته
بكت الصوارم والصواهل اذ خلت من سلها وركوبها
وبسيفه صدا الحزن مصابه اذ ليس تشفى بعده صدياته
يا وحشتا للبيض في اغمادها لا تنتضيها للوغى عزماته
يا وحشة الاسلام يوم تمكنت في كل قلب مومن روعاته
ما ابن راجيه الذي بحضره الزمان ولم انقضت حسراته
ما اسرع الايام في اطفاء ما انارته بها اشرقت انواره
ملات نهابة البلاد فانه اشد وان بلادة غاياته
ما كان اسرع عصره لما انقضى وكانها سنواته ساعاته
لم انس يوم الشيب وهو لما به يبدي الصبابة وهو بعد عشاته
والشر منه يحبت انوار والوجه منه تلالات سبحاته
ويقول لله المهيمن حكمه في مرضه حصلت بها مرضاته
وقف الملوك على انتظار ركوبهم فيهم اخرت ركباته
كانوا وقوفا امس تحت ركابه واليوم هم حول السرير مشاته
وممالك الاقوام ساعية له فتحي تحجبهم سعاته
هدى منا شير الممالك تقتضي توقيعه فيها فاين دواته
هدي الجيوش من البلاد تواصلت فمتى الى تقديمها اراياته
ملكا وعدك في الربيع بحجها هذا الربيع وقد دنا ميقاته نفقاته
والحاج في الديوان جدد عرضه واذا امر بحمله دن
والقدس طامحة اليك عيونه عجل وقد طمحت اليك عداته
والعرب تنتظر طلوعك نحوه حتى تعين الى مداك نجاته
والشرق يرجو عزمك الماضي في ملكه حتى تطيع عصاته
مغرى باستيفا الجميع كانما فرضت عليه كالصلاة صلاته
هل للملوك مضاء في موقف شدت على اعدايه شدانه بمسعاته
واذا الملوك سعوا وقصر سعيهم ذجحت وقد نجحت
كم جاه التوفيق في وضعانه من كان بالتوفيق تم وصعانه
يا داعيا لله الذين حين تمكنت منه الدياب واسلمته رعاته
ما كان ضرك لو اقمت مراعيا دنيا تولى مدحلت ولاته
اضحت منا ام انفت فلم يكن من يصاب الشر هجراته
اضحيت تحت الارض بامن لم تزل فوق السماء عليه درجاته راحاته
وارقت ملكا عن فراق شعبا ووصلت ملكا باقيا
اعزز على عيني برويته بعد الدنيا ووجهك لا ترى بجاته
ابني صلاح الدين ان اباكم ما زال الي بالكرام اياته
لا تعدوا الاسنة فضله لنطيب في مهد النعيم سياته
ورثوا موارد عدله ومكارم لن تدعوا بحر السماء سماته
ولين هوى جبل القدس لنا بسه من هضابه دوانه
وبفضل افضله وعز عزيزه وظهور ظاهره لنا بارزواته
الافضل الملك الذي ظهرت على الدنيا بدهر جلاله جلواته
والدين بالملك العزيز عماده عمار جاليه لنا حالاته
والملك عادي الظاهر العالي الذي صحت لاظهار العلى عزماته ذاته
ولنا بسيف الدين اظهر نصره بالعادل الملك المظفر
قلت بخط العماد رحمه الله تعالى في حاشيه ديوانه كانت علامته الحمد لله وبه توفيقي

وللعماد فيه من قصيدة اخرى

من للعلى من للذرى من للهدى يحميه من للناس من للنايل طالب السقاء الملكية في آجل اذ لم سوى سقاء ملك العادل
بحر اعاد البر بحرا بره وبسيفه فتحت بلاد الساحل من كان اهل الحق في ايامه وبعزه يردون اهل الباطل
وفتوحه والقدس من ابكارها ابقت له فضلا بغير مساجل ما كنت استسقي لقبرك وابلا ورايت جودك مخجلا للوابل
فسقاك رضوان الاله لانني لا ارتضي سقيا الغمام الهاطل انتهى

فصل في تركة السلطان ووصف اخلاقه رحمه الله وذكر القاضي ابن شداد انه لما مات
لم يخلف في خزانته من الذهب والفضة الا سبعة واربعين درهما ناصرية وجرما واحدا ذهبا صوريا
ولم يخلف ملكا لا دارا ولا عقارا ولا بستانا ولا مزرعة يعني في البلد ولا مستغلا ولا ظاهرا
مستغلا من انواع الاملاك، وقال العماد في كتاب الفتح خلف السلطان رحمه الله سبعة عشر
ولدا ذكرا وابنة صغيرة وابقى له مآثر ومحاسن كثيرة ولم يخلف في خزانته سوى دينار
واحد وستة وثلاثين درهما فانه كان باخراج ما يدخل من الاموال في المكرمات مغرما وكان يجود
بالمال قبل الحصول ويقطعه عن خزانته بالحوالات عن الوصول واذا عرف بوصول حمل وقع عليه
باضعافه وخص الاحاد من ذوي الغناء في الجهاد ولا جبه آخذا ابا الرد اذا سأله الملطف له كانته
استمهله فانه يقول ما عندنا شي الساعة ويفهم منه انه يعطي وان كان يبطي وانه يصيبه بالنوال
ولا يخطي وكان مشغوفا في سبيل الله بالانفاق وموقوفا عزمه في الاعداء بادناء الآجال وفي
الاولياء باجراء الارزاق وما عقر في سبيل الله فرس او جرح الا وعوض مالكه مثله وزاده من فضله
فضله وحسب ما وهب من الخيل العراب والاكاديش الجياد للحاضرين معه في الجهاد منذ ثلاث سنين
وشهر منذ نزل الفرنج على عكا في رجب سنة خمس وثمانين الى يوم انفصالهم بالسلم في شعبان
سنة ثمان وثمانين فكان بعدد اثني عشر الف راس من حصان وحجر واكديش وذلك غير ما اطلقه
من المال في اثمان الخيل المصابة في القتال ولم يكن له فرس يركبه الا وهو موهوب او موعود به
وصاحبه ملازم في طلبه وما حضر اللقا الا استعار فرسا فركبه وهجر جياده فاذا نزل جاء
صاحبه واستعاده فكلهم يركب خيله ويطلب جبره وهو يستعير جوادا ويستعين في الجهاد اخذا
قال في البرق وحضرته يعني عند بعض الملوك وقد قدمت له بعراب فقيل له كان السلطان
يصنع هذه وما عندي لها اصحاب ونسوا جوده بها الى البرق وعدوه من مناقبه واعرضوا
عن ذكر مفاخره ومناقبه ومثل ذلك استسلم له الفتوح وخلصت له طاعة كل ابي، قال
في الفتح وكان لا يلبس الا ما يحل لبسه ويطيب به نفسه كالكتان والقطن والصوف وكسوته

يخرجها

يخرجها في اسداء المعروف وكانت محاضره مصونة من الخطل وخلواته معمورة بالطهر ومجالسه منزهة
من الهزؤ والهزل ومحافله حافلة باهل الفضل وما سمع له قط كلمة تسقط ولا لفظة فظة
تسخط ويغلظ على الكافرين الفاجرين ويلين للمومنين المتقين ويوثر سماع الاحاديث بالاسانيد ويكلم
العلماء عنده في العلم الشرعي المفيد وكان لمداومة الكلام مع الفقهاء ومشاركة القضاة اعلم منهم بالا حكام
الشرعية والاسباب المرضية والادلة المرعية وكان من جالسه لا يعلم انه جليس السلطان بل يعتقد
انه جليس اخ من الاخوان وكان حليما مقيلا للعثرات متجاوزا عن الهفوات تقيا نقيا صفيا وفيا يغضي
ولا يغضب ويعفو ولا يعتب ما رد سايلا ولا صد نايلا ولا اخجل قايلا ولا اخيب املا، قال
ومن جملة مناقبه انه تاخر عنه في بعض سفراته الامير ابو بكر بن كناب فلما وصل ساله عن سبب
تخلفه فذكر دينا فاحضر غرماه وتقبل بالدين وكان اثني عشر الف دينار مصرية وكسرا قال ولما
كنا بالقدس في سنة ثمان وثمانين كتب اليه سيف الدولة ابن منقذ نائبه بمصر ان واحدا ضمن معاملة
بمبلغ فاستنض منها الفي دينار وتسحب وربما وصل الى الباب فتحيل وتمحل وكذب فجاء من اخبر السلطان
بان الرجل بالباب فقال قل له ان ابن منقذ طلبك فاجتهد ان لا تقع في عينه فتعجبنا من حلمه وكرمه
بعد ان قلنا قدم الرجل الى حتفه بقدمه، قال ومما ذكره له في اول سفري معه الى مصر
سنة اثنين وسبعين انه حوسب صاحب ديوانه عما تولاه في زمانه فكانت سياقة الحساب عليه
سبعين الف دينار باقية عليه فما طلبها ولا ذكرها واراه انه ما عرفها على ان صاحب الديوان
ما انكرها وكان يرضى من الاعمال بما يحصل صفوا وعفوا ويحصل عدما حلوا وكم يخرج من الجود في الجهاد
ثم لم يرض له بالغلطة فولاه ديوان جيشه، قال ولما كنا بظاهر حران عم بصدقاته الفقرا
والمساكين وكتب الى ديوانه في الولايات باخراج الصدقات وقال لي اكتب الى الصفي بن
القابض بدمشق ان يتصدق بخمسة الف دينار صورية فقلت له الذهب الذي عنده مصري فقال
فيتصدق بخمسة الف دينار مصرية واستغنى عن صرف المصري بالصوري فيكون حراما وربما كتب في
الاجر اثنا ما فسح ومنح وما اجر الله وربح ولما عزم على الرحيل من حران افاض بها الفضل وبث الاحسان
وقال يوم الرحيل انظر كم بقي بالباب من الوافدين ابناء السبيل وهذه ثلاثماية دينار اقسمها عليهم
بالقلم على اقدارهم وكانوا جماعة يسيرة لم تبلغ عشرة فعينت لكل اسم قسما فبلغ اربعماية دينار فاعلمته
وقلت نقص من كل اسم دينارا فقال اجر ما جرى به القلم، قال وكان رحمه الله اذا اطلق لها في
عادفه وقلت له هذه ما تكفيه ردها مضاعفة، قال وكان يغضب للكبائر ولا يغضي عن الصغائر

ويرشد الى الهدى ويهدى الى الرشاد ويبدّد الامر ويامر بالسداد فكل مماليكه وخواصه بل امراوه
واجناده اعف من الزهاد والعباد ، قال ورأى لي يوما دواة محلاة بالفضة فانكرها
فقلت له ان الشيخ ابا محمد والداني المعالي قد ذكروا وجها في جوازها ثم لم اكتب بها عنده بعدها
وكان محافظا على الصلوات الخمس في اوايل اوقاتها مواظبا على اداء مفروضاتها ومسنوناتها فما رايته
صلى الا في جماعة ولم يوخر له صلوة من ساعة الى ساعة وكان له امام راتب ملازم مواظب ما يوما
صلى به من حضره من اهل العلم اذا عرفه متقيا مجتنبا للاثم وكان ياخذ بالشرع ويعطي به ولم يكن المنجم
مصغيا ولم يزل لقوله ملغيا ولا يسعف ولا يتطير ولا يعتز ولا يتخير بل اذا عزم توكل على الله فلا
يفضل يوما ولا زمانا على زمان الا بتفضيل الشرع وما زال ناصرا للتوحيد وقامعا جمع اهل البدع
بالتبديد شافعي المذهب اصولا وفروعا معتقدا له معقولا ومسموعا يدني اهل التنزيه ويقصي اهل
التشبيه ويديم استفادة فقه الفقيه واستزادة نباهة النبيه ووجاهة الوجيه فصل
قال القاضي ابن شداد كان مولد السلطان رحمه الله تعالى في شهور سنة اثنين وثلاثين وخمسمائة
بقلعة تكريت وكان والده ايوب بن شادي واليا بها وكان كريما اريحيا حليما حسن الاخلاق
مولده بدوين ثم انتقل من تكريت الى الموصل وانتقل ولده المذكور معه واقام بها الى ان
ترعرع وكان والده محترما مقدما هو واخوه اسد الدين شيركوه عند اتابك زنكي واتفق لوالده
الانتقال الى الشام واعطي بعلبك فاقام بها مدة ومعه ولده المذكور وما قام في خدمة والده
تربى تحت حجره ويرتضع ثدي محاسن اخلاقه حتى بدت منه امارات السعادة ولاحت عليه لوايح
التقديم والسيادة وقدمه الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله وعول عليه ونظر
اليه وقربه وخصصه ولم يزل كلما تقدم قدما تبدو منه اسباب تقتضي تقديمه الى ما هو اعلى منه
حتى اتفق لعمه اسد الدين شيركوه الحركة الى مصر والنهوض اليها وقد مضى ذلك ثم قال ذكر
ما شاهدناه من مواظبته على القواعد الدينية وملاحظته للامور الشرعية وذكر في الحديث الصحيح
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلوة وايتاء
الزكوة وصوم رمضان والحج الى بيت الله الحرام وكان رحمه الله حسن العقيدة كثير الذكر
لله تعالى قد اخذ عقيدته عن الدليل بواسطة البحث مع مشايخ اهل العلم واكابر الفقهاء وتفهم
من ذلك ما يحتاج الى تفهمه بحيث كان اذا جرى الكلام بين يديه يقول فيه قولا حسنا وان لم يكن
بعبارة الفقهاء فتحصل من ذلك سلامة عقيدته عن كدر التشبيه والتعطيل جارية على نمط

الاستقامة

الاستقامة وكان قد جمع له الشيخ الامام قطب الدين النيسابوري رحمه الله عقيدة تجمع جميع
ما يحتاج اليه في هذا الباب وكان من شدة حرصه عليها يعلمها الصغار من اولاده حتى ترسخ في اذهانهم
من الصغر ورايته وهو ياخذها عليهم وهم يقرؤونها من حفظهم عليه واما الصلوة فانه كان شديد
المواظبة عليها بالجماعة حتى انه ذكر رحمه الله انه له سنين ما صلى الا جماعة وكان اذا مرض يستدعي
الامام وحده ويكلف نفسه القيام ويصلي جماعة وكان يواظب على السنن الرواتب وكان له ركعات ن
يصليها اذا استيقظ بوقت من الليل والا اتى بها قبل صلوة الصبح وما كان يترك الصلوة ما دام
عقله عليه ولقد رايته يصلي في مرضه الذي مات فيه قايما وما ترك الصلوة الا في الايام الثلاثة
التي تغيب فيها ذهنه وكان اذا ادركته الصلوة وهو سائر نزل وصلى واما الزكوة فانه مات
رضي الله عنه ولم يحفظ ما وجبت عليه به الزكوة واما صدقة النفل فانها استنفدت جميع ما ملكه
من الاموال واما صوم رمضان فانه كان عليه منه فوايت امراض تواترت عليه في رمضانات
متعدده وكان القاضي الفاضل قد تولى ثبت تلك الايام وشرع رحمه الله في قضاء فوايت ذلك
في القدس الشريف في السنة التي توفي فيها وواظب على الصوم مقدار زايد على شهر فانه كان عليه فوايت
رمضانين شغلته الامراض وملازمة الجهاد عن قضايها وكان الصوم لا يوافق مزاجه فالهمه
الله الصوم لقضاء الفوايت وكان يصوم وانا اثبت الايام التي يصومها فان القاضي كان غايبا
والطبيب يلومه وهو لا يسمع ويقول لا اعلم ما يكون فكانه كان ملهما براءة ذمته ولم يزل حتى قضى
ما عليه رحمه الله واما الحج فانه لم يزل عازما عليه ناويا له لا سيما في العام الذي توفي فيه فانه
صمم العزم عليه وامر بالتاهب وعملنا المزاود ولم يبق الا المسير فاعتاق عن ذلك بسبب ضيق الوقت
وفراغ اليد عما يليق بامثاله فاخره الى العام المستقبل فقضى الله ما قضى قال وهذا شي اشترك
في العلم به الخاص والعام وكان رحمه الله يحب سماع القران العظيم حتى انه كان يختار امامه ويشترط ط
عليه ان يكون عالما بعلوم القران العظيم متقنا لحفظه وكان يستقرئ من يحضره بالليل وهو في برجه
الجزئين والثلاثة والاربعة وهو يسمع وكان يستقرئ في مجلسه العام من جرت عادته بذلك الاية
والعشرين والزايد على ذلك ولقد اجتاز على صغير بين يدي ابيه وهو يقرا القران فاستحسن قراءته
فقربه وجعل له حظا من خاص طعامه ووقف عليه وعلى ابيه جزءا من مزرعة وكان رحمه الله
خاشع القلب رقيق الدمعة اذا سمع القران العزيز يخشع قلبه وتدمع عينه في معظم اوقاته
وكان شديد الرغبة في سماع الحديث ومتى سمع عن شيخ ذي رواية عالية وسماع كثير

فانه كان ممن حضر عنده استحضره وسمع عليه واسمع من يحضره في ذلك المكان من اولاده ومماليكه
والمختصين به وكان يامر الناس بالجلوس عند سماع الحديث اجلالا له وان كان الشيخ ممن لا يطرق
ابواب السلاطين ويتجافى عن الحضور في مجالسهم سعى اليه وسمع عليه تردد الى الحافظ السلفي بالاسكندرية
وروى عنه احاديث كثيرة وكان يحب ان يقرا الحديث بنفسه وكان يستحضرني في خلوته ويحضر
شيا من كتب الحديث ويقراها هو فاذا مر بحديث فيه عبرة رق قلبه ودمعت عينه وكان كثير التعظيم
لشعاير الدين قايلا ببعث الاجسام ونشورها ومجازاة المحسن بالجنة والمسي بالنار مصدقا بجميع
ما وردت به الشرايع منشرحا بذلك صدره مبغضا للفلاسفة والمعطلة والدهرية
ومن يعاند الشريعة المطهرة ولقد امر ولده الظاهر صاحب حلب بقتل شاب كان نشا يقال
له السهروردي قيل عنه انه كان معاندا للشرايع مبطلا وكان قد قبض عليه ولده المذكور
لما بلغه من خبره وعرف السلطان به فامر بقتله وصلبه اياما فقتله وكان حسن الظن
بالله كثير الاعتماد عليه عظيم الانابة اليه ولقد شاهدت من اثار ذلك ما احكيه من التجايه
الى الله تعالى عند خوفه من قصد الفرنج بيت المقدس وامتناع اصحابه [illegible] الحصر فصلى
ودعى وكفي ذلك وقد تقدم ذكره ثم قال وكان رحمه الله عادلا رووفا رحيما ناصرا للضعيف
على القوي وكان يجلس للعدل في كل يوم اثنين وخميس في مجلس عام يحضره الفقها والقضاة
والعلما ويفتح الباب للمتحاكمين حتى يصل اليه كل احد من كبير وصغير وعجوز هرمة وشيخ كبير
وكان يفعل ذلك حضرا وسفرا على انه كان في جميع زمانه قابلا لما يعرض عليه من القصص كاشفا
لما ينهى اليه من المظالم وكان يجمع القصص في كل يوم ثم يجلس مع الكاتب ساعة اما في الليل واما
في النهار ويوقع على كل قصة بما يطلق الله على قلبه وما استغاث اليه احد الا وقف وسمع ظلامته
واخذ قصته وكشف قضيته ولقد رايته وقد استغاث اليه انسان من اهل دمشق يقال
له ابن زهير على تقي الدين ابن اخيه وانفذ اليه ليحضره في مجلس الحكم فما خلصه الا ان اشهد
عليه شاهدين انه وكل القاضي امين الدين ابا القاسم قاضي حماه في المخاصمة فلما قاما الزمه
عندي في مجلسه فامرنا ابا القاسم بمساواة الخصم فساواه وكان من خواص جلسا السلطان
ثم جرت المحاكمة بينهما واتجه الحق على تقي الدين وكان تقي الدين من اعز الناس عليه واعظمهم عنده
ولم يحابه في الحق قال ولقد كنت يوما في مجلس الحكم بالقدس الشريف اذ دخل علي شيخ حسن
تاجر معروف يسمى عمر الخلاطي ومعه كتاب حكم فسال فتحه فقال خصمي السلطان وهذا بساط الشرع

وقد سمعنا انك لا تحابي قلت وفي اي قضية هو خصمك فقال ان سنقر الخلاطي كان مملوكي ولم
يزل على ملكي الى ان مات وكان في يده اموال عظيمة كلها لي ومات عنها واستولى عليها السلطان
وانا مطالبه بها فقلت يا شيخ وما الذي اقعدك الى هذه الغاية فقال الحقوق لا تبطل بالتاخير
وهذا الكتاب الحكمي ينطق بانه لم يزل في ملكي الى ان مات فاخذت الكتاب منه وتصفحت مضمونه
فوجدته يتضمن حلية سنقر الخلاطي وانه قد اشتراه من فلان التاجر بارجيش في اليوم الفلاني
من شهر كذا من سنة كذا وانه لم يزل في ملكه الى ان شذ عن يده في سنة كذا وما عرف شهود
هذا الكتاب خروجه عن ملكه بوجه ما وتم الشرط الى اخره فتعجبت من هذه القضية واعلمت السلطان
بذلك فاحضره واسندناه حتى جلس بين يدي وكنت الى جانبه ثم انفرك من طراحته حتى ساواه
رحمه الله ثم ادعى الرجل وفتح كتابه وقرى تاريخه فقال السلطان امن يشهد ان هذا سنقر في هذا التاريخ
كان في ملكي وفي يدي بمصر واني اشتريته مع ثمانية انفس في تاريخ متقدم على هذا التاريخ بسنة وانه
لم يزل في يدي وفي ملكي الى ان اعتقته ثم استحضر جماعة من اعيان الامرا المجاهدين فشهدوا بذلك
وحكوا القضية كما ذكرها وذكروا التاريخ كما ادعاه فابلس الرجل فقلت له يا مولانا هذا
الرجل ما فعل ذلك الا طلبا لمراحم السلطان وقد حضر بين يدي المولى وما يحسن ان يرجع خايب
القصد فقال هذا باب اخر وتقدم له بخلعة ونفقة بالغة قال فانظر الى ما في هذه القضية
من المعاني الغريبة العجيبة من التواضع والانقياد الى الحق وارغام النفس والكرم في موضع المواخذة
مع القدرة التامة رحمه الله عليه قال وكرمه كان اظهر من ان يسطر كان رحمه الله يهب
الاقاليم وفتح امد فطلبها منه ابن قرا ارسلان فاعطاه اياها ورايته وقد اجتمع عنده وفود
بالقدس ولم يكن في الخزانة ما يعطيهم فباع قرية من بيت المال وفضضنا ثمنها عليهم ولم يفضل
منه درهم واحد وكان يعطي في وقت الضايقة كما يعطي في حال السعة وكان نواب خزانته يخفون
عنه شيا من المال حذرا ان يفاجيهم مهم لعلمهم انه متى علم به اخرجه وسمعته يوما يقول يمكن ان يكون
في الناس من ينظر الى المال كما ينظر الى التراب وكانه اراد بذلك نفسه وكان يعطي فوق ما يومل
الطالب وما سمعته قط يقول اعطينا لفلان وكان يعطي الكثير ويبسط وجهه للمعطى بسط
من لم يعطه شيا وكان الناس يستزيدونه في كل وقت وما سمعته قط يقول قد زدت مرارا فكم ازيد
واكثر الرسايل في ذلك كانت تكون على لساني ويدي وكنت اخجل من كثرة ما يطلبون ولا اخجل منه
لعلمي بعدم مواخذته بذلك وما خدمه قط احد الا واغناه عن سوال غيره واما تعداد عطاياه فقال

صحصرنا عددنا ما وهب من الخيل بمرج عكا لا غير وكان عشرة آلف راس ومن شاهد مواهبه يستقل هذا
العدد اللهم انك الهمته الكرم وانت اكرم الاكرمين فتكرم عليه برحمتك ورضوانك يا ارحم الراحمين فصل
وكان رحمه الله من عظماء الشجعان قوي النفس شديد الباس عظيم الثبات لا يهوله امر ولقد رايته
مرابطا في مقابلة عدة من الفرنج ومددهم تتواصل وعساكرهم تتوافر وهو لا يزداد الا قوة نفس عظيمة
وصبرا ولقد وصل في ليلة واحدة نيف وسبعون مركبا على عكا وانا اعدها من بعد صلوة العصر الى غروب
الشمس وهو لا يزداد الا قوة نفس ولقد كان يعطي دستورا في اوايل الشتا ويبقى في شرذمة يسيرة في
مقابلة عدتهم الكثيرة ولقد سالت باليان بن بارزان وهو من كبار ملوك الساحل وهو جالس بين
يديه يوم انعقاد الصلح عن عدتهم فقال الترجمان انه يقول كنت انا وصاحب صيدا وكان ايضا من
ملوكهم وعقلائهم قاصدين عسكرنا من صور فلما اشرفنا عليه تحازرناه فحزره هو بخمس ماية الف وحزرته انا
بستماية الف وقال عكس ذلك فقلت فكم هلك منهم فقال اما بالقتل فقريب من ماية الف واما بالموت والغرق
فلا نعلم وما رجع من هذا العالم الا الاقل قال وكان لا بد له من ان يطوف حول العدو كل يوم مرة او مرتين
اذا كنا قريبا منهم وكان اذا اشتد الحرب يطوف بين الصفين ومعه صبي واحد وعلى يده جنيب ويخرق العساكر
من الميمنة الى الميسرة ويرتب الاطلاب ويامرهم بالتقدم والوقوف في مواضع يراها وكان يشارف العدو ويجاوره
ولقد قرى عليه جزء من الحديث بين الصفين وذلك اني قلت له قد سمع الحديث في جميع المواطن الشريفة وما
نقل انه سمع بين الصفين فان راى المولى ان يوثر عنه ذلك كان حسنا فاذن في ذلك فاحضر جزء رسالة من
له به سماع فقرى عليه ونحن على ظهور الدواب بين الصفين نمشي تارة ونقف اخرى وما رايته استكثر العدو
اصلا ولا استعظم امرهم قط وكان مع ذلك في حال الفكر والتدبير يذكر بين يديه الاقسام كلها ويرتب
على كل قسم مقتضاه من غير حدة ولا غضب يعتريه ولقد انهزم المسلمون في يوم المصاف الاكبر بمرج عكا
حتى القلب ورجاله ووقع الكوس والعلم وهو ثابت القدم في نفر يسير وقد انحاز الى الجبل يجمع الناس ويردهم
ويخجلهم حتى يرجعوا ولم يزل كذلك حتى كسر المسلمون العدو في ذلك اليوم وقتل منهم سبعة الاف ما بين
راجل وفارس ولم يزل مصابرا لهم وهم في العدة الوافرة الى ان ظهر له ضعف المسلمين فصالح وهو مسول
من جانبهم فان الضعف والهلاك كان فيهم اكثر ولكنهم كانوا يتوقعون النجدة ونحن لا نتوقعها وكانت المصلحة
في الصلح وكان رحمه الله يمرض ويصح ويعتريه احوال مهولة وهو مصابر مرابط ونتراءى النيران ونسمع
منهم صوت الناقوس ويسمعون منا صوت الاذان الى ان انقضى الامر وكان رحمه الله شديد المواظبة على
الجهاد عظيم الاهتمام به ولو حلف حالف انه ما انفق بعد خروجه الى الجهاد دينارا ولا درهما الا في

الجهاد

الجهاد او في الارفاد لصدق وبر في يمينه ولقد كان الجهاد وحبه والشغف به قد استولى على قلبه وساير
جوانحه استيلاء عظيما بحيث ما كان له حديث الا فيه ولا نظر الا في آلته ولا اهتمام الا برجاله ولا ميل الا
الى من يذكره ويحث عليه ولقد هجر في محبة الجهاد في سبيل الله اهله واولاده ووطنه وسكنه وساير
بلاده وقنع من الدنيا بالسكون في ظل خيمة تهب بها الرياح يمنة ويسرة ولقد وقعت عليه الخيمة في ليلة
ريحة على مرج عكا فلو لم يكن في البرج لقتلته ولا يزيده ذلك الا رغبة ومصابرة واهتماما قلت
وشواهد ما ذكر القاضي من ذلك كثيرة وقد سبقت متفرقة في وقعاته رحمه الله منها ما قاساه على حصار
حصن كوكب من الامطار والاوحال وقال الرشيد النابلسي من قصيدة له

ما ابهج الدين والدنيا بمالكها الصديق يوسف لا الذي بالغير ملك يساوي جهادي في الجهاد وعود لدنيه وصاحبا نا — حزا صفر
فليس يثنيه حران يوم عن رضى الاله ولا ان اغدق المطر ولا ينهنهه عما يكابد من ضوح اعبد معاليه ولا ضجر
ولا يرى الروح الاطهر يشبهه في بعض معركة يركوبها او عرصة جميل الطعم الشهد في فمه وعند كل مليك طعمه الصبر

قال القاضي وكان الرجل اذا اراد ان يتقرب اليه يحثه على الجهاد ويذكر شيئا من اخبار الجهاد
ولقد الف له كتب عدة في الجهاد وانا ممن جمع له فيه كتابا جمعت فيه ادابه وكل آية وردت فيه وكل حديث
روي فيه وشرحت غريبها وكان رحمه الله كثيرا ما يطالعه حتى اخذه منه ولده الافضل قال ولاحكين
عنه ما سمعته منه في ذلك وذلك انه كان قد اخذ كوكب في ذي القعدة سنة اربع وثمانين واعطى
العساكر دستورا واخذ عسكر مصر في العود الى مصر وكان يقدمه اخاه العادل فسار معه ليودعه
ويحظى بصلوة العيد في القدس فصلى ووقع له ان يمضي معهم الى عسقلان ويودعهم بها ويعود على طريق
الساحل ويتفقد البلاد الساحلية الى عكا ويرتب احوالها فاشاروا عليه ان لا يفعل فان العساكر اذا فارقتنا
نبقى في نفر يسير والفرنج كلهم بصور وهذه مخاطرة عظيمة فلم يلتفت وودع اخاه والعسكر
بعسقلان ثم سرنا على الساحل طالبي عكا وكان الزمان شتاء عظيما والبحر هايجا هيجانا عظيما وموجه
كالجبال كما قال الله تعالى وكنت حديث عهد برؤية البحر فعظم امر البحر عندي حتى خيل لي انني لو قال لي قايل
لو جزت في البحر ميلا واحدا ملكتك الدنيا لما كنت افعل واستخففت راي من ركب البحر رجاء كسب
دينار او درهم واستحسنت راي من لا يقبل شهادة راكب البحر هذا كله خطر لي لعظم الهول الذي شاهدته
من حركة البحر وتموجه فبينا انا في ذلك اذ التفت الي وقال في نفسي انه متى يسر الله تعالى فتح بقية
الساحل قسمت البلاد واوصيت وودعت وركبت هذا البحر الى جزايرهم اتبعهم فيها حتى لا ابقي
على وجه الارض من يكفر بالله او اموت فعظم وقع هذا الكلام عندي حيث ناقض ما كان يخطر لي وقلت

له ليس في الارض اشجع نفسا من المولى ولا اقوى نية منه في نصرة دين الله وحكيت له ما خطر لي
ثم قلت ما هذه الا نية جميلة ولكن المولى لا يسير في البحر العساكر وهي سور الاسلام ولا ينبغي ان يخاطر
بنفسه فقال انا استفتيك ما اشرف الميتات فقلت الموت في سبيل الله فقال غاية ما في الباب
ان اموت اشرف الميتات فانظر الى هذه الطوية ما اطهرها والى هذه النفس ما اشجعها واجسرها اللهم انك
تعلم انه بذل جهده في نصرة دينك رجاء رحمتك فارحمه قال واما صبره فلقد رايته بمرج عكا
وهو على غاية من مرض اعتراه بسبب كثرة دماميل كان ظهرت عليه من وسطه الى ركبتيه بحيث لا يستطيع الجلوس
وانما يكون متكيا على جانبه اذا كان في الخيمة وامتنع من مد الطعام بين يديه لعجزه عن الجلوس وكان
يامر ان يفرق على الناس وكان مع ذلك كله يركب من بكرة النهار الى صلوة الظهر يطوف على الاطلاب
ومن العصر الى صلوة المغرب وهو صابر على شدة الالم وقوة ضربان الدماميل وكان نعجب من ذلك فيقول
رحمه الله اذا ركبت يزول عني المها حتى انزل وهذه عناية ربانية ولقد مرض ونحن على الخروبة وكان
قد تاخر عن تل الحجل بسبب مرضه فبلغ الفرنج ذلك فخرجوا طمعا في ان ينالوا من المسلمين شيا بسبب
مرضه وهي نوبة النهر فخرجوا في مرحلة الى الابار التي تحت التل ثم رحل العدو في اليوم الثاني
يطلبنا فركب رحمه الله على مضض ورتب العساكر للحرب وجعل اولاده في القلب ونزل هو قبالة القوم
بطلبه وكلما سار العدو يطلب راس النهر سار هو مستديرا ورآهم حتى يقطع بينهم وبين خيامهم
وهو رحمه الله يسير ساعة ثم ينزل يستريح ويظلل بمنديل على راسه من شدة وقع الشمس ولا يضرب
له خيمة حتى لا يرى العدو ضعفا ولم يزل كذلك حتى نزل العدو براس النهر ونزل هو على تل قبالتهم
مطل عليهم الى ان دخل الليل ثم امر العساكر ان يعودوا الى محل المصابرة وان يبيتوا تحت السلاح وتاخر
هو الى قمة الجبل وضرب له خيمة لطيفة وبت تلك الليلة اجمع انا والطبيب نمرضه ونشاغله وهو
ينام تارة ويستيقظ اخرى حتى لاح الصباح ثم ضرب البوق وركب رحمه الله وركبت العساكر واحدقت
بالعدو ورحل العدو عائدا الى خيمه من الجانب الغربي للنهر وضايقه المسلمون مضايقة شديدة
وفي ذلك اليوم قدم اولاده بين يديه احتسابا الافضل والظاهر والظافر وجميع من حضر منهم
ولم يزل يبعث من عنده حتى لم يبق عنده الا انا وطبيب وعارض الجيش والغلمان بايديهم الاعلام
والبيارق لا غير فيظن الرائي لها ان تحتها خلقا كثيرا وليس تحتها الا واحد يحلو عظيم رحمه الله
وبقي في موضعه والعساكر على ظهور الخيل قبالة العدو الى آخر النهار ثم امرهم ان يبيتوا على مثل ما باتوا
عليه البارحة وبتنا على ما بتنا عليه الى الصباح وعاد العسكر الى ما كان عليه بالامس من مضايقة العدو

قال ولقد رايته ليلة على صفد وهو يحاصرها وقال لا ننام الليلة حتى ينصب لنا خمسة مجانيق
ورتب لكل منجنيق قوما يتولون نصبه وكنا طول الليل في خدمته في الذ فكاهة وارغد عيشة والر سل
تتواصل مخبرة بانه نصب من المنجنيق الفلاني كذا ومن الآخر كذا حتى اتى الصباح وقد فرغ
منها وكانت من اطول الليالي واشدها بردا ومطرا قال ولقد رايته وقد جاءه خبر وفاة
ولد له بالغ او مراهق يسمى اسمعيل فوقف على الكتاب ولم يعرف احدا ولم نعرف حتى سمعناه من غيره
ولم يظهر عليه شي من ذلك سوى انه لما قرا الكتاب دمعت عينه رحمه الله قال ولقد رايته
وقد وصله خبر وفاة تقي الدين ونحن في مقاتلة الفرنج جريدة على الرملة وفي كل ليلة تقع الصيحة فتقلع
الخيام ويقف الناس على ظهر الى الصباح والعدو بيازور بيننا وبينه شوط فرس فاحضر
العادل وابن جندر وابن المقدم وابن الداية سابق الدين وامر الناس فابعدوا عن الخيمة بحيث
لم يبق حولها احد عن غلوة سهم ثم اظهر الكتاب ووقف عليه وبكى بكاء شديدا حتى ابكانا
من غير ان نعلم السبب ثم قال رحمه الله والعبرة تخنقه توفي تقي الدين فاشتد بكاؤه وبكاء الجماعة
ثم عدت الى نفسي فقلت استغفر الله واخذ يكررها ثم قال لا يعلم هذا احد قال وكان رحمه الله شديد
الشوق والشغف باولاده الصغار وهو صابر على مفارقتهم راض ببعدهم عنه وكان صابرا على
مر العيش وخشونته مع القدرة التامة على غير ذلك احتسابا بالله تعالى اللهم انه ترك ذلك
كله ابتغاء لمرضاتك فارض عنه قال ولقد كان رحمه الله حليما متجاوزا قليل الغضب ولقد كنت
بخدمته بمرج عيون قبل خروج الفرنج الى عكا يسر الله فتحها وكان من عادته انه يركب في وقت
الركوب ثم ينزل فيمد الطعام وياكل مع الناس ثم ينهض الى خيمة خاص له ينام فيها ثم يستيقظ
من منامه ويصلي ويجلس خلوة وانا في خدمته يقرا شيا من الحديث او شيا من الفقه ولقد قرا علي
كتابا مختصرا لسليم الرازي يشتمل على الارباع الاربعة من الفقه فنزل يوما على عادته ومد
الطعام بين يديه ثم عزم على النهوض فقيل له ان وقت الصلوة قد قرب فعاد الى الجلوس وقال نصلي
وننام ثم جلس يحدث حديث متضجر وقد اخلى المكان الا من لزم فتقدم اليه مملوك كبير محترم عنده
وعرض عليه قصة لبعض المجاهدين فقال له انا الآن ضجر اخرها ساعة فلم يفعل وقدمها الى قرب
من وجهه الكريم بيده وفتحها بحيث يقرؤها فوقف على الاسم المكتوب في راسها
فعرفه وقال رجل مستحق فقال يوقع له المولى فقال ليست الدواة حاضرة الآن وكان رحمه الله
جالسا في باب الخركاه بحيث لا يستطيع احد الدخول اليها والدواة في صدر الخركاه كثيره

فقال له المخاطب هاهي الدواة في صدر الخركاه قال القاضي فليس لهذا معنى الا امره اياه احضار الدواة
لا غير والتفت رحمه الله فرأى الدواة فقال والله صدق ثم امتد على يده اليمنى واحضرها ووقع له
فقلت قال الله تعالى في حق نبيه صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم وما ارى المولى الا قد شاركه
في هذا الخلق فقال ما ضرنا شي قضينا حاجته وحصل الثواب • قال القاضي ولو وقعت
هذه الواقعة لآحاد الناس لقام وقعد ومن الذي يقدر ان يخاطب احدًا هو تحت حكمه بمثل ذلك
وهذا غاية الاحسان والحلم والله لا يضيع اجر المحسنين قال ولقد كانت طراحته تداس عند التزاحم
عليه لعرض القصص وهو لا يتأثر لذلك ولقد نفرت يومًا بغلتي من الجمال وانا راكب في خدمته فزحمت
وركه حتى آلمته وهو يتبسم ولقد دخلت بين يديه في يوم ريح مطير الى القدس كثير الوحل
فنضحت البغلة عليه من الطين حتى اهلكت جميع ما كان عليه وهو يتبسم واردت التأخر عنه بسبب
ذلك فما تركني ولقد كان يسمع من المستغيثين اليه والمتظلمين اغلظ ما يمكن ان يسمع ويلقى ذلك بالبشر
والقبول ثم قال القاضي حكاية يندر ان يسطر مثلها فذكر ما تقدم من امتناع عسكره من الهجوم على
الانكليز وهو في جمع يسير من اصحابه بعد ان طافوا بهم وواجه الحاجب السلطان بذلك الكلام
الخشن فرجع السلطان مغضبًا وظن انه ربما صلب وقتل في ذلك اليوم فنزل بيازور وقد وصله
من دمشق فاكهة كثيرة فطلب الامرا ليأكلوا فحضروا فراوا من بشره وانبساطه ما اخذ بهم الطمانينة
والامن والسرور • قال وكان رحمه الله كثير المروءة ندي الوجه كثير الحيا منبسطًا لمن
يرد عليه من الضيوف ويكرم الوافد عليه وان كان كافرًا ولقد وفد عليه البرنس صاحب انطاكيه
فما احس به الا وهو واقف على باب خيمته بعد وقوع الصلح في شوال عند منصرفه من القدس الى دمشق
وقد تقدم ذلك عرض له في الطريق وطلب منه شيئًا فاعطاه العمق وهي بلاد كان اخذها منه عام الساحل
سنة اربع وثمانين ولقد رأيته وقد دخل اليه صاحب صيدا فاحترمه واكرمه واكل معه
وعرض عليه الاسلام وذكر له طرفًا من محاسنه وحثه عليه وكان يكرم من يرد عليه من المشايخ
وارباب العلم والفضل وذوي الاقدار وكان يوصينا لئلا نغفل عن تجار بالخيم من المشايخ المعروفين
حتى يحضرهم عنده وينالهم من احسانه ولقد قدم بنا سنة اربع وثمانين رجل جمع من العلم والتصوف
وكان من ذوي الاقدار وكان ابوه صاحب توريز فاعرض عما هو فيه من قرابته واشتغل بالعلم والعمل وحج
ووصل زائرًا البيت المقدس ولما قضى لبانته منه ورأى آثار السلطان فيه وقع محبته فوصل اليه الى
العسكر فلقيته ودخلت به وعرفت السلطان وصوله فاستحضره وشكر عن الاسلام وحثه على الخير

وانصرف

وانصرف وبات عندي في الخيمة فلما صلينا الصبح اخذ يودعني فقبحت له المسير دون وداع السلطان
فلم يلتفت ولم يلو على ذلك وقال قضيت حاجتي منه ولا غرض لي فيما عدا رؤيته وزيارته ثم انصرف
ومضى على ذلك ليالٍ فسأل السلطان عنه فاخبرته بفعله فظهر عليه آثار التغيظ كيف لم اخبره برواحه — حـ
وقال كيف يطرقنا مثل هذا الرجل وينصرف عنا من غير احسان يمسه منا وشدد النكير علي في ذلك
فما وجدت بدًا من ان كتبت كتابًا الى محيي الدين قاضي دمشق كلفته فيه السؤال عن حال الرجل وايصال
رقعة كتبتها اليه طي كتابي اخبرته فيها بانكار السلطان رواحه من غير اجتماع به وحثثته فيها على
العود وكان بيني وبينه صداقة تقتضي مثل ذلك فعاد واجتمع بالسلطان فرحب به وانبسط
معه واستوحش له وامسكه اياما ثم خلع عليه خلعة حسنة واعطاه مركوبًا لائقًا وثيابًا
كثيرة ليحملها الى اهل بيته واتباعه وجيرانه ونفقة يرتفق بها وانصرف عنه وهو اشكر الناس له
واخلصهم دعاء لايامه • قال ولقد رأيته رحمه الله وقد مثل بين يديه اسير فرنجي وقد هابه
بحيث ظهر عليه امارات الخوف والجزع فقال له الترجمان من اي شي تخاف فاجرى الله على لسانه
اني كنت اخاف قبل ان ارى هذا الوجه فبعد رؤيتي له وحضوري بين يديه ايقنت اني ما ارى الا
الخير فمن عليه واطلقه ورق له • قال وكنت راكبا في خدمته في بعض الايام قبالة الفرنج وقد وصل
بعض اليزكية ومعه امراة شديدة التخوف كثيرة البكا متواترة الدق على صدرها فذكر قصة
ام الرضيع الذي سرق وقد مضت • قال وكان رحمه الله لا يرى الاساءة الا من صحبه وان افرط
في الخيانة ولقد قلب في خزانته كيسان من الذهب المصري بكيسين من الفلوس فما عامل النواب بشيا
سوى انه صرفهم من عملهم لا غير وكان رحمه الله حسن العشرة لطيف الاخلاق طيب الفكاهة حافظًا — فظًا
لانساب العرب ووقائعهم عارفًا بسيرهم واحوالهم حافظًا لانساب خيلهم عالمًا بعجائب الدنيا
ونوادرها بحيث كان يستفيد محاضره منه ما لا يسمعه من غيره وكان يسأل الواحد منا عن
مرضه ومداواته ومطعمه ومشربه وتقلبات احواله وكان طاهر المجلس لا يذكر بين يديه احد
الا بالخير وطاهر السمع فلا يحب ان يسمع عن احد الا الخير وطاهر اللسان فما رأيته اولع بشتم قط وطاهر — تعلها دي
القلم فما كتب بقلمه قط وكان حسن العهد والوفا فما احضر بين يديه يتيم الا وترحم على مخلفه وجبر قلبه
واعطاه خبز مخلفه ان كان له من اهله كبير يعتمد عليه وسلمه اليه والا ابقى له من الخبز ما يكفي حاجته
وسلمه الى من يكلفه ويعتني بتربيته وكان ما يرى شيخًا الا ويرق له ويعطيه ويحسن اليه ولم يزل
على هذه الاخلاق الى ان توفاه الله عز وجل الى مقر رحمته ومحل رضوانه ومغفرته

قلت ولجعفر بن شمس الخلافة من قصيدة رثاه بها ٥

الست ترى كيف اسرى الخطب نايرًا ومد امنه الى دافع الخطب الناصر الملك الذي ملئت به قلوب الورى من رجا
كريم اتاه الموت صبغا فلم يكن ليبرله الا على السهل والرحب ولو خاب منه قبل ذلك سايل لخاب ولبس البحل من شيم السحب
قضى مقضى المعروف وانقرض الندى وحطت رحال الوفد في الشرق والغرب فامس على الدنيا سحاب نواله فقاضت عليه اعين العجم والعرب
ولو انه يبكي على قدر حقه اسال دموع المرء عن الشهب جزاه عن الاسلام خيرًا الهه فما مل عنه من دفاع ومن ذب
تداركه بعد ابتدال بغدعا وكان شديد الخوف في امنع الحجب واصبح البيت المقدس معقلا اطاب عزم من مقارنة القلب
اذل الله العدى من اطاعة وسهل منهم كل ممتنع صعب بقي الخلد عند الله دار مقره يمتع منه ما بجوار وبالقرب

فصل في انقسام ممالكه بين اولاده واخوته وبعض ما جرى بعد وفاته قال

العماد في كتاب البرق وخلف السلطان سبعة عشر ولدا اكبرهم الملك الافضل نور الدين ابو الحسن علي ومولده بمصر يوم عيد الفطر سنة خمس وستين وخمسماية وتولى بعده دمشق الى ان خرج منها الى صرخد وتولاها عمه العادل في شعبان سنة اثنتين وتسعين مضافة الى ممالكه بالبلاد الشرقية والجزيرة وديار بكر ثم الملك العزيز عماد الدين ابو الفتح عثمان ومولده بمصر ايضا من جمادى الاولى سنة سبع وستين وتوفي بها في ملكه ليلة الاحد العشرين من محرم سنة خمس وتسعين وتولى بعده احد اولاده الصغار ثم الملك الظاهر غياث الدين غازي ومولده بمصر منتصف شهر شعبان سنة ثمان وستين وتولى حلب واعمالها قال وقد انشات الرسالة الموسومة بالعتبى والعقبى فيما طرى بعد السلطان الى آخر سنة اثنتين وتسعين وقال في كتاب الفتح تولى الملك الافضل دمشق والساحل وما يجري مع ذلك من البلاد وهو الذي حضر وفاة والده واقام بسنة العزاء وقدر الاقتداء مابه في ايلاء الالاء واذنا الاولياء وخلع على الاماثل والامرا والافاضل والعلما واوى اليه اخوته وضم جماعته وجهز اخاه الظافر خضر الدين واسهمه الاحد عمه العادل كما سنذكره وكانت حمص والمناظر والرحبة وبعلبك وما يجري معها في المملكة الافضلية داخلة وقدم عليه سلطانا بها الملكان المجاهد والامجد الى دمشق فما كدت بينهم القرابة والالفة ولما استقر الافضل بدمشق في مقام والده قدم الى الديوان العزيز حاسن بانهاء الحال ثم ندب ضياء الدين ابن الشهرزوري في الرسالة واصحبه عدة والده في الغزاة وسيفه ودرعه وحصانه واضاف الى ذلك من الهدايا والتحف والخيل العراب ما استنفذ وسعه وامكانه فما تهيا مسير الرسول الا في اواخر جمادى الاخرة حتى حصل كل ما اراد من الهدايا الفاخرة وحتى كانت مصر وحلب واعلم غير رسوله حتى لا يظن انه

بسوله وقصد مداراة اخوته وفصل بفصل غوبه وذلك بعد ان جدد نقش الدينار والدرهم باسمي امير المومنين وولي العهد عدة اليمين وقال ابن القادسي وفي يوم الثلاثا مستهل رمضان حمل ابن الشهرزوري ما كان صحبه الافضل من حمل الشام الى الديوان العزيز وهو صليب الصلبوت الذي كان قد اخذه والده وذكر انه ذهب يزيد على العشرين رطلا مرصعا بالجواهر ومعه خادم مختص بخدمته وحمل فرس ابيه وزرديته وخودته وكانت صفرا مذهبة ودوش حديد وسيف واربع زرديات وقالوا هذه تركته وبها كان يقاتل وبحقا خمه من الثياب وحمل في جملة التحف اربع جوار من بنات ملوك الروم فمنهن ابنة برزان وست صاحب جبله قال العماد وامرني بانشاء الكتب وتحريرها وتعريب الفاصيد وتقريرها منها اصدر العبد هذه الخدمة وصدره مشروح بالولا وقلبه معمور بالصفا ويده مرفوعة الى السما للابتهال بالدعا ولسانه ناطق بشكر النعما وجنانه ثابت من المهابة والمحبة على الخوف والرجا وطرفه مغض من الحياء وهو للارض مقبل وللفرض مستقبل بما قدمه واسلفه من الخدمات ودخره من الاقوات وقد احاطت العلوم الشريفة بان الوالد السعيد الشهيد الشديد السديد المستر النبيل لم يزل ايام حياته والى ساعة وفاته مستقيما على جدد الجد مستديما في صون فريضة الجهاد الى بذل الجهد ومصر بل الامصار باجتهاده في الاجتهاد شاهدة والاحاد والاعواد في نظر عزمه واحد البيت المقدس من فتوحاته العظيم من نتايج عزماته وهو الذي ملك ملوك الشرق وغل اعناقها واسترط واعيب الكفر وشد خناقها وقمع عبدة الصلبان وقطع اصلابها وجمع كلمة الايمان وعصم حبابها ونظم اسبابها وسد الثغور وسدد الامور وقبض وعدله مبسوط وامره محوط ووزره محطوط وعمله بالصلاح منوط وما خرج من الدنيا الا وهو في حكم الطاعة الامامية داخل ومتجرها الرابح الى دار المقامة راحل ولم يكن له وصية الا بالاستمرار على جادتها والاستكثار من عادتها وان مضى الوالد على طاعة امامه والمأمول كون اولاده واخوانه في مقامه قال وتولى ولده الملك العزيز ابو الفتح عثمان مصر وجميع اعمالها وانفا ما على اعنه الها ونفاها من شوايب اختلالها واعتلالها واحيى سنتي الجود والباس وبث العوايد فرحن النسابة في الاحسان واطلق كل ما كان يوخذ من التجار وغيرهم باسم الزكاة وضاعف ما كان يطلق برسم الفقراء وقدم امير بيت الله المقدس وحمل له عشرة الف دينار مصرية لتصرف في وجوه ضروريته ثم امده بالحمل وافاض عليه من الفضل وفود واليه عز الدين جرديك على ولايته وقوى من رعايته وولى حمل العلاق من مصر الى القدس وابدل وحشته بوفاة السلطان من وفا به بالانس ثم اشفق من عدد الفرنج في فتح المدينة فانهى

بتجهيز العساكر الى البيت المقدس بكل ما في الممكنه ثم شرع بحركة المواصله ومن تابعهم وتابعيهم
وساعيهم قد خرجوا الى ايمانهم خاسين وللعقد ايمانهم ناكثين تحنثهم بركة الحب واستشار امراه
اهل الراي واللب وجهز جيشا فوصلوا الى دمشق وقد فرغ العادل من حرب القوم وسلمهم وهزمهم اعظم
الاستكانه له بعد هزمهم فراي ان الحمد له عود والعود احمد قال ونزل حلب واعمالها وحصونها
ومعاقلها وكرايم البلاد وعقايلها الملك الظاهر غازي وهو بن حاجته وسماحته الطود والجود
الموازن للموازي وملك مملكه اقطارها واسعه وامصارها شاسعه نحواتها وحواتها ودنا العدل
رواها وقواها واقر البيرة واعمالها وما يجري معها على اخيه الملك الزاهر مجد الدين داود ودخل
في امره صاحب حماه ابن تقي الدين صاحب معرة وحماه قلت وهو ماوي درنه والده وبقي الملك منهم
في عقبه واخذ كل من اخوته واولادهم اليه وعولوا في تمشيه امورهم عليه والامر مستمر على ذلك
في عقبه الى الان والله تعالى ولي الاحسان ثم زال ملك هذا البيت في صفر سنه ثمان وخمسين
وستمايه بسبب عليه التتار الكفره على البلاد والله بصير بالعباد ومن كلام القاضي الفاضل
في جواب كتاب ورد عليه منه بعد موت السلطان متى راى المملوك حظ مولانا طالعا في
كتاب وطلعا على خطاب بمثل ذلك الشخص الكريم وذلك السلطان العظيم وذلك الخلق الكريم وذلك
العهد القديم فحي بعد موته وسمع من محي العظام وهي رميم ورفع يده بما الله رافعه ودعا بصالح الله سامعه
قال العماد وكان الملك العادل مع السلطان في الصيد قبل وقوع وفاته وكان موافقه ومرافقه
في مقتضياته فلما عاد السلطان الى دمشق ودعه ومضى الى حصونه بالكرك فما به الناعت ولم يحضر
وقت احتضار الاخ الغايب فلما عرف وصل الى دمشق بعد ايام ولم يطل المقام ورحل طالبا
البلاد بالجزيره حدرا عليها من اهل الجزيره وكان السلطان جعل له كل ما هو شرقي الفرات من البلاد
والولايات فلما وصل الى الفرات وجدها بخافه دلايل الغدران فاقام بقلعه جعبر وسير الى
الولايات الولاه ووصى برعاية الرعاه واستناب في ميافارقين وحاني وشمشاط وحران
والرها وسحبها بالشحن وعلم العدا انه في حف فخفوا وعرضوا وصفوا وكان سيف الدين بكتمر
صاحب خلاط قد استبشر بموت السلطان وتلقب بالملك الناصر وحدث امله بجر العساكر
وراسل صاحبي الموصل وسنجار وطمع اليهم كتب الاستنفار فبينما هو في اثناء ذلك قتلته الاسماعيليه
بخلاط رابع عشر جمادى الاولى سنه تسع وثمانين واول من بدا امره بالخروج على بلاد السلطان
متوليها ماردين ونزل على حصن الموزر وهذا الحصن كان السلطان اقتطعه من اعمال ماردين حين صالح اهلها

واضافه

واضافه الى ما سبه بالرها ثم تحرك عز الدين اتابك صاحب الموصل واخوه عماد الدين زنكي بنصيبين وار شلوا
الى العادل يخرج من بلادنا وندخل في مرادنا فكتب الى بني اخيه يستنجدهم ويستنفرهم فانجدوه وكان
الجاد حلب اقرب وتقدم ذكر نجدة الافضل مع اخيه الظاهر وعجلة العزيز الواصله الى دمشق بعد نجاز
الامر ووصلت المواصله الى راس عين والعادل بحران وتقابل العسكران حتى ان الطلايع تتواجه وتحاربه
فمرض صاحب الموصل ولم يطق الاقامه فعاد ورجع عماد الدين اخوه وتضرع صاحب ماردين وتشفع
بالامراء الاكابر فرضي العادل عنه وبلغه قدوم ابن اخيه الظاهر الى الفرات فكتب اليه عما زاله سروج
وهي من اعمال ماردين وابنه ماني تقي الدين وان المقدم نزلوا عليها ثامن رجب وفتحوها تاسعه ورحل
العادل منتصف رجب الى الرقه وتسلمها ثم تملك بلد الخابور جميعه وجا الى نصيبين فنزل ظاهره
وشرع في ضم ذخايرها وجاءت الرسل العماديه في طلب الصلح فرحل ونزل دارا واتاه وفاه صاحب الموصل
وتسلم بلده ولده نور الدين ارسلان شاه وجرى بينهم وبينه صلح ثم كاتبه اهل خلاط فرحل اليها بع
فراى ان البرد يشتد وامد الحصار يمتد فعاد الى حران والرها واعرض عن مخالطه خلاط وتاخر الى
امرها قال واقليم اليمن مستقر للملك ظهير الدين سيف الاسلام طغتكين ابن ايوب اخي السلطان
وهو هناك سلطان عظيم الشان مستولي على جميع البلدان وكان قد وصل ولده مع الحاج قبل وفاه السلطان
بايام فلما استقر الملك الافضل على سرير ابيه كاتب عمه سيف الاسلام فصل في وفاه
صاحب الموصل وبقيه اخبار الفتنه ببلاد الشرق قال عز الدين ابو الحسن علي ابن الاثير لما وصل
خبر وفاه صلاح الدين الى صاحب الموصل عز الدين استشار في الذي يفعله فاشار عليه اخي مجد الدين
ابو السعادات الاسراع في الحركه وقصد البلاد الجزريه فانها لا مانع لها منه وقال مجاهد الدين قايماز
ليس هذا براي فانا نترك وراءنا مثل المولى عماد الدين صاحب سنجار ومعز الدين صاحب الجزيره ومظفر الدين
صاحب اربل ونسير عنها الراي انا نراسلهم ونستميلهم ونأخذ راءهم وننظر ما يقولون فقال اخي
ان كنتم تفعلون ما يشيرون به ويرونه فاقعدوا فانهم لا يرون الا هذا لانهم لا يوثرون حركتكم
ولا قوتكم انما الراي ان يبرز هذا السلطان ويكاتبهم ويراسلهم ويستميلهم ويعلمهم انه عزم على
ما يابديهم انه على الحركه فليس فيهم من يمكنه يخالف خوفا من قصد ولاية لا سيما اذا راوا واحده
وحلوا البلاد الجزريه مع مانع وحام فانهم لا يشكون انه يملكها سريعا فحكمهم ذلك على موافقته ومتى
اراد الانسان ان يعمل فعلا لا ينظر في البر الاجتماعات فطلب انفاله انما كانت المصلحه اكثر من المضره
اقدم وان كان الحكس احجم فظهرت امارات العبط على مجاهد الدين فسكت اخي لانه كان هو محمد ومن الجميع

في الحقيقة والحاكم فيهم واتبع المرحوم صاحب الموصل قول مجاهد الدين واقام بالموصل عدة شهور من اهل
المذكورين فلم ينتظم بينه وبين احد منهم حال غير اخيه عماد الدين فانهما اتفقا على قواعد استقرت بينهما
فلما انفصل الحال وصل الملك العادل ابو بكر بن ايوب من الشام الى حران واقام هناك وجاءته العساكر
من دمشق وحمص وحماه وحلب واستعد البلاد به وسار عز الدين عن الموصل الى نصيبين وقد ابتدا به
اسهال واجتمع بها باخيه عماد الدين وسارا في عساكرهما الى تل موزن من سنجار يقصدانه فارسل
العادل حينئذ يطلب الصلح وان يكون البلاد الجزرية الرها وحران والرقة وما معها بيده على سبيل الاقطاع من
عز الدين فلم يجبه الى ذلك وقوي المرض به فاستدل ان عجز عن الحركة فعاد الى الموصل في طائفة يسيرة من العسكر
فلما وصل دنيسر راى ضعفا شديدا فاحضر اخي وكتب وصيته ثم سار الى الموصل فوصلها مريضا
بالاسهال وبقي كذلك الى ان توفي في الرابع والعشرين من شعبان سنة تسع وثمانين وخمسمائة ، قال
ولم اسمع عن احد من الناس بمثل حاله في مرضه فانه كان لا يزال ذاكرا الله تعالى حتى اذا كان اذا تحدث
مع انسان يقطع حديثه مرارا ويقول اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي
ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير واشهد ان محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله
واشهد ان الموت حق وعذاب القبر حق وسؤال منكر ونكير حق والصراط حق والميزان حق وان الساعة
آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور ويقول لمن عنده يخاطبه اشهد لي بهذا عند الله تعالى ثم يعود
في حديثه واحضر عنده من يقرأ القران فلم يزل كذلك الى ان توفي رحمه الله ودفن بالمدرسة التي انشاها
بباطن الموصل مقابل دار المملكة وهي للفريقين الشافعية والحنفية وكانت مملكته ثلاث عشرة سنة
وستة اشهر وكان اسمر مليح الوجه حسن اللحية خفيف العارضين وحكى لي والدي قال هو اشبه
الناس بجده الشهيد قدس الله روحه ، قال وكان دينا خيرا قد ابتنى في داره مسجدا يخرج اليه في
الليل ويصلي فيه اورادا كانت له ويلبس فرجية كان اخذها من الشيخ عمر النسائي الصوفي ويصلي فيها
وكان قد حج ولبس بمكة حرسها الله خرقة التصوف من الشيخ عمر النسائي المذكور وكان من الصالحين واوصى
بالملك لابنه نور الدين ارسلان شاه واراد اخوه شرف الدين مودود بن زنكي ان يوليه فلم يفعل وبقي نور الدين
الى سنة سبع وستمائة فتوفي في شهر رجب منها ودفن بالمدرسة التي انشاها بباطن الموصل حذاء دار السلطنة
وكان عهد بالملك لابنه القاهر عز الدين مسعود وجعل الامير بدر الدين لولو القائم بامر دولته وولاه امارة الجيوش
والعساكر وسياسة القبائل والعشائر ثم توفي الملك القاهر في ربيع الاول من سنة خمس عشرة وستمائة فجاءة
وخلف ابنين صغيرين ، قال واما عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي صهر نور الدين رحمه الله وهو صاحب

سنجار فانه توفي في المحرم سنة اربع وتسعين وكانت ولايته ثلاثين سنة وكان عدله قد عم البلاد وعمر
العباد وارتفع الجور وحسن شانها وكانت صدقاته تصل الى اقاصي البلاد وتولى بعده ولده الاكبر
قطب الدين محمد بن زنكي وكان متولي امره مجاهد الدين يرنقش العادلي ، قال وحاصر الملك العادل
ابو بكر بن ايوب ماردين في سنة خمس وتسعين فبقي محاصرا لها احد عشر شهرا ولم يبق الا الاستيلاء
عليها فبينما العادل محاصر لها اذ توفي ابن اخيه الملك العزيز صاحب مصر وكان عسكره مع عمه العادل
على ماردين فلما توفي ملك اخوه الافضل مصر وكان بينه وبين عمه العادل نفرة فلما ملك مصر ارسل
الى العسكر المصري الذي مع عمه يامرهم بمفارقته ففارقوه وعادوا الى مصر فقل جمعه وعسكره
ثم خرج الافضل عن مصر عازما على حصر دمشق واستعادتها من عمه فسار العادل عن ماردين جريدة الى
دمشق ليحفظها بعدما كان قد طلع سنجقه الى قلعة ماردين ونزل ولده الملك الكامل محمد محاصرا
لها الى ان اجتمع صاحب سنجار وصاحب الموصل على ترحيله عنها فرحل ، قال وفي سنة ست
وستمائة جاء الملك العادل بن ايوب من الشام الى سنجار في العساكر الشامية والمصرية والجزرية والديار
بكرية فحصرها ونزل عليها من كل جانب ونصب احدى عشر منجنيقا ثلاثة اشهر واتفق صاحب الموصل
وصاحب اربل لصاحب سنجار وانفذ الخليفة رسله فاصلح الامر وانتظم الصلح ولله الحمد فصل
واما رسالة العماد الكاتب المعروفة بالعتبى والعقبى التي اشار اليها في آخر كتاب البرق فيما جرى
بعد وفاة السلطان الى سنة اثنين وتسعين فقد وقفت عليها وحاصل ما فيها ان لما توفي السلطان
رحمه الله وملك اولاده كان العزيز بمصر يقرب اصحاب ابيه ويكرمهم والافضل بدمشق يفعل
ضد ذلك يقرب الاجانب ويبعد الاقارب واستبد عليه بالملك جماعة ... واحوله كالوزير
الجزري الذي استوزره قلت هو ايضا ابن الاثير اخو عز الدين المؤرخ
ومجد الدين ابي السعادات وفيه يقول الشهاب فتيان الشاغوري
، متى ارى وزيركم وما له من وزر ، يقلعه الله فذا اوان قلع الجزر ،
قال العماد فلما طلب من الامراء ان يحلفوا له ايمانا وهم قد اضمروا الكشف فيها ولم يحلفوا ذلك عليها ولما
راى الفاضل امور الافضل مختلة تركه وسار الى مصر وشرع الوزير الجزري في تمزيق العصبة الناصرية
وما منهم الا من فارق الى الديار المصرية وكان قد اشير على الافضل باخلاء البيت المقدس وابواب الحرس
باعمالها حذرا من تكاليفه واثقاله فاجاب الى ذلك وقد كانت بالبيت واعمالها وقف السلطان ثلثها
على مصالح القدس وباقيها على ان الامير علي بن احمد المشطوب فشاركه احد امراء الاكراد فيه فمدوا ايديهم

الى الوقف وشان سيرهم وعوتوه من انكار الملك العزيز عليهم فلجاوا الى الافضل فافضل عليهم وبكن
اليهم فتاثر الملك العزيز بذلك واقوى الاسباب فيما حدث من الجفا ونفاد الامراء الناصريه الكبار
ومفارقتهم دمشق الى مصر الى سبيل الاضطراب والاضطرار فاعتصم العزيز ودفعهم فاتفقوا على ان
يكون كلمة الاسلام مجتمعة على الملك العزيز لاحيا سنن والده في الجود والباس والكرم ومن جملة الاسباب
الباعثه على الفرنج تعرحيل من بعض مستحفظيه وضعف الافضل عن استخلاصه فقيل للعزيز ان
توانيت استولت الفرنج على البلاد فخرج العزيز بعساكره وبلغ الافضل فضاق صدره واجتمع من
في خدمته من الامراء براس الما واراد ان يستعطف فايماز النجمي وكان في اقطاعه بالسواد وكان
بينه وبين الافضل شقاق وعناد فارسل اليه فلم يقبل ورحل الى عسكر العزيز وراى الافضل
ان يكتب الى اخيه بكل ما يجب من اعلا الكلمه والاجتماع عليه ويكون الافضل من بعض القايمين بين يديه
طلبا لتسكين الفتن ورغبة في ذهاب الاحن فاشير عليه بغير الصواب وقيل ان الكبير والملك
التدبير فجد واجتهد ولا تعلم اصحابك بهذا الجور الذي داخلك والجبن الذي نازلك ونحن
بين يديك وكافا عدون بالحلم عليك ووصل رسول الملك الظاهر والكتب من الملوك الاكابر
بالاتحاد المتظاهر للافضل وسير الافضل الى عمه العادل وهو عران والرملة كتابا ورسلا فلما ابطا
عليه سير عز الدين عثمان بن الزنجيلي في حث ليشرع ومانى ابن عز وتب وكتبه واصله بعزمه على نصره
ونجدته وذلك في اوايل جمادي الاخره من شهور سنه تسعين ولم يشعر الافضل الا والعزيز بعساكره
قد وصل الى العوار فجل الرحيل وقد خالطت عساكر العزيز ساقة جيش الافضل فاسرع ودخل
دمشق يوم الجمعه خامس جمادي ونزل العزيز يوم السبت بالكسوه ونزل على دمشق يوم الاحد فلم يزل
الافضل يمانع ويدافع حتى وصل عمه العادل فكتب الى العزيز يساله الاجتماع فتواعدا واجتمعا
راكبين بصحرا المزه معه له في اخيه واستنزله عما كان فيه فقال على رضاك واتباع هواك
فقال يعني عن البلد الخالف وكان على البلد سهم عن الانطاق من قطع الانهار وقطع الثمار فتاخر
العزيز الى صوب داريا والاعوج وكان قد اجتمع عند الافضل من الملوك عمه العادل والمجاهد
اسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن شيركوه صاحب حمص والامجد مجد الدين بهرام شاه
ابن فرخشاه بن شاهنشاه بن ايوب صاحب بعلبك والمنصور ناصر الدين محمد بن تقي الدين عمر بن
شاهنشاه بن ايوب صاحب حماه ثم وصل الملك الظاهر غياث الدين غازي بن السلطان فاتفقوا على
عقد توكيد وعهد مهد ورحل العزيز الى مرج الصفر لكون المقام به ارفق فمرض حتى ايس منه

ثم افاق وارسل من جانبه الامير فخر الدين اياز جركس واعتمد عليه في هذه النوبه ووصل الى العادل ل
في تعديل الامور وتقرير سنن الصلح وتزوج العزيز ابنة عمه العادل وخرج الملوك لتوديع
الملك العزيز في اول شعبان واحدا بعد واحد فخرج الظاهر اولا والتقيا ونزلا بمرج الصفر
وبات عنده ليله ثم رجع وخرج العادل ثم الافضل فلما اجتمع باخيه فارقه وما نوى ورجع
كل الى بلده لما استقر الافضل بدمشق وقضى حقوق الجماعه وشكرهم ورحل الظاهر صوب حلب من رابع
عشر شعبان واقام العادل الى تاسع شهر رمضان ورحل الى بلده الرها وحران ثم ارسل الافضل
نظم ابياتا يكتبها الى اخيه العزيز في استعطافه واستمالته وقال كنت فارقت
اخي منذ تسع سنين وما التقينا الا في هذه السنه نظرتك نظرة من بعد تسع تقضت بالتفرق من سنين
وغض الدهر عنها طرف عين رشاقه ورب طرف من حنين ونادى لي بحيث فاجرى بفرقتنا العيون من العيون ن
ويح الدهر لم يسمح بوصل يعود بلا هجوع الى الجفون فرا قام بغصبه بين بعيد الى الحشا عدم السكون ن
ولا يبدي جيوش القرب حتى رمتنا بعيد في الكمين ولا يبدي محلى منك الا اذا دارت رحى الحرب الزبون
فليت الدهر يسمح لي باخرى ولو افضى بها حكم المنون

قال ثم كثر الشر من حول الافضل في حق الامراء الكبار ذوي الاقدار فابعدوا من ذلك
وازمعوا على الاستعمال بسوء تلك الحال فمن سار الى مصر عز الدين سامه وحرض العزيز على القيام
بنصرة الدوله الناصريه وعرفه ان اخاه الافضل مسلوب الاختيار مع من حوله من الاشرار وممن
سار الى مصر القاضي محيي الدين بن محمد بن ابي عصرون وتولى بعد اشهر قضاء القضاه بمصر واعمالها
وذلك في سنه احدى وتسعين فاستمر ولاته الى ان عاد العزيز الى الشام وتبعه العادل فصرفه
واعاد القضا الى زين الدين علي بن شرف الدين يوسف الدمشقي وكان نايبا لصدر الدين عبد الملك
ابن عيسى بن درباس ثم استعمل عز الدين بن ابي عصرون ثم اعيد اليه وكان الافضل قد اشتغل بعد
انصرافه اخيه باللذات وتشاغل عن امور الناس وادمان الشراب مع من حوله من الاصحاب ثم اقلع
عن ذلك وتاب وجد في الذكر والزهد واناب وشرع في كتب مصحف بخطه وحسنت طريقته
وظهرت حقيقته وذلك في اوايل سنة احدى وتسعين وفي هذه السنه في ربيع الاخر وصل الخبر
بان العزيز قادم بجيشه دمشق مره ثانيه فاستدعى الافضل فاشير عليه بان يرحل الى عمه العادل
وياتي به لدفع هذا القضاء النازل فرحل رابع عشر جمادى الاولى والتقيا بصفين وطلب منه الرجوع
معه الى دمشق ففعل ووصل العادل اليها تاسع جمادى الاخره وعلق عند الافضل وقصد حلب

للاستطها وباخيه الظاهر ووثق معه الايمان علما كان عليه من الصفا وكذلك فعل ابن تقي الدين بحماه ووصل
الى دمشق واجتمع مع عمه العادل وكان العادل ابدا يشير بصرف الوزير الجزري وكان قد استولى على
الافضل فلم يقبل وكان العادل ابدا معتما لذلك فبالغ الافضل في اكرام عمه وادانه عمه حتى نزل له
استحقه وصار يركب في خدمة عمه وصار اخوه الظافر من هذه الحال وكان الظاهر قد نفر عليه
جماعة من الملوك والامرا من هم في طاعته فرحلتهم صاحب حماه وعز الدين ابن المقدم صاحب بارين فراسلا
العادل في الاعتصام به وكان من جماعتهم بدر الدين دلدرم بن بهاء الدولة بن ياروق صاحب تل باشر
فاعتقله الظاهر وبنى عمه وطلب منه تسليم حصنه فشفع العادل فيهم وكفل انه يكفيهم ويكفهم
واستصحبهم الى دمشق فطلب منه الظاهر الوفا بضمانه فتعذر عليه ردهم وتيسر له ودهم فغضب
الظاهر لذلك وراسل العزيز يحثه على الاسراع في القدوم فاقبل العزيز وخيم بالفوار وشرع العادل
في تدبير امور الافضل وكاتب الامرا الاسدية من اصحاب العزيز يحثهم على تركه والانضمام الى حرب الافضل
ونسلكه وكانت الاسدية ابدا في عناء من تقدم الناصرية عليها وراسل العادل ايضا العزيز يخوفه
من قبل الاسدية ويعرفهم ما انطوت عليه قلوبهم من الغل وكانوا اذا لقيهم عرفوا في وجهه التغير وغنوا
عنه وحسنوا للاكراد مرافقتهم في الانصراف عنه ففعلوا وكان امير امرا الاكراد ابو الهيجاء السمين
تراد الاكراد حوله وقالوا الامان علينا من الناصرية فابرموا امرهم وعجلوا رحيلهم فرحلوا
ابو الهيجاء السمين والمهرانية والاسدية عشية الاثنين رابع شوال وكانوا اكثر العسكر واعلم
العزيز بهم فما بالى بانصرافهم وقال اصفونا من اكدارهم ولم يامر اصحابه باتباعهم وودهم ونفى خواصه
معهما تلك الليلة ثم رحل عائدا الى مصر خايفا ووصل ابي الهيجاء السمين الى العادل يعلمه برحيل العزيز
خايفا ويامره بالقدوم ليحضره وياخذوه ويتسلموا املاك الديار المصرية فحالف العادل والافضل
على ملك مصر ان يكون للعادل الثلث وللافضل الثلثان وخرجا يوم الاربعا في الجيوش واستناب
الافضل بدمشق اخاه الاصغر قطب الدين موسى واما العزيز فانه سار واخذ طريق الحصون والرملة وفرق
من الاسدية الذين بالقاهرة ان يفعلوا فعل اخوانهم فيمنعوه من دخول البلد وكان مقدمهم الامير
بها الدين قراقوش وهو اكبر امرا الاسدية قد اساء به العزيز بالديار المصرية فهو مقيم على الصفا
والمودة والاخا فلما وصل العزيز يلقوه الى داره سلطنته دقوه واما العادل والافضل فاجتمعا
بالمخلفين عن العزيز وحرضت الاسدية ان يسبقوا العزيز فلم يقدروا واجتهدوا ان يدركوه ويبعدوا
فتاخروا فامرهم العادل بالتاني وتسلم القدس واعماله وما جاوره من اعمال الساحل ابو الهيجاء

السمين بامر الافضل والعادل فرتب فيها نوابه واسكنها اصحابه وصحبهم الى الديار المصرية لمخالفة
الاسدية ومخالفة الناصرية فنزل بهم العادل على بلبيس وكان اوان زيادة النيل في انتهائها والسعر
غال وظهرت ندامة الاسدية وضعفت معونتهم وصوعفت مونتهم وخاف من مكرهم والعدول
الى مستقرهم فارسل الى القاضي الفاضل يسوفه للاستزادة للزيادة ويشير عليه بالاستشاده
فالزمه العزيز باجابته سؤاله فخرج اليه واستبشر الناس بخروجه رجا الصلح وركب العادل وتلقاه ٥
على فراسخ واجتمعا واصلحا الامور على ما يحب الفريقان وعفا العزيز عن الاسدية واقام العادل
عند العزيز واما الافضل فان العزيز خرج اليه وودعه فانصرف ومعه ابو الهيجاء السمين وتولى القدس
ووصل الافضل الى دمشق غرة المحرم سنة اثنين وتسعين ثم ان الافضل لازم صيامه وقيامه
وقلل شرابه وطعامه وحسن شعاره واستوى ليله ونهاره ووزع الجزري فدبر الناس منه
بلايا وهو في غفلة من تلك القضايا وكان يدخل اليه ويوهمه من قبل اقوام انهم عليه وانهم عليه
الى اخيه فصدقه الافضل فيما يدعيه فصار يبلغ العادل عنه احوال ما يحبه بل يغضبه وصار يتصل
به كل من هاجر من الشام الى مصر وما منهم الا من يشكو من الوزير الجزري وكان قايماز النجمي قد اصق
بالعادل وكذلك عز الدين سامه وصاهر العادل وصاهره وكان العادل لهم مستوطنا للقصر فوعد
الجماعة بازالة الوزير الجزري ورده الى بلاده وقد ربع العزيز بسبب عسكره معه الى الشام ليمهد لرفاعة
الملك في سائر بلاد الاسلام فاخرج العادل العساكر الى بركة الجب وخرج العزيز لتشييعه وذلك
مستهل ربيع الاول ووصل الملك الزاهر محي الدين داود من حلب الى اخيه العزيز من جانب الظاهر
لتسكين هذا الريح الثاير ومعه سابق الدين عثمان صاحب شيزر والقاضي بها الدين بن شداد ثم
ان العادل اشار على العزيز بان يوافقه على المسير ويرافقه فيه فراه عين التدبير فسارا بالعساكر نحو
الشام ولما انصرف رسل الظاهر من مصر عاطلبوا سيروا بدمشق فاعلموا الملك الافضل بما ابرم من الامر
فضاق صدره وطال فكره واستشار اصحابه فاشار عليه شيوخ الدولة بان يستقبل اخاه وعمه
ويسلم لهما حكمه واشار الجزري واصحابه بالتصميم على المخالفة وترك المجاملة والملاطفة ثم دخل عليه
اخوه الملك الظافر خضر فشجعه وصبره وتولى اسباب التحصين وحلفوا الامرا والمقدمين وقطعوا
ما فوق المصلى عند مسجد فلوس بفصيل وتبوا دحا لاحوال البلد سادوبن بحفظه في الكرم والاصيل
وفرق الامرا والاسوار والابراج وكتبت الرسل الظاهر لاظهار المظاهرة وندب الافضل فلك الدين
اخا العادل اليه منه رسولا فوصل الى المعسكر العزيزي بالداروم وعرفه ولقي عند العزيز من قبوله

العزيز فبقى فلك الدين هناك اياما في اصلاح ذات البين ولا شك انهم اشترطوا على الافضل
شروطا وردوه بها واقاموا ينتظرون الجواب فعد من ذكر ان الافضل ابى ذلك فلما راى
الاكابر وشيوخ الدولة ان الافضل لا يسمع من رايهم وانه عازم على المحاربة ولا يعدل عن راي وزير
ثم ما قد عرفه من شوم تدبيره شرعوا في اصلاح تدبير امورهم في الباطن فراسلوا العزيز والعادل
واستظهر كل لنفسه واقام العسكر مدة شهر رجب على البلد مستظهرا بالعدد والعدد لا يحدث حدثا
ولا يعبث بالبلد ولا عبثا مكتب الاولياء من البلد الى العزيز والعادل بانتهاز الفرصة فركبوا وتاهبوا
يوم الاربعا السادس والعشرين من رجب وساقوا فما صدهم عن قصد البلد احد وما كان في طريقهم
الا الملك الظافر ومعه عسكر حلب وقاتل على طرف قنال الجامعة وما عنده علم بما دبروه من المحاربين فحاروا
ولم يكترثوا ووصل العزيز الى الميدان الاخضر ووصل العادل الى باب توما وكان الامير الامين به
فلما استنهضه اليه بكتبه فتحه له فدخل العادل واصحابه من باب توما والباب الشرقي وبات
العادل في الدار الاسدية ودخل العزيز من باب الفرج وبات في دار عمته الحسامية وخرج اليه
الافضل ولقيه وخرج منهم زوال الملك ما سمعته فلما ملك العزيز دمشق اقام اياما بالميدان الاخضر
الكبير الى ان سفل الافضل من القلعة باهله واصحابه وخرج وزيره الجزري مختفيا في صناديقه
اشفاقا عليه من قتله وتخريفه وتحول الافضل تلك الايام الى مسجد خاتون وما يجاوره ومعه
وزيره فهرب ليلا الى بلاده وقد ادخر فيها اموال دمشق واعمالها ثلث سنين ، **قلت**
وكان العادل قد قرر مع العزيز ان يقيم العزيز بدمشق ويسير العادل بمصر فلما ملك دمشق قدم على
قرره ورجع عماد بن ونفذ الى اخيه الافضل في الشر بعد ما اليه وشيع عليه بما كان اشترط
فاظهر الافضل هذا السر لصحبه والمخصوصين بعزبه فقالوا لا تخدع بهذا القول فربما كانت
خديعة واطلع عمه العادل على هذا السر وانه يرى ذلك عين البر فارسل الى العادل من اعلمه
معرض عليه فراسله العزيز الافضل واجتمع العزيز وعتبه وقرعه بما اتى بدوانيه وقال له انى
وهدم واوحد مصالحك وعدم وانكر الحال واحالها واستقص الامر قبل ابرامه ووجه
الى الافضل من اخرجه والى صرخد اخرجه وسد طريق الاستنصار على اخيه الظافر حتى استلم
في تسليم بصرى الظفر بسلامته وبدلها ولم يتبعها ندامته ودخل الى حلب واظهر الظاهر الاحتفال
به واما الافضل فانه سار الى قلعة صرخد وسكنها وحول اهله واخاه قطب الدين اليها
وتوطنها وعند خروج الافضل من قلعة دمشق دخل العزيز اليها يوم الاربعا رابع شعبان وجلس

يوم

١٨٢

يوم الجمعة في دار العدل واعتقد الناس انه يطول مقامه عندهم فلم يستقر به الا وقد برز للرحيل
وتقدم الى العادل بان يتولى البلاد وفارق دمشق عشية الاثنين رابع عشر الشهر فلما عاد العادل
من وداع العزيز قرى بالجامع منشور العزيزي بالبلاد والاعمال والنظر في جميع الاحوال
واشاع انه نايب العزيز وهو سلطانه وابقى الخطبة باسم العزيز خالية من اسمه حالية بنعمه وضرب
الدينار والدرهم على سكته واظهر انه قوي بشوكته وسكنه وجلس يوم الاثنين والخميس
للعدل وابسط يده بجميع الاموال وجرى بها لوفق عموم الحاضر الى عصرها **فصل** مما
آخر ما انطوت عليه رسالة العتبي من اخبار ما جرى بعد موت السلطان رحمه الله تعالى وللعماد
ايضا كتاب آخر سماه نحلة الرحلة ذكر فيه ايضا نحوا من ذلك وهو ان الاحوال اختلت
وتغيرت بعد موت السلطان واراد العماد الرحلة الى مصر فاصحبه الافضل رسالة الى اخيه
العزيز ليمضي اليه وعنده عمه العادل فلم يمكن من الرجوع الا معهما لما خرجا بالعساكر وذكر
الحادث في اخذ البلد ، **قلت** وخرج الملك الافضل واجتمع بالعزيز في الميدان ودخلا
من باب الفرج متصاحبين الى الضريح الناصري وصعد العزيز الى القلعة يوم الاربعا وصلى
هذه الجمعة عند ضريح والده في هيئة المودع واظهر البكاء والتخيب عن سر القلب الموجع
ودخل دار الامير سامة في جوار تلك القبة وامر القاضي محي الدين ابن الزكي بان يبنيها
مدرسة للشافعية ، **قلت** هي المدرسة المعروفة بالعزيزية ووقفها قرية عظيمة تعرف بمحجة
بهذا مذكور في كتاب النحلة مما يتعلق بما نحن فيه ولم يكن ذكر مثل هذا من شرط كتابنا لانه
موضوع للدولتين النوريين الا انه لا بد من ذكر ما يتعلق بهما مما وقع فيهما وعقيبهما وتبعا
للعماد فيما ذكر في العتبي لكونه اشار اليها في كتاب البرق واستوفيناها في كتاب البرق والفتح
القدسي والتاريخ الاتابكي وكتاب القاضي ابا المحاسن واستاعلنا فيها من المحاسن وانضاف
الى ذلك قطعة كبيرة من مواضع متفرقة كثيرة من مصنفات ودواوين ومراسلات والله تعالى
يوفق ملوكنا للاقتدا بسيرة سلفنا في اقامة فرض الجهاد وتخليص البلاد من ايدي الكفرة والنظر
في مصالح العباد ، ومن كتاب فاضلي اما هذا البيت فان الاباء منه اتفقوا فملكوا وان
الابناء منهم اختلفوا فهلكوا واذا غرب نجم الدين فما في الحيلة شريفه واذا بدا حريق ثوب
فما يليه الا تمزيقه وهيهات ان يسد على قدر طريقه وقد قدر طريقه واذا كان الله مع خصم
على خصم فمن كان الله معه فمن يطيقه **فصل** بعد انتهاء هذا الكتاب واتمامه مرة

[illegible]

وقفت مما احسن لي الحافه بهذا الكتاب من ذلك ان القاضي الفاضل كتب في سنة ثلاث وتسعين
الى القاضي محي الدين الزكي كاتبا قال فيه ومما جرى في هذه المده من المثلات الجاذبه والمعضلات
العاديه ما من الله طرق ساتا ونحن نيام وظن الناس ان اليوم الموعود قد طرق في الليل
الممدود وقادا انهم قيام ان الله تعالى في مساعة كالساعة كادت يكون للدنيا كساعه في الثلث الاول
من ليله الجمعه تاسع عشر جمادي الآخرة وذلك انه اتى عارض فيه ظلمات متكاثفه وبروق خاطفه
ورياح عاصفه قوي هبوبها واشتد هبوبها وانتفعت لها صعقات تدافعت لها اعنة مطلقات
وجعلت لها الجدران واصطفقت وتلاقت على بعدها واعتنقت وثار من السماء والارض عجاج
فقيل لعل هذه قد انطبقت وتوالت البروق من جهة المعظم في نظام وتبع الواحدة الاخرى
وتقفي الثانيه على اثر الاولي وترى البروق وافقه وهي تتعاقب وقايه وهي تتجاذب ولا يحسب
الا ان جهنم قد نال منها واد وعدا منها عاد وزاد عصف الريح الى ان انطفات سرج النجوم
ومزقت اديم السماء وفتحت ما كان فوقه من الرقوم ولا نزال هذه الريح تسكن سكونا خفيفا
ثم تعاود عودا عنيفا فكنا كما قال الله تعالى يجعلون اصابعهم في اذانهم من الصواعق
وكما قلنا ويردون ايديهم على اعينهم من البوارق لا عاصم من الخطف للابصار ولا ملجا من الخطب
الا معاقل الاستغفار وفر الناس رجالا ونساء واطفالا ونهضوا من دورهم خفافا وثقالا
لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا اذ يستغيثون ربهم ويذكرون ذنبهم لا يستغربون
العذاب لكنهم على موجباته مصرون وفي وقت وقوعه واقعاته باستحقاقه مقرون معتصمين
بالمساجد الجامعه ومتلقين الآيه النازله من السماء بالاعناق الخاضعه بوجوه عانيه ونفوس
عن الاموال والاهل ناكبه ينظرون من طرف خفي ويتوقعون اى خطب جلي قد انقطعت من
الحياه علقهم وعمت عن النجاة طرقهم ووقعت الفكره فيما هم عليه قادمون وندموا ونجد الله ان
ينعمهم بانهم نادمون وعادوا الى صلواتهم وودوا ان لو كانوا من الذين عليها دايمون ولم يزل ذلك
دابهم كلما سكنت الرياح تحركت وكلما قيل استقلت تركت وكلما احدث ثقيل لم تركت حتى الثلث الاخر من الليله
المذكوره والقلوب في الحناجر بالغه والابصار عن سنتها زايغه الى ان اذن الله في الركود
واسعف لها حدين بالاقلها بالجمود، واصبح كل يسلم على رفيقه ويهنيه بسلامة طريقه
ويرى انه بعث بعد النفخه وافاق بعد الصيحه والصرخه وان الله قد رد له الكره وادبه
بعد ان كان ياخذه على الغره وورد من الاخبار ان المراكب كثيرا مما كان معترضا في البحر للعارض

والاصول

والاصول العاديه من الشجر عدت عليها الريح محاها الناقص وان في الطريق من المسافرين من كان
نايما فدفعته الرياح حيثا فما اغنى الفرار مما هو امامه شيئا ولا يحسب المجلس اي ارسلت القلم
محرفا والقول محرفا فالامر اعظم ولكن الله سلم والخطب اشق وما بلغت ولا قصيت بهذا التكثير
بعض الحق ونرجو ان الله سبحانه قد ايقظنا بما وعظنا ونبهنا بما الهمنا من عباده من راى العصمه
عيانا ولم يلتبس عليها من بعد برهانا الا اهل بلادنا بما اقتص الاولون مثلها في المثلات ولا
سبقت لها سابقه في المعضلات والحمد لله الذي من فضله ان جعلنا نخبر عنها ولا نخبر عنا ونسال
الله ان يصرف عنا عارض الحرص والغرور اذاعنا وشغلت خدمته بهذا المهم وجعلته على علم من
هذا العلم فالسعيد من وعظ بغيره وقد كانت لنا وقفنا الموعظه وللذكرى حدود ونعوذ بالله
من اقامة حدوده المغلطه، ومن كتاب له آخر الى العادل في سنة ثلاث وتسعين
ايضا وقد تجدد من وصال العدو اللعين وحركته الجانب بيروت وحط البلاد ما ادخل
كل من صنعه واوقع في مضايقه سقوا الاوكار فيها من شعر وللاسلام اليوم قدم ان زلت زل
وهمه ان ملت فات النصر منه مل وتلك القدم العاليه وتلك الهمة الهبه المسابقه الشفيقه
فالله الله تنبهوا لذلك الفؤاد ودمثوا ذلك المهاد واسهروا في الله فليست بليلة رقاد ولا
نظر في حديث زيد ولا عمرو ولا ان فلانا ينفع ولا يضر ولا ان من الجماعة من جاء ولا ان فيهم
من مر انظروا الى انكم الاسلام كله قد برز الى الشرك كله وانكم ظل الله فان صحتم تلك الضيعه
فان الله لا [illegible] لظله واصبروا ان الله مع الصابرين ولا تهنوا وان قل الناصر وان الله خير
الناصرين فما هي الا عزمة وتنجلي وهيعة وتنقضي واليه وتصبح وبحار وتربح، ومن كتاب
له آخر الى الملك العادل ادام الله ذلك الاسم تاجا على مفارق المنابر والطروس وحياة
للدنيا وما فيها من الاجساد والنفوس وعرف الملوك ما عرفه به من الامر الذي فضته المشاهد
وخرست به العاقبه في بروق ولا مزيد على تشبيه الحال بقوله

الم تر ان المرء تدوي يمينه ، فيقطعها عمدا ليسلم سايره ،

ولو كان فيها تدبير لكان مولانا قد سبق اليه ومن قلم من الاصبع ظفرا فقد جلب الى الجسد
بفعله نفعا ودفع عنه ضرا ، وتجشم المكروه ليس بضاير ، ما جلبته سببا الى المحمود ،
وآخر كل شيء اول لكل غزوة فلا يسام مولانا نية الرباط وفعلها وتجشم الكلف وحملها
فهو اذا صرف وجهه الى وجه واحد وهو وجه الله صرف الله اليه الوجوه كلها والذين

جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين ° ومن كتاب له آخر هذه الاوقات
التي انتم فيها عرايس الاعمار وهذه النفقات التي تجري على ايديكم مهور الحور في دار القرار
وما اسعد من اودع الله ما في يديه فتلك نعم الله عليه وتوفيقه الذي ما كل من طلبه وصل اليه
وسواد العجاج في هذه المواقف بياض ما سودته الذنوب من الصحايف فما اسعد تلك الوقعات
وما اعوده بالطمانينة تلك الرجفات **فصل** وللعماد الكاتب رحمه الله كتاب آخر سماه
خطفة البارق وعطفة الشارق ذكر فيه اشيا من حوادث سنة ثلاث وتسعين الى ان توفي
هو رحمه الله في سنة سبع وتسعين وخمسمايه واشتمل ذلك على فوايد تتعلق بما تقدم فاحببت
الحاقها به من ذلك وفاة سيف الاسلام طغتكين بن ايوب باليمن في شوال سنة ثلاث وتسعين
وتولى ابنه شمس الملوك اسماعيل هذا والملك العادل بدمشق وقد استقل الملك الظاهر بحلب
بعد اخذ عمه منه بصرى وعزم على قصد بغداد فصرفه اخوه الظاهر عن ذلك وذهب الامير ابو
الهيجا السمين الى بغداد باصحابه فاكرم ثم سير في جيش الى همذان ثم بعد عوده مات
مرفوقا وانقضت مدة هدنة الفرنج التي عقد ومانع ملك الناصر رحمه الله تعالى فخرجوا
والتقوا مع الملك العادل براس الماء فكسرهم وفتح يافا عنوة وكانوا قد كانوا الملك
الالمان وكان قد ملك صقلية فما نهضوا اليه تلك الليلة وقالوا ان عظام ابيه الى الآن في صندوق
في تابوت مكلل بالديباج وكانه في الاسر منتظر الافراج فانه لا يقبر الا بالبيت المقدس اذا
استخلص والآن علامته استرخص فان المسلمين قد اشتغل بعضهم ببعض ولهوا عن كل سنة وفرض
فقد امتدت الى عكا شقيهم وتدفق بحرهم وامتلات بهم في الساحل مدنهم وقصدوا بيروت
وبها الامير عز الدين شامة فلما سمع بوصولهم الى صيدا خرج بجماعة منها ونادى باهله
ومال عن وعر الامير الى سهله ودخلها الفرنج بعد يوم من غير مطاولة سوم ولا مماطلة روم
وكثر فيه الحديث وذكر الطيب والخبيث عن قايل يحين ويحبب ومن قايل ان تنكب
نكب ومن قايل بحاله ما نوا فعابوا ولوا بهم ندما بهم ما اجابوا واتسع الطول ووقع
القول حتى نظم بعضهم والفرنج على تبنين

سلم الحصن ما عليك ملامه ❀ ما يلام الذي يروم السلامه
فعطاء الحصون من غير حرب ❀ سنة سنها ببيروت شامه

وصرفت الفرنج في بيروت واعمالها الساحليه وبقي لشامه جميع الولايه الجبليه ثم توجه الى مصر

ودخلت

ودخلت سنة اربع وتسعين فنزل الفرنج سادس عشر المحرم على تبنين وارسل
العادل القاضي محي الدين محمد بن علي القرشي الى الملك العزيز بمصر فخرج بعسكره في الثالث والعشرين
من ربيع الاول فرحلت الفرنج بعد ان كانوا اشرفوا على اخذ الحصن ورحلوا وجاءهم الخبر بهلاك ملك
الالمان ثم انتقل عسكر المسلمين الى جانب الطور ومع العزيز اخوته الظافر والمعز والمؤيد وكان
الافضل قد جاء الى عمه قبلهم وكان معهم على تبنين المجاهد صاحب حمص والامجد صاحب بعلبك
وعز الدين ابن المقدم وبدر الدين دلدرم وغيرهم من الاعيان ثم تراجعوا الى بلادهم بعد عقد الهدنه
ورجع العزيز الى مصر بعد ان خلع على ابن عمه الملك المعظم عيسى بن العادل وخصه بالسنجق واللواء
المنشور لطي الالوا وعاد المعظم الى دمشق وقد قرت به العيون وحسنت فيه الظنون فكان
اعز اولاد العادل عنده واعلقهم بقلبه واخصهم بحبه قد ولاه سلطنة دمشق واطاب فيها نشر
كرمه النشق واقام العادل حتى استقرت الهدنة وظهرت في عمارة تبنين المكنه ثم عاد الى دمشق واقام م
قليلا ثم شرق ورفع بها من الامر ما تخرق ورتق ما تفتق ورد بلاد اولاد عماد الدين زنكي اليهم لانه
توفي في هذه السنة واستولى عليها ابن عمهم صاحب الموصل واحتمى عليه السلطان الملك العادل
وتوفي جماعة من امراء الموصل منهم الامير عز الدين جرديك وكان فارس الاسلام ومقدامه وشجاعه
وهمامه وما برح من ايام نور الدين الى آخر ايام صلاح الدين رحمهما الله ليث العرين اشم العرنين
وهو الذي اعان صلاح الدين على القبض على شاور وولاه صلاح الدين القدس في آخر عهده
فقام بمصالحه من بعده ثم تسلمه منه الملك الافضل وسلمه الى ابي الهيجاء السمين فلما خرج الافضل من
دمشق وصل الى الموصل وانتقل من حوض الكوثر الى عذاب منهل ° **قال** ونزل السلطان
العادل على قلعة ماردين في شهر رمضان وملك ربضها ومدنها وولاياتها وصاف عليها وشتا
وصبر وصابر ولم نقل كيف ومتى وما شك احد ان ماردين في ملكه مضافة الى ملكه
وقد هناه الشعراء فيهم ابرهيم بن مروان من اهل راس عين له من قصيده

فان يك صرام ملك فارد اذا فتح البلدان فحل الممالك ❀ تقاعس عنها سنجر وابن عمه وقصر عنها عزم زنكي الاتابكي
فان تك قد سورتها في فتح غيرها ° فما لك في امثالها من مشارك ❀

ودخلت سنة خمس وتسعين والملك العادل نازل على ماردين وقد وصل اليه
اصحاب الاطراف مساعدين وقد اصلح بين صاحب الموصل وبني عمه عماد الدين وردهم الى سنجار
والخابور ونصيبين وقد اذعن له الجماعة بالطاعة ونابه في تلك البلاد وديار بكر والله الملك

الكامل محمد ؛ قال وفيها ليلة الاحد العشرين من المحرم توفي الملك العزيز بداره بالقاهرة
وكان على عزم الصيد على اعمال الفيوم فخيم تلك الليلة قصدًا للاهرام فقيل انه اصبح وركض خلف
صيد فكبا به الفرس كبوة تبعتها اخرى فحمت له سقطة عثر بها على الزمان بخطه فقام الله
واقام موبراو ثلاثة لا يستطيع له مخلوق اعانة ولا اغاثة ثم حم حمامه واظلمت بمحنته ايامه
وقبر في داره لينقل منها الى دار قرار ثم حول منها في الايام الافضلية الى التربة المقدسة
الشافعية ؛ وورد كتاب للقاضي الفاضل يعزيه به الملك العادل ادام الله سلطان
مولانا الملك العادل وبارك في عمره واعلا امره بامره واعز نصر الاسلام بنصره وفدت
الانفس نفسه الكريمة واصغر الله العظايم بنعمته فيه العظيمة واحياه الله حيوة طيبة
تقف يومها والاسلام في مواقف الفتوح الحسنة وتشغل عنها بالامور المثلة والعواقب المثلمة
ولا نقص له رجالًا ولا عددًا ولا اعدمه نفسًا ولا ولدًا ولا قصر له ذيلًا ولا يدًا ولا اسحق له قلبًا
ولا كبدًا ولا كدر له خاطرًا ولا موردًا ولما قدر الله ما قدر في الملك العزيز رحمه الله
وحيانه مكروه اليه من انقضاء مهله وحضور اجله كانت بديهة المصاب عظيمة وطالعة
المكروه اليه فرحم الله ذلك الوجه ونضره ثم السبيل الى الجنة يسره هم

واذا المحاسن اوجه بليت ؛ فعفا الثرى عن وجهه الحسن

فاعز على الملوك وعلى الاولياء على قلب مولانا لا يسلبه ثوب العزاء سرعة مصرعه وانقلابه الى
مضجعه ولباسه ثوب البلى قبل ان يبلى ثوب الشباب ورده الى التراب وسريره محفوف باللذات
والاتراب وكانت مدة المرض بعد العود من الصوم اسبوعين وكانت في الساعة السابعة من ليلة
الاحد العشرين من المحرم والمملوك في حال تسطيره مجموع له من مرض قلب وجسد ووجع
اطراف وعليل كبد وقد جمع بهذا المولى والعهد به الى رحمه الله تعالى غير بعيد والاسى في
كل يوم عليه جديد ووصل قبل هذا الى العماد كتاب من الفاضل فيه وانا على ما يعلمه من العزلة
الا انها بالاسكون وفي الزاوية المسنونة لاهل العافية الا انى على مثل حد المنون وكيف يعيش العاقل
في الزمان المجنون ونحن على انتظار البرق الشامي ان يمطر وحاشى همة الوعد به ان يخفر واشتغال
سيدنا في هذا الوقت بالدرس والتدريس والتكييف والتصانيف التي يصرف فيها البلاغة احسن
التصاريف نعمة منه شكرها على العلماء ويختص باللذة بها ساداتهم من الفقهاء ؛ قال العماد
ولما توفي الملك العزيز خلف بنين صغارًا يريدون على العشرة وولده الاكبر ناصر الدين محمد قد فاق

سنوه على عشر وكان الى ابيه احب اولاده بشبيه من شيمه مخيلة شداده وقد اخصر لديه ونص
عليه فاجتمع الامرا الصلاحية وكبيرهم ومقدمهم فخر الدين اياس جركس ومنهم اسد الدين
سرا سنقر وزين الدين قراجا وعقدوا الامر لولده ناصر الدين ونعتوه بالملك المنصور واخذوا
له ايمان الجمهور ؛ قال وكانت الاسدية في الايام العزيزية بالناصرية مغمورين وبالاستيلاء عليهم
مقهورين وكبيرهم سيف الدين يازكوج وكان عند وفاة العزيز غايبًا باسوان فلما بلغه ذلك
حضر وجمع الاسدية واجتمعوا بهم والصلاحية في ظاهر القاهرة فقال لهم نعم ما رايتموه
من حفظ العزيز في ولده لكنه صغير السن لا يحتمل ثقل هذا الفن ولا بد من كبير من اهل البيت
يرتبه ويدبر الدواوين وترتب القوانين وما ها هنا الا الملك العادل وهو الآن في بلاد
الشرق مشغول وها هنا من هو اقرب منه وهو الملك الافضل فقال الاسدية هذا هو الراي
الراجح ولم يسع الصلاحية مخالفته فاتفقوا على استدعاء الافضل من صرخد فخرج منها ليلة الاربعاء
التاسع والعشرين من صفر وسلك البرية فوصل الى القدس يوم الخميس وخرج اليه عسكره
وسار واصحابه الى حتى جبريل ثم احد البير فلما قرب منهم في التاسع من ربيع الاول بلغوه والى
اعلى مراقي العلا رقوه وسروا لقدومه وخروا لمرسومه قال وكان الناصرية كتبوا الى رفقاهم
بالشام انا لحوجنا الى الوفاق وتاكيد الميثاق وقد كتب الى نور الدين بالحضور وضبط الامور
وهو عندكم في صرخد وان وصل الينا انتظم امره وتمهد فاجتهدوا في حصره وهو في حصنه
ولا تمكنوا انفكاك رهنه ووصل الى دمشق بعض الكتب يوم الاثنين السابع والعشرين من صفر فخرج
عسكرها الى صرخد فوصلوا الى بصرى يوم الاربعاء فقيل لهم ان الافضل ادلج ليلًا واستصحب
نجبًا وخيلًا فرجعوا الى دمشق وقيل لما عبر الافضل البيت المقدس وجد في طريقه نجابا سرعا
فاستحضره واستكشف وارده وصدره فقال انا نجاب فخر الدين اياز سركس ومعي
كتبه الى من بالقدس وصحبه فتسلم منه الكتب وعاد النجاب في خدمته فلما وصل الى القاهرة احتفل
سركس له واضاف وتقدم وعزم امره الاثم البرنجاب واعنا سابه فاخبره الخبر فاستشعر
من ذلك وتصور لمضي وتبعه عسكره وزين الدين قراجه فوصلا الى القدس وسكنا به وعرف
الناصرية جلية الحال فاخذوا في الانتقال وتوهم الافضل من الباقين فعضهم وحوى جوهرهم
وعرضهم فتفرقت الكلمة المجتمعة وتوقفت والهمم المنزعجة وامر الافضل بالخطبة لابن اخيه على جميع
المنابر ثم له في الاخر ونقشت السكة ايضا باسم الولد في البلد وعز البلد ؛ قال ولما

استقر الافضل بمصر حملوه على قصد دمشق وحصرها وقالوا له اطلب ملكك الذي منه اخرجت
وعن المقام فيه ازعجت وما لك في مصر ما يكفيك ودمشق لك بوصيه ابيك وجاءته رسل
اخيه الظاهر من حلب وهو اباه وقال له انتهز الفرصه فعمنا عنا مشغول وانى انتم من ادرك
مراده وينضم الى ناحيته سواده فخرج دمشق عن يده ونحله منها اليوم عن غد وانا اصل اليك
واقدم عليك بالجنود والحشود والاساود والاسود فما زالوا به حتى خرج بالعسكر واستناب
سيف الدين يازكوج مكانه ق ل ووصل الى الملك العادل الامير سر اسنقر احد الامراء
الناصريه المفارقين فاستحثه على مفارقه ماردين وتواصل من الناصريه جماعه بعد جماعه وعندهم من الاجتماع
فاعتنى بحركه القفول وتجرد عن العسكر واستصحب معه الامير عز الدين بن المقدم وبدر الدين
دلدرم وشرع ليلا يتجسس بقين من رجب واوصى ولده الكامل ان يستمر في مضايقه ماردين ومباشرته
ويعتني بغزيته ووصل الى دمشق يوم الاثنين حادي عشر شعبان واخذ في تحصين البلد ووصلت
العساكر المصريه يوم الخميس واحاطت بدمشق ودخلها جماعه منهم من باب السلامه بلغوا الى السوق
الكبير واعلنوا الفتح بالتكبير ولم يتبعهم احد على هذا التدبير فخرجوا من باب الفراديس وكروا على
اعقابهم منهزمين ووقفهم من الكراديس واما الافضل فانه وصل الى الميدان الاخضر وضرب
فيه دهليز سرادقه واقدم بواعثه وبوارقه فاشار عليه امراؤه بالتاخر عن ملك لمنزله وكانت
منهم زله فنزلوا عند ميدان الحصا ثم تاخروا الى مسجد القدم وامتلا ذلك الفضا بمضارب
الخيم فعرفت الصدمه الاولى وقصرت الصدعه الطولى وجد الحمد فصار رمادا واستحالت
تلك الامواج المتلاطمه ثمادا ولزموا منازلهم اكثر من سته اشهر هناك وتمت فوارط عدمت
الاستدراك واشتدت خيامهم من اقصى داريا الى الغوطه وظنوا انهم اخذون بمخنق دمشق
المضغوطه وكاتب الملك العادل جماعه من امراء العسكر المصري فما رقوا ودخلوا دمشق
فاكرمهم واخرهم طغرل المهراني وايام النساني وابن الهدان وشقال الخادم وانزاحت
الشلطان ابن سعد الدين كمشبه وكثر القاطعون الواصلون لمزوراهم واحسن العادل
جزاهم فتكاثرت الاطماع وسامعت الرؤس والاتباع ووصل الملك الظاهر ومعه اخوه الظافر
والمعز وجاءهم الملك المجاهد صاحب حمص وعسكر حماه دون سلطانها وحسام الدين بشاره صاحب
بانياس وهو شيخ الدوله وكبيرها واميرها وفي حمايته حصنا تبنين وهونين ومما
نزل الشام من عسكر الفرنج بدن الله عنه مرهونين فرعيهم في السلامه والسلم والاحتمال في الحلم

واشار

واشار على كل من الجانبين بحسب المجانبه والقرب بالمقاربه والمراقبه وجاءهم ايضا سعد الدين
صاحب صفد واخوه نور الدين مودود ق ل ولما حبوا عن مضايقه الحصار واصلوا قطع الانهار
وكسر الاشجار ومنع كل ما يدخل البلد من نحو وتمر وعنبيه وغنم حتى ردوا القوافل وصدوا الفروض
والنوافل ق ل وكان الناصريه المقيمون بالقدس قد استولوا عليه وسطوا من اربابه حواليه
واخرجوا منه المغاربه ورجاله واجناده الراتبه ومعهم الامير فارس الدين ميمون صاحب نابلس
وعز الدين سامه صاحب كوكب وبيسان ثم وصل الخبر ان سرا سنقر ومن معه واصلون الى دمشق فتجرد من
المحاصرين عسكر الى طريقهم وكانوا قد وصلوا الى طبريه وعبروا منها الى البقاع وتمكنوا خلال تلك
الضياع وسيروا الى بعلبك ما صحبهم من الاثقال والاحمال وكان صاحبها الامجد في جانب الملك
العادل وتجردوا خيلا وقطعوها ليلا ونزلوا الجبال حتى اشرفوا على دمشق من عقبه دمر وقد فاتوا
العسكر معوي عسكر البلد فصاروا يسكرون ويركبون ويضربون من العسكر المصري ولا يرقبون وحفر
المحاصرون حولهم خندقا عميقا فصار لهم به عن الحصار شغل شاغل ق ل وعلى الجمله فما ظهر
منهم صنع الا في قطع الما ومنع الميره والمضايقه الكثيره واحراق البساتين وتخريب الطواحين
حتى اذا عدمت المواد وفنيت في البلد الازواد اضطروا الى التسليم واضطربوا على التاخير
والتقديم فتسلط الرعب على الملك العادل وحملوه على التسليم والاستسلام فتباينت اراء الملوك
المحاصرين بما دبره العادل سيف الدين ولا بد للكبار من الاحتيال اذا صم الصغار على الاغتيال
وليس في ذلك بدعه فان الحرب خدعه فنفذ الى الظاهر في الباطن وقال له انت السلطان وحكمك
في جميع الاماكن والمواطن وانا اسلم اليك دمشق على انها تكون لك لا لغيرك فقال الظاهر لاخيه
الافضل ولدي في الانعام بدمشق منه المنفصل فقال له هذا لا يخلو من اقسام حاليات لا سعام اجلك
وان تولاها توليه النايب وان اخذتها دوني من النوايب وان اعطيتني عوضا مما اعرف لك فيه عرضا
فما لك ما يصلح ان تعاوض به دمشق وانت لا تدعي لها العشق فتغير بهذا راي الظاهر والله المطلع على
الضماير وقيل ارسل العادل وقال اسلم اليكم دمشق بعد سبعه اشهر وتربص وتصبر تحدوا امهي وكلموا في
ذلك ذي وظن انهم لا يتوافقون وفي الحصر لا يتضايقون فلما انتهوا الى هذا الملتمس وتقنعوا في الاستضاءة
بهذا القبس عرفوا انهم نادمون فيما هم عليه من الحصر قادمون فعادوا عن هذا البذل ورد به الشر العدل
وقيل كان يكتب الى الافضل ان الامر يتفصل مع الظاهر وانه يمالك معالم الشر لا المجاهر يجد لنفسك
وادل معي وحسنك بانسك ويكتب ايضا الى الظاهر ان الافضل قد صالحني وعلى الرضى صالحني

وانك تحصل على المصانعة وتستقصي بك المباينة الى المعاينة وقيل انه كان يكتب في كل يوم اجوبة
كتب قوم لم يكاتبوه ويحسبونهم عمانيه لم يخاطبوه وجرت تلك الملطفات في عجين ثم تفرق على من يقصد
العسكر من المساكين فاذا فتشوا اعثر على تلك الملطفات معها من كتب اليه ولا علم له بالآفات وغدوا
من المحاربين وصار اكثر العسكر من المتهمين

ثم دخلت سنة ست وتسعين

وهم على ذلك والشتا قد هجم وكل بامره متهم وقد همهم ايضا خبر وصول الملك الكامل من الشرق
وخرج من دمشق جماعة يظهرون انهم من الناصحين ويردوا اليهم ومنهم عادين وداعين وابرقوا
وارعدوا وقالوا غدا يكون قدوم الملك الكامل في الجحفل الحافل ومعه من المال الصامت الى
ابيه العادل فيستظهر بالمال والرجال فلا تقعدوا عن النهوض الى القتال والصواب ان تتاخروا
قليلا فرحلوا الى سفح جبل العقبه وبقيت اسواقهم ملوه وباتوا تلك الليله وهم لكل ما يحتاج اليه
عادمون وعلى ما فرط منهم نادمون وفقدوا حتى الما للشرب وكانت تلك الحالة للكسرة قبل الحرب
فاضطربوا للحال المحيل واضطروا الى تراخ الرحيل ووصل الكامل تاسع عشر صفر وقد جمع
التركمان واستصحب جند الرها وحران ونزل في جوسق ابيه فاستبشر السلطان بحلمه وقدوم ابيه
وفصت حشيه الله بابنه واقام الكامل حتى توجه ابوه الى مصر فخرج معه اياما ثم عاد ولم يوسر
مقامه واستقل الى حران والرها واستقام به امرها وذلك حادي عشر ربيع الاول واما المحاصرون
فانهم استقبلوا من الكسوة الى مرج الصفر وسير الملكان الظاهر والمجاهد بعض الاثقال الى
بانياس واصحابا بقية الاحمال الملك الافضل الى مصر ودعاه وكلاهما سار حريه الى مصر واستمر
بعد ذلك على اراداتهم وكلما رحل القوم عن منزل احرقوا ما لم يطعموا الده يحمل واستقلوا من مرج
صفر ولم يلووا على احد ولا يعرجوا الى بلد واحدوا في المسير والسرى وذهبت اشاراتهم من دوم
معاودة السرا وتبعهم الصلاحية ينزلون بعدهم في منازلهم ويعلفون بهم في مناهلهم وكان القوم
ظنوا انهم يقدرون بمرج صفر على الاقامة فلقوا من البرد ما حصهم على النجاة والسلامه وهذا
المرج يقرب جبل الثلج في قور الشيم به الا لاله بين فروه فكيف في كانون وقد عرفوا انهم عاجزون
حيث لم يلزموا العانون وارسلت الصلاحية الملك العادل يستعجلونه ويحثونه ولا يمهلونه فخرج
يوم الخميس تاسع ربيع الاول وودع اعيان البلد وسار وتلا من يقدمه الى تل العجول واقام
حتى اجتمع اتباعه وارسل الى الافضل العدل المحب بابا محمد وكان صلاح الدين رحمه الله تعالى
يعتقد في صلاح دينه وتمكنه من خواص حاجاته ويرسله في مهمات الرسايل وكان يدلول

الرسالة

الرسالة ارفق في السير واوفى على الخبر فما عندك اليوم من يصدقك وانا لك كالوالد وابلغك
مقصودك واخالفك ولا اخالفك واوافقك ولا افارقك فاشار على الافضل جماعه بان يرد
جواب الرسالة ان مقاربتي لك بمساعدتك للصلاحية منوطه وموافقتي لمخالفتهم مشروطه فلما سمع
ذلك الصلاحية استشاطوا ونفروا واستدلوا به على انهم ظفروا واوحل جدهم واخذ جدهم
وطووا المراحل الى المصايح وكان الافضل على بلبيس وقد تفرق معظم اصحابه الى اخبارهم وجماعة
منهم مع العادل في الباطن كاتبوه وعلى الابطا عاتبوه فسار الجمعان بعضهم الى بعض فالتقوا وانكسر
اصحاب الافضل وانهزموا فدخلوا القاهرة واغلقوا الابواب للمحاصرة وانهى الى الافضل ان
جماعة منهم ارسلوا الى العادل في اصلاح احوالهم وانجاح امالهم فقال سيف الدين يازكوج للافضل
لكل زمان عمل ولكل اوان امل فاصلح الامر كيف تهيا فلا ملام على اللبيب باي زي تزيى فشرع
الافضل في اصلاح الامر وراسله على ان يكون بحكمه ثم سلم الامر ومن سالمنا وحصل له من التجربة
ما عاد به بالعواقب لما قال وخيم العادل بالبركة واستبد بملك مصر امنا من الشركه
ونفذ المطعمين الى اقطاعهم ونظر للصلاحية في صلاح ضياعهم وارسل الى الافضل انه وافقني
على ما اعطيك وقبلت سعدك فهولاء الذين عندك ما منهم الا من كتب الي وتقرب وانظر بوي
هنا وترقب وهذه اشارة كتبهم فتاملها وان لم تصدقني فاقراها واعلم انهم غروك وضروك
وسادك بما شروك وقيل لم يبق من الامرا من لم يكتب اليه ولم يخاطر الا اربعه اخلصهم سيف الدين
يازكوج فلما عرف الافضل صدق عمه سلم الملك وسال ان يعدله فقرر للافضل في ديار بكر ميا
فارقين واعمالها وجبل جور وحاني وحلن والمعاقل والحصون المجاورة من ميافارقين
فرضي بها مكرها وخرج الى الشام متوجها ليله السبت سابع عشر ربيع الاخر في الليلة التي دخل
العادل في بكرتها القاهرة فاستقر بدار السلطنة وقدم سيف الدين يازكوج وحكمه واستبقى
رضى الناصرية بابقاء الخطبة لابن العزيز ولم يبالوا فيهم مع حصول المعنى له في التفصيل والتمييز
واقام وهو كل يوم في ارتفاع وزيادة وهو في عمق وزيادة قال ورد القضا الى
صدر الدين عبد الملك بن درباس الكردي ولم يزل قاضي القضاه بالديار المصرية من الايام
الناصرية وكان نايبه القاضي زين الدين علي بن يوسف الدمشقي وتعصب الامرا المتغلبون على
الملك العزيز في مراتبه بصرف صدر الدين وتوليه نايبه ولم يزل صدر الدين مصروفا ما بقي الدين
ابن ابي عصرون ونابه زين الدين حتى تعصب العادل له وبعث العزيز على رده فلما انقضت

ايام العزيز وجاء الافضل كان اول من حمل عليه ان صدر الدين يعزل ويولي زين الدين القضاء
فلما جاء نوبة العادل في هذه السنة رد صدر الدين الى منصبه ورد التدريس بالمدرسة الشافعية
بالتربة المقدسة وبالمشهد الشريف الحسيني الذي اجرى عليه حكم المدرسة الى شيخ الشيوخ
صدر الدين بن حمويه وكتب اليه وهو بدمشق فاستدعاه وقد كان قبل ذلك ولاه
في ممالكه الجزرية امور المناصب الشريفة والامور الدينية ومدارس الشافعية وربط
الصوفية وهو قاضي قضاتها ووالي همداناتها وهادي ولاتها في مناصبه نواب وفي
مراتبه اصحاب قال ولما دخل العادل القاهرة استشعر اصحاب الدواوين مهابة
الوزير صفي الدين بن شكر الطاهر ونزل في الدار السلطانية في الحجرة الفاضلية وتصدر
في مكان كتابته وسهم من قلمه عصب شهامته وشيف صرامته وقمع المجرمين ووضع المنكرين
واخذ قوس الوزارة باريها واجرى الله الامور احسن مجاريها قال وندب العادل من
الاسدية والصلاحية اميرين كبيرين الى الشام لاصلاح ذات البين بحمص وحماه وحلب
وغيرهما وهما شري سنقر وكرجي قال ولما ودع الافضل عمه بالبركة سار الى صرخد
واقام بها وندب اليه البلاد التي يذكر من يتسلمها ووصل اليه ميا فارقين ولما انفصل عن
مصر وجل المواصلين لصحبته مفارقين وكذا الدنيا ما اقبل على احد ولا تمد الا تواري
في حياضه الجموع وتراحم في رياض الربوع فاذا صرف عنه وجوهها صرف اهلها عنه الوجوه
واحلوا به فيها مكروه المكروه قال واما الظافر فان عمه احسن اليه ووعده
بثناء جميل واقطعه باعمال دمشق حرزما وضياع السواد وشرط عليه انه يجد ما يجود به وهو
من الاجواد ووصل الى دمشق رابع جمادى الاخر وسكن في جوسق بستانه بالنيرب وسلك
طريقة الاحتراز والاحتراس واختار البعد عن مفاربة الناس ولزم السكينة ولم يدخل
المدينة وطلب من القاضي بجامع النيرب خطيبا شافعيا ليكون بالصلوة فيه عن حضور
الجامع بالبلد غنيا واحتاط غاية الاحتياط وطوى بساط النشاط فصل قال
العماد واستدعى العادل ابنه الكامل الى مصر ليستنيبه فيها وكان بحران وهو في تلك البلاد
نايب السلطان فسلم تلك الولاية الى اخيه الفائز ووصل الى دمشق سادس عشر شعبان ونزل
عند ابيه في بستانه ومعه شمس الدين المعروف بقاضي دارا وهو وزير مستجد في المكارم
ومشير قال وخلت منه بكلمة اقولها انهم يحبون بالاعراض تعذيبي ويقصدون خلق القصد تهذيبي

نادوا

رابع
ساروا فيا صحبي من مهجتي ارتحل نابوا فيا سنتي عن مقلتي غيبي قد كادهضمني دهري فادركني محمد بن ابي بكر
الكامل المالك الاملاك حيث له رق الاعاجم منهم والاعاريب معطر عرفه عرفا ومكرمه محمر طينه بالطهر و
لا تدع جوده البحر الخضم ولا تلق ما به في الشم الشناخيب دعتك مصر الى سلطانها فاجب دعاءها فهو حق غير مكذوب
قال وعزمت على صحبته في هذه السفرة الى مصر فخرج في الثالث والعشرين من شعبان
الى الكسوة وخرج سلطان دمشق الملك المعظم ليودع سلطان مصر اخاه الكامل وصحبه الى
راس الماء مع عدة من الامراء ثم ودعه وانصرف وتشوش مزاج الكامل بعده وانحرف ووصل
الى العباسة في الحادي والعشرين من رمضان والتقاه والده العادل وانزله بالقصر ثم اليه بعد
يومين واستصحبه الى الدار ورتب احواله على الايثار وكان قد عقد له على ابنة عمه الملك الناصر رحمه الله
فادخله اليها لتبني عليها قال واصبح العادل يوم الاثنين سابع عشر شوال وركب بالسنجق السلطاني
والركب الخراني والسيوف المسلولة والعقود المحلولة وامر الخطيبين بجامعي مصر والقاهرة بالخطبة
له ولولده الكامل من بعده وليس بعد دعاء الخليفة الا الدعاء لهما وانقطعت الخطبة لابن العزيز
وكان احضر جماعة من الفقهاء والقضاة والكبراء والولاة وقال لهم قول المستفتي المستشير
هل تصح ولاية الصغير فقال هذا مولى عليه فلا يلي وعاباث الحوادث بنظره لا تنجاب ولا تنجلي
فقال فهل يجوز للمولى الكبير ان ينوب عنه الى ان يكبر ورتب الامور بحكم النيابة ويدبر فقال اذا كانت
الولاية غير صحيحة فلا تصح النيابة ومن راه صوابا اخطا به الاصابة لا سيما في السلطنة التي
هي خلافة الخليفة فلا يحوز فيه الا للكبير الذي يعين على الحقيقة وجرى منهم في هذا المعنى
الامعان فلما عرف الشرع احضر الامرا والتمس منهم الطاعة والسمع وخاطبهم في اليمين له والميثاق
والزمهم بالوفاء والوفاق فابوا فخاطبهم بما راعهم وملا بالتبريع اسماعهم ثم قال فقد علمتم ما
هو الواجب في النظام على حفظ ثغور الاسلام وتدبير الممالك بمصر والشام وما هذا امر يناط
بالصبيان او يحاط بغير ذي القدرة والسلطان فاذعنوا واطاعوا وحصل الايتلاف ورفع
الخلاف قال ولما اصبحنا يوم السبت شاهدنا الملك الكامل قد ركب مثل والده
معقودا اسنجقه بمعاقده والمناصل مجذوبه والصواهل مجذوبه والاعين ناظرة والالسن ذاكرة
ومشى في ركابه من اليه يحب والى السلطان يقرب قال وركب يوم الخميس السابع والعشرين
من شوال الى برج المعشم والمغشم موضع على شاطئ النيل يزار وهناك مسجد يتبرك به الابرار
وهو المكان الذي قسمت فيه الغنيمة عند استيلاء الصحابة رضي الله عنهم على مصر ولما امر صلاح الدين

رحمه الله بإدارة السور على مصر والقاهرة وتولاها الأمير قراقوش حتى جعل نهايته التي تلي القاهرة
عند المقسم وبنى فيه برجاً هو مشرف على النيل ذو شرفات ومعقل ذو طبقات وثيق البناء رفيع العماد
وبنى مسجده جامعاً واتصلت العمارة منه إلى البلد مسافة بعيدة المدد وهو متنزه من الأكدار
والأقذار منزه بالحانات مشتبه وإلى البحر والبر مناظره الشبابيك موجه فاختار الكامل أن
يجلس فيه يوماً للتفرج فجلس في الطبقة العليا واجتمع الأمراء والأعيان في الطبقة
الدنيا ومد السماط في الجامع **ثم ذكر العماد أنه مدحه بكلمة أولها**

٭ معزم القلب مدنف وحده ليس يوصف ٭ وعدونا وأخلفوا ووفينا ولم يفوا ٭

قال وفي الحادي والعشرين من شوال قدم فلك الدين أخو العادل إلى دمشق وفلك هو أخوه
لأمه واسمه أبو منصور سليمان بن شروه بن جلدك وإليه تنسب المدرسة الفلكية بنواحي
باب الفراديس بدمشق وبها قبره ٭ قال العماد وفي هذا اليوم خطب للعادل ولابنه
الكامل والعادل في مهامه يستشرع ويستدعيه والمرء كثير بأخيه تمادى إلى دمشق بعد
شهرين ٭ قال وفي العشرين من الشهر خرج حاج مصر إلى البركة وأمر عليهم نصير الدين
الخضر بن بهرام وكان والي المحلة وهو مستمر الولاية من الأيام الصلاحية وحج معه من معز
وفي الأجناد وأمرائها عدة وكذلك حج في هذه السنة حاج دمشق وصحبهم الأمير عز الدين
شامه وكانت السنة مباركة والنعم متداركة والخير عام والخصب تام قال واستطرنا
زيادة بحر النيل في أوقاتها فبلغ إلى احدى وعشرين إصبعاً من ثلاثة عشر ذراعاً معاد بتلك
كل قلب جزعاً ثم أخلف في النقص وهو مرجو الزيادة مأمول الوفاء على العادة فقنط
الناس ووقع اليأس فاستد المحل وغلا السعر ويئس الفلاحون من الفلاح واحتفلوا من البلاد
للانتزاح وطاروا بأجنحة النجاء في طلب النجاح وقيل إن هذا النقص لم يعهد من عهد الصحابة وشرعنا
في الاستغفار والإنابة وصام الناس ثلاثة أيام قبل يوم التروية وكانما أصابتهم مصيبة منعتهم في
العز بهم استسقوا ثلاثة أيام إلى العيد وأفاض الخطيب في ذكر الوعيد وعجت بالخلائق الأمكنة
وضجت [illegible]عية والضراعات الألسنة ٭ قال وفي ذكر السنة التي قبلها وهي سنة خمس وتسعين
استدعى القاضي ضياء الدين أبو الفضائل القاسم بن يحيى بن عبد الله الشهرزوري إلى بغداد
وولي قضاء القضاة وكان متولي القضاء بالموصل فخرج في أواخر شعبان فلما وصل بغداد
حل وعظم وكان قد تردد إلى بغداد دفعات في الأيام الصلاحية بسبب الرسالة فهو كان المعين

لها

لها كما تقدم ذكره **فصل** في وفاة جماعة من الأعيان في هذه السنة أعني سنة ست
وتسعين ٭ قال العماد وفيها ثالث عشر جمادى الأولى توفي في داره بدمشق الأمير صارم الدين
قايماز النجمي وكان متولي أسباب صلاح الدين رحمه الله تعالى في محبته وبيوته يعمل عمل أستاذ الدار
وإذا فتح بلداً أسلمه إليه واستأمنه عليه فيكون أول من أعرض عن زينته وشام ديمته وحصل من بلد
آمد عند فتحه ومن ديار مصر عند موت عاضدها أموال عظيمة وتصدق في يوم واحد بتسعة
آلاف دينار مصرية عيناً وأظهر أنه قضى من حقوق الله ديناً في ذمته وهو بالعرف معروف
وبالخير موصوف يحب اقتناء المفاخر ببناء الربط والقناطر ومن جملتها رباط خشفين
ورباط نوى وله مدرسة بجوار داره ولما كفى الله الحصر نهض وراء العادل إلى مصر فرده إلى
دمشق ليلازم خدمة ولده الملك المعظم ويكون من أقوى عدده وأوفى عدده وكان في حلقه
دمامل وكان نحيفاً فتنه مستعاره ٭ قال ولما دفن نبشت أمواله وقبضت رحاله وحضر
أمناء القاضي وصلحاء الوالي وأخرجوا خبايا الزوايا ونموط النقود وخطوط النسا باد وعبروا
رسوم المنزل ومعالمه واستنبطوا دنانيره ودراهمه وحفروا أماكن في الدار وبركة
الحمام في الجوار فحملوا وقاراً من النضار وظهروا على الكنوز المخفية والدفائن الألفية
فقيل زادت على مائة ألف دينار وهو قليل في جنب ما أحرزه من كذا وكذا قنطار واستغل
ما طواه الخزن وأخفاه الدفن وقيل كان كثيره في صحارى صنيا عبر ومغارات أقطاعه قلت
وأتهم بعده جماعة بأن لهم عليهم ودايع ونادى بذلك المنادي منهم والطابع وداره بدمشق
هي التي بناها الملك الأشرف أبو الفتح موسى بن العادل دار الحديث سنة ثلاثين وستمائة وأخرب
الحمام الذي كان مجاوراً لها وأدخله في ربعها وذلك في جوار قلعة دمشق بينهما الخندق
والطريق وله مدرسة المعروفة بالقيمازية ٭ قال العماد وفي جمادى الآخرة من هذه السنة
توفي حتى عمر الحاجب لؤلؤ وكان في الصلاحية أشجع الشجعان وأفرس الفرسان وله مقامات
في الغزاة ومواقف مع العداة وهو الذي نهض وراء مراكب الفرنج الناهضة في بحر أيلة
بلا بر الحجاز وأتى في كرتهم وأسرهم بالإعجاب والإعجاز وكانوا قطعوا الطريق في بحر
عيذاب على التجار وحصلت أموالهم تحت الاستيلاء بعد حصولهم تحت الإسار فأنقذ واستنقذ
وما زال حتى أخذ وساق إلى القاهرة أولئك الكفار متهورين وأعنقهم تماماً مأسورين
قلت وفيه يقول الرضي بن أبي حصينة المصري يخاطب الفرنج لعنهم الله

عدوكم لولو والبحر مسكنه والدر في البحر لا يخشى من الغير فامر حسامك ان يخطي نحورهم والدر

مذ كان منسوب الى البحر

وقد قيل فيه اشعار كثيرة تقدم بعضها في اخبار سنة ثمان وسبعين ﴿ قال العماد ومن دلايل سماحته ما شاهدته بالقاهرة في سنة احدى وتسعين من مبرته الظاهرة انه لما حط القحط رحله ووصل المحل محله وتم الغلا وعم البلا ابتكر هذا الحاتم الكبير مكرمة لم يسبق اليها وذلك انه كان يخبز كل ليلة اثنى عشر رغيفا فاذا اصبح جلس على باب الموضع الذي فيه حشر الفقرا ثم يفتح من الباب مقدار ما يخرج منه واحد بعد واحد ويعلم انه غير عايد فيناول لكل منهم قرصه ويرى ذلك من خيراته فرصه فلا يزال قاعدا حتى يفرق الالوف على الالوف وكان هذا دابه في هذا الغلا حتى هب رخا الرخا لجنيد سوى عن صدقاته واستغرقت بالصلات اوقاته وكان بهي الشيب نقي الجيب قد جعل الله البركة في عمره وحفظ مدة حياته بامرار امره فاعجب في اوان ضعفه بتضعيف بره ولا شك انه من الاولياء الابدال والصالحين الصالحي الاعمال ﴿ قال وفي يوم السبت الحادي والعشرين من ذي القعدة وانا في الديار المصرية توفي الفقيه الكبير شهاب الدين الطوسي وهو اكبر الايمة الشافعية ورئيسها وهو من اصحاب محمد بن يحيى وكم واجه الملوك بالحق المر وانكر عليهم ما ينكرونه من العرف ويعرفونه من المنكر ولما وصل الى مصر كان تقي الدين عمر بن شاهنشاه ابن ايوب متوليها فاعجبه سمت المذكور فولاه مدرسته بمصر وهي المعروفة بمنازل العز فوليها واقام فيها معيدا حتى وارى جدث النعيم وخلت منازل العز من منازل عزه واصبح الناس حول سريره مزدحمين يوصلوا به الى القرافة مكان الرحمة والرافة وهناك الاصاغر والاكابر من الملوك والامرا مشاة وجنازته بما فيه من لباس التقوى مغشاه ولما نفضوا ايديهم من ترابه انفضوا من ايادي بركته متربين وسار اللهف والهف عليه مضطربين ونمي الخبر الى حماه وعرف ابن تقي الدين فولى قاضي دمشق محي الدين ابن الزكي بمصر وقوف ابيه وسير نايبه لتسلم ذلك وتوليه وكان اتفق حضوره عنده في الرسالة فاهتدى برشده الى الضلالة ﴿ قال وفي العشرين من جمادى الاخرة توفي الفقيه العالم بدر الدين بن عسكر رئيس الحنفية بدمشق قلت وقيل كانت وفاته في تاسع عشر جمادى الاول ويعرف بابن العقادة ﴿ قال وفي سابع عشر شعبان توفي بحلب الفقيه الكبير ظهير الدين عبد السلام الفارسي وكان ابرع فقيه وافقه بارع ورد الى اصفهان سنة تسع واربعين ولقي بها العلماء المبرزين وخالط الصدور وابن الجندي وكان يتفقه بكرمان وقرا على فخر الدين الرازي

من اكبر تلامذة محمد بن يحيى وتنقل في بلاد خراسان والعراق وقدم مصر سنة اثنين وسبعين في العهد الصلاحي وسامه السلطان المقام بها ليفوض اليه التدريس بقبر الشافعي رضي الله عنه فعبر وما صبر وعاد الى البلاد ثم وفد الى دمشق في جمادى الاولى سنة خمس وسبعين ثم سار الى حلب في ثاني شعبان فكان من وفاته بها ما كان ﴿ قال وفي هذه السنة توفي بنيسابور الفقيه الكبير محي الدين بن محي الدين محمد بن يحيى وفيها توفي صاحب امد قطب الدين سكمان بن نور الدين قرا ارسلان وفيها مات بدمشق في العشر الاوسط من شعبان الهمام العبدي الشاعر البغدادي وهو ابو الحسن علي بن نصر بن عقيل بن احمد بن علي من عبد القيس من ربيعة وقدم دمشق سنة خمس وتسعين وهو اشعر من رايته في هذا الزمان وسمعته ينشد الملك العادل ودمشق محصورة كلمة شاعر وصادفته ذا سمت حسن وفصاحة وحصافة ولسن ومعه ديوان شعره يحوي قلايد دره وفرايد بحره وتوفر على مدح الامجد صاحب بعلبك ﴿ ومن شعره ﴿

وما الناس الا كامل الحظ ناقص ﴿ وآخر منهم ناقص الحظ كامل ﴿

واني لمثر من حياء وعفة ﴿ وان لم يكن عندي من المال طايل ﴿

قال وتوفي في هذه السنة قبل الفاضل بثلثة ايام الاثير بنان وكان مشمولا في الدولتين بكل قبول واحترام واحسان وكان السلطان لما انصرف في القصر ولاه بيع موجوده وبذل في نصرته غاية مجهوده ولما فرغ من شغله ابقاه على رسم انعامه كله واستمر امره واستقر قراره وجلس في بيته نسمع عليه رواياته العالية حتى ادرك ايام الملك العزيز ولم يدرك في العز املا ولم يملك عملا حتى تغير خلقه وتقلل رزقه وسطل حقه وآل امره الى اعتقاله بالديون واحتباسه في الرهون وبمن غلطه وزير العزيز وكان مودبه في الصغر واستوزنه في الكبر فحبسه واسمعه ما كرهه وقال له ما احسن ما ادبتني وحذوتك وخرجته وعلى مراتب اخلاقك درجته وقال الفاضل اذا خلصتك في ايام شاور مرتين ودافعت عنك دفعتين وهذه قصايدك في مدحي ومقاصدك لمنحي وكان يعرف لتقادم عهده واستعانته في الحالات مبادي ارباب المناصب الى الغايات فكرهه النواب ودحضوه وللمعارض النوايب عرضوه وكان بالقاهرة جاري وباب داره مقابل باب داري وانا اغشيه في الايام الصلاحية باصلح اعانة واصونه بابلج صيانة

فصل في وفاة القاضي الفاضل

قال العماد في هذه السنة تمت الرزية الكبرى والبلية العظمى وفجيعة اهل الفضل بالدين والدنيا وذلك بانتقال القاضي الفاضل من دار الفنا الى دار البقا في داره بالقاهرة سادس ربيع الاخر

يوم الثلاثا وكان يعني ذلك اليوم بمصاف الافضل يوم الكسره وبمصاف الفاضل يوم الجبره
وذكر انه ليلة الثلاثا في مدرسته على العشا وجلس مع الفقيه ابن سلامه مدرسها وتحدث
معه ما شاء وشوهد من كل ليلة وامسه واهش وقد طابت المحاضره وطالت المسامره وانفصل
الى منزله صحيح البدن فصيح اللسن وقال لغلامه دنت جوانح الحمام وعرفني حين اقضي من المنام
نوفاه سحر الاعلام فما اكترث بصوت الغلام ولم يدر ان كلم الحمام حمى من الكلام وان وثوقه
بطهارته من الكوثر اغناه عن الحمام فبادر اليه ولده والفاه وهو ساكت باهت فعرف ان القدر
له باغت فلبث يومه لا يسمع له الا انين خفي علم منه انه بعهد الله وفي ثم قضى سعيدا ومضى
شهيدا حميدا فوفاه الله تعالى الوصيه وكانت له بسيد الاولين والاخرين اسوه وان تردى عن
رداء العمر فله من حلل البقاء في عليين كسوه ولانه لم يوفي من حياته عملا صالحا الا وقدمه
ولا عهدا في الجنه الا احكمه ولا عقدا في البر الا ابرمه فان صنايعه في الرقاب واوقافه على سبل
الخيرات متجاوزه عن الحساب لاسيما اوقافه لفكاك اسرى المسلمين الى يوم الحساب واعان طلبه
العلم الشافعيه والمالكيه عنده دار بالمدرسه والايتام بالكتاب والخيرات الدارة على الايام
فكانت حياته له باقية الى يوم البعث واعادة حيوة الانام وكان رحمه الله للحقوق قاضيا وفي
الحقايق ماضيا سلطانه مطاع والسلطان له مطيع وفضله جامع وشمل الفضل به جميع وهو
واحد الزمان وصاحب القران قد خصه الله بالمكانه والامكان والسلطان من نفحات
فتوحه ومحاسنها ومبادي امور دولته وغاياتها ما افتتح الاقاليم الا بمقاليد ارايه وادابه
ومغاليد عناه وعنايه وكنت من حسناته محسوبا والى مناسب الايه منسوبا اعرف صناعته
ويعرف صناعتي واعارض بضاعته الثمينه بمزجاة بضاعتي ولم يزل يعذب بصنعي ويعلي صنعي
وما اوسع دره للخطاب في شغلي اذا ضاق بالخطب الشاغل ذرعي وكانت كتابته كتايب النصر
وبراعته رابعة الدهر باريه للتبر وعبارته نافثه في عقد السحر وكانت بلاغته للدولة مجمله
وللمملكة مكمله وللعصر الصلاحي على ساير الاعصار مفضله ومنتجاته في الفتوحات
البديعه بديعه ومخترعاته في الصنايع المخترعه صنيعه وانما نسجت على منواله ومرحت من
حباله ودرست براه وهو الذي نسخ اساليب القدما بما اقدمه من الاساليب واغربه من
الابداع وابدعه من الغريب وما انتبه كرر دعاء ذكره في مكاتبه ولا ردد لفظا في مخاطبه
بل ياتي فصوله متكرر ومبتدعه مبتدعه لاتسكن بالعرف والعرفان معرفه لايكن وكانت

الدولة

الدولة بازالته تدال والزله باذالته تزال والكرام في ظله يقيلون ومن عثرات النوايب بفضله
يستقيلون وبعرجي جانبه يعزون ولهز عطفه يهتزون فالى من الوفادة تعل ومن الافاده
وبيمن السياده وللسعاده والحمد لله الذي له الغيب والشهاده وانا لله وانا اليه راجعون
ولامره مستقادون ، وقد وصفه العماد ايضا في كتاب الخريده في القسم الرابع في ذكر محاسن
فضلا مصر واعمالها فقال ـــ وقبل شروعي في ذكر اعيان مصر واحسانها ومزايا فضلاتها
ومراتبها اقدم ذكر من جميع افاضل الدهر واماثل العصر كالقطره في بحار بحره بل كالذره في
انوار فجره وهو المولى القاضي الاجل الفاضل الاسعد ابو علي عبد الرحيم بن القاضي الاشرف ابي
المجد علي بن الحسن بن البيساني صاحب القران العديم الاقران وواحد الزمان العظيم الشان رب
القلم والبيان واللسن واللسان والقريحه الوقادة والبصيره النقاده والبديهه المعجزه والبديعه
المطرزه والفضل الذي ما سمع في الاوايل بمن لو عاش في زمانه لتعلق بغباره او جرى في مضماره
فهو كالشريعه المحمديه التي نسخت الشرايع ورسخت بها الصنايع يخترع الافكار ويفترع الابكار
ويطلع الانوار ويبدع الازهار وهو ضابط الملك باراته ورابط السلك بالايه ان شاء انشاء
في يوم واحد بل في ساعه ما لو دون لكان لاهل الصناعه خير بضاعه اين قس عند فصاحته
واين قيس في مقام حصافته ومن حاتم وعمرو في سماحته وحماسته فضله بالافضال حال
ونجم قبوله في افق الاقبال عال لا من في فعله ولا مين في قوله ولا خلف في وعده ولا بطء في رفده
الصادق الشيم السابق بالكرم ذو الوفاء والمروه والصفا والفتوه والتقى والصلاح والندى
والسماح مشرفات العلم وباشر راياته وحلى عيابات الفضل ونال اياته وهو من اولياء الله الذين
خصوا بكرامته واخلصوا الولايته قد وفقه الله للخير كله وفضل هذا العصر على الاعصار السالفه
بفضله ونبله فهو مع ما يتولاه من الاشغال الملكيه الشاغله ومهماته المستغرقه في العاجله
يفيه لا يغفل عن الاجله ولا يفتر عن المواظبه على نوافل صلاته ونوافل صلاته وحفظ اوراده ووضا
وشا اصفاده وعوارفه ويختم كل يوم من القران المجيد ويضيف اليه ما شاء الله من المزيد
وانا اوثر ان افرد لنظمه ونثره كتابا فاني اغار من ذكره مع الذين هم كالنهاء في فلك شمسه وذكا به
وكالثرى عند ثريا علمه وذكايه فانما تبدو النجوم اذا لم تبرز الشمس حاجبها وتحجب نور الغزاله
عند اشراقها كواكبها وانه لا يوثر ايضا اثبات ذلك فانا ممتثل لامره المطاع ملتزم لمرقاه
الاتباع واضع لادنه قابض بمنى على يمينه راكن باملي الى ركنه قاطن برجايي في ظل امنه

امرض رضاه ولا اعترض على ما يحكم به ويراه ولا اقوم الا حيث يقيمني ولا اسوم الا ما يسومني ولا اعرق يدا املكني غير يديه ولا انتدى الا لما جعلني بصدده واسال الله الموفق للثبات على هذا السنن وابتهاج جدده وهو احق ممدوح بمدحي وامضا سهم بحقه واسماهم في افقه واولاهم بصدقه واهداهم لطرقه ولي فيه مدايح منظومه ومنثوره ومقاصد معاهدها بفضله معموره وقصايد قلايدها على مجده موفوره ثم ذكر منها بعض ما يقدم ذكره في مواضع من هذا الكتاب

ولهُ فيه من قصيدة اولها

حياتكم ما عندكم بعدي وسوى لا شي ما بعدكم عندي ما للاحبة لا عدمتهم رغبوا عن الاسعاد في الزهد ان لم يعوا افلقد وفى كرما عبد الرحيم بن مد المجد ذو الرتبة الشماء والشرف العالي السنا والسودد العد الناس كلهم له تبع في فضله والدهر كالعبد كم غاص بحر هباته فغدا در البيان يساق في العقد ان سود البيض من ثوب الليالي كل مسود لم اقاليم البلاد بثغورها للضبط والشد ملك كتيبته كاتبه فرد بجيش النصر في جند الاسمر الخطي تابعه في حكمه والابيض الهندي والنايبات بحده ابدا مثلوثة مفلولة الحد

وهي طويلة ثم قال ولو اوردت من كلامه طرفا لظهر عجز الافاضل واعترف بالعضود ذوو الفضايل فلا يحسن ذكر البحر في الجداول ولا العريس في المنازل واذا اوثرا فرده بقسيم لا يمزج بسواه ولا سهرج بمن في جملته اوردناه ولعله ياذن في ذلك ولا سبيل اليه الا باذنه والانقياد للتصرف لا نعلى لفكاك من رهنه ولت وقد قالت الشعرا فيه فاكثروا ولو قد تقدم لابي الحسن الدوري فيه ابيات حسنه عام حجه

وللتاج ابو الفتح الملطي

لله عبد رحيم يدعى بعبد رحيم • على صراط سوى من الهدى مستقيم • ينمي الى الشرف في ذرى المعالي صميم • مهذب حاز ما استن من تقى وعلوم • زهد ابن مريم عيسى ونسك موسى الكليم • يري التهجد انسا في جنح ليل بهيم • منهمل الطرف تلواي القران العظيم

وللقاضي السعيد هبة الله بن سنا الملك فيه من قصيدة

عبد الرحيم على البريه رحمه امنت بصحبتها حلول عقابها •
يا سايلا عنه وعن اسبابه نال السما فسله عن اسبابها
والدهر يعلم ان فيصاح حطبه يحظي براعته وفصل خطابها •
ما لقبوه بها لان يعلها اسماه اغنته عن القابها •
فالزمان لغيره اذ رامها تربت يمينك لست من اترابها •

اذهب طرفك لست من اترابها وارجع وراك لست من اربابها •
ولعز سيدنا وسيد غيرنا دلت من الايام شمس صعابها •
وان سعادته الى ابوابه لا كالذي يسعى الى ابوابها •
تعنو الملوك لوجهه بوجوهها لا بل تساق لبابه برقابها •
شغل الملوك بما يقول ونفسه مشغولة بالذكر في محرابها •
في الصوم والصلوات اتعب نفسه وضمان راحتها على اتعابها •
وتجل الافلاك عن لذاته ثقة بحسن مآلها وماآبها •
فلتفخر الدنيا بسايس ملكها منه ودارس علمها وكتابها
صوامها قوامها علامها عمالها بذالها وهابها

وله فيه ايضا من اخرى

وسالت من اي المعادن ثغرها فوجدت من عبد الرحيم المعدنا ابصرت جوهر ثغرها وكلامه فعلمت حقا انه من هاهنا •
ذاك الكلام من الكمال بمنزل لا يدرك الساعي اليه سوى العنا يدنو من الافهام الا انه تلقاه ابعد ما يكون اذا دنا •

قلت كان والده تولى القضاء بعسقلان وانفذ ولده الفاضل الى مصر فاتصل كاتب الدوله المصريه ابي الفتح بن قادوس وغيره وفتح الله عليه في هذه الصناعه ففاق فيها اهل عصره مضافا الى ما منحه من علو قدره وقد سبق في ترسلاته ما اشهد لعظيم امره وقران من نظمه وله ايضا وسيف عتيق للعلا فان تمل رانا باكرم فعل وعتيق فرد بابه فهو الطريق الى الندى ودع كل باب ما اليه طريق

وله ايضا رحمه الله تعالى

سبقتم باسداء الجميل تكرما وما مثلكم فيمن تحدث او حكى وقد كان ظني ان اسابقكم به ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا ودفن رحمه الله بمقبرته بالقرافه وقرات في تاريخ ابي علي حسن بن محمد بن اسمعيل الفيوني الذي ذيله على تاريخ ابي القسم السمناني في حديث الملك المحسن احمد بن السلطان صلاح الدين ان يوم موت الفاضل اتفق دخول الملك العادل الى مصر واخذها من ابن اخيه الافضل قال دخل العادل من باب وخرجنا نشيع بالجنازه من باب اخر قال واكثر اهل مصر يذكرون ان كتبه التي جمعها مبلغ ماية الف مجلد وكان يجمعها من سائر البلاد قلت وسمعت قاضي القضاه ضيا الدين القسم بن يحيى الشهرزوري سعد الله ايامه ولا اسه يحدث ان القاضي الفاضل لما سمع ان

العادل اخذ الديار المصرية دعا على نفسه بالموت خشية ان يستدعيه وزير صفي الدين
ابن شكر اليه او يجري في حقه اهانة وكان بينهما مفاوضة فاصبح ميتا وكانت له معاملة حسنة
مع الله تعالى وصلوات بالليل كما ذكروا عنه رحمه الله تعالى ۔ قلت واخبرني القاضي
الشهيد ضياء الدين ابن ابي الحجاج صاحب ديوان الجيش ان القاضي الفاضل بعد صلاح الدين
لم يخدم احدا من اولاده وكانت الدولة باسرها تاتي الى خدمته الى ان توفي قال ولما قدم
العادل مصر وملكها بات ليلة ثم اصبح فزار قبر الشافعي رضي الله عنه وجاء الى قبر الفاضل
فزاره قال ابن ابي الحجاج وانا حاضر ذلك **ثم دخلت سنة سبع وتسعين**
قال العماد فيها توفي الامير عز الدين ابرهيم بن شمس الدين محمد بن المقدم في حصن افاميه
وفيها او في سنة ست قبلها توفي السلطان خوارزم شاه لقبه علاء الدين تكش ابن ايل ارسلان
ابن اتسز بن محمد وهو الذي ازال دولة السلجوقية بملكه واجتمع له مع خوارزم خراسان والعراق
ولما مات قام ولده علاء الدين مقامه ۔ قال وفيها كتب السلطان العادل للامير فخر الدين
ايازكوش باعمال تبنين وهونين وبانياس والحوله وما يجري معها وكان مع الامير حسام الدين
بشاره محاصره واخرجه الملك المعظم عيسى ابن السلطان من دمشق وتسلم البلاد وخرج ۔ قال
وفيها توفي الامير بهاء الدين قراقوش وهو من القدماء الكرماء وشيوخ الدولة الكبار امير
الاسدية ومقدمها وكريمها ومكرمها ولم ار غيره خصيا لم تفارقه الفحول ولم يون في مجال
ماثرته الفحول وله في الغزوات والفتوحات مواقف معروفة ومقامات موصوفة وهو الذي
احتاط على القصر حين استبنت على متوليه اسباب النصر وذلك قبل موت العاضد بعشر ولما
خطب لبني العباس بالديار المصرية تسلم القصر بما فيه واستظهر على اقارب العاضد وبنيه وتولى
عمارة الاسوار المحيطة بمصر والقاهرة واتى فيها بالعجائب الظاهرة وكان معاذ الالتجاء
وملاذ الارتجاء غير انه نسب الى اللجاج لشدة ثباته وفرط جوده ولا يكاد يعمل لصلابة
عوده ولما توفي تسلم العادل داره بما حوته من الذخاير وصارت اقطاعاته للملك
الكامل ۔ قال وفيها نقل الى العادل عن غلام الامير ايبك الفطيس ان جماعة قد عزموا
على الفتك بالعادل حال ركوبه واسند اصل ذلك الى الملكين المعز اسحق والمؤيد مسعود
ولدي صلاح الدين رحمه الله تعالى فاحضر الغلام وعصره فمات ولم يقروا فاعتقل المعز والمؤيد
وتبرع من اتهمه في ذلك من الامراء الصلاحية وتكلم الناس بما حدث في هذه القضية

قال

قال وفي هذه السنة اشتد الغلاء وامتد البلاء وتحققت المجاعة وتفرقت الجماعة وهلك
القوي فكيف الضعيف ونحف السمين فكيف العجيف وخرج الناس حذر الموت من الديار
وتفرق فريق مصر في الامصار ورايت الارامل في ملك الرمال والجمال باركة تحت الاحمال
ومراكب الفرنج على ساحل البحر على اللقم تسترق الجياع باللقم ونقل من الى الشام خلص الابعد
ان قل عدد اهله وبعض ۔ قلت ثم زال ملك الشرق بعد من وتوفي العماد الكاتب
مصنف هذه الكتب الفتح والبرق وهذه الرسايل الثلاث العتبى والنحلة والخطفة بدمشق في
اول شهر رمضان من هذه السنة وهي سنة سبع وتسعين وخمسمايه ودفن بمقابر الصوفية بالشرف
القبلي ۔ وفي هذه السنة توفي الشيخ ابو الفرج عبد الرحمن ابن علي بن الجوزي الواعظ وغيره
رحمهم الله وتوفي الملك الافضل بسميساط في سنة اثنين وعشرين وستمايه وحمل الى
حلب فدفن بها وتوفي الملك الظاهر بحلب في سنة ثلاث عشرة وستمايه ۔ وفيها توفي بدمشق
الشيخ تاج الدين ابو اليمن زيد بن الحسن الكندي ودفن بالجبل وغيره رحمهم الله وتوفي
الملك العادل ابو بكر بن ايوب بدمشق في سنة خمس عشرة وستمايه وابنه المعظم في اواخر
سنة اربع وعشرين وستمايه واخواه الاشرف والكامل في سنة خمس وثلاثين وستمايه
رحمهم الله ووفق من بقي من اهل بيتهم واصلح ذات بينهم ۔ امين

تم كتاب الروضتين في أخبار الدولتين

بحمد الله وتوفيقه وصلواته وسلامه
على سيدنا محمد خير خلقه وعلى اله
وصحبه وسلم تسليما
كثيرا
م